

مَوْسُوعَةُ النَّابُلْسِيِّ لِلْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العقيدة الإسلامية
موضوعات مختلفة

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٠١) : أصول الدين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٦-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

كليات الدين:

١ . أولى كليات الدين المعرفة :

أيها الأخوة الأكارم، من السهل جداً أن تدخل في تفاصيل الدين، والدين باب واسع جداً من أبواب المعرفة، ولكن من حين إلى آخر أرى من المناسب أن أتحدث في الكليات. الجزئيات أن تصل إلى دقائق الآيات، إلى دقائق السنّة، إلى دقائق السيرة، لئلا ندخل في التفاصيل، ونغفل أحياناً عن الأهداف الكبرى، والكليات العظمى، لذلك أجد من المناسب من حين إلى آخر أن نعود إلى الكليات.

لو دخلت إلى مكتبة إسلامية لوجدت عشرات بل مئات الآلاف من الكتب، إن شئت العقائد وأصولها، والقرآن وعلومه، والحديث ومصطلحه، والسيرة وأعلام الإسلام، والفقه ومذاهبه، قد تجد عشرات الآلاف من الكتب بل مئات الآلاف من الكتب في كل باب من أبواب الدين، ولا يتسع عمر مهما طال لقراءة ما أُلّف في أحد أبواب الدين.

إذاً نحن نحتاج أحياناً لا إلى الاستقصاء، لا إلى التفاصيل، لا إلى الجزئيات، بل نحتاج من حين إلى آخر أن نبقى في الكليات، في الأصول، في أصول الدين، في كليات الدين، في الخطوط العريضة، في الأهداف الكبرى، في الوسائل الناجحة...

فأردت في هذا الدرس أن يكون حول كليات الدين، فالدين يقوم على دعائم، وأولى هذه الدعائم دعامة المعرفة، فدينٌ من دون طلب علم هذا مستحيل، فأولى دعائم الدين المعرفة، لأنه ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، ولو اتخذهُ لعلمه، لأنك إذا تدبنت من دون معرفة فما الذي يحصل؟ تطبق عشرات العبادات، وقد تخرق الاستقامة، لأنك لا تعلم، فيكون هذا الخرق حجاباً سميماً بينك وبين الله، كل هذه العبادات عندئذٍ غير مجدية.

لن تستطيع إحكام الاتصال بالله عز وجل إلا إذا وقفت عند حدوده، ولن تقف عند حدوده إلا إذا عرفت حدوده، ولن تعرف حدوده إلا إذا عرفت حدوده.

أساس الدين هذه العلاقة الوثقى الطيبة بين الإنسان وبين الله :

هناك في الإسلام جانب معرفي، وجانب علمي، وجانب عقدي. الناس كما ألاحظ فيهم الكثير ممن يعينهم من الدين الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة فقط، هؤلاء لو كانوا في عصور غير هذه العصور ربما يصلون إلى الجنة، لكن في عصر استعرت فيه الفتن وانقذت، واشربت بأعناقها، وكثرت المزالق، والشبهات، والترهات، واستشرت الأضاليل، والعقائد الزائغة، والباطل المزيف، والانحراف المروّج، والتقلت من مبادئ الدين تحت غطاء من الحرية، والعصرية، والتقدم، حتى ذرت بقرنيها شبهات كثيرة وفتن مظلمة.

أؤكد لكم، وأنا أعني ما أقول، إنه لا يستطيع أن ينجو الإنسان الآن في عصور الانحرافات الفكرية والسلوكية إلا بعلم صحيح، بعقيدة راسخة، بعلم متين، وبأدلة قاطعة.

إذا يا أيها الأخوة الأكارم، حينما تنصرفون إلى الدنيا، حينما تتحركون، حينما تتطلقون إلى أعمالكم، فإذا شعرتكم أنكم في غنى عن طلب العلم، هذا النقص في العلم لا بد أن يُترجم إلى انحراف في السلوك، والانحراف في السلوك لا بد أن ينتهي بصاحبه إلى حجاب بينه وبين الله، وحينما يكون الحجاب بينك وبين الله فاعلم علم اليقين أنك فقدت كل ثمار الدين.

أساس الدين هذه العلاقة الوثقى الطيبة بينك وبين الله، وحينما تفقد هذه العلاقة بانحراف أساسه الجهل فقد خسرت كل ثمرات الدين. وبالاتصال لن تشعر بخوف، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

[سورة المعارج: ١٩]

هكذا خُلِقَ، هذا ضعف خُلِقِي، هكذا أراد الله عز وجل أن يكون هلوياً قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[سورة المعارج: ١٩-٢٢]

الجانب المعرفي يأتي بالمدارسة و التأمل و النظر :

كل نقاط ضعف البشر الخُلُقِي التي لا يد لك فيها، كل نقاط الضعف هذه تتلافها بالاتصال بالله عز وجل، فذلك من لم تحدته نفسه بحضور مجلس علم ليزداد معرفة بالله أو بكتابه، ودرس أسماء الله الحسنى الذي هو معرفة بالله، ودرس التفسير لينمي معرفة بكتاب الله، ودرس الحديث الشريف ليعرفك برسول الله، ودرس السيرة النبوية ليكون معرفة بالتطبيقات العملية، ودرس الفقه معرفة بالأحكام الشرعية التي ينبغي أن تدور مع حياتك، فما لم تخصص من وقتك وقتاً ثميناً لطلب العلم، ومتابعة مجالس العلم، لتزداد ثقافتك الدينية، وقناعاتك الفكرية، وترسخ عقيدتك الصحيحة، وأن تزداد وتغتني عندئذ ترى أن النقص في العلم سيسبب لك خلاً في السلوك، وهذا هو الجانب المعرفي.

والحقيقة أنّ بعض الجانب المعرفي يأتيك بالمدارسة، وبعضاً منه يأتيك بالتأمل، وبعضاً منه يأتيك بالنظر، قال تعالى:

﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة يونس: ١٠١]

جانب كبير من جوانب المعرفة يمكن أن تحصل عليه من وقوفك عند دقائق خلق السماوات والأرض، وأقرب شيء إليك جسمك الذي بين جوانحك، أقرب شيء إليك طعامك الذي تأكله، أقرب شيء إليك من حولك من أهل وأولاد، أقرب شيء إليك مظاهر الطبيعة التي أمامك، هذه كلها آيات دالة على عظمة الله عز وجل، فأنا أتمنى أن يفكر الإنسان كل يوم في آيات الله الدالة على عظمته، أو أن يشغل نفسه كلما سمحت له فرصة بأن يقف عند دقائق خلق الله جل وعلا.

ألا تتأثر إذا سمعت أن لديك عشرين مليون خلية عصبية شمية؟ كل خلية فيها سبعة أهداب مغموسة بمادة دهنية مذيية، وأن أي رائحة تصل إلى أنفك تتفاعل مع هذه الأهداب بل مع المادة الدهنية التي على هذه الأهداب تفاعلاً كيميائياً يتشكل منه شكل هندسي يُنقل على شكل إشارة إلى مركز الشم في المخ، وفي مركز الشم في المخ عشرة آلاف بند من بنود المشمومات، وأن هذه الإشارة تشعرك برائحة هذا الشيء، ثم تنتقل إلى معرفة رائحة هذا الشيء، وأن المادة إذا كانت بمقدار نصف بالمليون من الملي غرام بالسنتيمتر مكعب فإنها كافية لكي تحسّسك برائحة هذا الشيء. ألا تشعر أنك وقفت وجهاً لوجه أمام عظمة الله عز وجل؟ ألا تشعر أنك عرفت دقة الصنع؟

الله عز وجل فرض صلاة الجمعة تأكيداً للجانب المعرفي :

إذاً أيها الأخوة، الجانب المعرفي أحد أركان الدين، لذلك فإنّ الله عز وجل فرض على المسلمين، وماذا فرض؟ تأكيداً للجانب المعرفي، تأكيداً لأحد أركان الدين الكبرى، فرض على المسلمين صلاة الجمعة، ما طبيعة صلاة الجمعة؟ طبيعتها تعليمية، عبادة تعليمية فيها خطبة، تستمع إلى الخطيب يتلو على الناس آيات القرآن، ويفسر هذه الآيات، ويتلو عليهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويفسر هذه السنة، ويتلو عليهم مواقف الصحابة، ويفسر هذه المواقف، إذاً لأن جانب المعرفة جانب أساسي في الدين فُرضت صلاة الجمعة، تلك الفريضة التعليمية. قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ عَذْرٍ وَلَا عَلَّةٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))

[موطأ مالك عن صفوان بن سليم]

ثم تلا قوله تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[سورة المطففين: ١٤]

أيها الأخوة، أحد أركان الدين أن تقتطع من وقتك الثمين، وحقاً إن وقت الناس ثمينٌ، مهما كان الوقت مليئاً بالمشاغل، والمواعيد، والإنجازات، والخطط، واللقاءات، والأعمال، وعقد الصفقات، وما إلى ذلك من مشاغل، لكن ما قيمة هذه الدنيا لو ربحت فيها كل شيء، وخسرت نفسك؟ ما قيمة المال إذا جاء ملك الموت وقد تركت كل شيء في ثانية واحدة؟ فالتأمل في الكون باب، والنظر في الحوادث باب، وقراءة القرآن وتدبره، وقراءة السنة وفهمها باب ثالث، فهناك نظر، وهناك تفكر، وهناك مدارس لا بدّ منها.

وأنا أذكر دائماً أنّ الإنسان الكامل هو الذي يجمع بين كل مصادر المعرفة، فيتأمل تارة، وينظر تارة، ويفكر تارة، ويدرس تارة، فسماعك مدارس، وتأملك الصباحي في آيات الكون تفكر وعلم، ونظرك إلى ما يجري في الكون من حوادث دالة على عدالة الله، وعلى حكمته، وعلى رحمته، وعلى قيوميته فهذا من طلب العلم.

الله سبحانه وتعالى اعتمد قيمة العلم كقيمة وحيدة مرجحة بين البشر :

اسمحو لي أيها الأخوة، أن أقول لكم: والله الذي لا إله إلا هو لو بلّغت أعلى مراتب العلم في الأرض ولم يكن لك عمل صالح من الدين يدعّم هذا العلم فلا قيمة لعلمك عند الله إطلاقاً، المشكلة أن العلم وسيلة، وقد ظنّه الناس غاية، ما لم تتأكد أنّ كل علم تتعلمه إنما هو وسيلة كي ينقلك إلى التطبيق، فهذا العلم وبال على صاحبه، قال الحسن البصري:

((الْعِلْمُ عِلْمَانٌ؛ فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةٌ لِلَّهِ عَلَى ابْنِ

(آدَمَ))

[الدارمي عن الحسن]

هذا الباب باب طلب العلم، باب الاستزادة من العلم يؤكد قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[سورة طه: ١١٤]

يؤكد أن الله سبحانه وتعالى اعتمد قيمة العلم كقيمة وحيدة مرجحة بين البشر، قال تعالى:

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الزمر: ٩]

وقال تعالى:

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة يوسف: ٧٦]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

هل تسمح لنفسك أن تقول: أنا مشغول، مشغول بماذا؟ لماذا أنت في الدنيا؟ أي شيء يشغلك عن طلب العلم؟ سوف تعدُّ تقصيرك غبناً كبيراً يوماً ما.

لا بد من وقت يتعرف فيه الإنسان إلى الله عز وجل :

ذهب طالبٌ إلى دولة أجنبية لينال دكتوراه، فعليه أن يعمل، وأن يدرس، أهله فقراء، وهو يحتاج فرصاً إلى ألف فرنك فرنسي في الشهر، وجد عملاً لساعتين، فهاتان الساعتان تحققان له ألف فرنك فرنسي التي يحتاجها.

وعنده دراسة، لو نال الدكتوراه لعاد إلى بلده بأعلى المراتب، وشغل أعلى منصب، بأكبر دخل، كل أماله معقودة على هذه الشهادة، عثر على عمل يحقق له ألفي فرنك في الشهر، ولكن عليه أن يعمل أربع ساعات، يقول: لا بأس سأشتغل وأوفِّق بين الدراسة والعمل، ثم عثر على عمل يحقق له ثلاثة آلاف خلال ست ساعات، وعرض عليه أربعة آلاف بثمانية ساعات، خمسة آلاف بتسع ساعات عمل، ثم وجد عملاً يحقق له مئة ألف فرنك، لكن لمدة أربع وعشرين ساعة، فترك الدراسة من أجله، فهل يقول لك: أنا هيأتُ عملاً عظيماً؟ لا، فإقامتك هنا محدودة، وبفاؤك في هذا البلد منوط بجرة قلم، فإذا عدتَ إلى بلدك بلا شهادة كنت في خزي شديد.

اسمعوا القاعدة: العمل الذي يستغرق وقتك كله خسارة محققة مهما كان الدخل كبيراً، لأنك عندئذ خرجت عن هدفك الأساسي.

أيها الأخوة الأكارم، أنا أعلم أن الحياة صعبة، والدخل محدود، والمطالب كثيرة، والوقت ضيق، وأعرف أن أخوة كثيرين مضطرون إلى العمل المستمر، ولكن أن أغض الطرف عن إنسان عمله استغرق وقته كله، ثم يقال: هو ناجح أو رابح، فلا والله، لا بد من وقت تتعرف فيه إلى الله.

مرة خطر في بالي مثل، طبيب درس ثلاثين سنة، وجاء إلى بلده، وفتح عيادة وكتب: الدوام ما بين الساعة الخامسة والسابعة بعد الظهر، وبينما هو في العيادة جاءه مريض بعد الساعة الخامسة، فاستأذن، قال له: والله ما عندي وقت، فلماذا أنت هنا إذا؟ لماذا درست؟ إن لم تتفرغ لأكبر عمل في حياتك فلأي شيء تتفرغ؟ ادعى أنه لا وقت له ليتعرف على الله عز وجل، نقول له: لكن ما الذي يشغلك؟ قال تعالى:

﴿ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النمل: ٨٤]

ماذا بعد الحق إلا الضلال؟! وخلاصة الكلام أن تعلم أنه لا بد من طلب العلم، هذا شيء لا بدّ منه، لأنه لو لم تكن كذلك لظهر الانحراف والخلل في حياتك، مثلاً في الحج سمعنا باجتماع عُقد قبل أيام أن أكثر من عشرين إلى ثلاثين حاجاً سورياً لم يطوفوا طواف الإفاضة العام الماضي، وهو ركن أساسي، فلما قيل لهم: لماذا تصرّفتم كذلك؟ قالوا: لا نعرف، ولم ينبّهنا أحدٌ، وغادروا مكة دون أن يطوفوا طواف الإفاضة، فما الذي أبطل حجهم؟ جهلهم. أنا أقول لأيّ منكم: قد تكون سليم النية، وتأكل الربا، وأنت لا تدري، ويمكن أن تتجاوز الحدود لعة الجهل فقط، والقانون لا يحمي الجاهل، كما أن الدين لا يعذر الجاهل.

أنا أتمنى من الأخوة الكرام أن يعلموا أن موضوع طلب العلم، وحضور مجالس العلم لا يتوقّف على ما لديكم من فراغ، الفصل شتاء، وضاق صدرنا، تعال نحضر مجلس علم، وفي الصيف الناس سارحون في المصايف، فينسوّن هذا المجلس، هذا منهاج جامعي، فيجب أن تجعل أساس الدرس وحياتك مقولبة مع الدرس، ليس الأساس حياتك والدروس حسب فراغك، بل لا بد من الحرص والمتابعة والمثابرة.

٢ . البند الثاني في كليات الدين الاستقامة والعمل الصالح :

ثم ماذا تقترحون أن يكون البند الثاني في كليات الدين ولدينا كليات كبرى كثيرة. العلم هو البند الأول، وطلب العلم إما بالتفكير في الكون، أو بالنظر في الحوادث، أو بالمدارس، والمدارس قراءة واستماع، فأنت الآن تدرس، وتستمع إلى درس، وقد تقرأ، وقد تنتظر، وقد تتفكر. تقترحون كلية كبرى من كليات الدين: العمل، كلمة لكنّ دلالتها كبيرة جداً، تقوم على بندين أساسيين، بند سلبي، وبند إيجابي، بند امتناع، وبند إيجاب: فعل. نحن الآن أمام الاستقامة والعمل الصالح، الاستقامة أيها الأخوة انضباط، غضّ البصر استقامة، ترك الغيبة والنميمة استقامة، ترك لقمة من حرام استقامة، لكن العمل الصالح بذل . دققوا في هذا المثل . لو تصوّرنا أن الطريق إلى الله عز وجل طريق مادي، ثم تصوّر أنّك تركب مركبة، وعلى هذا الطريق عقبات، وكل عقبة يبلغ ارتفاعها مترين، وعرضها مترين، وهي من الإسمنت المسلّح، فهل بإمكانك أن تسير على هذا الطريق؟ لا.

كل معصية أيها الأخوة عقبة على طريقك إلى الله، فالاستقامة تعني أن تزيل هذه العقبات، كل إنسان استقام على أمر الله نقول له ما فعل شيئاً لكنّه مهد الطريق إلى الله، أزال كل العقبات، أزال كل الموانع، ألغى كل الحواجز، المعاصي حواجز وموانع وعقبات وحفر وما إلى ذلك. أنت حينما

تستقيم على أمر الله فقد وضعت قدمك على الطريق، والاستقامة طابعها سلبي، فما زدت عن أن مهّدت الطريق إلى الله عندما تستقيم.

ماذا بقي؟ الحركة على هذا الطريق، طريق إلى الله، وعلى هذا الطريق عقبات إن أزلتها صار سالكاً، بقي عليك أن تسير، أن تتحرك، الحركة هي العمل الصالح، قال تعالى:

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[سورة فاطر: ١٠]

العمل الصالح لا يثبت إلا على أرضية من الاستقامة :

اسمع القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾

[سورة فصلت: ٣٠]

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة فصلت: ٣٠]

لا بد من استقامة، ولا بدّ من عمل صالح، لكن القرآن الكريم قد يعبر عن الاستقامة والعمل الصالح بكلمة:

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة الشورى: ٢٢]

والتفسير أن العمل الصالح لا يثبت إلا على أرضية من الاستقامة، كيف؟ فحينما يكون لدى الإنسان قلمٌ حبر، والورق عليه دهن، وكتب لا يعلم، ولا تظهر الكتابة، لأنّ الحبر لا يثبت إلا على ورق نظيف، كذلك لن تستطيع أن تشعر أن هذا العمل قبله الله عز وجل إلا على أساس من الاستقامة على أمره، وبشكلٍ آخر لا تظنّ أن العمل الصالح يُعينك على الاتّصال بالله عز وجل إذا كان مبنياً على عدم استقامة.

ليس في الاستقامة حلّ وسط فهي قطعية أما العمل الصالح فهو نسبي :

الاستقامة أساس، ومن باب التمثيل، والأمثلة توضّح، فمثلاً لديك مستودع، والمستودع هو الاستقامة، أملاًه بسائل ثمين، هذا عمل صالح، أما مستودع بدون قعر، وصُبّ هذا السائل الزئبقي الثمين فهذا عمل أحمق، فقد ذهب هدرًا، أما إذا كان المستودع محكماً فلو ألقيت فيه لتراً واحداً أو

لترين، أو أكثر فهذا القدر محفوظ بتمامه. فلذلك دعوتنا استقامة تامة وعمل صالح بقدر المستطاع، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٦]

لكن الاستقامة لا بد أن تكون تامة، فمن رضي بانحراف طفيف فهذا الانحراف كما تعلمون لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، الصغيرة تشبه من يركب مركبته، ويسير بها على طريق طويل مستقيم، على جانبه وإد سحيق، انحراف المقود سنتيمتراً واحداً، لو ثبت على هذا الانحراف الطفيف لألقاه في الوادي، لكن لماذا سُميت صغيرة؟ لأن السنتيمتر تصحيحه سهل جداً، يحتاج إلى ضغط أقل من غرامين لكي ترجعه، أما الكبيرة كانحراف تسعين درجة فجأة، فالصغيرة إذا ثبتت انقلبت إلى كبيرة من حيث النتائج، لأنها نقلتكم إلى الوادي السحيق مع مسافة قصيرة. إذاً ليس في الاستقامة حل وسط، الاستقامة قطعية، أما العمل الصالح فهو نسبي، يمكن أن تتصدق بألف، بارك الله فيك، بألفين، بارك الله، بخمسة آلاف، بارك الله، بمئة ألف، بارك الله، بمليون، بارك الله، لكن هذه الصدقة مبنية على مستودع محكم وهو الاستقامة، أما مستودع من دون قعر فالألف مثل الخمسة آلاف مثل المليون، ضاعت ولا أثر لها.

البند الثاني إذاً العمل بشقيه السلبي والإيجابي، السلبي الاستقامة، الإيجابي العمل الصالح، قال تعالى:

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر: ١٠]

دليل قطعي من كتاب الله يؤكد على مطالبتنا بالاستقامة التامة :

قد يقول لك قائل: أنا لست نبياً، فما الجواب، هذه دعوى معظم الناس، أخي أنا لست نبياً، ومن قال لك: إنك نبي؟ لا، لست نبياً، ولست صديقاً، و لست مؤمناً كبيراً، لكنك مسلم، فهل عندك دليل قطعي من كتاب الله على أنك مطالب تماماً أن تستقيم استقامة تامة؟ قال تعالى:

﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾

[سورة هود: ١١٢]

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((شَيْبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ))

[الترمذي عن ابن عباس]

وما شئبه في هذه السورة إلا هذه الآية:

﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾

[سورة هود: ١١٢]

وعندنا حديث يؤكد هذه الحقيقة، قال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

[الدارمي عن أبي هريرة]

لو فرضنا أنّ ملكاً قاد سيارة فهذا له قواعد للقيادة، يجب أن يطبقها ملكٌ وأصغرُ إنسان يقود سيارة، فهذه مبادئ السلامة. أمّا العمل الصالح فبحسب الإمكانيات، وبحسب الصدق، وبحسب الجود، وبحسب الشوق إلى الله هذا نسبي.

أكثر الناس يعتقدون بنسبية الاستقامة، يقال: أطع الله على قدر ما تستطيع، وكلمة عليك الطاعة قدر ما تستطيع، وحسب الميسور، هذا كلام هراء، ويزيد القائل: والله ما كلفك فوق طاقتك، مرحلة مرحلة، الإنسان ما دام راغباً يبقى لديه ثغرات كبيرة في حياته، لكن هذه الثغرات كلها حُجُبٌ تحول بينه وبين الله جلّ وعلا، ولن يصل إلى الله سبحانه.

٣ . البند الثالث في كليات الدين الذكر والاتصال بالله :

هل عندكم كُليّةٌ ثالثة للدين؟ الكلية الأولى: المعرفة بأبوابها الثلاثة: بالتأمل في الكون، بالنظر في الحوادث، بالمدارسة، بطابع التلقي، أو الاستماع، أو الإلقاء، أو القراءة. عندنا كُليّةٌ ثالثة؛ الاتصال بالله، وهي كلية ذات جزئيات، الصلاة اتصال، والصوم اتصال، والاستغفار اتصال، والتسبيح اتصال، والدعاء اتصال، يجب أن تكشف القاسم المشترك بينهما، تصلي من أجل أن تتصل، وتصوم من أجل أن تتصل، وتحج البيت من أجل أن تتصل، وتدعو الله من أجل أن تتصل، وتسبحه، وتكبره، وتوحده، وتمجده، وتنزهه من أجل أن تتصل. فإذا نما العلم، وكان العمل جاداً، وأصبح مثمراً، والذكر ضعيف، فماذا يحصل للإنسان؟ دققوا في السؤال، علم جيد، وأعمال طيبة جيدة، فلم الاتصال بالله ضعيف؟ الجواب: الصلاة شكلية، الذكر قليل جداً، والدعاء صفر.

القلب إذا تصحّر قد يخلو من مشاعر الإيمان، وإذا خلا القلب من مشاعر الإيمان دخله السأم، والملل، والضجر، لأنّ القلب محرك، فإذا توقّف المحرك، وكان المقود ممتازاً، لم تستفد شيئاً، محرك عاطل ومقود ممتاز. سيدنا سليمان قال كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾

[سورة ص: ٣٢]

فسيدينا سليمان أثر العمل الصالح على اتصاله بالله، فعاتبه الله سبحانه، وسيدينا داود بالعكس أثر اتصاله بالله على خدمة الخلق فعاتبه الله عز وجل. إذاً ما المطلوب؟ أن توازن بينهما، أن تسعى إلى إقامة توازن حركي كما يقولون، كلما خطوت خطوة نحو العمل الصالح يجب أن تلازمها خطوة نحو ذكر الله، ذكر وعمل، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾

[سورة الشرح: ١-٨]

ما علاقة هذه السورة بهذه الفكرة؟ أين موضع الشاهد؟ فإذا فرغت من عمل صالح فعليك أن تنصب لذكر الله، يجب أن تتحرك على خطين متوازيين؛ خط العلم والعمل، وخط الذكر.

كلما ضعف الاتصال بالله عز وجل تسرب القلق والخوف إلى الإنسان :

مرة ثانية، الذكر كلبية، من فروع الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، الاستغفار، الدعاء، التسبيح، التحميد، التمجيد، التهليل، التكبير، كلّه ذكر، قال تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد: ٢٨]

فأنت عقلٌ وقلبٌ، عقلك امتلأ علماً، لكن القلب مملوء بالشهوات، المؤمن يشحن قلبه بذكر الله، عبدي طهرت منظر الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة.

إذاً، يا أيها الأخوة الأكارم، لا بدّ لكل واحد منّا من غار حراء. قال لي شخصٌ مداعباً ومعاتباً: ذهبت حاجاً وتركتنا أسبوعين!! فقلت له: أنا أريد أن أشحن، كما أريد أن أعطي أريد أن ألتقى كذلك، فالإنسان يتلقى ثم يعطي، لا بد من شحن البطارية لديّ، لأتمكن من شحن الآخرين، فالحج عبادة فيها تفرغ تام لله عز وجل، كل الحج دعاء، وابتهاج، وطواف، وسعي، وما إلى ذلك. إذاً الكلية الثالثة وهي الذكر، الصلاة، الاتصال، وأعتقد أنّ الذكر أشمل، أولاً قال تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد: ٢٨]

أعني ما أقوله: القلق، الخوف، الاضطراب، السأم، الضجر كل هذه المشاعر المحزنة تزول بالذكر، ولو كان عندنا جهاز يقيس معنويات الإنسان العالية كلما ازدادت صلةً بالله عز وجل شعرت بمعنويات عالية جداً، وكلما ضعف الاتصال بالله عز وجل تسرب القلق والخوف، لذلك لو أتيت لك

أن تطلع على قلب إنسان بعيد عن الله عز وجل لو وجدت قلبه ممتلئ خوفاً وذعراً، والدليل قوله تعالى:

﴿سُنُقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

أما المؤمن فمطمئن بالله عز وجل. فنحن الآن أمام طلب علم، وعمل صالح بشقيه السلبي والإيجابي، وذكر بكل ما تعني هذه الكلمة من صلوات، وصيام، وزكاة، وحج، ودعاء، وما إلى ذلك.

٤ . البند الرابع في كليات الدين التوحيد :

عندنا ركن رابع من أركان هذا الدين العظيم هو التوحيد، فهل يجب أن ينطوي تحت ركن كبير، وهو ركن المعرفة؟ لا، هذا السؤال ساقني إلى موضوع دقيق، أنت إما أن تعرف أمره، وإما أن تعرفه، إذا عرفته ولم تعرف أمره فسقت، وإذا عرفت أمره ولم تعرفه تزندق، فلا بد أن تعرفه، ولا بد أن تعرف أمره في وقت واحد، فلذلك أكبر خطأ يرتكبه بعض المسلمين أنهم يعلمون طالب العلم الأحكام الفقهية فقط، طالب العلم ما عرف الله عز وجل، يريد أن يطيع من؟ يريد أن يتصل بمن؟ أن يخاف من؟ أن يرجو من؟ هذا سؤال كبير، الصلاة تتألف من الأركان والواجبات والسنن، تصلي لمن؟ نقول لك: يا أخي لم لا تستقيم؟ أستقيم لمن؟ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام أمضى مرحلة طويلة جداً من مراحل دعوته في التعريف بالله عز وجل، ثم أمضى مرحلة أخرى في التعريف بأمر الله عز وجل، وأية دعوة إلى الله تفتقر إلى أحد شرطيهما فهي دعوة عرجاء، لا بد أن تعرف بالله، ولا بد أن تعرف بأمر الله.

مثلاً هناك ظاهرة مَرَضِيَّة، تجد شخصاً يحمل أعلى شهادة شرعية، علموه العقائد، وعلموه الفقه، وعلموه الموارث، وعلموه أحكام الزواج، والطلاق، والعدّة، وأحكام اللقطة، والوديعة، وأحكام القرض، وأحكام المزارعة، والمساقاة، وأحكام الوكالة والحوالة يقول لك: ثمانية مجلدات، وتفاجأ أنه يرتكب مخالفات كبيرة جداً. فأنت كمراقب إن وجدت إنساناً يحمل أعلى شهادة شرعية لكن له انحرافات خطيرة؛ قد يأكل ما لا حراماً، بماذا تشخص مرضه؟ عرف الأمر ولم يعرف الأمر، عرف الشريعة ولم يعرف الحقيقة، عرف الأحكام الفقهية ولم يعرف المشرع.

وإذا رأيت إنساناً معلوماته الفقهية ضعيفة جداً، فهو لا يرتكب مخالفات فقهية لأنه يحب أن يعصي الله، ولكن لأنه جاهل لا يعرف، ثم رأيتك يحدثك عن أسماء الله الحسنى، وعن صفاته، وهذه حالة مَرَضِيَّة، عرف الله من خلال الكون، ولم يعرف أمره بالضبط، فوقع في المعاصي، لا لأنه يحب أن يعصي الله، ولكن لأنه يجهل الحكم الفقهي ولا يعرف، ومثل هؤلاء كثير، يرتكب مخالفة شنيعة كبيرة وهو لا يدري، يقول: لا أعرف.

خَلَقَ اللهُ يَدِلْ عَلَى التَّوْحِيدِ أَمَّا أَمْرُهُ فَيَدِلُّ عَلَى التَّشْرِيعِ :

إذا التوحيد ينضم إلى القسم المعرفي، والقسم المعرفي كما بيَّنا وقلنا: إن لدينا كوناً وحوادث هذه تمثل معرفة الله، وعندنا قرآن وسنة هذه تمثل أمر الله، والدليل قول الله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾

[سورة الأنعام: ١١٩]

وقال تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾

[سورة الكهف: ١]

فهناك ركنان أساسيان: الكون كتاب مفتوح، والقرآن كتاب مقروء، الكون كتاب مفتوح، هذا كتاب حروفه كبيرة يقرؤه القاصي والداني، العربي والأعجمي، والقرآن كتاب حروفه صغيرة يقرؤه أهل العربية فقط، فهذا خَلْفُهُ، وهذا أَمْرُهُ، أَمَّا خَلْفُهُ فَيَدِلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَمَّا أَمْرُهُ فَيَدِلُّ عَلَى التَّشْرِيعِ.

٥ . البند الخامس في كليات الدين البيئية :

إذاً عندنا معرفة، وعمل صالح، واستقامة، واتصال، محبة النبي عليه الصلاة والسلام، وعندنا شيء اسمه البيئية، وهو الركن الخامس، قال الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

الآن نحن نتصوّر إنساناً فكّرهُ نيّر، عمله مستقيم، نفسه طاهرة، له اتصال بالله، لو أنّ هذا الإنسان عاش في مجتمع منحرف، كلما مضى به الوقت تضعف مقاومته، إلى أن ينزلق من باب إلى باب، ومن مستوى إلى مستوى، لذلك ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

((من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة))

[ابن المنذر عن جرير بن عبد الله البجلي]

وورد أيضاً:

((من هوى الكفرة فهو مع الكفرة و لا ينفعه من عمله شيئاً))

[تخريج السيوطي عن جابر]

إذا أنت إضافة إلى معرفتك بالله، وإلى طاعتك، وإلى عملك الصالح، وإلى ذكرك لا بدّ أن تكون في بيئة مؤمنة، لأن المؤمن يشد أخاه، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

الإنسان أحياناً لا يعرف، وليس هذا عاراً، ليس العار ألا تعرف، ولكن العار أن تصرّ على عدم المعرفة، ليس العار أن تكون جاهلاً، ولكن العار أن تبقى جاهلاً. إذاً يجب أن يكون في حياتك إنساناً تثق بعلمه، تسأله، هذا معنى قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

البيئة الطيبة أساس نمو الإيمان :

قد تقول: أنا لا أريد أيّ إنسان، ولا أيّة جماعة، ولا أيّة جهة، فليس لي ثقة بأحد ماذا يحدث؟ بالضبط كن واقعياً، ليس لك ثقة بإنسان، ولا بداعية، ولا بعالم، ولا بجامع، ولا بجماعة، كلهم لديك كذابون، فليكن لك ما شئت، لكن راقب نفسك تجد نفسك وحيداً، محاطاً بأناس يعيدون عن الله، محاطاً بأناس شهوانيين، محاطاً بأناس دنيويين، من جالس جانس، فحينما تكون في بيئة منحرفة، أو كافرة، أو فاسقة، أو فاجرة تجد نفسك بعد فترة من الزمن صرت مثلهم وأنت لا تدري، إذاً لا بدّ لك من بيئة طيبة، لا بدّ لك من بيئة تنبت فيها، إذاً وجود رسول، أو عالم، أو مرشد، أو مؤمنين، لا بأس أن أعمم، لا بدّ لك من بيئة صالحة.

ولو فرضنا أنّ إنساناً مؤمناً، وكلُّ أصدقائه فسقة، لا يصلّون، يشربون الخمر، فأعتقد أنّ لهم تأثيراً سلبياً عليه، أما إذا خالط المؤمن المؤمنين، الأول صلى قيام ليل، والله لأصلينّ مثله، الثاني تصدّق أمامه صدقة كبيرة، فهو ليس أحسن مني وأنا أتصدّق، تجد المؤمن القوي يأخذ بيد الضعيف، لذلك لا تصحب من لا ينهض بك إلى الله حاله، ولا يدلك على الله مقاله، إنّ تخالط أهل الدنيا تشعر بهبوط، قد تكون الطائرة محلّقة في الأجواء، وفجأة تهوي خمسين متراً، تتخلع قلوب الركاب، ولاسيما الراكب لأول مرة، يقول لك: هلكنّا، ويصفرّ وجهه، ماذا حصل؟ هذه الطائرة دخلت في جيب هوائي فهبطت.

وأنت أحياناً أيها الأخ الكريم، لك أخوانك، لك مجلس العلم، علاقاتك كلها مع مؤمنين، أناس طاهرين، مهذبين، محبّين، يصلّون، يذكرون، يتورّعون، تشعر أنّك بين أهلك في بحبوحة، لكن فجأة خالط أهل الدنيا، فمن مزاحم الرخيص، من مزاحم الجنسي، من قنص، من تعليقاتهم اللاذعة، من وقاحتهم أحياناً، من انحرافهم الأخلاقي، من شهوانيتهم، تشعر أنّك قد تلوثت وهبطت. فأنا ألخصّ لكم الركن الخامس: إنّه لا يمكن أن تلتزم، وتتنامى، وينمو إيمانك إلا في بيئة طيبة، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾

[سورة الممتحنة: ١٣]

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾

[سورة الممتحنة: ١]

آيات كثيرة، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ٢٤]

الجماعة رحمة والفرقة عذاب :

إذاً بعد أن نتعرف إلى الله من خلال الكون، والحوادث، والقرآن، ومن خلال معرفته، ومعرفة أمره، ومن خلال التلقّي والإلقاء، من خلال الكون أو القرآن، وبعد أن تستقيم على أمر الله فتزِيلُ كُلَّ الْعُقَابَاتِ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ، وبعد أن تعمل صالحاً فتتحرك على طريق الإيمان، وبعد أن تتصل بالله عز وجل بالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والذكر، والدعاء، والتسبيح إلى آخره، وبعد أن تفعل كلَّ هذا لا بدَّ لك من بيئة مؤمنة تعيش فيها، لا يعرف ما نقول . كما قال ابن عطاء الله السكندري . إلا من اقتفى أثر الرسول.

الذين عاشوا في بيئات كافرة، وفي مجتمعات ضالّة، في مجتمعات ترنكب فيه الفواحش على قارعة الطريق، كلَّ شيءٍ في هذا المجتمع يدعوك إلى معصية الله، كلَّ شيءٍ في هذا المجتمع يدعوك إلى الفسق والفجور، هذا المجتمع لا حياة للمؤمن فيه، لذلك فمن أكرمه الله عز وجل ببلدٍ طيبٍ، فيه مساجد، فيها ذكر، فيها مجالس علم، وهذا البلد فيه بقية حياء، وبقية ورع، وبقية صلاح، وبقية عمل صالح، هذه أرض مباركة، وبلدة طيبة، على الرغم من كلِّ السلبات لا تعرف قيمتها إلا إذا تركتها. أحد أخواننا الكرام ذهب إلى بلد أجنبي بعيد جداً، وله منصب لا بأس به، ويعيش في طمأنينة هناك، وبحبوة، حدثني أنه سمع قرآناً يتلى من بعض المراكز الإسلامية في ذلك البلد الكبير، ذي الحضارة والتقدم، حنت نفسه إلى بلاده وشعر بأشواقه إلى بلده الإسلامية، وإلى المساجد وإلى مجالس العلم وتلاوة القرآن، فالؤمن دائماً يشعر بانتمائه إلى إسلامه، وإلى بلده.

الركن الخامس تؤيِّده آيات كثيرة، وأحاديث مستفيضة، هذا الركن هو أن تكون بين جماعة مؤمنة، فلو سافرت مع ثلاثة مؤمنين تجد أنكم تتأبرون على الصلوات، والذكر، سافر وحدك فأنت أميل إلى

التحلل والتفقت، الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، فعن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إنني فئت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال:

((أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يخلف الرجل ولا يستخلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوة الجنة فليؤزم الجماعة من سرته حسنته وسأته سيئته فذلكم المؤمن))

[الترمذي عن ابن عمر]

العبادة ثلاث مراحل طاعة قبلها معرفة وبعدها سعادة :

إذا نتمنى أن نعود إلى كليات الدين، إلى أصول الدين، هذا هو الدين، أنا أذكر لكم دائماً أن الإنسان خلق ليعبد الله عز وجل، بدليل الآية القطعية بدلالاتها، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: ٥٦]

العبادة ثلاث مراحل: طاعة قبلها معرفة وبعدها سعادة، هذا كل الدين، سلوك مبني على معرفة، يفضي إلى سعادة، والسعادة هدف كل مخلوق حي، وفي النهاية أنت خلقت للجنة، واللجنة كلها سعادة، متاعب الدنيا متاعب مؤقتة، التكليف مؤقت، المشقة مؤقتة، مصارعة النفس مؤقتة، ولما يستحق الإنسان دخول الجنان يقال له:

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ ﴾

[سورة الحجر: ٤٦]

وقال تعالى:

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾

[سورة الزمر: ٧٣]

المؤمن حينما يأتيه ملك الموت، ويطلع على مقامه في الجنة يقول: لم أرَ شراً قط، ولو أن حياته كانت مفعمة بالمتاعب والمصائب يقول: لم أرَ شراً قط، والكافر حينما يعرف مكانه في النار يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لسحقوا يقول: لم أرَ خيراً قط، أين بيوته؟ أين مسراته؟ أين حفلاته ورحلاته؟ أين شأنه وسلطانه؟ أين الطعام الذي أكله؟ أين النساء اللواتي التقى بهن؟ أين السهرات المخملية؟ أين هي؟ كلها ذهبت وبقيت تبعاتها.

إذا نحن بحاجة إلى مجتمع مؤمن، أنا أشعر بشعور: عندما يحضر الإنسان مجلس علم يقول لك: والله تأثرت، وشعرت بصفاء، فداوم عليه يومين أو ثلاثة مع ذكر، وتشعر بقرب، وطمأنينة، وقوة نفسية، ومعنويات عالية.

ملخص سريع لما ورد في الدرس :

إذا نحن عندنا خمسة أركان أساسية في الدين: ركن معرفي، طلب علم بكل أنواعه؛ العلم بالله، العلم بأمره، الحقيقة، الشريعة، التفكير، التأمل، الدراسة، السماع، القراءة، طلب العلم على إطلاقه، ثم العمل بشقيه السلبي والإيجابي؛ السلبي الاستقامة، والإيجابي بذلّ وعطاء، كإنفاق المال، إنفاق الجهد، والخبرة، ثم الاستقامة، ثم الاتصال بالله بكل ألوانه؛ من صلاة، إلى صيام، إلى حج، إلى زكاة، إلى ذكر، إلى دعاء، إلى إقبال، إلى تلاوة قرآن، والشيء الخامس أن تحرص على أن تكون في مجتمع مسلم، فإنّ هذا المجتمع يقويك، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب، فعن ابن عمر قال: خَطَبْنَا عُمَرَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي فُئْتُ فِيكُمْ كَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ:

((أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكُذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَخْلَفُ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ إِلَّا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ))

[الترمذي عن ابن عمر]

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٠٢) : الغلو في الدين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٢-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الغلو في الدين له تأثير سلبي في المؤمنين :

أيها الأخوة المؤمنون، هذا الدرس من نوع جديد، يتعلق بخطر شديد، له تأثير سلبي في المؤمنين، هذا الخطر الشديد هو الغلو في الدين، ويُستقى هذا الموضوع من قول الله عز وجل:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

[سورة النساء: ١٧١]

نهى!

﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾

[سورة النساء: ١٧١]

وهذا الموضوع أيضاً مستقى من آية أخرى، يقول الله عز وجل:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

[سورة المائدة: ٧٧]

آية أخرى تنهانا عن الغلو في الدين، كما أن التفريط مهلك، والإفراط مهلك، والتسيب، والتحلل، والخروج من أوامر الشرع، والتقلت من قيود هذا الدين العظيم مهلك، والغلو في الدين أيضاً مهلك.

لا بدّ من التوازن بين كليات الدين :

الله عز وجل في آيات كثيرة جداً نهانا عن المعصية، وعن التقصير، والكسل وحب الدنيا، لكن في آيات أخرى نهانا عن الغلو في الدين، معنى ذلك كما يقولون: الإسلام وسطي؛ أي يبتعد عن التطرف، لا إلى اليمين، ولا إلى اليسار، لا إلى جهة الإفراط، ولا إلى جهة التفريط، الإيمان وسطي، يعتمد على التوازن بين جوانب الإنسان، الإنسان له جانب جسمي، فالعناية بالجسم، والعناية بالصحة، والانتباه لما يدخل في الفم هذا من الدين، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ، وَأَفْطِرْ، وَفُمْ، وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ...))

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ]

لأن جسدك يحمل نفسك، وهذا الجسد، وهذه النفس تعيش في الدنيا لمهمة خطيرة، فأساس الدين التوازن من الناحية الجسمية، والعقلية، والنفسية، فكما أن العقل غذاؤه العلم، فالقلب غذاؤه الحب، إنسان لا يشعر بحاجة إلى أن يكون محبوباً! ولا يشعر بحاجة إلى أن يحب الله عز وجل! فهو إنسان لا ينتمي إلى جنس البشرية، فلا بد من التوازن بين مطالب الجسم ومطالب الروح والعقل، ولا بد من التوازن بين كليات الدين.

١ . الكلية الأولى طابعها علمي :

الدين فيه كليات، أبرزها الناحية العلمية، لأنك إذا أردت الله عز وجل فيجب أن تتعلم، لأن العلم طريق إلى الله عز وجل، بل هو الطريق الوحيد إلى الله. إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، بالعلم تعرف الله عز وجل، وإذا عرفته طبقت أمره، وإذا طبقت أمره سعدت في الدنيا والآخرة. أحياناً أميل للكليات، الدين كله معرفة، وسلوك، وسعادة، جانب معرفي، وجانب عقلائي، وجانب عملي، وجانب عاطفي، فأنت بحاجة لأن تكون سعيداً، لذلك تتمرن بالقلق، والضياع، والتشتت، والشعور باليأس، والسوداوية، والخنوع، والخنول، هذه كلها مشاعر مَرَضِيَّة تأتي من الشرك والمعصية.

العوام أحياناً لهم كلمات لطيفة، الإنسان يجب أن يكون حكيماً نفسه، القصد في الطعام والشراب، هذه الأكلة لا تتاسبك فدعها، أما المعنى الأعمق عندما تستقيم ألا تشعر براحة نفسية؟ عندما تمشي على المنهج الصحيح ألا تشعر بطمأنينة؟ ألا تشعر بحب الله عز وجل؟ هذا الشعور تضحي به بسهولة من أجل معصية، ولذّة سريعة!!
ألا رب شهوة ساعة أورتت حزناً طويلاً، ورب أكلة منعت أكلات، ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة.

الإيمان ليس مجرد قناعات فقط :

أنت يجب بعد فترة من الوقت أن تصبح حكيماً نفسك، تشعر متى تسعد؟ تسعد إذا صليت الصلوات في أوقاتها، وإذا أتقنت هذه الصلوات، وإذا كان غض بصرك حازماً، وإذا كان لسانك منضبطاً، وإذا كان دخلك حلالاً، وإذا كان الإنفاق حلالاً.

موضوع الجوارح، واستقامة العين، والأذن، واللسان، واليد، واستقامته في مهنته، ودخله، وانفاقه، وزواجه، وعلاقته ببناته، وجيرانه، وعمله، فعندما تكون مستقيماً ألا تجد الفرق واضحاً جداً؟ الثمرة يانعة تقطفها، وتسعد بها، فعن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((ذاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا))

[مسلم عن العباس بن عبد المطلب]

هل ذقت طعم الإيمان؟ لا تظنوا أيها الأخوة أن الإيمان قناعات فقط.

حدثني رجل: طيب ألقى محاضرة في مضار التدخين، وأطلعهم على فيلم وثائقي لسرطان الرئة، لدرجة أن الحاضرين كادوا يتمزقون خوفاً من أن يدخنوا، وبعد أن انتهت المحاضرة أشعل سيجارة، وقال: من له سؤال! هذا الطبيب عنده قناعات عالية جداً، لكن القناعات لا تكفي. والنبى قال:

((ذاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ...))

[مسلم عن العباس بن عبد المطلب]

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُذْذَبُوا بِإِيمَانِهِمْ﴾

[سورة الفتح: ٤]

فالذي يثبتك في الدين هذا التجلي لله عز وجل، لا يوجد أحد منكم قام للصلاة فبكي، وقال: لا أنسى هذه الصلاة، شعرت بسعادة لا توصف، فالذي يثبت الإنسان فضلاً عن قناعاته، وعن منطلقاته الفكرية الذي يثبت سعادته، فأنت بحاجة لجسد قوي، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ.....))

[مسلم عن أبي هريرة]

الإسلام وسطي وازن بين مطالب الجسد ومطالب النفس ومطالب العقل :

لا أكتفكم أبداً أن أؤمن نعمة بعد الهدى هي الصحة، من موضوع الصحة أضطر لأدخل بموضوع دقيق يغيب عن معظم الناس.

رينا عز وجل وضع لهذا الجسد قوانين وقواعد، هل تدري أنه من طاعة الله تعالى أن تتأدب مع هذه القوانين؟ إذا كنت معظماً لله فهذه قوانينه، والمؤمن يحترم قوانين الله عز وجل، فكل إنسان يهمل صحته يقول: أنا يحبني الله، أنا متوكل على الله، كل وسم الله، لا يضر مع اسمه شيء، إذا كانت علاقتك بجسدك علاقة ليست علمية، بل علاقة جهل فعلى الإنسان أن يستعد لمتاعب لا حصر لها، لذلك أنا أقول لكم، وأعني ما أقول: العناية البالغة بالجسد جزء من الدين، ومعنى العناية؛ هذا

الجسد آلة بالغة التعقيد، صممه يا ربّ تصميماً عالياً جداً، فالعناية بالجسد من حيث اتباع القوانين يعني أنك تطيع الله عز وجل، فنحن لا نقول: إن العناية بالصحة تطيل العمر هذا كلام الغربيين. أقول لكم: العمر عمر، والأجل أجل، لكن هذه السنوات القليلة التي سمح لك الله أن تعيشها، فبين أن تعيشها مريضاً، وبين أن تعيشها صحيحاً، إنسان ملازمٌ للفراش ثلاثين سنة، مات بأجله، لم ينقص من أجله ولا ساعة، بل ولا ثانية، لكن الفرقَ بيّنَ بيّنَ إنسان متّعهُ الله بالصحة والقوة، فحركته نشيطة، ورأس مالك صحتك، وبين إنسانٍ ابتلاه الله طول حياته بمرض عضال. فهذه النقطة دقيقة جداً، دعوا في أذهانكم هذه الحقيقة: أولى النعم التي تفضل الله بها عليك الهدى، ثم الصحة، ثم الكفاية، فإذا عرفت الله عز وجل، وكنت لا تشكو شيئاً، وذا كفاية فقد حزت الدنيا بحذافيرها.

الإسلام وسطي، فقد وزن بين مطالب الجسد، وبين مطالب النفس، وبين مطالب العقل، فالعقل غذاؤه العلم، والقلب والنفس غذاؤهما الحب والقيم، والجسد غذاؤه الطعام والشراب، فالدين كما قلت قبل قليل له كليات، القسم العلمي المعرفي، طلب العلم، العقيدة الصحيحة أن تؤمن بالله خالقاً، ومربياً، ومسيراً، وموجوداً، وواحداً، وكاملاً، وصفات قدرته وكماله لا حدّ لها، أن تؤمن بأنبيائه، وبكتبه، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، هذه كليات أن تتعرف إلى أحكام الفقه المتعلقة بحياتك، فأنت كزوج، أو كزوجة، أو كتاجر، أو كموظف، أو كمحام، أو كمدرس يجب أن تعرف الأحكام الفقهية المتعلقة بحياتك الشخصية، وحياتك المهنية.

٢ . الكلية الثانية عملية :

الكلية الثانية في الدين إضافة إلى هذه العقيدة الصحيحة، وهذا الإيمان المبني على دليل، وهذا البحث الدقيق، إضافة إلى الناحية العلمية لا بد من ناحية سلوكية، لا تتسوا هذه المقولة: علم بلا عمل جنون، وعمل بلا علم لا يكون.

عمل راقٍ من دون علم بالله مستحيل لا يكون، وعلم بلا عمل جنون، والله عز وجل في أكثر من مثني آية في القرآن قرّن الإيمان بالعمل الصالح.

فالكلية الأولى طابعها علمي، الكلية الثانية عملية، سلوك ضبط لسان، والسلوك نوعان؛ سلوك سلبي، ضبطت لسانني، وجوارحي، وعيني، وأذني، وقدمائي تحركت إلى المساجد، وإلى طاعة الله عز وجل، والشيء الإيجابي البذل في العمل، الاستقامة طابعها سلبي، والعمل الصالح طابعه إيجابي، الاستقامة تمهيد الطريق إلى الله عز وجل، والعمل الصالح حركة على هذا الطريق، هذه الناحية العملية.

الناحية الثالثة: الناحية الانفعالية، أنت غير جسمك، وغير عقلك، لك قلب، وهذا القلب تتنابه مشاعر، أحياناً تجد نفسك مرتاحاً، أو منزعجاً، أو تجد قلبك مقبوضاً، أو تشعر بضيق، أو تشعر بملل، هذه المشاعر يجب أن تنتبه إليها، فالمشاعر لها أثر كبير في السلوك، فإذا كانت هناك مشاعر مثبّطة، فتجد نفسك قد بَرَكْتَ، وإذا كان ثمة مشاعر محرّكة تتحرك، يمكن أن تكون المشاعر من نوع المحرك، بعض الصوفيين يسمونه حالاً، الله سماه السكينة، الصحابي الجليل سيدنا حنظلة قال: ماذا قال؟ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ:

((لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَ اللَّهُ، إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تَذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

[مسلم عن حنظلة الأسدي]

أليس لك مشاعر متألمة؟ ألا تشعر بعد عمل صالح، وبعد أداء الصلوات، وبعد خدمة إنسان، ومجلس علم، ودعوة إلى الله، ألا تشعر بسعادة، وكأنك تملك الدنيا؟ فأنت حكيم نفسك، يجب أن ترعى الناحية العقلية، وتعنتي بإيمانك، وبتصوراتك الصحيحة، وبقناعاتك، والناحية السلوكية، والناحية الانفعالية.

الغلو أن تأخذ أحد الجوانب فتجعله الدين كله :

أنا كنت أقول دائماً: الإيمان مرتبة علمية، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، ومرتبة سلوكية، المؤمن أخلاقي، ومنضبط، وهناك منظومة قيم، تضبط سلوكه، وليس متروكاً على هواه ومزاجه، أنا لا يحلو لي إلا أن أقول عن الإنسان الكافر الفاجر: دابة متقلّنة، يرفس، تحسن له فيسيء، يأخذ ما له وما ليس له، كالبهيمة، أما المؤمن فتضبطه آلاف المشاعر، والكلية الثالثة: الحال، الآن عنوان الدرس الغلو في الدين، فما الغلو في الدين؟ أن تأخذ كلية من كليات الدين، فتجعلها الدين كله! أن تعتقد أن الدين فقط مطالعة، وتأليف، ومعلومات دقيقة، وأفكار، فتجده متفوقاً جداً في العلم، لكن قلبه

متصحر، العقل من ذهب، والقلب من حديد، نريد العقل والقلب من ذهب، فإذا كان العقل ذهباً، والقلب ذهباً فلا بأس، لكن بشرط أن يكون ذهباً خالصاً، ليس العقل ذهباً، والقلب حديداً صدئاً. وقد ورد في الأثر: "إن القلوب لتصدأ، قيل: وما جلاؤها؟ قال: ذكر الله". فذكر الله عز وجل يطمئن القلب، قال الله عز وجل:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[سورة طه: ١٤]

وآية ثانية قال:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد: ٢٨]

فأنت إذا بحثت عن سعادتك النفسية وجدتها في الصلاة، وفي الذكر، وفي تلاوة القرآن، والتسبيح، والحمد، والاستغفار، هذا جانب من جوانب الدين.

فأول جانب في الدين الجانب العلمي، والجانب الثاني هو الجانب الانفعالي الشعوري، والثالث سلوكي، الغلو: أن تأخذ أحد الجوانب فتجعله الدين كله.

الغلو معناه مجاوزة الحد والحد هو النص الشرعي :

بعضهم يرى أن صفاء القلب هو الدين كله، لذلك معلوماته الفقهية ضعيفة جداً، وفيها يرتكب أخطاء كبيرة، وليس معه دليل لكن يشعر بالصفاء، فهذا غلو في الدين، والذي اعتنى بمعلوماته، وبالأفكار، والدراسات صار طليق اللسان، لكن في قلبه صدأ، وفي عمله كسل، هذا غلو في الدين، أن تحل كُليّة من كليات الدين محل الدين كله، فما قولكم بمن يأخذ فرعاً من فروع الدين ويجعله الدين كله؟ هذا أشد أنواع الغلو، أن تأخذ كلية من كليات الدين، وتجعلها الدين كله، هذا غلو لا شك فيه، أما أن تأخذ فرعاً صغيراً من فروع الدين، وتجعله الدين كله فهذا غلو، وأيّ غلو، نحن مطلوب منا التوازن، عندما ترجح جانباً على جانب، وتضخم جانباً، وتصغر جانباً فقد وقعت في الغلو وأنت لا تدري، لذلك أجمل كلمة قالها بعض العلماء السابقين: كان التصوف مسمى بلا اسم في عهد رسول الله، التصوف يعني معرفة، ومحبة، وذكر الله، ورياضة للنفس، فالصحابية الكرام كانوا في أعلى درجات التصوف، لكن لم يكن اسمهم صوفيين، بل أصحاب رسول الله، كانوا في القرآن مؤمنين، ثم أصبح التصوف اسماً بلا مسمى، وبلا مضمون، نحن نريد المضمون.

الغلو معناه مجاوزة الحد، ما هو الحد؟ هو النص الشرعي، لماذا؟ لأنك عبد جاعك خطاب من الله عز وجل، من خالق الكون، والله عز وجل قال:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٦]

إذا ملكت آلة عالية الثمن، أو كان دخلها كبيراً، وهناك أجهزة تدرُّ أرباحاً طائلة، إذا كان هناك جهاز كومبيوتر لتحليل الدم، كل كبسة زر بألف ليرة، يظهر على الشاشة سبعة وعشرون تحليلاً، ويزرُّ آخر يُطبعون على ورقة، والله أمرٌ سهلٌ، يقف في عيادتك خمسين شخصاً ينتظرون، وكل زبون أخذت له نقطة دم، وحللتها، ويزرُّ واحدٍ إذا ثمانية وعشرون تحليلاً يظهر، فإذا كان الجهاز من هذا النوع غالياً جداً، ودخله كبير جداً، ألسنت حريصاً على سلامته، وصيانتته، وحريصاً على أن يعطيك أعلى مردود بأقلَّ جهد؟ طبعاً، لذلك إذا كان الجهاز غالياً عليك، ودخله كبير، فأنت حريصٌ حرصاً بالغاً على سلامته، فتجد كلما اشترى الإنسان شيئاً جديداً، آلة حديثة، فأول شيء يطلبه (الكتالوج) نشرة التصنيع، أرجو أن تترجموه، ترجموه، يخاف أن يستعمله بالخطأ، لماذا عندك حرص شديد؟ لأن الآلة عالية عليك، وصعب أن تعوضها، وإذا تَلَفَتْ صَعُبَ تصليحها، لا أحد يفهم في إصلاحها، سيخربونها، لا يوجد مهندسون يفهمون، والكل يجرب، يقول: أريد تطبيق الوكالة، سأعنتي باستعمالها، أنت أعلى من الآلة بمليون مرة، فإذا شعرت بقيمتك قالوا: مَنْ عرف نفسه عرف ربه، إذا كانت لك نفس يمكن أن تُسحق هذه النفس، ويمكن أن تتعذب، درسنا في الجامعة في الصحة النفسية مرضاً اسمه الهستيريا، كل الناس يقولون: فلان مهستر، هذه لها استعمال عامي، مجنون، أو نصف مجنون، الهستيريا ليس له علاقة بالجنون إطلاقاً، شلل عضوي لأسباب نفسية. يضرب بعض الأمثلة: إنسان اعتدى على فتاة في بيت أبيها، كان مريضاً، وهو يقدم خدمات لأبيها، شعر بوخز الضمير، أدى الأمر به إلى شلل في يده، المرض دقيق؛ تعريفه: شلل عضوي، ليس له أسباب عضوية، الأعصاب ممتازة، والتروية جيدة، كل ما يتعلق بالعضو مئة بالمئة، لكن هناك شلل أسبابه الشعور بالذنب، عقدة الذنب، وخز الضمير، هذه هي الفطرة، فأنت عندما تسير على الصراط المستقيم تشعر براحة، وهي ثمينة جداً، وهذه الراحة في بعض البلاد مفقودة، يقول: نسب الانتحار عالية جداً، لماذا؟ بسبب الشعور بالكآبة، المرض الخطير في العالم مرضُ الكآبة، وكل شيء عنده، ومع ذلك تتنابه كآبة، وفي بلدنا يوجد منه، تجد المال متوافراً، ثلاث سيارات تقف على الباب، للزوجة سيارة، ولكل ابن سيارة، وله سيارة، وبيت في المصيف، وعلى البحر بيت، لماذا هو حزين إذاً؟ انقباض نفسه تحاسبه، لو لم تتلقَ علماً، لو لم تدرس ديناً، لو لم تسمع خطباً ففطرتك عالية، عندما تخرج عن فطرتك تشعر بوخز الضمير، تسميه شعور بالكآبة، أحياناً إلى انفصام شخصية، أسبابه الوخز، واللوم الداخلي الشديد، فيهمنا الصحة النفسية، وسلامة النفس، والجسد، والعقل.

المؤمن إنسان عرف نفسه وعرف مهمته في الحياة :

اسمع إلى ما قاله الله عز وجل:

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

[سورة طه: ١٢٣]

لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، هدى الله عز وجل غذاء للعقول، بالتعبيرات الدارجة المؤمن شيء كبير، هل هو شخص عادي؟ هو أمة، وحقق الهدف من وجوده، المؤمن إنسان عرف نفسه فعرف ربه، عرف مهمته في الحياة، يمشي على بصيرة.

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

يمشي على منهج، على دستور.

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

[سورة طه: ١٢٣]

الآية الثانية:

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة: ٣٨]

شعور الندم يفوق كل شعور.

قصة أصحاب الجنة الذين حدثنا الله عز وجل عنهم :

أصحاب الجنة الذين حدثنا الله عز وجل عنهم قال:

﴿ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنْ ائِدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴾

[سورة القلم: ٢١-٢٢]

حدثنا الله عن هؤلاء كيف أرادوا أن يمنعوا حق الفقير.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾

[سورة القلم: ١٩-٢٠]

في اليوم الثاني انطلقوا إلى بساتينهم ليقطفوا ثمارها.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴾

[سورة القلم: ٢٦]

هذا ليس بستاننا، البارحة تركنا بساتيننا مليئة بالخير، فأين الأشجار؟ لا شجر، ولا ثمر، ثم تأكدوا أن هذه بساتينهم، قال تعالى:

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

[سورة القلم: ٢٧-٢٩]

قال تعالى:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾

[سورة القلم: ٣٣]

شعور الندم شعور صعب جداً.

النص الشرعي القطعي الثبوت على الإنسان أن يفهمه وفق علم الأصول واللغة العربية:

الإنسان أحياناً يخسر، وصفقة الخسارة مؤلمة جداً، يقول: سنتان تعبنا فيهما، واستوردنا، شحنا، وبعنا، واستقرضنا، ثم لم نحصل ثمن البضاعة، خسرنا مليونين، كثير من الناس ممن اشترى مركبات، ثم انخفض سعرها، بعض المكاتب قال: خسرت في شهر أربعة ملايين! الخسارة مؤلمة جداً، لا يعرفها إلا من ذاقها، إذا سألت تاجراً عن الخسارة تخرج منه شهقة من أعماق قلبه، قد يخسر الإنسان مالاً، لكنه يعوضه فيما بعد، وكثير من التجار أعلنوا إفلاسهم مرتين، وثلاثاً، ثم عادوا، أصبحوا من أصحاب الملايين، أما الآخرة فالخسارة أبدية، ولا يعقبها ربح، إنها خسارة محققة.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

[سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤]

الغلو مجاوزة الحد، والحد هو النص الشرعي، كلام الله، وما صح من كلام رسول الله، هذا النص الشرعي ينبغي أن تفهمه لا على مزاجك، ينبغي أن تفهمه وفق قواعد علم الأصول، ووفق قواعد اللغة العربية، فالنص الشرعي القطعي الثبوت؛ سواء كان قرآناً، أو حديثاً صحيحاً، يجب أن تفهمه وفق قواعد علم الأصول وقواعد اللغة العربية، وإن مجاوزة هذا النص هو الغلو في الدين.

لذلك أكثر الغلاة في الدين رأبهم هو الأصل، فالنص الذي يغطي غلوهم يتمسكون به، ويرددونه، ويسلطون عليه الأضواء، والنص الذي ينقض غلوهم يهملونه، فإذا ذكروا به صرفوه إلى غير المعنى الذي أراد الله عز وجل، فأن تختار من النصوص ما يروق لك، وأن تكثر من ذكره، وتسلط عليه الأضواء، وتهمل نصاً آخر فهذا أيضاً غلو في الدين، أن تأخذ شيئاً بلا دليل، لأنه راق لك فهذا غلو في الدين، أن ترفض شيئاً معه أقوى دليل لأنه لم يرق لك فهذا غلو في الدين.

الغلو في الدين نوعان؛ غلو اعتقادي وهو الأخطر وغلو عملي وهو أقل خطراً :

شيء آخر في الغلو، الغلو في الدين أيها الأخوة نوعان: نوع خطر جداً، وهو النوع الاعتقادي. عقيدة تخالف ما جاء في القرآن الكريم هذا غلو، أو انحراف، أو خروج عن قواعد الدين، فأخطر شيء في حياة الإنسان أن يسأل نفسه هذا السؤال: هل تصوراتي صحيحة؟ هل نظرتي صائبة؟ هل رؤيتي صحيحة؟ هل اعتقادي صحيح؟ هل إيماني صحيح؟ أما إذا وجد في إيماني جانب غير صحيح أو تصور موهوم، وإذا ضخمت، أو قللت، أو أغفلت، أو خرجت فهذا كله غلو في الدين، ولا تنسوا قوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾

[سورة النساء: ١٧١]

وفي حديث صحيح عن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ:

((الْفُطْرُ لِي حَصَى فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخُدْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ، وَيَقُولُ: أَمْتَالٌ هَوْلَاءٍ فَارْمُوا، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ))

[سنن ابن ماجه عن ابن عباس]

الغلو الاعتقادي خطير! من أبرز تعاريفه أن تأخذ فرعاً من فروع الدين، وتكبره، وتضخمه حتى تجعل منه الدين كله، الآن لو تتبعنا الفرق الإسلامية والجماعات، فكل فرقة أو جماعة أخذت جانباً صغيراً، وضخمته، وجعلته هو الدين، هذا هو الغلو، والصواب في هذا التوازن، والوسطية، والاعتدال، والحق دائماً وسط بين طرفين.

الغلو الاعتقادي أيها الأخوة خطير، لماذا؟ لأن المغالي على خطأ وهو يظن أنه على صواب، المغالي لا يتوب من غلوه، إذا كان الغلو اعتقادياً فهو كما وصفه الواصفون: لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فمن الناس من يدري ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه، ومنهم من يدري ولا يدري أنه يدري فهذا غافل فنبهوه، منهم من لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه، ومنهم من يدري ولا يدري أنه يدري فهذا شيطان فاحذروه، فالذي لا يدري ولا يدري أنه يدري فهذا مغال في الدين، أما الغلو العملي فهو أقل خطراً.

أحياناً وسوسة في الوضوء، فيعيده مرتين أو ثلاثاً، وسوسة في الطهارة، وسوسة في بعض الأفعال، هذا غلو، لكنه عملي سهل، أما أخطر غلو في الدين فهو الغلو الاعتقادي، تأخذ فرعاً، وتضخمه، أو تغفل كلية من كليات الدين، أو تغفل جانباً من جوانب الدين.

أسباب الغلو :

لو سألنا هذا السؤال: ما هي أسباب الغلو؟ من يقترح سبباً وجيهاً لأسباب الغلو؟ أشد الأسباب براءة الجهل، يفعل الجاهل بنفسه ما لا يستطيع أن يفعله به عدوه، الجهل علاجه العلم، فلا طريق إلى الله إلا بالعلم، الجهل أحد أوجّه الأسباب الدريئة في الغلو، فالجاهل يجب أن يتعلم، لكن المشكلة أحياناً أن الإنسان جاهل، لكن يظن أنه عالم، فهذا يرفض أن يتعلم، لذلك قالوا: تعلّموا قبل أن ترأسوا، فإن ترأستم فلن تعلّموا، الجهل علاجه العلم.

سيدنا عمر بن عبد العزيز ناظر ألفين من الخوارج، وفي مجلس واحد رجعوا عن خروجهم، وعادوا إلى الصراط المستقيم، فالإنسان إذا اعتراه الجهل، وقاده إلى الغلو، وإذا لم يصغ إلى النصيحة، يبقى جاهلاً، ويموت جاهلاً متلبساً بغلوه.

غلو آخر أسبابه غير الجهل، هو الهوى، الإنسان أحياناً تكون عنده رغبة في شيء دنيوي، فيجرّ النصوص لصالحه، في الإنسان انحراف، وفيه هوى معين، ومطمح معين، وله دنيا معينة، فتجده يجرّ النصوص كلها لمصلحته، هذا أيضاً غلو في الدين. قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

* * *

الإنسان عندما يفتح أذنه لكل النوافذ يتلقى هواء نقياً، فالغلو أساسه الجهل، أو الهوى وهناك غلو أساسه غلو الطرف الآخر، لكنه قليل.

نحن كمؤمنين يجب أن نعرف أن في الدين كليات؛ الكلية الأولى الناحية العلمية، والكلية الثانية الناحية السلوكية، والكلية الثالثة الناحية الانفعالية، تسميها سكينه فهو اسم صحيح، أو حال صحيح، والحال كما تعرفون ثمرة من ثمار طاعة الله عز وجل، أنا ذكرت لكم قصة مرتين أو ثلاثاً: أخ كريم على مشارف الزواج والدخول، وله أخ غير متزوج، وهو في أمس الحاجة إلى الزواج، والبيت موجود، والمرأة مناسبة لهذا الأخ، لكن هذا الأخ ليس في يديه شيء، فماذا فعل؟ حضر درساً من دروسنا، وكان محور الدرس: أن أعظم عمل يفعله الإنسان أن يُدخِل على قلب أخيه المؤمن سروراً، فهذا الأخ الكريم باع غرفة النوم، وعرضه بعد عشرة أيام، واشترى غرفتان متواضعتان، وقام

بصيانتهما، ورتب بعض الأمور، وزوج أخاه، ثم يذكر هذا الأخ أنه انغمس في سعادة ما بعدها
سعادة.

الإِنسان لن يكون صاحب حال إلا إذا كان له عمل كالجبال :

نقطة دقيقة: فرق كبير بين أن تقول: ألف مليون، وبين أن تملكها، فالحديث عن الحال سهل، أما أن تكون صاحب حال فالقضية غير سهلة، لن تكون صاحب حال إلا إذا كان لك عمل كالجبال.
العمل العظيم: التضحية والمؤثرة...

كان أحد الأخوة راكباً سيارته، قادماً إلى الشام، فقال: وجدت شخصاً واقفاً بمدينة دُمر، معه امرأته، ويحملان طفلاً، وكأنهم غرباء عن هذه البلدة، فتوقف وسألهم: أين تريدون أن أوصلكم؟ وهذا في أثناء أحداث لبنان، الرجل والزوجة والطفل حرارتهم مرتفعة فأخذهم إلى طبيب مناوب في المشفى من أجل الإبر، ثم اشترى الدواء، وبعد أن قضى الخدمات حتى الساعة الرابعة صباحاً أقسم بالله أنه بقي أسبوعين يشعر بسعادة لا توصف، فالحال مقياسه شيء ثمين جداً، فقد يكون دعوة، وقد يكون حالاً حقيقياً، الدعوة أن تتحدث عن الحال، أما الحال الحقيقي أن تكون مستقيماً استقامة تامة، وتضحى بشيء ثمين في سبيل الله عز وجل، فأول ثمن أن يعود الله عليك بالتجلي، وهذا ما تسميه الثواب.

فما معنى الثواب؟ من فعل تاب أي رجع، إذا قدمت لله شيئاً عظيماً يرجع عليك حال طيب، فهذا الحال هو جانب من الدين، والسلوك جانب، والإيمان الصحيح جانب، فثمة ثلاثة جوانب، وإقامة هذه الجوانب إقامة متوازنة هو الوضع الصحيح، أن تأخذ جانباً وتحله محل كل الجوانب فهذا غلو، وأن تأخذ فرعاً وتضخمه لتحله محل الأصل، فهذا أيضاً غلو في الدين.

فضل صلاة الفجر في المسجد :

بقي موضوع آخر سوف نعالجه فيما تبقى من الوقت: نحن والفضل لله عز وجل في صلاة الفجر يقرأ أئمة الكريمة الإمام . جزاه الله عنا كل خير . في صلاة الفجر القرآن الكريم كله في عام، ويقرأ إن شاء الله تعالى القرآن كله في رمضان، وقد ورد فضل صلاة الصبح في المسجد جماعةً فضلاً كبيراً،
فَعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ...))

[مسلم عن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

فما معنى في ذمة الله؟ أي في حفظ الله، وفي الأثر: ابن آدم لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس
أَكْفِكَ النَّهَارَ كُلَّهُ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لِأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ الْمُؤَدَّنَ فَيَقِيمَ ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا يَوْمَ النَّاسِ ثُمَّ أَخَذَ شُعْلًا مِنْ نَارٍ فَأَحْرَقَ عَلَى مَنْ لَا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ بَعْدُ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾

[سورة المزمل: ٦]

سبب هذه الكلمة أننا إن شاء الله تعالى يوم الجمعة نختم القرآن الكريم في صلاة الفجر، والمغرب، والعشاء، وثمة رغبة أن نقيم صباح الجمعة مولداً بسيطاً، حيث نختم القرآن الكريم، وندعو الله عز وجل، فلعل سبحانه يهدي أخواننا الكرام أن يتشجعوا لينضموا لصلاة الفجر، فالיום من فضل الله ضاق بنا المكان، أربعة صفوف، وازدحام شديد، فإذا استمر هذا الإقبال سوف نضطر غير آسفين إلى أن ننتقل إلى الحرم الأساسي، فأنتم مدعوون صباح الجمعة إلى احتفال بسيط، بمناسبة ختم القرآن الكريم الذي قرئ كله بفضل الله عز وجل في صلاة الفجر، لكن هذا يقودنا إلى شيء: عندما تسير في طريق الإيمان فلك جلسة خاصة مع الله، أساسها الصلاة. صلاة الفجر في المسجد لا تعدلها صلاة أخرى، وذاقها من عرفها، أو عرفها من ذاقها، صلاة الفجر في المسجد:

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي نِيمَةِ اللَّهِ))

[البخاري عن جندب بن عبد الله]

الله عز وجل لا يحده مكان ولا زمان فهو خالق المكان والزمان :

البيت له طبيعة خاصة، السرير، واللحاف، والأولاد، والزوجة، وغرفة النوم، وأشياء كثيرة جداً تصرفك عن الذكر وعن الصلاة، فتصلي في البيت، لكن الصلاة في المسجد لها طعم خاص، والصلاة في البيت لها طعم آخر، فالذي يريد أن يصلي صلاة يشعر فيها بقرب من الله عز وجل فليصل الفجر في جماعة، سرُّ نحو الله في الليل، ولا تخشَ وحشته، فالأنس في طيب ذكره سبحانه، هؤلاء الذين يمشون إلى بيوت الله في الليل لهم عند الله أجر كبير، إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني، وحق على المُرور أن يكرم الزائر.

مرة كنت سألتني مع شخص فسألته متى تملك الوقت؟ قال: باكراً، قلت له: متى؟ الساعة التاسعة؟ قال: قال الساعة السادسة في المكتب! هذا غير معقول، هل هناك مكتب يفتح الساعة السادسة؟ قال: كنت صغيراً، وكان والدي يوقظني قبل الفجر بساعة، وأتوضأ، وأصلي قيام الليل معه، ثم أذهب إلى المسجد، فهذه العادة بقيت فيّ حتى الآن، فأنا أبدأ عملي الساعة الخامسة فجراً بالمكتب، قلت له: شيء جميل رحم الله أبوك الذي غرس فيك هذه العادة الطيبة، فإذا الإنسان صلى الفجر في

جماعة، وذاق طعم القرب في المسجد، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((يُنزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

هذه لا تفهموها فهماً مادياً فإن الله عز وجل لا يحده مكان، ولا يسأل عنه أين هو؟ فهو خالق المكان، ولا متى كان؟ فهو خالق الزمان، لكن معنى النزول التفضل، ومعنى المجيء، قال:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

[سورة الفجر: ٢٢]

هذه الآيات وقف الناس منها مواقف أربع موقفان صحيحان وموقفان منحرفان :

قال تعالى:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح: ١٠]

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

[سورة المجادلة: ١]

له سمع؟ سميع أي عليم، هذه الآيات وقف الناس منها مواقف أربعة: موقفان صحيحان، وموقفان منحرفان، أول موقف موقف التفويض، فالسلف فوضوا إلى الله تفسير هذه الآيات، وموقف الخلف التأويل، قال: مجيئه أي مجيء أمره، ونزوله تفضله، وبده قوته، وسمعه وبصره علمه. وأما الذين جسدوا فهؤلاء ضلوا، وأما الذين عطلوا فقد ضلوا أيضاً، عندنا أربعة اتجاهات، التأويل، والتفويض، والتعطيل، والتجسيد، والتعطيل والتجسيد في آيات الذات انحراف خطر، والتأويل والتفويض موقف سليم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((يُنزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الذين ذاقوا طعم القرب إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في الأرض: أن هنتوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، هذا شيء لطيف جداً، ذاق طعم الإيمان من اصطلاح مع الله.

أتمنى على كل أخ كريم أن يصلي في مسجد قريب منه، بإمكانه أن يلزم الجماعة في الفجر، وغالباً الفجر فيه روحانية خاصة، ولا تنسوا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾

[سورة المزمل: ٦]

ما ينشأ لنفسك من تجليات في الليل لا يكون في النهار.

التوازن بين العمل والصلة وبين الذكر والطاعة :

هناك قول يقول: إن الله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، وإن الله عملاً في النهار لا يقبله في الليل، وسيدنا عمر بن الخطاب كان له عامل على أذربيجان، هذا العامل أرسل رسولاً مع هدية ثمينة، فوصل الرسول المدينة في منتصف الليل، فكره أن يطرق باب أمير المؤمنين، فتوجه إلى المسجد، وفي المسجد سمع رجلاً يناجي ربه ويقول: هل قبلت توبتي فأهني نفسي، أم رددتها فأعزيتها، فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عمر، قال: يا سبحان الله! ألا تنام الليل يا أمير المؤمنين؟ أنا كرهت طرق بابك خشية أن أوقظك، فقال: إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعت ريعيتي.

سيدنا داود رجح الصلة بالله على العمل الصالح فعاتبه الله، سيدنا سليمان رجح العمل الصالح على الصلة فعاتبه الله، فلا بد من التوازن بين العمل والصلة، وبين الذكر والطاعة، وإن التوازن مطلوب، فإذا تمكن الإنسان أن يجعل لنفسه جلسة مع الله صباحاً تقرأ فيها بعض القرآن الكريم؛ خمس صفحات، أو عشر صفحات، فإن في ذلك فضلاً كبيراً، لقول الله عز وجل:

﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾

[سورة الإسراء: ٧٨]

يمكن أن تقرأه، وتقول: لا أشعر بشيء، وهذا ممكن! هذا امتحان، المؤمن إذا كان حريصاً أن يدخل البيت يطرق الباب، في العيد معه بطاقات، يريد وضع بطاقة، فيضرب ضربة واحدة، ويضع البطاقة، ويذهب، لا وقت له ليدور على كل البيوت، إذا لم تكن حريصاً على دخولك إلى البيت تترن الجرس ضربة واحدة، أما إذا كان هناك حرص شديد تصير ملحاحاً.

أخلقُ بذِي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

* * *

أحياناً يمتحن الله صدقك فيسد عليك الأحوال، تقرأ القرآن فلا شيء يغلقه، ويقوم من الصفحة الأولى، اقرأ خمس صفحات حتى لو لم تشعر بشيء، في اليوم الثاني لعلك تشعر بشيء. حدثني أخ ذهب إلى العمرة، يظن نفسه أنه يجب أن تكون له أحوال، فقال: وصلت المدينة، فدخلنا المقام

الشريف، ولم أشعر بشيء! أعوذ بالله، وكأنني أدخل مسجداً في الشام، رسول الله أمامه! قال: لم أبك، ولم أتأثر، فأصابه انكسار، وعاد إلى الفندق مكسوراً كاليتيم، أين أحواله، وإقباله، وطريقه، وأذكاره، وورده؟ في اليوم الثاني تحسن الحال قليلاً، في اليوم الثالث تفضل عليه الله.

لا يجب على الإنسان أن ينسحب من أول صدٍّ، فإنَّ الله عز وجل عزيز، ولا يقبلك بسهولة، أنت طالب ودَّ الله، والمؤمن يخطب ودَّ الله عز وجل، أحياناً إذا خطب الإنسان بنتاً، وقيل له: ليس لك نصيب، يوسّط لهم أقرباؤهم، أو يبعث جهة ثالثة ورابعة يرى من يمون عليهم، يحسن الحسن، من أجل فتاة يقوم بعشرات المحاولات، أليس من الأكمل أن تكون قريباً من الله عز وجل، وأن تبذل بعض المحاولات؟ وقد ورد في الأثر: إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها، علي أن أصلي الفجر في وقته، وفي جماعة، وأن أخشع في الصلاة، فإذا تجلى الله على قلبي في حال، معنى ذلك أن الله أكرمني اليوم، فالأحوال نفحات، فهبئ نفسك لها: ألا فتعرضوا لها. لاحظ التاجر يهبئ البضاعة، ويقول: عندنا موسم لا يعلم ما سيكون فيه، لكن يهبئ نفسه، لو طلب مني بضاعة جاهزة، عندنا بضاعة، وعندنا في المستودعات، وأنا مهياً نفسي من أجل البيع، إنسان لم يهبئ نفسه لن يكون هناك بيع، لا توجد بضاعة، هذا كلام غير تجاري.

الذكر والدعاء :

أرجو الله عز وجل أن نعتي جميعاً بمجلس صباحي، والأولى أن يكون في المسجد، هذا المجلس يتضمن صلاة الفجر، وتلاوة القرآن، وشيء من الذكر، تحب ذكر اسم الله المفرد، هناك آية تؤكد ذلك، أن تقول: الله الله الله، هل هناك آية هكذا؟ قال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾

[سورة المزمل: ٨]

اسم الله الأعظم هو الله، فإذا قلت: الله الله فهذا ذكر، وهناك ذكر الحمد، والاستغفار، والتسبيح، والتهليل، والدعاء ذكر، والثناء دعاء، فهل عندكم دليل على أن الثناء دعاء؟ سيدنا يونس قال:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأنبياء: ٨٧]

أنتى على الله:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾

[سورة الأنبياء: ٨٧]

﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ ﴾

[سورة الأنبياء: ٨٧]

لم يسأل سؤالا، فالثناء دعاء، والحمد، والتسبيح، والاستغفار، والصلاة على النبي ذكر.

﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

[سورة العنكبوت: ٤٥]

فشيء من الذكر، وشيء من التلاوة والصلاة، وإذا أضفت التفكير في الكون هذا طريق سريع لله عز وجل، هذه الجلسة إن كانت في الفجر أطمح إذا حضر أخواننا إلى الفجر أن نقوم ببعض الذكر بعد الصلاة، وشيء من التفكير والتلاوة، حيث يشعر أنه قضى هذه الحصة في المسجد، هذا شيء من طمحي إن شاء الله، ووجدت إقبالا شديداً على صلاة الفجر، في العادة أكثر المساجد سبعة أشخاص أو ثمانية، ومن فضل الله عندنا أربعة صفوف وزدحام، ويمكن أن ننقل إلى الحرم بعد فترة، على كل ذاق طعم القرب من صلى الفجر في جماعة، وثمة أحاديث صحيحة تؤكد أن صلاة الجماعة تعدل صلاة المفرد بسبع وعشرين ضعفاً.

ملخص الدرس :

ملخص الدرس: التوازن يعني أن تعتني بعقلك، وبقلبك، وبجسدك، وتتمتع بعقيدة صحيحة، وسلوك مستقيم، وحال طيب، إذا ركزت على الحال فقط وقعت في الغلو، أو ركزت على الاستقامة، أو على الفكر وقعت في الغلو، تأخذ فرعاً تجعله هو الدين فهذا غلو، تأخذ جزءاً فتجعله الكل فهذا غلو، هذا الذي أتمنى على الله عز وجل أن يكون في قناعاتكم جميعاً، على كل نحن في رمضان بفضل الله، وهذه السنة الخامسة نتلو في صلاة التراويح والفجر القرآن كله، فالإنسان له مناسبة أن يستمع لتلاوة القرآن بصوت حسن، مع أحكام تجويدية طيبة، أن يستمع لها بشكل متسلسل، في رمضان إن شاء الله عندنا درس بعد الفجر، ودرس بعد التراويح، وسيكون الدرس بطريقة فيها فاعلية.

في التربية والتعليم أسوأ طرق فيها هي الإلقاء، أما السؤال، والجواب، والحوار، وطرح الأسئلة يضيفي فعالية لدى المستمعين، ويرسخ المعلومات، فأنت كمستمع يمكن أن تشرد، أما كمسؤول فعليك أن تجيب، فنحن في الشهرين السابقين كنا نقرأ جزءاً، ونهيهي أسئلة نريد منه إجابة، هذه الطريقة لاقت ارتياحاً شديداً عند أخواننا الكرام، فصار الأخ يصلي وكله يقظة، أنه سوف يسأل، فتابع القرآن، والدليل:

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

[سورة النساء: ٤٣]

ماذا قال الإمام؟ والله لا أذكر! الآن صليت العشاء، ماذا قرأ من السور؟ والله لا أذكر، هذه مشكلة كبيرة جداً، أي لم يعلم ما قاله الإمام، والله عز وجل قال:

﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

[سورة النساء: ٤٣]

الإِنسان الذي لا يعلم ما يقول في الصلاة فهو في حكم السكران :

النبي قال:

((ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها))

[ورد في الأثر]

إذا لم يعلم الإنسان ما يقول كان في حكم السكران.

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

[سورة النساء: ٤٣]

إذا قرأ الإنسان الفاتحة بشكل صحيح قال:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

[سورة الفاتحة: ٥-٦]

طلب:

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[سورة الإسراء: ٥٣]

سألته أن يبين لك الصراط المستقيم، فجاءك الجواب في آيات الركعة الأولى، ركعت خاضعاً، وسجدت مستعيناً، فوجدت التكامل، قرأت الفاتحة، أعلنت عن حمدك، وخضوعك، وإيمانك، وسألت الله الصراط المستقيم، فجاء الجواب في آيات الركعة الأولى، فركعت خاضعاً، وسجدت مستمداً العون من الله، هذه ركعة أولى، فإذا قرأت الفاتحة في التراويح كما أَرادها الله عز وجل، واستمعت إلى آيات الله تتلى عليك، وبعدها ركعت خاضعاً، وسجدت مستعيناً، فقد اقتربت من الصلاة التي أَرادها الله عز وجل.

بعض الأخوة صلوا في المدينة المنورة وراء إمام، فحدثوني أنهم شعروا بسعادة لا توصف! حتى إن أحدهم قال: هذه الصلاة هي التي أَرادها الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الإحسان ثمن الجنة والمحسن قريب من الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، من أشهر الأحاديث الشريفة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي رواها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة رببتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))

[مسلم عن عمر بن الخطاب]

أيها الأخوة، الإحسان، صدقوني إذا قلت لكم جميعاً وجميع بني البشر إنما أتوا إلى الدنيا من أجل الإحسان وإن الإحسان هو ثمن الجنة وأن المحسن هو قريب من الله عز وجل، وأن الذي يأتيه ملك الموت لا يندم إلا على العمل الصالح.

الإحسان أيها الأخوة، جاء في القرآن الكريم مقروناً بالإسلام، ومقروناً بالإيمان، ومقروناً بالتقوى، فإله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾

[سورة البروج: ١١]

الإحسان من لوازم الإيمان :

الإحسان من لوازم الإيمان والإحسان قرن بالإسلام، قال تعالى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١١٢]

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

[سورة لقمان: ٢٢]

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

﴿ خَالِدُونَ ﴾

[سورة يونس: ٢٦]

ثبت في صحيح مسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، الحسنى الجنة، وزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

طبعاً لماذا كان جزاء المحسن الذي عبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه؟ هذا الذي عبد الله بحضور قلب وشهود بصيرة الجزاء من جنس العمل، ينبغي أن يكون من جزائه أن يرى وجه الله الكريم عبده طوال حياته وهو لا يراه، لكن يظن أن الله يراه، عبده كأنه يراه، الآن في الجنة سوف تراه رؤيا العين وتراه كما ترى القمر ليلة البدر في رابعة السماء.

معنى الإحسان :

قال تعالى:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة: ٢٢-٢٣]

ورد في الأثر: أن الإنسان إذا نظر إلى وجه الله الكريم يغيب خمسين ألف عام من نشوة هذه النظرة.

الآن درسنا ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه



عبادة الله بحضور قلب

يراك، تجتهد وتجتهد وتفكر، وتتأمل وتقف عند الحدود وتبالغ في الورع، وتؤدي الصلوات، وتتفق الأموال، وتضبط الجوارح، من أجل أن تشعر أنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أي إذا لم تبلغ هذه المرتبة يوجد مرتبة ممكنة، تصور أنه يراك، إن لم تكن تراه تصور أنه يراك.

أحياناً الإنسان إذا أراد أن يظهر بجهاز إعلامي على الشاشة يتخيل كل الناس يرونه، مع أنه أمام آلة تصوير، والمكان في صمت مطلق، في كتم صوت شديد، لماذا يضطرب الإنسان؟ لا يوجد أحد ولا إنسان إلا آلة تصوير وأنت وراءها، لأنه يتوهم أو يعتقد أن كل الناس قاطبةً يرونه، ذكرت هذا المثل لأبين لكم أنه إذا آمنت أنك مكشوف أمام الناس، جميعاً وأن كل كلمة محاسب عليها، وأن كل غلطة مدان عليها، وسوف يتناقلها الناس في مجالسهم، وسوف يقيمونك، كلما جلست يتحدثون، لماذا تحرص على أن يكون إلقاءك في أعلى مستوى مع أن أحداً لا يراك ولا أحد يسمعك ولا يوجد إلا آذن وآلة تصوير؟! لكن لأنك تتوهم أو تظن وتعتقد أن كل الناس يرونك ويسمعونك.

المؤمن يرى ربه يوم القيامة كما ينظر إلى القمر ليلة البدر في كبد السماء :

لذلك جزاء الذين يعبدون الله كأنه يراه، يعبده بقلبه، بقلب شاهد وبصيرة نافذة، حتى لو لم يبلغ هذه المرتبة يتصور أن الله يراه، جزاء هذا الذي يتعامل مع الله شهوداً، ويقظةً، وبصيرةً أن يُسمح له أن يرى وجه الله الكريم، لذلك ثبت أن قوله تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾

[سورة يونس: ٢٦]

الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، يؤكد هذا قوله تعالى:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[سورة القيامة: ٢٢-٢٣]

وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وما هم عليه السلف الصالح، وما هم عليه مجموع الأمة، المؤمن هؤلاء الذين حجبوا عن ربهم في الدنيا حجبهم شهواتهم وضلالاتهم وانحرافاتهم، حجبهم أهواءهم ونزواتهم، هؤلاء الذي غاصوا في المعاصي إلى قمم رؤوسهم، هؤلاء الذين أعرضوا عن ربهم، هؤلاء الذين أشاحوا بوجوههم عن الحق، هؤلاء الذين كان الران على قلوبهم، جزاءهم يوم القيامة من جنس حالهم في الدنيا، ما جزاءهم؟ قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين: ١٥]

والله أيها الأخوة، ما من عقاب أشد على الإنسان من أن يكون عن ربه محجوباً، قد يعطيك الله كل شيء لكن لا يسمح لك أن تقبل عليه، فأنت في الأخسرين، قد تتمتع بالدنيا بأكملها لكنك محجوب عن الله، وقد تحرم من الدنيا بأكملها لكنك موصول به، الإنسان الرقيق الذي ينطوي على إحساس مرهف، هذه الآية ينخلع القلب لها.

من يقدم روحه في سبيل الله ينغمس في سعادة لا توصف :



السعادة في الاتصال بالله

لو سألت مؤمناً صادقاً ما الذي يدعوك إلى طاعة الله، ما الذي يدعوك إلى مجاهدة النفس والهوى، ما الذي يدعوك أن تكون قائماً بأمره، ما الذي يدعوك أن تبتعد عن نواهيه؟ الجواب واحد حرصك على الاتصال به، حرصك على أن تكون موصول به، خوفك من أن تحجب عنه، الآن يوجد جهة في الأرض تعاقب إنسان أطلق بصره في الحرام؟ بالعكس

إذا أنس منك الناس أنك تغض بصرك يعجبون لحالك، ماذا ألم بهذا، لماذا تفعل هذا؟ وهذا من رحمة الله بالإنسان أن بعض أوامر الله تتطابق على قوانين الأرض، فالذي يدع السرقة لا تدري يا ترى تركها خوفاً من الله؟ قد يكون ذلك، أم تركها خوفاً من عقاب الدنيا، أو خوفاً من عقاب القانون، لا تدري لكن السرقة في القانون محرمة، وعند الله محرمة، فترك السرقة لا يعلم ما الدافع لهذا الترك، لكن ما من قانون أرضي على الإطلاق، ما من جهة في الأرض تحرم على رعاياها إطلاق البصر إلى ما حرم الله إلا الدين، فهذا الذي يغض بصره عن محارم الله لماذا يفعل ذلك؟ يفعل ذلك حفاظاً على هذه الصلة، حفاظاً على أن يكون مع الله، خوفاً من أن يحجب عن الله.

لو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجنتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرةً عذرت الذي أضحي قتيلاً بحبنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياًفاً لقربنا
فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلتنا

فأيسر ما في الحب للصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

* * *

جاء صحابي إلى النبي وخاض معه إحدى الغزوات، واستحق بعض الغنائم، قال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه غنيمتك، قال: ما على هذا أسلمت، أنا أسلمت على الذبح، فابتسم النبي وتعجب لهذا الصدق.

أي أسلمت من أجل أن أقتل في سبيل الله، في معركة قادمة تفقده النبي عليه الصلاة والسلام فإذا هو مع القتلى، فبكى، وقال عليه الصلاة والسلام: هو هو، قالوا: هو هو.

أنا أؤكد لكم أن هؤلاء الذين يقدمون أرواحهم في سبيل الله ينغمسون في سعادة لا تستطيع لغات الأرض أن تصفها.

لقطات من السيرة :

بعض لقطات من السيرة:

سيدنا سعد بن الربيع تفقده النبي فلم يجده، أعتقد عقب معركة أحد، أرسل أحد أصحابه الكرام إلى أرض المعركة ليتفقد حاله، رآه بين القتلى وبه رمق قليل، فقال: يا سعد أنت مع الأحياء أم مع الأموات، قال: مع الأموات، قال: إن النبي يقرئك السلام ويسأل عن حالك، قال: قل له وأبلغ عني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وقل لأصحابه لا عذر لكم إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف.

أنا تصورت هذا الصحابي وهو في النزاع الأخير في حالة من السعادة لا توصف، ماذا فعل؟ قدم أثنى ما يملك، قدم حياته لله، قدم روحه لله، الإنسان إذا بذل شيء من ماله تراه تألق، إذا بذل وقته يتألق، إذا بذل جهده، خبرته، علمه يشعر أنه فعل شيئاً، لذلك هذا الذي يغيب عن الله عز وجل في الدنيا يحرم نفسه ذلك اللقاء المسعد، عقابه في الآخرة من جنس العمل، قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين: ١٥]

((.. فَأَخْبِرُنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...))

[مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]

درسنا اليوم حول هذه الفقرة، قال إذا تصورت أن الله يراك هذا يوجب الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم، جاء في بعض روايات هذا الحديث أن تخشى الله كأنك تراه.

أحياناً الإنسان يخاف بعينه فقط، وكلما ارتقى الإنسان يخاف بعقله، لكن الإنسان إذا وقف أمام قوي ويبيده سلاح فتاك أيعصي أمره؟ أن تخشى الله كأنك تراه. لذلك في بعض الأدعية الشريفة: اللهم

اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا ببقياك ولا تشقنا بالبعد عنك، وخر لنا واخترنا، حتى لا نطلب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت.

من شقاء الإنسان ألا يصاحب من لا يجانسه :

أيضاً حينما تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك هذا يوجب إتقان العبادة وبذل الجهد في تحسينها، الإنسان على قدر مراقبته الله عز وجل يرتفع مستوى عبادته، وقد وصى النبي صحابته بهذه الوصية: أن تحشى الله كأنك تراه، قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أخشى الله كأنني أراه فإن لم أكن أراه فإنه يراني.

أحياناً إنسان يمسك يد أخوه، ويضع يده على كتفه هذا منتهى المودة، أحياناً تبلغ المودة درجة أنه يمسكه، ابن عمر كان يحب النبي عليه الصلاة والسلام كثيراً: ((أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكَبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ))

[البخاري عن ابن عمر]



رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا رسول الله حدثني بحديث وأجمله أي واختصره، فقال صلى الله عليه وسلم:

((جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: عِظْنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ وَلَا تَكَلِّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا وَاجْمَعْ الْإِيَّاسَ مِمَّا فِي يَدَيْ النَّاسِ))

[أحمد عن أبي أيوب الأنصاري]

الإنسان إذا شعر أن مرضه يجعله قريباً من أهل الآخرة ينخلع قلبه فإذا صلى صلى بكله، بكل مشاعره، بكل جوارحه، بكل تذلل، بكل تواضعه، بكل إقباله، فالنبي عليه الصلاة والسلام نصحن أن نصلي صلاة مودع، كل صلاة اعتقد أنها آخر صلاة، لا تلهو.

النبي الكريم أساساً قال:

((إن الله اختارني واختار لي أصحابي.))

[السيوطي عن أنس]

لكرامته على الله عز وجل، هو سيد الخلق وكلما ارتقى الذين حولك تسعد بهم ويسعدون بك، وكلما كانت المسافة كبيرة جداً بينك وبين من حولك هذا من شقاء الإنسان، أن يكون متألقاً وحوله أناس كسالى، أن يكون منبعث إلى الله عز وجل ومن حوله همهم منخفضة، أن يكون وفيماً وحوله غير أوفياء، من شقاء الإنسان ألا يصاحب من لا يجانسه، لذلك لكرامة النبي على الله عز وجل، لذلك قال: إن الله اختارني واختار لي أصحابي.

المؤمن الصادق يتولاه الله في كل أموره :

أحد الصحابة، النبي عليه الصلاة والسلام قال له: يا حارثة كيف أصبحت؟ التقيت مع شخص أسأله كيف أصبحت؟ وهناك سؤال الناس يهملونه، كيف حالك مع الله؟ الصحة طيبة، ودخلك جيد، وأولادك سليمين، والزوجة جيدة، والتجارة رائجة، كيف حالك مع الله؟ هل أنت مقبل عليه، هل قلبك عامر بذكره؟ قال:

((كيف أصبحت يا حارث؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهارى، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال: يا حارث عرفت فالزم . ثلاثاً .))

[روى الطبراني بإسناده عن الحارث بن مالك الأنصاري]

عبد نور الله قلبه بالإيمان. والله أيها الأخوة أحياناً المؤمن الصادق إن وجد إنساناً منحرفاً يرى شقاءه في الدنيا قبل الآخرة، إن رأى شاباً مخلصاً ورعاً أحياناً أشعر أن هذا الشاب له مستقبل مشرق، وأن الله سيوفقه ويأخذ بيده، وسيقر عينه، ويحفظه، وسي نصره.

الحقيقة يقولون في العلوم ما فائدة القانون؟ لماذا ندرس الفيزياء والكيمياء؟ طبعاً من أجل أن نصل إلى قوانين، والقوانين علاقات ثابتة بين متغيرات، والقانون مهمته التنبؤ، صحن المسجد جاءت موجة حر قبل شهرين شيء عجيب، بلاط رخامي ومعه بلاط أسود قاسي جداً فوجئنا في صبيحة أحد الأيام أن البلاط صار كالقوس، سألنا أختاً خبيراً فقال: لا يوجد فواصل تمدد، حتى البلاط يتمدد، الرخام يتمدد، لا بد له من فواصل تمدد، موجة الحر الشديدة جعلته يتمدد، صلحنا مكان التمدد وجعلنا فاصل تمدد.

القانون ما فائدته؟ أن تنتبأ بما سيكون، أنت عندما تعلم أن المعادن تتمدد بالحرارة، تجد كل الجسور فيها فواصل تمدد، سكك القطار فيها فواصل تمدد، لأننا لو أهملنا القانون فسوف نفاجئ بالتواء السكك وتقوص الجسور، القانون فائدته القدرة على التمدد، أنت إذا عرفت الله معرفةً متينة، رأيت شاباً ورعاً مستقيماً يحب الله عز وجل، الله سوف يوفقه رغم أزمة السكن الحالية، ورغم قلة الأعمال، ورغم شح الموارد أحياناً، لأن الله تعالى قال:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل: ٩٧]

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه: ١٢٤]

من لم يشعر بالغنى فهو فقير :

بالمقابل إن رأيت إنساناً منحرفاً محتالاً يأكل المال الحرام، يرتكب المخالفات، يعتدي على خلق الله، يقسو عليهم، يظلمهم، يجب أن ترى أن الله سوف يدمره.

((كيف أصبحت يا حارث؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً ، قال: انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال: يا حارث عرفت فالزم . ثلاثاً .))

[روى الطبراني بإسناده عن الحارث بن مالك الأنصاري]

هذا أحد صحابته، أنت إذا رأيت إنساناً منحرفاً وغنياً، وقلت: هنيئاً له، والله لا تعرف في الدين شيئاً، لمجرد أن تقول هنيئاً له قال تعالى:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾

[سورة القصص: ٧٩-٨٠]

أنت إن لم تشعر بالغنى أنت فقير، إن لم تشعر بالتفوق وأنت في الدرجة الدنيا من المجتمع، طالب صغير حريص على طاعة الله، حريص على حضور مجلس علم، حريص على تلاوة القرآن، هذا الطالب يجب أن تنتظر إليه أنه طالب عظيم في مقياس الحق.

أهلاً بمن أخبرني جبريل بقدومه، قال: أو مثلي؟ قال: نعم يا أخي خاملاً في الأرض علماً في السماء.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام أوصى رجلاً، قال: استحي من الله استحياءك من رجلين من صالح عشيرتك لا يفارقانك.

الخوف من الله في السر والعلانية :

إذا كنت تسير مع شخص له مكانته، لا أعتقد أنك تتكلم كلمة نابية، ولا تمسك سبحة، ولا تسير عشوائياً، إذا كنت تسير مع شخص له وقاره تمشي بأدب وتصغي له، إذا دخلت إلى إنسان له شأن تجلس جلسة مؤدبة، لا تفتح رجلك، كما أنك لا تضع رجلاً على رجل، ولا تعبت بسبحة، ولا تقرأ جريدة أمامه، ولا تلتفت إلى جهة أخرى تحديق النظر إليه، وتجلس جلسة مؤدبة، لأن مقامه موجود، فكيف مع ملك الملوك؟! والنبي عليه الصلاة والسلام أوصى معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن قال: استحي من الله كما تستحي من رجل ذا هيبة من أهلك. وسئل النبي عن كشف العورة خالياً فقال: الله أحق أن يستحيا منه.

إنسان استخدم إنساناً لعمل فاغتسل عارياً، فقال: خذ أجرتك لا حاجة لنا اليوم بك.

قال بعض أصحاب النبي: كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا، كأن الله بيننا.

والنبي عليه الصلاة والسلام، تقول عنه السيدة عائشة كان يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة لا يعرفنا ولا نعرفه.



والله أنا في عرفات وجدت أناساً يتحدثون طوال اليوم حديثاً تافهاً، وبعضهم يلهو كما يلهو في بيته، وهذا أشرف مكان في الأرض وأقدس مكان في التاريخ، وأنت في عرفات، هناك أناس يطوفون شاردون لاهون، فلذلك:

((... أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...))

[مسلم عن عُمرُ بنِ الْخَطَّابِ]

فإن فعلت هذا سوف ترى الله في الجنة، يوجد نقطة مهمة جداً يقول بعض العارفين: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك، لا تجعل الله عز وجل أهون ناظر إليك.

وقال بعضهم: خاف الله على قدر قدرته عليك، أحياناً ترى منصباً رفيع المستوى ولو كان إنساناً كلهم يخافونه، كلهم يحترمونه احتراماً مبالغ به لقدرته عليهم، وقد يكون أقل من بعضهم علماً وفهماً وأخلاقاً ومع ذلك لقدرته عليهم يحترمونه أشد الاحترام، ويعظمونه أشد التعظيم، ويبجلونه أكبر التبجيل.

أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في مرتبة الإحسان :

خاف الله على قدر قدرته عليك، واستحي من الله على قدر قربه منك، قريب وقدير، وقال بعض العارفين: من عمل لله على المشاهدة هو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص، إن عبدته كأنك تراه كنت عارف، وإن عبدته كأنه يراك فأنت مخلص، بين العارف والمخلص، هناك أقوال نقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت.))

[الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عبادة بن الصامت]

عندما تجد امرأة محجبة في بلدها وفي الطائرة تخلع الحجاب وتغدو كإنسانة متقلبة هذه هل تعبد الله؟ أبدأ، تخاف من التقاليد والعادات، هذا شيء ملاحظ، بعض البلاد التي تجبر فيها النساء على ارتداء الحجاب إذا سافرن إلى بلد أجنبي في الطائرة يخلعن كل شيء وتغدو إحداهن، أما الذي يعبد الله، الله معه حيث كان.

((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت.))

[الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عبادة بن الصامت]

ويوجد حديث آخر، سئل عليه الصلاة والسلام:

((ما تزكية المرء نفسه؟ . أي كيف يزكي الإنسان نفسه . فقال: يعلم أن الله معه حيث كان.))

[رواه البيهقي في السنن الكبرى من طريق الزبيدي عن يحيى بن جابر]

إذا علم أن الله معه حيث كان زكى نفسه، كل هذا الكلام حول قول النبي صلى الله عليه وسلم في مرتبة الإحسان:

((...أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...))

[مسلم عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ]

((ثلاثة في ظل الله تعالى يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، رجل حيث توجه علم أن الله معه))

[الطبراني عن أبي أمامة]

الإِنسان قبل أن يعصي الله يجب أن يفكر ملياً كيف سيلقاه يوم القيامة :

إبراهيم النخعي فيما أذكر، سأله أحد الأشخاص، نفسي تراودني كيف أعالجها، فقال هذا العالم الجليل: خمس أشياء إن فعلتها ما ضررتك معصية أبداً، قال له: إذا أردت أن تعصيه فلا تأكل رزقه، قال: وماذا أكل إذا؟، قال: تأكل رزقه وتعصيه، تتقوى على رزقه بمعصيته، قال: هات الثانية، قال: إذا أردت أن تعصيه فلا تسكن بلاده، قال: وأين أسكن إذاً وكل الأرض بلاده؟، قال: تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه، منتهى الوقاحة، قال: هات الثالثة، قال: إذا أردت أن تعصيه فكن في مكان لا يراك فيه، وهو معكم أين ما كنتم، قال: أين ما ذهب هو معي، قال: تأكل رزقه، وتسكن أرضه، وتعصيه وهو يراك، قال: هات الرابعة، قال: إذا أردت أن تعصيه وجاءك ملك الموت فلا تذهب معه وادفعه بيمينك وأبعده عنك، قال: لا أستطيع، قال: تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك وأنت لا تقوى على دفع ملك الموت، قال: هات الخامسة، قال: إذا جاءك زانية جهنم ليأخذاك إلى النار فلا تذهب معهم وادفعهم عنك، قال: لا أستطيع، عندئذ قال له: تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك وأنت لا تقوى على دفع ملك الموت ولا على دفع زانية النار، قال: كفيت.

فالإنسان قبل أن يعصي الله عز وجل يجب أن يفكر ملياً، كيف تلقى الله بهذه المعصية؟ كيف سأعتر إلى الله؟ قال تعالى:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[سورة الحديد: ٤]

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٨٦]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة المجادلة: ٧]

آيات من الذكر الحكيم تبين أن الله عالم بكل شيء :

قال تعالى:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة يونس: ٦١]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

[سورة ق: ٦١]

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾

[سورة النساء: ١٠٨]

أحاديث من السنة الشريفة تبين أن الله عالم بكل شيء :

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُحَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ فَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَلَا يَبْرُزَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ثُمَّ أَخَذَ طَرْفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ فَحَكَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

أنت عندما تصلي مع الجماعة يقول الإمام: سمع الله لمن حمده، الله عز وجل يستمع إلى حمدك.

((عن أبي أمامة عن النبي صلى اله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة في ظل الله تعالى يوم القيامة،

يوم لا ظل إلا ظله، رجل حيث توجه علم أن الله معه))

[الطبراني عن أبي أمامة]

((... وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تُلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ ...))

[الترمذي عن زيد بن سلام]

والنبي الكريم سمع أناس يرفعون صوتهم بالدعاء فقال لهم:

((عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرْفًا وَلَا نَعْلُو شَرْفًا وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاغِلَتِهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِنَ قَيْسٍ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَةً مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بِأَعَا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

هذا الحديث أخوانا الكرام يجب أن يشعر به كل مؤمن، اقترب خطوة ترى الأمور تيسرت وقلبك انتشر، والناس حبوك وخدموك، أنت اقتربت خطوة، أي عقدت الأمر على التوبة، صدقت بصدقة الأمور كلها بصالحك، هذا معنى أنك إذا تقربت شبراً تقرب الله منك ذراعاً.

كل جهد تبذله في التقرب من الله تعالى لابد من أن تجده أضعافاً مضاعفة :

الله عز وجل ينمي الخير القليل، لمجرد أنك تتحرك نحوه ترى الأمور كلها تغيرت، بالمناسبة لا يمكن أن تخطب ود الله عز وجل والله عز وجل لا يكون له رد فعل معك، يرد عليك بالإحسان، بالتكريم، بالسكينة، بالتوفيق، لا يمكن أن تتحرك نحوه ولا تجد أي شيء جديد، لا بد من أن تفاجئ بشيء جديد لم يكن من قبل، تقربت إليه في بعض النوافل وعقدت العزم على أن تكون في خدمة عباده، وتقربت إليه في بعض الطاعات، لا بد من أن تجد رداً إلهياً.

سيدنا النبي عندما كان في الطائف، وسخر منه أهل الطائف وكذبوه، ونالوا منه ما نالوا، فقال: إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولك العتبي حتى ترضى، أين وجد الرد؟ في الإسراء والمعراج، حينما علم أنه سيد الخلق وحبيب الحق، وسيد ولد آدم، وبلغ سدة المنتهى، ورأى من آيات ربه الكبرى، وأطلعه الله على ما كان وما سيكون قبل أن يكون، لذلك كل جهد تبذله في التقرب من الله عز وجل لا بد من أن تجد أضعافاً مضاعفة من الله عز وجل، هذا معنى الحديث.

((...وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بِأَعَا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

تروي بعض الكتب أن سيدنا عيسى عليه السلام قال للحواريين: كلموا الله عز وجل كثيراً وكلموا الناس قليلاً، فقالوا: كيف نكلم الله كثيراً؟ قال: أخلوا بمناجاته، أخلوا بدعائه، مناجاته كلام، ودعائه كلام، إذا أردت أن تحدث الله فادعه، وإذا أردت أن يحدثك الله فاقراً القرآن.

يوجد أشخاص لا يفتر عن الكلام غير الهادف، أما إذا أقام ليصلي يختصر.

يا موسى أتحب أن أكون جليسيك؟ قال: كيف ذلك يا رب وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت يا موسى أنني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني.

لا يجد المطيعون لله عز وجل لذة في الدنيا أحلى من الخلوة :

يقول بعض العارفين: عجبت للخليقة كيف أنست بسواك يا رب، كيف الإنسان يضحك ويسر، يقول لك: والله سررنا وهو غافل عن الله، تارك للصلاة، كيف تأنس بغير الله؟ قال أبو أسامة: دخلت على محمد بن النظر الحارثي، فرأيت أنه كأنه ينقبض، قلت: كأنك تكره أن تؤتى، أي تكره الناس، قال: أجل، قلت: أو ما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول أنا جليس من ذكرني.

قال بعضهم: الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس، قيل لرجل اسمه مالك بن مقفل جالس في البيت وحده، قيل له: ألا تستوحش؟ قال: أيستوحش مع الله أحد. وكان يقول بعضهم: من لم تقر عينه بك فلا قرت عينه، أدعو أحياناً وأقول: اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم، يقول هذه الأرض تضاعفت مئتا مرة لا أبيعها بعشرين مليون مطمئن، هذا المكتب، هذا البيت، هذه التجارة، هذا المنصب، هذه الوسامة، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك. من لم تقر عينه بك فلا قرت عينه، ومن لا يأنس بك فلا أنس له.

قال أحد العارفين بالله: إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي. سأل أحد الخلفاء في الحرم المكي أحد العلماء الكبار قال له: سألني حاجتك، قال: والله أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، التقى به خارج الحرم، فقال له: سألني حاجتك، قال: والله ما سألتها من يملكها فأسألها من لا يملكها، قال له: سألني حاجتك؟ قال: أدخلني الجنة، وأنقذني من النار، قال له: هذه ليست لي، قال: ليس لي عندك حاجة.

وقال بعضهم: ما تلتذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل، وقال بعضهم: والله لولا الجماعة ما خرجت من بابي أبداً حتى أموت، وما يجد المطيعون لله عز وجل لذة في الدنيا أحلى من الخلوة، لمناجاة حبيبهم.

أقوال في الإحسان :

قال إبراهيم بن الأدهم . وهو دفن في جبله من كبار العارفين بالله .: أعلى الدرجات أن تتقطع إلى ربك وأن تستأنس بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك، حتى لا تؤثر عليها شيئاً، فإن كنت كذلك لن تتل في بر كنت أو في بحر أو في سهل أو في جبل، لن تتل أي الله يحفظك، وكان شوقك إلى لقاء الحبيب كشوق الظمآن إلى الماء البارد وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عندك أحلى من العسل وأحلى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائم.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله جليسه.

وقال أبو سليمان الداراني: لا أنسى الله أبداً.

وقال معروف: توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك.

ماذا قال سيدنا يعقوب؟ قال تعالى:

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة يوسف: ٨٦]

ويعاب من يشكو الرحيم إلى من لا يرحم.

وقال ذي النون: من علامة المحبين لله ألا يأنسوا بسواه وألا يستوحشوا معه.

أيها الأخوة، هذه مرتبة الإحسان

((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.))

وهذا الجهد الجهد الذي تبذله كي تكون في هذا المستوى جزاءه أن ترى الله حقاً في الجنة، قال تعالى:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة: ٢٢-٢٣]

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان :

أيها الأخوة الكرام، الحديث الشهير الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب من أشهر الأحاديث الشريفة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.))

[مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]

في الدرس الماضي اقتطعنا من هذا الحديث الشريف الأساسي فقرة واحدة هي الإحسان ووجدت من المناسب أن نتابع الحديث حول هذا الحديث الشريف الذي يعد من أصول الدين، الفقرة الثانية اليوم عن الإيمان.

الوجل والخشوع :

أيها الأخوة، خطورة هذا الدرس تتأتى من أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الإيمان، وكل منا يظن أنه مؤمن وإن شاء الله نحن مؤمنون، لكن حين يصف لك النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الإيمان، وصفات المؤمن، وخصائص المؤمن، أنت أمام مشكلة هي أن تبحث في مدى انطباق

صفاتك على صفات المؤمنين، فإن انطبقت فهنيئاً لك وإن لم تنطبق فعليك أن تجدد إيمانك وعليك أن تسعى إلى المستوى الذي ينحيك.

فذلك شرح هذا الحديث استنبطوا من أحاديث كثيرة جداً خصائص الإيمان وربطوها بهذا الحديث، فإذا كان الدرس الماضي عن الإحسان فاليوم عن الإيمان، والأحد القادم إن شاء الله عن الإسلام، وهذه المراحل الثلاث الذي ينبغي للمؤمن أن يمر فيها.



أولاً يدخل في مسمى الإيمان: وجل القلوب من ذكر الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٢]

القلب هل يضطرب؟ هل يخاف؟ هل يخشى؟ هل يرجو؟ معنى وجل خاف، وقد تشير إلى مطلق الاضطراب، أحياناً يقول لك: خبر هز أعماقي، أحياناً فكرة لم أنم الليل البارحة، يا ترى الإيمان يتغلغل إلى أعماق القلب يضطرب القلب له خوفاً، أو رجاءً، أو تشوقاً، هل هناك أثر في القلب؟ يدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله، وخشوعها عند سماعها ذكره وكتابه، الوجع والخشوع.

الخشوع هو السكون، لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه، فإذا الإنسان كلما تليت عليه آيات الله عز وجل لا يتأثر أبداً، كلما تليت عليه مواضع الواعظين، حكم الحكماء، إرشادات المرشدين، دلائل المستدلين، آيات كونية، آيات قرآنية، آيات تكوينية، لم يضطرب قلبه لا خوفاً، ولا شوقاً، ولا رجاءً، ولم يقشعر جلده، فهذا الإنسان يحتاج إلى أن يجدد إيمانه، وأن يبحث عن مشكلة تحول بينه وبين هذا المستوى.

من علامة الإيمان أنه يزيد وينقص :

شيء آخر الإيمان يزيد لأن الله عز وجل يقول:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى ﴾

[سورة الكهف: ١٣]

الإيمان ينبغي أن يزيد، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، أنت آمنت بالله ولكن كلما تليت عليك إحدى آياته تزداد إيماناً، كلما سمعت قصة تجسد أحكام الله عز وجل تزداد إيماناً، كلما رأيت فعل الله يؤكد كلامه تزداد إيماناً، كلما رأيت عدالته صارخة تزداد إيماناً، كلما رأيت توفيقه لعباده المؤمنين تزداد إيماناً، فلذلك من علامة الإيمان أنه يزيد وينقص.



المؤمن كالسنبلة

قد يمر المؤمن في اليوم بأربعين حالاً، بينما لا يمر المنافق في الأربعين عاماً بحال واحد، المنافق يستقر على حال واحد أربعين عاماً بينما المؤمن يتقلب في اليوم الواحد بين أربعين حالاً، حال خوف، وجل، شوق، رجاء.

من علامة الإيمان تحقيق التوكل على الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة المائدة: ٢٣]

الحقيقة لحكمة أرادها الله عز وجل الحياة كلها أخطار، والإنسان لا يدري يأتيه الخطر من مركبته، من سفره، من مرض، من فيروس، من عدوى، من ورطة، من مشكلة، من قوي تلبسه، ولا تظمن إلا إذا لذت بحماه وتوكلت عليه، الإنسان لا يستطيع أن يغطي كل الأخطار، لا أنت ولا أذكي منك ولا أقوى منك، لو كنت أقوى الأقوياء من يضمن لك أن هذه الخلايا لا تنمو نمواً عشوائياً في وقت ما، الذين أصيبوا بأورام خبيثة قيل أن يصابوا كانوا أناساً أصحاء أقوياء، هذا الذي أصابهم لماذا أصابهم؟ لا يعلمون.

التوكل على الله من صفات المؤمنين :

لا يوجد إنسان لا أخطار أمامه على الإطلاق، إلا وهناك آلاف الأخطار تتهدده، بدءاً من صحته مروراً ببيته، بعمله، برزقه، بمجتمعه، أحياناً يتورط وهو بريء براءة الذئب من دم يوسف، ومع ذلك

فهذه الأخطار لن تستطيع أن تغطيها، لن تستطيع أن تغلقها أبداً إلا أن تتوكل على الله، عليك أن تطيعه وعندئذ يمكن أن تتوكل عليه. فالتوكل على الله من صفات المؤمنين، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٣٩]

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة المائدة: ٢٣]

خذ الأسباب وهذا واجب ديني، لكن بعد أن تأخذ الأسباب عليك أن تتوكل على رب الأرباب.

مرة ثانية أخواننا الكرام في أي مكان من العالم الأخطار التي تتهدد الإنسان لا تعد ولا تحصى، أنت راكب طائرة خلل بسيط جداً، خبر يصدر تتناوله وكالات الأنباء لقد سقطت الطائرة الفلانية ومات جميع ركابها، والآن يبحثون عن العلبة السوداء ليستمعوا بين آخر المكالمات وبين أجهزة المراقبة، أنت مسافر وكيل



شركة ذاهب إلى قضاء إجازة ركبت طائرة يوجد احتمال أن تسقط الطائرة، وأنت تقود مركبتك يوجد احتمال أن الذي أمامك نائم، فلذلك الأخطار كبيرة جداً، في مكان في العالم، أخطار الصحة، آلاف الأمراض حتى الآن لا يعرف أسبابها، الضغط مثلاً، ارتفاع الضغط له أخطار كبيرة جداً، أحد هذه الأخطار خثرة دموية في الدماغ شيء مخيف، أي مكان تستقر فيه عمى، شلل، أحياناً لزوجة الدم في الشرايين، أخطار الجسم، أخطار العمل، أخطار الأقوياء، أخطار المجتمع، لذلك لا بد من أن تتوكل، أنت عليك أن تطيعه وإن أطعته توكل عليه، لكن بيني وبينكم لا يصح التوكل مع المعصية، تستحي أن تتوكل عليه وأنت تعصيه، لكن إذا أطعته لك أن تتوكل عليه، بل إن توكلت عليه تحصيل حاصل، تشعر أنك في ظل الله، أنك تحت مظلة الله، ما دمت في طاعته فأنت تحت مظلته.

خوف الله سرّاً وعلانيةً، أخوانا الكرام: أنا الآن أضع بين أيديكم حقائق الإيمان: أن تخاف الله سرّاً وعلانيةً، المؤمن الذي يخشى الله في خلوته كما يخشاه في جلوته، في سره كما يخشاه في علانيته، في بيته كما يخشاه أمام أخوانه، في سفره كما يخشاه في حضره.

((من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله))

[رواه ابن أبي الدنيا والطبراني عن أنس بن مالك]

((ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط))

[أبو نعيم عن أنس]

الصفة الثالثة: خوف الله في السر والعلانية، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً.

المؤمن الصادق يعتز بانتمائه إلى هذه الأمة، ضعيف الإيمان يحدثك عن الأمم المنحلة أخلاقياً وعن تقدمها وعن صناعتها، وعن نمط الحياة فيها، ويتعamy عن سلبياتها، وعن سقوطها، وعن تفسخها، وعن انحطاطها، يتمنى أن يكون أحد رعاياها، أما المؤمن يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالنبي صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.

من صفات المؤمن اختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، المؤمن الصادق يتمنى أن تتلف أعضائه مع الآلام الشديدة على أن يعود كافراً، يكره أن يعود بالكفر كما يكره أن يلقى في النار، المؤمن الصادق يخاف أن يعود إلى ما كان عليه من ضلالات وانحراف وشرود ويتمنى لو أنه قطع إرباً إرباً على أن يعود إلى ما كان عليه.

صحابي جليل وأظنه خبيب بن عدي وقع أسيراً بيد كفار قريش، وسأله أبو سفيان سؤال الفاحص: أتحب أن تكون في أهلك وولدك ومحمد مكانك؟ قال: والله لا أحب أن أكون في أهلي وفي ولدي وعند عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله بشوكة.

أنا أشعر أن المؤمن ليس على حرف، ضغط قليل يعصي، ضغط أدبي خفيف يترك الصلاة، ضغط أدبي من أهله يعمل في الربا، لا المؤمن في الأعماق كما قال عليه الصلاة والسلام: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، هو في الأعماق.

لذلك أهل الدنيا إذا عندهم ابن تدين يقول لك: هذه ثورة ثم يعود، لو علموا حقيقة الإيمان، يؤسوا من عودته لأنه على ازدياد، وكلما توغل الإنسان في طريق الإيمان يزداد ثبوتاً، وتزداد قناعته وتقل إمكانية رجوعه.

علامات أخرى للإيمان :

من علامة الإيمان استشعار قرب الله من العبد ودوام استحضارها، يشعر المؤمن أن الله قريب منه، لذلك إذا دعاه يدعو سرّاً، إنكم لا تدعون صمّاً تدعون سميعاً بصيراً، فالمؤمن أحياناً يدعو الله في قلبه، دون أن يحرك شفثيه، وهذا من علامة الإيمان أيضاً.

من علامة الإيمان إيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما، كيف أصبحت يا عمر؟ أصبحت أحب الله ورسوله أكثر من أهلي وولدي ومالي، إلا نفسي التي بين جنبي، قال: كلا لما بعد يا عمر، إلى أن قال له: الآن أصبحت أحبك يا رسول الله أكثر من أهلي ومن ولدي ومالي والناس أجمعين ونفسي التي بين جنبي، قال: الآن يا عمر.

من علامة الإيمان الحب بالله والبغض بالله، أن تحب الرجل لا تحبه إلا الله، وأن تبغض الرجل لا تبغضه إلا الله، بل أن تحب مؤمناً دون أن ينالك منه شيء، وأن تبغض في مؤمن ولو أصدق عليك من النعم ما أصدق، هذه علامة الإيمان، أما الآن الناس يحبون من تأتيهم منه الخيرات مؤمناً كان أم كافراً، ويكرهون من ليس عنده شيء، أما المؤمن يحب من منعه، إذا كان مؤمناً ويكره من أعطاه إذا كان غير مؤمن، أعتقد الذي جاء بعد سيدنا عمر بن عبد العزيز جاءه رجل من أهل البيت يشكو إليه، قال له: إن جدك قطعني أرضاً واسترجعها مني عمر رحمه الله، قال له: عجبت لك الذي أعطاك الأرض لم تترحم عليه أما الذي استرجعها منك ترحمت عليه، وهو لا يشعر، سيدنا عمر بن عبد العزيز استرجعها منه، علامة المؤمن أنه يحب المؤمن ولم ينل منه شيئاً.



أن تكون جميع حركات المؤمن وسكناته لله عز وجل، أي حبه لله، بغضه لله، عطاؤه لله، منعه لله، غضبه لله، رضاؤه لله، هذه صفات المؤمنين.

سماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، أي يوجد شخص يدفع الزكاة كقطع رأسه، ويوجد مؤمن يدفع الزكاة عن طيب نفس ولو بلغت ما بلغت، يوجد أشخاص ما دام الزكاة بالألفات ماشي

الحال، أحياناً يكون حجم ماله بمئات الملايين، فالزكاة خمسة ملايين، ثمانية ملايين، لا يدفعها، رقم كبير لا تسمح نفسه بدفع هذا المبلغ لله.

سماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بالعمل الصالح والفرح به، الحقيقة المؤمن يفرح أشد الفرح حينما يقدر الله على يديه عملاً صالحاً، والحقيقة العمل الصالح هو الغنى الحقيقي، غنى أهل الإيمان العمل الصالح، وفقهم من العمل الصالح.

ملخص ما في الأحاديث الشريفة حول خصائص الإيمان :

أيها الأخوة الكرام، سيدنا موسى قال تعالى:

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

[سورة القصص : ٢٤]

يا رب أنا مفتقر لفضلك وهذا هو الفضل الحقيقي، أحياناً أنا أدعو وأقول: اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم، رجل عنده بيت ثمنه ثلاثين مليوناً يقول لك: إطلالته، مساحته، موقعه، حوله حدائق، رجل عنده بستان قرت عينه به، إنسان عنده زوجة مثالية، إنسان عنده أولاد نجباء، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم أقرر أعيننا من رضوانك.

المؤمن لا تفر عينه إلا برضاء الله عز وجل، فإذا شعر أن الله راضٍ عنه كأنما ملك الدنيا بحذافيرها.

الاستبشار بالأعمال الصالحة والفرح بها لأنها الغنى الحقيقي، والألم بعمل السيئات والحزن عليها، تراه كاليتيم، كالمكسور، صحته طيبة لا يوجد شيء فيه ولكن زلت قدمه، تكلم كلمة لا ترضي الله، تورط بشيء أبعد عن الله، دائماً في خجل:

((من سرته حسنته وساعته سيئته فهو مؤمن.))

[الطبراني عن أبي موسى]

ييثار المؤمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه وأمواله، كما قلت: والله لا أحب أن أكون في أهلي وفي ولدي وعندي عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله بشوكة.



المؤمنون أخوة

معاضدة المؤمنين ومناصرتهم، والحزن بما يحزنهم، من علامة إيمانك أنك لا تسلم المؤمن بل تنصره وتعينه، وتأخذ بيده، وتدافع عنه لأنك أخ له وهو أخ لك، هذا ملخص ما في الأحاديث الشريفة حول خصائص الإيمان.

في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سئِلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))

[متفق عليه عن أبي موسى]

والحديث له معنى دقيق، قد يتوهم متوهم أن المسلمون إذا سلموا منه فهو مسلم، أما غير المسلمين ينبغي أن لا يسلموا منه، ليس هذا هو المعنى إطلاقاً، المعنى هو أن سمعة المسلمين تسلم منه، فكل مسلم إذا أساء جر للمسلمين عامة سمعة سيئة.

المؤمن يجلّ قلبه ويزداد إيمانه كلما تليت عليه بعض آيات الله عز وجل :

أما ما ورد عن الإيمان بالتحديد، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٢]

المؤمن يجلّ قلبه ويزداد إيمانه كلما تليت عليه بعض آيات الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة المائدة: ٢٣]

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٥]

المؤمن يتوكل ويخاف، ويجلّ قلبه، ويزداد إيمانه.

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رِيًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

كأنكم لاحظتم أن هذه الخصائص التي ذكرتها تباعاً مستتبطة من آيات قرآنية حصراً ومن أحاديث شريفة صحيحة.

المؤمن يستسلم لحكم الله وحكم رسول الله :

أحياناً الإنسان يعتز ببطاقة خضراء تجيز له أن يسافر إلى أمريكا متى شاء ويحرص عليها حرصه على حياته، ويدفع مئة ألف كل حين ليثبت وجوده هناك ويقول: معي أنا هذا الكرت، المؤمن الصادق يعتز بانتمائه إلى هذا الدين العظيم ولهذه الأمة المحمدية، اعتزازه بدينه وبإسلامه وبأتمته، والرضا بالإسلام ديناً، يوجد شخص كلما تحدث لا يتحدث إلا عن تخلف المسلمين وعن تأخرهم وعن الفوضى التي فيهم، وعن عدم لياقتهم، وعدم تحضرهم، والفوضى التي في حياتهم، وكأن هذه الأمة ليس فيها ولا ميزة، فإذا تحدث عن أهل الغرب سال لعابه وحدثك حديثاً شيقاً، وعمي عن كل أخطائهم، وعن كل جرائمهم، وعن كل انحلالهم، شيء دقيق.

((كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينفعه من عمله شيئاً.))

[السيوطي عن جابر]

((من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة.))

[ابن المنذر عن جرير بن عبد الله البجلي]

المؤمن يعتز بأتمته، يعتز ببلده المسلم، يعتز بدينه، يرى أن انتماءه للنبي أكبر عز له، المؤمن لو اختلف مع أخيه رفع الأمر إلى محكم تجاري، أو إلى قاضٍ، وألقى على مسامعه حكم الله عز وجل وحكم رسوله، المؤمن يقول: سمعاً وطاعة، يرضى بحكم رسول الله، قال تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

[سورة النساء: ٦٥]

المؤمن يستسلم لحكم رسول الله، هذا ليس لك، أما بعض الناس إن جاء حكم رسول الله مخالفاً لهواه يقول: أريد حكم القانون، لا يلقي بالأحكام رسول الله ويلتفت إلى حكم القانون الوضعي لأن مصالحه تتحقق مع القانون لا مع سنة رسول الله.

((عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

إن لم تجتهد بالتعرف إلى رسول الله وإلى كماله وشمائله فنن تستطيع أن تحبه :

كما قلت لكم قبل قليل كل الحقائق النظرية التي أدرجتها قبل حين هي مستنبطة من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة:

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

أحد أصحاب النبي فيما رواه الإمام أحمد:

((عَنْ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ تُحْرَقَ بِالنَّارِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ وَأَنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِي نَسَبٍ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ لِلظَّمآنِ فِي الْيَوْمِ الْفَاقِظِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ لِي بِأَنْ أَعْلَمَ أَنِّي مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: مَا مِنْ أُمَّتِي أَوْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبْدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً فَيَعْلَمُ أَنَّهَا حَسَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَازِيهِ بِهَا خَيْرًا وَلَا يَعْمَلُ سَيِّئَةً فَيَعْلَمُ أَنَّهَا سَيِّئَةٌ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَّا هُوَ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))

[أحمد عن أبي رزین العقيلي]

لكن لو وقفنا الآن قليلاً، كيف يكون الله ورسوله أحب إليك؟ إن لم تجتهد بالتعرف إلى رسول الله، إلى كماله، إلى شمائله لن تستطيع أن تحبه، وبالتالي لن تستطيع أن تؤثره على سواه، لو إنسان سأل نفسه هذا السؤال: ماذا تعرف عن رسول الله؟ يقول لك: نبي هذه الأمة أرسله الله لهذه الأمة ليكون نبياً لها، فقط، المؤمن الصادق يتحدث عن رسول الله ساعات طويلة دون كلل أو ملل وعينه تفيض بالدمع، فمعرفة النبي المعرفة الحقيقية، بل إن الله سبحانه وتعالى:

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾

[سورة المؤمنون: ٦٩]

يجب أن تقرأ سيرته، يجب أن تقرأ تحليل سيرته، يجب أن تقرأ شمائله، يجب أن تقرأ سنته، يجب أن تتصور أخلاقه الرفيعة حتى إذا ذكر النبي وصليت عليه تصلي عليه الصلاة التي تليق به.

من خصائص المؤمن أنه دائماً يقيم موازنة بينه وبين فعل النبي :

الآن الكلمات الإسلامية الرائعة فرغت من مضمونها، إذا هناك شجار بين شخصين يقول له: صلي على النبي، ولا يفقه الذي يقول صلي على النبي ما معنى الصلاة على النبي، وأحياناً الإنسان إذا غضب يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، يشهد أنه لا إله إلا الله إذا غضب كأنها متنفس له، هذه الكلمات كلمات التوحيد وكلمات الرسالة أصبحت كلمات نرددها ولا نفقه معناها إطلاقاً.

((...قَالَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا))

[أحمد عن أبي رزین العقيلي]

قال العلماء: لا بد من أن يكون في حياتك رجل تصبو إليه، في شخصيتنا شخصية نكونها، وشخصية نتمنى أن نكونها، وشخصية نكره أن نكونها، يوجد في حياتنا ثلاث شخصيات؛ واحدة هي أنت، وواحدة تتمنى أن تكونها، وواحدة نكره أن تكونها، فالذي تتمنى أن تكونها من هي؟ يجوز بعض التجار يوجد تاجر



رفيع المستوى من أضخم تجار الحقل الذي يعمل به، دائماً يتمنى أن يكون مثل هذا التاجر حجمه المالي كبير، شبكة علاقاته كبيرة جداً، يجوز أستاذ جامعة مبتدأ يصبو إلى مدرس قديم له مكانة كبيرة، أما المؤمن الحقيقي الشخصية التي يتمنى أن يكونها أو أن يكون على طريقها، أو أن يكون في أثرها، أو أن يقلدها هو رسول الله.

صدقوني أيها الأخوة المؤمن الحق كلما فعل شيء يعمل موازنة بين فعله وفعل النبي، يا ترى النبي غضب مثل هذا الغضب، تكلم هذا الكلام، قسا على امرأته هذه القسوة، قسا على أولاده هذه القسوة، يا ترى النبي الكريم قتر على أهله هذا التقدير، أنفق المال جزافاً، دائماً يقيم موازنة بينه وبين فعل النبي، لأن الشخصية التي يتمنى أن يكونها هي رسول الله ليكون على طريقها وعلى شاكلتها، وعلى منوالها ويقتفي أثرها، هذه خاصة من خصائص المؤمن.

يوجد أناس فنان من الفنانين هو الشخصية التي يتمنى أن يكونها، يجوز لاعب كرة، يجوز موسيقي، مشكلة كبيرة جداً أن تكون الشخصية التي يتمنى أن يكونها ليست في المكان الرفيع. احرص على المثل الذي ترمي إليه، دقق في المثل الذي تصبو إليه، دقق في الشخصية التي تسعى إلى أن تقلدها، ينبغي أن يكون النبي هو المثل وهو القدوة وهو الأسوة.

الإِنْسَانُ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا حَقًّا إِلَّا إِذَا اسْتَوَىٰ عِنْدَهُ التَّوْبَةُ وَالتَّرَابُ :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((...وَأَنْ تَحْرَقَ بِالنَّارِ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ))

[أحمد عن أبي زرين العُقَيْلِي]

أحدهم ربح خمسمئة ألف في سحب، طبعاً الورقة لم يشتريها وجاءت هدية مزقتها، طاعته الله أحب إليه من نصف مليون ليرة، والمؤمن من مليون ومن ألف مليون، طاعة الله عز وجل، لا تكون مؤمناً حقاً إلا إذا استوى عندك التبر والتراب، الذهب والتراب. نحن ما زلنا في الحديث السابق:

((...وَأَنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِي نَسَبٍ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ لِلظَّمآنِ فِي الْيَوْمِ الْفَآنِظِ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ لِي بِأَنْ أَعْلَمَ أَنِّي مُؤْمِنٌ، قَالَ: مَا مِنْ أُمَّتِي أَوْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبْدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً فَيَعْلَمُ أَنَّهَا حَسَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَازِيهِ بِهَا خَيْرًا وَلَا يَعْمَلُ سَيِّئَةً فَيَعْلَمُ أَنَّهَا سَيِّئَةٌ وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَّا هُوَ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))

[أحمد عن أبي رزین العُقَيْلِي]

عملت عملاً صالحاً، علمت أنه عمل صالح وأن الله سيجازيك به أنت مؤمن ورب الكعبة، عملت عملاً سيئاً تبت، فتألمت وخفت ووجلّت، وعلمت أن الله سيحاسبك، تبت أنت مؤمن ورب الكعبة.

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَامِي فَيَكُمُ فَقَالَ اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْرًا ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكُذِبُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ بِهَا فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بِحَبْحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ لَا يَخْلُونَ أَحَدَكُمْ بِامْرَأَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ تَالَتْهُمَا وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ))

[أحمد عن ابنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

هذا مقياس النبي في المسند وغيره.

المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم:

((...وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ))

[أحمد عن ابنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

لذلك الإنسان إذا عمل عملاً لا يرضي الله وتألم أشد الألم ينبغي أن يكون مع هذا الألم مستبشراً لأنه تألم لأنه مؤمن، ولو لم يكن مؤمناً لما تألم، إذا الإنسان خاف أن يكون ثقيلاً فليس بثقيل، قالوا: لو علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل، لكن الثقيل الذي لا يحتمل الذي لا يعلم أنه ثقيل ويعلم أنه خفيف الدم، أما إذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل.

لمجرد أن تعلم أن هذه سيئة وأن تخاف منها فأنت مؤمن، قال رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة دالة على الإيمان، قال: صريح الإيمان إذا أسأت أو ظلمت أحداً من الناس صمت أو تصدقت وإذا أحسنت استبشرت.

المؤمن إذا غلط رأساً يتبع هذا الغلط إحساناً، وأتبع السيئة الحسنة تمحوها، يوجد مؤمن يتصدق، مؤمن ينفق، مؤمن يصوم، مؤمن يعتذر، يصلي، يتهدد.

المؤمنون في الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام على ثلاثة أجزاء.

((عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ؛ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ الَّذِي إِذَا أَشْرَفَ عَلَى طَمَعِ تَرْكِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

والله أيها الأخوة المؤمن الصادق يشعر أن زوال الدنيا أهون من أن يأكل درهماً حراماً، لذلك يوجد نعمة من المؤمنين لا يعرفها إلا من فقدها، أحضرت إلى بيتك دهاناً مؤمناً تكون مطمئناً، لا يسرق الدهان ولا يغيرهم ولا يتكلم مكالمات خارجية في غيابك، لا يستطيع، المؤمن مقيد بالشرع، أما علاقتك مع غير المؤمن علاقة تشنج، معركة، دائماً تخاف يا ترى القطعة وضعها جديدة وهو وضعها مستعملة، أو القطعة صحيحة وقال لك: غيرتها، لا تطمئن إطلاقاً، أما المؤمن ترحبه لا يكذب ولا يغش ولا يعمل بأسلوب ملتو، فإذا نحن تعاملنا مع بعضنا وفق الإسلام نحن في نعمة لا يعلمها إلا من ذاقها، نعمة الطمأنينة، يوجد أشخاص يغير الجمع أحياناً، ويغير ويبدل مواصفات الشيء، الإنسان مع غير المؤمنين في معركة دائمة، يوجد تشنج وترقب غير مريح.

((... وَالَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ الَّذِي إِذَا أَشْرَفَ عَلَى طَمَعِ تَرْكِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

الإيمان يتماشى مع حسن الخلق :

قال لي أخ لا أعرف اسمه، أرسل لي ورقة: إنسان وضع معه عشرين مليون ليرة وتوفي هذا الإنسان ولا يعلم أهله إطلاقاً بهذا المبلغ، جاءهم وقدمه لهم وهو يستطيع أن يأكله وليس مدان على وجه الأرض، هذا هو المؤمن؛ يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم:

((... ثُمَّ الَّذِي إِذَا أَشْرَفَ عَلَى طَمَعِ تَرْكِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

((عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَبَسَةَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ، قُلْتُ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: طَيْبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، قُلْتُ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: خُلُقٌ حَسَنٌ.))

[مسلم عن عمرو بن عبسة]

فسره الحسن البصري قال: الصبر عن المحارم، والسماحة بأداء الفرائض، وسئل النبي الكريم:

((... أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: خُلُقٌ حَسَنٌ.))

[مسلم عن عمرو بن عبسة]

من زاد عليك بالإيمان زاد عليك بالخلق، الإيمان يتماشى مع حسن الخلق.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ مِنْ غَاضِرَةَ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ؛ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ وَحَدَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةٌ عَلَيْهِ كُلُّ عَامٍ، وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرَنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرْطَ اللَّئِيمَةَ وَلَكِنْ مِنْ وَسْطِ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ.))

[أبو داود عن عبد الله بن معاوية الغاضري من غاضرة قيس]

لذلك ليس لك الحق أن تقول عن مؤمن يؤدي زكاة ماله أنه بخيل الله يحاسبك، لأن النبي يقول:

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله.))

[ابن مردويه عن جابر بن عبد الله]

((مَنْ حَمَلَ سِلْعَتَهُ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ الْكِبْرِ.))

[البيهقي عن أبي أمامة]

((من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق.))

[البيهقي عن أبي هريرة]

كيف يذكي الإنسان نفسه؟ قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت.))

[الطبراني وأبو نعيم عن عبادة بن الصامت]

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الحياء غير الخجل، الخجل مذموم، والحياء مطلوب، من لوازم الإيمان الحياء:

((الحياء والإيمان قرنا جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر.))

[أبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر]

((عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))

[متفق عليه عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

أخواننا الكرام، هذا الدرس فيه حشر، معنى حشر أي جمع في الآيات والأحاديث الصحيحة التي نتحدث عن الإيمان، فالإنسان المؤمن عليه أن يوازن بينه وبين هذه الأحاديث فكلما انطبقت فليحمد الله، وإذا لم تنطبق فعليه أن يشمر وأن يسعى من جديد ليستكمل إيمانه.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام :

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في الحديث الشريف الذي تلوته على مسامعكم مرتين في درسين سابقين وسأعيده مرةً ثالثة لتكونوا في صورة الحديث:

((عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.))

[مسلم عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ]

فيما أذكر تحدثنا في الدرس الأول عن مرتبة الإحسان، وفي الدرس الماضي تحدثنا عن الإيمان، واليوم الحديث عن الإسلام، وهذا الحديث له أهمية كبيرة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في آخر سورة الحجرات قال تعالى:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة الحجرات: ١٤]

معنى هذا أنه يوجد إسلام، وإيمان، وإحسان، وأنتهز هذه المناسبة لأبين لكم أن تحديد المصطلحات جزء من العلم، فالمؤمن الصادق يعرف ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ ما النفاق؟ ما الشرك؟ ما الكفر؟ ما الفجور؟ ما المعصية؟ ما الفسق؟ هذه المصطلحات ما التقوى؟

الشرك الخفي :

أيها الأخوة، لا بد أن تكون هذه المصطلحات التي يكثر ورودها في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا بد من أن تكون هذه المصطلحات واضحةً وضوحاً جلياً في ذهنك، لأنه كما قلت قبل قليل تحديد المصطلحات الإسلامية جزء من عقيدة المسلم، أي مثلاً لو أن إنساناً توهم أن الشرك أن تعبد بوذا مثلاً، يكون غارقاً في الشرك الخفي الذي يحجبه عن الله عز وجل وهو لا يدري، أما إذا علم أن هناك شركاً جلياً وشركاً خفياً، الشرك الخفي خطير جداً هو في المؤدى كالشرك الجلي لكن مبطن.

((عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْعَرَ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْعَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاعُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً))

[أحمد عن مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ]

أخوف ما أخاف على أمي الشرك الخفي، أما إنني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً ولكن شهوة خفية وأعمال لغير الله، الشرك الخفي خطير جداً. الكفر، ترك الصلاة كفر لكن هذا كفر دون كفر، مطل الغني ظلم ولكن هذا ظلم دون ظلم، لو إنسان فعل شيئاً، هذا الشيء الذي يتناقض مع الكتاب والسنة



يدخله في الكفر العملي، يوجد عندنا كفر اعتقادي هذا أخطر شيء، الكفر الاعتقادي هو الذي يخرج من الملة، ويوجد كفر قلبي، وكفر عملي، لو أن إنساناً أمسك كتاب الله ووضعها بقسوة على الطاولة، هذا كفر عملي، قال تعالى:

﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

[سورة الحج: ٣٢]

كفر اعتقادي، كفر قولِي، كفر عملي، الذي يخرج من الملة، الكفر الاعتقادي الذي يكفر اعتقاداً يجب أن يعيد إسلامه، مثلاً من ترك الصلاة إنكاراً لفرضيتها كفر كُفراً اعتقادياً، لأنك إذا تركت أي فرض، أو أي واجب، أو أي حديث متواتر فقد كفرت، إن أنكرت علم الله فقد كفرت، إن أنكرت حرفاً في كتاب الله فقد كفرت، إن أنكرت اعتقاداً فقد كفرت.

معرفة مصطلحات الإسلام جزء من الدين :

قال بعض العلماء: ليس كل من وقع في الكفر وقع عليه الكفر، شيء جميل، إنسان عن غير قصد، عن غير علم ينطق بكلمات هي في الحقيقة كفر، هذا الأعرابي الذي قال: يا رب أنا ربك وأنت عبدي من شدة فرحه حينما رأى ناقته، وقد عثر على ما يبلغه مأمنه، هو وقع في الكفر، هل وقع عليه الكفر؟ لا، يوجد أشياء دقيقة جداً.

حتى أن العلماء يؤكدون أنه لا يجوز أن تكفر بالتعيين، التعيين أي من الكبائر أن تقول: فلان كافر، إلا أن يقول بلسانه وأمام الملاء كلاماً هو في عرف الشرع كفر بواح، إذا قال بلسانه وسمعته أنت بأذنك وقال أمام الملاء كلاماً يتناقض مع أصول الدين، هذا اسمه كفر بواح. أما ما يفعله بعض الجماعات الإسلامية في تكفير الناس جزافاً، بلا تأنٍ، بلا سبب، بلا دليل، بلا تروية، فهذا التكفير من الكبائر:

((من قال: هلك الناس، فهو أهلكهم.))

[مسلم عن أبي هريرة]

((إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا.))

[مسلم عن ابن عمر]

((أَيُّمَا رَجُلٍ كَفَّرَ رَجُلًا فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا فَقَدْ بَاءَ بِالْكَفْرِ.))

[أحمد عن ابن عمر]

كما قلت قبل قليل، معرفة مصطلحات الإسلام جزء من الدين، ما معنى الكفر بمعناه الاعتقادي، ما الكفر العملي، ما الكفر القولِي؟ ما الكفر بمعناه الموسع؟ ما الكفر بمعناه الضيق؟ وكذلك الشرك وكذلك الإلحاد، وكذلك الفسق، وكذلك الفجور، وكذلك المعصية، وكذلك الإسلام، وكذلك الإحسان، وكذلك الإيمان.

إن شاء الله تعالى من حين إلى آخر يجب أن نقف ملياً عند بعض المصطلحات الدينية، في الدرس الماضي فيما أذكر سقت لكم أحاديث شريفة كثيرة في تعريف الإيمان، وقلت في حينه: إن هذه الأحاديث لها مهمتان؛ هي مقياس وهدف في وقت واحد تقيس بها إيمانك فإن انطبقت هذه الصفات

عليك فهذه نعمة من الله، وإن لم تنطبق انقلب هذا الوصف إلى هدف ينبغي أن تسعى إليه، صار هذا الوصف النبوي مقياساً وهدفاً في وقت واحد، المؤمن الصادق لا ينام ملء جفونه وهو لا يدري أمؤمن هو أم غير مؤمن؟ هناك قلق مقدس، هناك قلق أساسه أن الإنسان لشدة خوفه من الله، ولشدة تعلقه بالله، ولشدة إصراره على الفوز بمرضاة الله يسأل نفسه دائماً هذا السؤال: هل أنا على ما يرضي الله؟ فالقلق الذي يساور المؤمن بشأن إيمانه وشأن مرتبته عند الله هذا قلق مقدس، وكان أصحاب النبي رضوان الله تعالى عليهم يقلقون على إيمانهم أشد القلق بل إن بعض التابعين كان يقول: التقيت بأربعين صحابياً ما منهم واحد إلا وهو يظن نفسه منافقاً، ولا يرضى عن نفسه إلا إبليس.

مواقف رائعة عن سيدنا عمر رضي الله عنه :

سيدنا عمر عملاق الإسلام قال: لو أن الله أنزل كلاماً أنه معذب واحداً من خلقه لخفت أن أكون أنا، ولو أنه أنزل كلاماً أنه راحم واحداً من خلقه لرجوت أن أكون أنا، فسيدنا عمر بين الخوف والرجاء، ومرة قال: ليت أم عمر لم تلد عمر ليتها كانت عقيم، ويوم حرس قافلة وبكى طفل صغير وتوجه إلى أمه وقال: أرضعني فأرضعته، ثم بكى ثانية فقال: أرضعني فأرضعته، ثم قال لها الثالثة: أرضعني يا أمة السوء، قالت له: وما شأنك بنا، إنني أفطمه، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يعطيني العطاء إلا بعد الفطام، تروي كتب السيرة أنه ضرب جبهته وقال: ويحك يا ابن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين؟ عدّ نفسه قاتلاً، إن هذا الطفل حرمة الرضاعة من أمه من أجل أن تأخذ أمه تعويضه. أيضاً تروي كتب السيرة أنه دخل إلى المسجد ليصلي بأصحابه، ما استطاع أحد أن يفهم قراءته من شدة بكائه، كان يقول: يا رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزبها.



عندما جاءه رسول من أذربيجان كره أن يطرق بابه ليلاً، توجه إلى المسجد فإذا في المسجد رجل يصلي ويبكي قال رسول أذربيجان: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عمر، قال: يا سبحان الله أنت أمير المؤمنين، أنا كرهت أن أطرق بابك ليلاً، وأنت هنا تصلي، يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟ قال: إني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي وإن نمت

نهاري أضعت رعيتي، النتيجة صلى الفجر مع أصحابه وأخذ ضيفه إلى بيته، يا أم كلثوم ماذا عندك طعام لضيفنا، وخيره أتحب أن تأكل عندي أم عند فقراء المسلمين؟ لا يوجد نسبة ماذا يفعل عند فقراء المسلمين هو عند خليفة المسلمين، فإذا في بيت هذا الخليفة الراشد خبز وملح فقط، وفقراء المسلمين يأكلون اللحم، قال: يا أم كلثوم هاتي ما عندك من طعام، قدمت له خبزاً وملحاً، أكل وشرب وحمد الله على ما أطعمه وسقاه، ثم قال له: ما الذي جاء بك إلينا، أنت جئتنا من أذربيجان وأذربيجان مع الاتحاد السوفيتي سابقاً هي كانت تابعة لسيدنا عمر، قال: معي هدية أرسلها لك عاملك على أذربيجان، قال له: ما هذه الهدية؟ قال: حلوى، فتح العلبه وذاق أول قطعة فقال: يا هذا، هل يأكل عندكم عامة المسلمين هذا الطعام، قال: لا إنه طعام الخاصة، أخرجها من فمه وكتب كتاباً لعامله في أذربيجان يوبخه ويقول: كيف يعينك أمر المسلمين إن لم تأكل مما يأكلون، وقال: حرام على بطن عمر أن يذوق طعاماً لا يطعمه فقراء المسلمين، وقال: خذ هذه الهدية وأطعمها لفقراء المسلمين في المسجد النبوي.

ومرة حرم نفسه اللحم أشهراً طويلاً فقرر بطنه، فقال: يا بطن قرقر أو لا تقرقر فو الله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمون، ومع ذلك قال: ليت أم عمر لم تلد عمر ليتها كانت عقيماً. رأى جمالاً سمناً قال: لمن هذه الجمال، قالوا: هي لعبد الله ابنك، قال: آتوني به، فلما جاؤوه به رأى أباه غاضباً، قال له: لمن هذه الإبل؟ قال: هي لي اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى لتسمن فماذا فعلت؟ أين المعصية؟ أين المخالفة؟ فقال له أبوه عمر: فيقول الناس: ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين، هل تعرف لماذا سمينة؟ لأنك ابني، فقال له: بع هذه الإبل وخذ رأسمالك ورد الباقي لبيت مال المسلمين.

لذلك هو من الخلفاء الذين يشهد لهم التاريخ بالعدالة والرحمة، عندما سيدنا الصديق ولاه أمر المسلمين بعضهم لأمه، أنت وليت علينا رجلاً شديداً، فقال: أتخوفونني بالله، والله لو سألني ربي يوم القيامة لم وليت عمر لأقولن له: يا رب وليت عليهم أرحمهم، وهذا علمي به، انظروا الأدب مع الله، فإن بدل وغير فلا علم لي بالغييب.

المسلم الحقيقي :

إذا أنت شهدت شهادة قل هذا علمي به فإن بدل وغير فلا علم لي بالغييب، أحياناً تسأل عن خاطب، لا تتورط وتقول لا يوجد مثله، تقي، نقي، شاب كالملائكة فإن بدل وغير.

أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما

وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما

* * *

نعود إلى محور الدرس خرجنا طويلاً، أيها الأخوة يجب أن نعلم حقيقة مصطلحات الإسلام، طبعاً المصطلحات كثيرة ومحور الدرس اليوم عن الإسلام، من هو المسلم؟ هو الذي خضع بأعضائه وجوارحه إلى منهج الله عز وجل، هناك منهج تفصيلي، هناك منهج عنوانه افعِل ولا تفعل، فكل فعل أمرك الله أن تفعله إذا فعلته، وكل فعل نهاك الله عن أن تفعله إذا لم تفعله فأنت مسلم، ما دخلنا بالإيمان، الإيمان موضوع آخر.

الإيمان تصديق، الإيمان اتصال بالله، الإيمان إقبال على الله، الآن نحن بالإسلام، صليت الخمس، صمت رمضان، حججت البيت، أديت زكاة مالك، غضضت بصرك، لم تكذب، لم تغترب، لم تدلس، ائتمرت بما أمر وانتهيت عما نهى وزجر، أنت مسلم، فهذا الذي يرتكب الكبائر ويزعم أنه مسلم أين هو من الإسلام؟ هذا الذي لا يبالي أكان دخله حراماً أم حلالاً ويزعم أنه مسلم؟ هذا الذي لا يبالي بأي علاقة مع النساء أكانت مشروعة أو غير مشروعة ماذا نسميه؟ الذي انصاع إلى أوامر الدين انصياعاً كلياً بأعضائه وجوارحه، وأدى العبادات، وطبق المعاملات، ونفذ الأوامر التفصيلية بقدها و قديدها، بكل ما فيها، هذا عند الله مسلم، والإيمان أعلى والإحسان أعلى. فلذلك:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أن تنصاع إليه، أن تخضع لحكمه.

الإسلام انصياع واستقامة :

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٦]

الإسلام انصياع، من أجل أن تصل إلى أولى مراتب هذا الدين العظيم ينبغي أن تستقيم، لذلك بعضهم يقول: سامحهم الله، الاستقامة نهاية المطاف، والحقيقة الاستقامة بداية المطاف، لن تكون

مسلماً لا أقول مؤمناً، أقول محسناً لا، لن تكون مسلماً إلا إذا انصعت لأمر الله كلياً؛ جوارحك وحواسك وأعضائك، وأديت الأمر، وانتهيت عن النهي.

((..قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً..))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أيضاً أيها الأخوة حتى لا نتوهم أن الشرك أن يعبد الإنسان صنماً لا، حينما تقتبس منهجاً غير منهج الله، وحينما تطبق قاعدة ليست في كتاب الله، وحينما تخضع لتقليد يتعارض مع كتاب الله، وحينما تسلك عادة لا ترضي الله، وحينما تأتمر بالمجتمع وتخاف على سمعتك وأنت في معصية، وحينما ترى ضغط الناس عليك شديداً فتفعل شيئاً ترضيهم به هذا شرك، عبادت غير الله.

فضل الصلاة في الكتاب والسنة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((...الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأَنَّتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴾

[سورة النساء: ١٠٣]

((عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَنَّ وَفَدَ تَقِيفٍ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْزَلَهُمُ الْمَسْجِدَ لِيَكُونَ أَرْقَ لِقُلُوبِهِمْ فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يُحْشَرُوا وَلَا يُعْشَرُوا وَلَا يُجَبَّوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكُمْ أَنْ لَا تُحْشَرُوا وَلَا تُعْشَرُوا وَلَا خَيْرٌ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ))

[أحمد عن عثمان بن أبي العاص]

((الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين..))

[رواه الطبراني عن معاذ]

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

[سورة العلق: ١٩]

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[سورة طه: ١٤]

ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، الصلاة عقل، لو يعلم المصلي من



يناجي ما انفعل، الصلاة معراج المؤمن، الصلاة ظهور.

((عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَيِّقُهَا))

[مسلم عن أبي مالك الأشعري]

((... وَتَقِيمُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَتُوتِي الرِّزْقَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ، قَالَ: مَا الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

كل عمل ظاهر قلبي أو بدني هو إسلام وكل شيء قلبي هو إيمان :

ذكرت هذا قبل قليل، أيها الأخوة، الإسلام الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم، فسره بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل، الإسلام يلفظ، رجل صلى الصلاة إسلام، ذهب إلى الحج، أدى زكاة ماله عدلاً ونقداً، كل عمل ظاهر قلبي أو بدني هو إسلام، وكل شيء قلبي هو إيمان. الإسلام الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم، فسره بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل وأول ذلك شهادة أن لا إله إلا الله، هذه الشهادة هذه شعار الإسلام، هذه كلمة التوحيد إذا أمكن أن يضغط الدين كله بعبادته، وبعقيدته، وبمعاملاته، وبأخلاقه، وبأدبه، وبجهاده، إذا أردنا أن نضغط الدين كله في كلمتين فهو أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. لكن كما تعلمنا في الجامعة الكلمات أحياناً لكثرة تداولها تفقد شيئاً من معناها نحن بحاجة ماسة إلى أن نعيد لهذه الكلمات رونقها، وعمقها، ومضمونها الخطير، إلها ربنا جل جلاله يقول:

﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاكُمُ ﴾

[سورة محمد: ١٩]

صدقوني أيها الأخوة أنه أعلى علم على الإطلاق أن تعلم أنه لا إله إلا الله، ولأنك إذا علمت أنه لا إله إلا الله انتهت كل المشكلات، كل الخلق لا يعدلون شيئاً.

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
وليت شرابي من وداك سائغ وشربي من ماء الفرات سراب

* * *



التوحيد أن لا ترى مع الله أحد، التوحيد أن ترى يد الله فوق أيديهم، التوحيد أن ترى يد الله تعمل في الخفاء، التوحيد أن تفسر كل شيء أمامك تفسيراً توحيدياً هذا فعل الله، أن لا تشهد غير الله، أن لا ترى مع الله أحداً، أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، أن لا ترجو جزاءً غير جزاء الله، التوحيد أن تتقطع حاجتك من الخلق وأن تتعلق بالحق.

اللهم لا تجعل حوائجنا إلا إليك، التوحيد أن لا ترى رافعاً إلا الله، ولا خافضاً إلا الله، ولا معزاً ولا مذلاً إلا الله، ولا معطياً ولا مانعاً، ولا قابضاً ولا باسطاً، ولا ممدداً ولا مانعاً، ولا مسعداً ولا مشقياً، ولا مضحكاً ولا مبكياً، أبسط مثل أحياناً أخ يرمي نكتة، يضحكون الأخوان، لماذا ضحكوا؟ لأن الله عز وجل سمح لهم أن يضحكوا، ولو أن الإنسان بلغه خبر سيء على صحته لو ألقيت على مسامعه أطرف طرفة لا يضحك أبداً، فلما ربنا عز وجل يسمح لك أن تضحك معنى هذا أنه عافى لك بدنك، وبيتك منتظم، لست جائعاً، عندك شيء يغطي مصروفك، سمعتك طيبة لا أحد يذمك. عندما ربنا عز وجل يحفظ إنسان يضحك، فالتوحيد أن لا ترى مع الله أحداً، هذه شهادة أن لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله، من الذي ينبغي أن يعبد هو الذي خلق، هو الذي يحيي، هو الذي يميت، هو الذي يعز، هو الذي يذل، هو الذي يرفع، هو الذي يخفض، هو الذي يشفي، هو الذي يضحك، هو الذي يبكي، هذا الذي يُعبد، الذي يسمعك في أي مكان، أين نادى سيدنا يونس؟ قال تعالى:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: ٨٧]

أحياناً الإنسان يكون في مكان لا يستطيع أن يتصل بأحد، كل أصدقائه الله منعم على أن ينجده، لا يوجد إلا واحد هو الواحد الديان يسمعك بأي مكان.

لذلك المؤمن يدعو الله وحده لأربع أسباب، أول سبب لأن الله موجود وقريب، وسميع، ومحب، وودود، قدير، لهذه الصفات الإنسان يدعو الله عز وجل، لذلك النبي قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

على الإنسان ألا يدلي بحجة إلا إذا كانت قاطعة ومفحمة :

أخواننا الكرام، ما في إنسان ينكر أن الله خلق السموات والأرض، لأن أحداً من الخلق لا يستطيع أن يدعي ذلك، من الذي يستطيع أن يقول الشمس أنا جعلتها تشرق؟ قال:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٨]

هو بحسب جهله توهم أنه يقتل إنساناً أو يعفو عنه، إن عفا عنه أبقاه حياً، وإن أمر بقتله يقتل، فسيدنا إبراهيم علمنا طريقة في المناقشة رائعة، إذا كان معك حجة غير واضحة تماماً، دخل عليها مداخلة ضعفت قيمتها دعها وائت بحجة لا ردّ عليها، لم يتابع معه، قال من ربك، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٨]

لا تدلي بحجة إلا إذا كانت قاطعة، قاطعة ومفحمة، أما الحجة التي يمكن أن يداخلها مداخلة ابتعد عنها، لأنها تحتاج إلى إدراك عميق.

أعدى أعداء الإسلام هو الجهل بالإسلام :

أخواننا الكرام، الإسلام طاعة والإيمان معرفة واتصال بالله، لا يوجد معرفة من دون جهد ولا من دون وقت، لا يوجد إنسان يأخذ دكتوراه وهو نائم، ولا أثناء دوامه الكامل في المعمل، لا بد من التفرغ، لا بد من أن تقطع من وقتك وقتاً لمعرفة الله، أحياناً يقول لك: هناك وقت ضائع ووقت مستثمر، الوقت الذي تحضر به مجلس علم هذا استثمار للوقت لا تضيع له.

مرة قال لي أحدهم وهذه قصة قديمة جداً عام أربعة وسبعين، بعد أن ألقى خطاباً انتحى بي أحد الأخوة ناحية المسجد وصار يبكي وقال لي: إن زوجتي تخونني كل يوم من عامين وعندي منها خمسة أولاد ولا أدري أيهم من الحرام، وأنا رجل منع، قلت: مع من؟ قال: مع جار لنا، قلت: وكيف تعرف هذا الجار على زوجتك؟ قال: كان مرةً عندنا يزورني فطلبت من زوجتي أن تحضر معنا لأنها كأختها، قلت له وقتها: لو حضرت مجلس علم واحد وعرفت حكم الشرع في الاختلاط لما فعلت ذلك، جهلك جر لك هذه المصيبة.

لذلك أيها الأخوة: الإسلام له أعداء كثيرون، أعداء أقوياء، قال تعالى:

﴿ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٦]

لكن هذا دين الله عز وجل يصمد أمام أكبر المؤامرات، ليس هذا قصدي الإسلام له أعداء كثيرون، أعداؤه أقوىاء جداً وأذكياء جداً ويخططون ليلاً ونهاراً وتسمعون الأخبار في مكان في العالم، الإسلام يُحَارَب، أنا أعتقد أن أعدى أعداء الإسلام هو الجهل بالإسلام، كل واحد منا لو عرف هذا الدين على حقيقته لكان أكبر نصير له ولانصاع إلى أمره ونهيه.

من منا واحد كان يمشي بحقل يتنزه يرى لوحة انتبه ممنوع التجاوز حقل ألغام، إذا مواطن رأى هذه اللوحة في مكان، هل يشعر بحقد على من وضع هذه اللوحة، أم يشعر بامتنان؟ صدقوني يمتلئ قلبه امتناناً لأن هذه اللوحة هي ضمان لسلامته وليست حداً لحريته.

التمسك بالدين أساسه العلم :

إذا رأيت على عمود كهرباء ذي توتر عال مكتوب: ممنوع للمس، ممنوع الاقتراب، توتر عالي خطر الموت، هل تشعر أن وزارة الكهرباء التي وضعت هذه اللوحة أرادت أن تقيد حريتك؟ لا، أرادت ضماناً لسلامتك، أنت حينما تفهم أحكام الدين ضمان لسلامتك ينتهي الأمر، أنت فقيه حينما تفهم حقائق الدين، مرة ضربت مثلاً رجل يركب



شاحنة ويحمل خمسة أطنان، لا يوجد إنسان، وعلى الطريق يوجد جسر ومكتوب عليه الحمولة القصوى ثلاثة طن، فهو إن قال: هل يراني أحد؟ هل يوجد شرطة؟ لا أحد يخالفني؟ لا الموضوع أعمق من ذلك لا أحد يخالفك الجسر نفسه يعاقبك، تقع السيارة في النهر، فإذا فهمت الدين بهذا الشكل لا تخالفه، أما إذا فهمته قيود وأنت تحب الحرية، هذا فهم سقيم وضعيف جداً. فإياها الأخوة الأكارم: كلما تعمق علمك يزداد تمسكك، التمسك بالدين أساسه العلم، عليك أن تتعلم والإنسان يحب ذاته، لا يوجد إنسان لا يحب ذاته، ترى إنساناً ساكناً في بيت مرتب، فرش لطيف، مكتبات مع الجدران، شرفات، يقول له الطبيب: تحتاج إلى بيت أرضي، ثاني يوم يضعه في مكتب عقاري مع أنه كلفه الكثير، يقول: صحتي أهم، هل هذا الكلم صحيح؟ الإنسان يحب ذاته، أنت إذا

علمت أن الدين من أجل مصلحتك تحب الدين، لو تعلم أنه لا يوجد أمر إلا لصالحك، لضمان سلامتك، لضمان سعادتك، لا يوجد أمر إلا من أجل أن تسعد في الدنيا والآخرة، تتمسك لا تمسك الخائف بل تمسك المحب، وشتان بين العبيد والتجار والأحرار.

امرأة عاشقة لله عز وجل رابعة العدوية قالت: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، ولكنني عرفت أنك أهل للعبادة فعبدتك، العبيد يعبدونه خوفاً، والتجار طمعاً، والأحرار عرفوا الله فأطاعوه. نحن نحتاج إلى مزيد من العلم، العلم من لوازمه العمل، لأن العلم زائد حيك لذاتك ينقلب إلى عمل، إذا رجل عرف أن الطعام من دون ملح لا يأكل، ولكن قال له الطبيب: الملح يرفع الضغط والضغط يسبب خثرة دماغية أي شلل، فيأكل الطعام بلا ملح، ويقول صحتي أهم من المذاق، الإنسان في أمور الدنيا يوازن موازنة صحيحة، يختار الأفضل، حبذا لو أجريت هذه المحاكمة الطيبة في أمور الآخرة. هذه الأوامر قال: بعضها مالي كالزكاة، بعضها بدني كالصلاة، بعضها مالي بدني كالحج، الحج عبادة مخصوصة بوقت معين وبزمان معين وعبادة بدنية ومالية وشعائرية.

الفرق بين المداراة والمداهنة :

النقطة الثالثة يتوهم المسلمون أن الدين عبارة عن صوم وصلاة وحج وزكاة من قال لك ذلك؟ كل أمر في كتاب الله، وكل أمر في سنة نبيه يقتضي الوجوب، أنت أمام عشرين إلى ثلاثين ألف أمر هذا هو الدين، الدين منهج كامل يبدأ من استيقاظك، من اغتسالك، من صلاتك، من خروجك من البيت، من معاملتك مع زوجتك، مع الأولاد، البيع، يوجد ثلاثمئة حديث في البيوع هذه كلها أوامر، يوجد ألف طريق لكسب المال الحرام، هذه كلها نواهٍ، يوجد تدليس، كذب، تلقي الركبان، بيع المحاقلة، يوجد أنواع من البيوع كلها غلط وكلها نهى النبي عنها.

أنت كمسلم منهجك ليس خمسة بنود، كنت أقول لكم دائماً عندما قال النبي الكريم: بني الإسلام على خمس، النبي فصيح وقد علمونا في الجامعة أن أفصح كلام بعد كلام الله كلام رسول الله، قال: أوتيت مجامع الكلم، قال: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، يفهم أن النبي مدح نفسه وذم نفسه، لكن أسلوبه في البلاغة هو تأكيد المدح بما يشبه الذم هذا أسلوب بلاغي، تقول فلان كريم لكنه شجاع. ويوجد تأكيد الذم بما يشبه المدح، فلان لئيم إلا أنه جبان، ذاك أسلوب تأكيد الذم بما يشبه المدح، أما أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قرأه الكتاب

* * *

النبي كان فصيحاً جداً، قال: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، وقريش أفصح قبائل العرب، كانت كلماته صلى الله عليه وسلم كالدر المنظوم، كان كلامه فصلاً لا هزراً ولا نذراً، يوجد إيجاز مغل تسحب الكلام منه سحب، ويوجد إطناب مغل، والبلاغة بين الإيجاز المغل والإطناب المغل،

فالنبي عليه الصلاة والسلام كلامه أفصح كلام بعد كلام الله، وعلماء الحديث يستنبطون إشارات دقيقة جداً، مثلاً: النبي قال: بعثت بمدارة الناس، لماذا ما قال بعثت لمدارة الناس؟ فرق كبير بين بمدارة الناس ولمدارة الناس، إذا قال: بعثت لمداراتهم أصبحت المدارة هدفاً، فصار هناك نفاق، أما قال: بعثت بمدارة أي أنا أستعين على هدايتهم بمداراتهم هذه الباء السببية.

العلماء قالوا: المدارة شيء والمداينة شيء آخر، المدارة بذل الدنيا من أجل الدين تبذل من صحتك، من مالك، من وقتك، حتى تستميل قلب أخيك، أما المداينة تبذل من دينك من أجل إرضاء الناس، فالمداينة خطيرة جداً، أما المدارة رفيعة جداً.

في الدين حقائق يجب أن تعلم بالضرورة وكل من غفل عنها أو جهلها يدفع الثمن باهظاً:

((بَنِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.))

[متفق عليه عن ابن عمر]



معنى هذا الإسلام بناء شاق، بناء متماسك، وبناء عظيم، هو غير هذه الخمسة، هذه الخمسة دعائم الإسلام بني عليها وهو شيء آخر، هو صدق، أمانة، استقامة، فلذلك ليس لنا حق أن نتوهم أن الإسلام خمسة أوامر، الإسلام آلاف الأوامر، وطلب الفقه حتم واجب على كل مسلم، يجب أن تكون فقيهاً

وعندنا قاعدة العلماء قالوها: هناك علم يجب أن يُعلم بالضرورة، ليس لنا خيار أبداً.

أنت كسائق سيارة لست مكلفاً أن تعرف من أي خليطة صنع محرك السيارة، لا يلزمك، ولا ينبغي أن تعرف كيف صنعت هذه السيارة؟ ولا من أي مادة صنعت مكابحها؟ لا، لكن يجب أن تعرف كيف توقفها وكيف تحركها؟ وكيف تتعطف بها يمنة ويسرة؟ وكيف تتصرف عند الخطر؟ هذه حقائق يجب أن تعلم وإلا تهلك نفسك بهذه السيارة.

نحن في الدين يوجد حقائق يجب أن تعلم بالضرورة، وكل إنسان غفل عنها أو جهلها يدفع الثمن باهظاً، مثل الذي قال لي: إن امرأتي تخونني لأنه جهل حقائق الدين، إنسان سافر إلى مصر ترك زوجته مع أخويه في البيت، وقع الذي وقع، جاهل.

((عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُوَ، قَالَ: الْحَمُوُ الْمَوْتُ))

[متفق عليه عن عقبة بن عامر]

كثير من القصص أسمعها، وأنا عندي قاعدة، ابحث عن المعصية وراء كل مشكلة معصية، تقع مشكلات سببها مخالفة لمنهج الله في كسب المال، علاقة مع النساء، أنت عندما تطبق الشرع أنت في حصن حصين.

من أكمل الإتيان بمباني الإسلام الخمس صار مسلماً حقاً :

عندنا حكم أخير، إن من أكمل الإتيان بمباني الإسلام الخمس صار مسلماً حقاً، ومن أقر بالشهادتين صار مسلماً حكماً.

أحدهم لبس بذلة خضراء وحمل محفظة وتوجه نحو مدرسة هذا طالب، قد يكون لا يدرس، أما عند الناس حكماً طالب، طبعاً والده لا يكلفه بعمل لأن عنده مدرسة، هذا عند الناس محسوب أنه طالب، متفرغ لأنه طالب، غير مطالب بالإنفاق على أهله لأنه طالب، ولكن يا ترى هل هذا طالب؟ قد يكون كاره العلم، فكل إنسان أقر بلسانه بالشهادتين هو حكماً مسلم، ونحن كما قال العلماء من السلف الصالح: لا تكفر أهل القبلة، كل إنسان أقر بالشهادتين واتجه نحو القبلة لا تكفره، لكن هذا يدخل في أوسع دائرة من دوائر الإسلام، هذه الدائرة تضيق شيئاً فشيئاً، أنا كنت أضرب مثلاً: تقول إنسان هذه الكلمة تغطي خمسة آلاف مليون، قل إنسان مسلم الدائرة ضاقت لمليار، إلى الخمس، قل إنسان مسلم عربي، ضاقت إلى مئة وخمسين مليوناً، اكتب عربي متقف، ضاقت إلى عشرين مليوناً، اكتب إنسان مسلم عربي متقف طيب، تصبح مليوناً، اكتب طيب قلب، تهبط، جراح، تهبط، في دمشق، اثنين، كلما تضيق صفة تضيق الدائرة، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[سورة المؤمنون: ٢-١١]

كلما الله عز وجل أضاف صفة تضيق الدائرة، فهذا الذي خلق هلوياً، إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين هذه صفاتهم.

للإسلام صفات ظاهرة وصفات باطنة :

أردت من هذا الدرس أن نقف جلياً على حقيقة الإسلام، من الأحاديث الشريفة التي تشير إلى حقيقة الإسلام قول النبي صلى الله عليه وسلم:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرو]

طبعاً أي سلمت سمعة المسلمين من لسانه ويده، فكل إنسان يسيء إلى غير مسلم يتهم الإسلام بالإساءة، أما إذا أسأت إلى أخ تتهم أنت بالإساءة، أما إذا أسأت لغير المسلم، فالإنسان إذا عامل غير المسلمين ينبغي أن يحتاط كثيراً لأن أي إساءة لهم هي اتهام للإسلام بأكمله.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ: تَطْعُمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرو]

وإن للإسلام ضوءاً ومناراً كمنار الطريق، الإسلام له روحانية وله هيكل يوجد أعمال ظاهرة، أعمال مادية، أعمال ترصد، ويوجد روحانية هي سر الإسلام، الإسلام بلا حب جثة هامدة، الإسلام بلا خوف من الله، بلا اندفاع إلى طاعة الله عز وجل، يوجد صفات ظاهرة، ويوجد صفات باطنة.

((الإسلام ثمانية أسهم، الإسلام سهم أي إعلان الشهادتين، والصلاة سهم، الزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، ولعل السهم الثامن هو الحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهم، وخاب من لا سهم له))

[صحيح الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

[أخرجه الترمذي ومالك عن أبي هريرة]

هذا من حسن الإسلام أيضاً، أيها الأخوة في هذه الدروس الثلاثة تحدثنا عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، الإحسان أعلى هذه المراتب والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وجزاء المحسنين في التعبير الدقيق أنهم يوم القيامة يرون وجه الله تعالى، لأنهم عبدوه كأنهم يرونه، فجزاء هذا الذي عبده كأنه يراه أن يراه حقيقةً.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٥٦) : البدعة في الدين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠٧-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أخطر شيء يصيب الدين أن يُزاد فيه أو أن يحذف منه :

أيها الأخوة المؤمنون، موضوع درس اليوم موضوع مصيري، بمعنى أن الإسلام حينما يتراجع أمره، وحينما يختصم أهله، يُعزى ذلك في الدرجة الأولى إلى البدع التي ظهرت فيه، فالكتاب والسنة ما إن نعتصم بهما فلن نضل أبداً، ولن نختلف أبداً، فأخطر شيء يصيب الدين أن يُزاد فيه، أو أن يحذف منه، هذا المنهج القويم الذي ارتضاه الله لعباده، إذا حذفنا منه أو أضفنا عليه شوهنا معالمه، وإذا شوهنا معالمه فقد قيمته ولن نقطف ثماره.

وقد وجدت مما يثير الدهشة أن مئة وستة وخمسين حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب الصحيحة والسنن والمسانيد تنهى عن الابتداع في الدين، وهناك أحاديث تعرفونها جميعاً، وهي متداولة بينكم، وهناك أحاديث كثيرة قد تغيب عن أذهانكم، فعن أنسٍ قال: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ:

**((إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَغْبُدُونَ وَيَدَّابُونَ حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ وَتُعْجِبَهُمْ نَفْسُهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ
مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ))**

[أحمد عن أنس]

من الممكن أن ترجح جانباً في الدين على حساب جانب، ومن الممكن أن تبالغ في فرع من فروع الدين على حساب فرع، لكن حينما تأخذ فرعاً وتضخمه، وحينما تلح على جانب دون جانب، وحينما تأخذ جزءاً وتقول: هذا هو الدين، فماذا فعلت؟ لقد غيرت معالم الدين.

على المؤمن التمسك بسنة النبي عليه الصلاة والسلام :

العبرة أن نتبع النبي عليه الصلاة
والسلام، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ٣١]

النبي صلى الله عليه وسلم وأقول هذا
مراراً: معصوم بمفرده، معصوم أن
يخطئ في أقواله، وفي أفعاله، وفي
أحواله، وفي إقراراته، فلذلك يجب أن



يكون دأب المؤمن التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الذي ينجينا، من هنا قال الله عز
وجل:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٣٣]

ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مطبقة في حياة المسلمين فلن يعذبوا، وما ترك قوم السنة
إلا حلت محلها البدعة، فقد قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ))

[ابن ماجه عن عبد الله بن عباس]

أي ابتداع في الدين وأية إضافة باطلة تشوهه :

سيدنا الصديق في أول خطبة خطبها قال: "إنما أنا متبع ولست بمبتدع"، أنت حينما تبتدع تنتهم
الدين بالنقص، أنت حينما تبتدع تنتهم أنك تكمل الدين، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول:
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة المائدة: ٣]

الإتمام عددي، والإكمال نوعي، فأى ابتداع في الدين، وأية إضافة باطلة، تشوهه، لكن يجب أن
ندرك جيداً أننا إذا أحدثنا في المسجد تكبير صوت، وتكبيراً، وتدقنة، و ماء بارداً، وماء ساخناً، فهذا
ليس من البدعة، هذه بدعة لغوية، حكمها متعلق بموافقها لكتاب الله وسنة رسوله.

عندما تقام حفلة فيها نساء، ويجري تصويرها ليشاهد كل الرجال في بيوتهم صور النساء بعد الحفلة، فهذه بدعة لم تكن من قبل، لكنها تخالف نصوص الشرع، إذا فهي محرمة، عندما تُكبر الصوت بالمسجد فهذه بدعة لم تكن من قبل، لكنها تزيد من وضوح الصوت، وتوضح البيان الذي يلقى بالمساجد، هذه بدعة مقبولة.

أحكام البدع :

البدع لها ثلاثة أحكام، حكم التحريم، وحكم التحليل، وحكم الإيقاف، آلة قد نستخدمها بالحلال أو بالحرام، قد نسمع بها أغاني، وقد نسمع بها القرآن، فالآلة التي يمكن أن نسمعنا أي شريط هذه بدعة موقوفة على نوع استخدامها، إن استخدمناها بالحق كانت مقبولة، كأن نسمع بها القرآن، وندرس العلم، أما إذا استمعنا بها الغناء، وما شابه ذلك من لهو الحديث فهي مرفوضة، فكل شيء لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا علاقة له بالدين، لا علاقة له بالعقيدة، لا علاقة له بالعبادة، كل شيء استحدث دون أن يمس عقيدة الإسلام وعباداته فله أحكام ثلاث، إما أنه موافق، أو أنه مخالف، أو أنه موقوف، فالبدعة اللغوية ليست موضوع درسنا، بل موضوع درسنا البدعة في الدين.

الدين الإسلامي منهج قويم ينبغي أن نأخذه بكامله :

إله عظيم أوحى إلى نبي كريم وحياً متلوّاً هو القرآن، وغير متلوّاً هو السنة، ونأتي نحن لنضيف عليها، أو لنأخذ منها، نضيف ما يعجبنا، وندع ما لا يعجبنا، فنحن إذاً من أهل الأهواء، ومن أهل البدع، هذا منهج قويم، ينبغي أن نأخذه بكامله، وليس لنا أن نأخذ منه ما يعجبنا، هكذا نعى الله على بني إسرائيل، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة البقرة: ٨٥]

مشكلة المسلمين اليوم أنهم يأخذون من الدين ما يعجبهم :



قد تجد مسلمين كثيرين، يتزاورون في المناسبات، فأنت تزور الناس في العيد فهذه سنة، أن تذهب إلى بيت الله الحرام معتمراً في الشتاء فهذه رحلة ممتعة، لكن عليك أن تغض بصرك، يقول بعضهم: أين أذهب ببصري؟ ماذا نفع بقوله تعالى:

الدين متكامل لا يمكن اجتزاؤه

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

[سورة النور: ٣٠]

يقول: لا أستطيع، إن قلت: لا تستطيع فإنك تُكذِّبُ كلام الله، وتعرض عليه، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٦]

فمشكلة المسلمين اليوم أنهم يأخذون من الدين ما يعجبهم، وما هو يسير عليهم، ومتوافق مع رغباتهم، أما إذا جاء الأمر بتحريم شيء تردّدوا، وإذا جاء الأمر بالإنسان بمنهج قويم تفلّتوا من هذا المنهج.

من هان أمر الله عليه هان على الله :

لذلك مشكلة المسلمين اليوم أنهم كثير ؛ مليار ومئتا مليون مسلم، ففي الحديث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخُرَاعِيِّ:

((يَا أَكْثَمُ اغْزُ مَعَ غَيْرِ قَوْمِكَ يَحْسُنْ خُلْفُكَ وَتَكْرُمُ عَلَى رُفَقَائِكَ، يَا أَكْثَمُ خَيْرُ الرُّفَقَاءِ أَرْبَعَةٌ وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعٌ مِائَةٌ وَخَيْرُ الْجِيُوشِ أَرْبَعَةٌ أَلْفٌ وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ))

[ابن ماجه عن أنس بن مالك]

لن تغلب في الأرض، والحديث صحيح، فإذا غلبوا وهم مليار ومئتا مليون فإنهم ليسوا على حق، هان أمر الله عليهم، وهانت سنة نبيهم عليهم، فهانوا على الله.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ))

[ابن ماجه عن عبد الله بن عباس]

وبما أن الدين نقلٌ، وأخطر ما في النقل صحته، فينبغي أن نعدّ للمليون قبل أن تسلك سلوكاً في الدين قد يكون بدعةً، وقد يكون سنةً.

المؤمن الصادق معصوم من أن يخطئ لأنه متبع لمنهج الله ومنهج رسوله :

وَعَنِ الْعُرَيْضِ بْنِ سَارِيَةَ يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً وجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً مُودِعٍ فَاَعْهَدْ إِلَيْنَا بَعْدَهَا؟ فَقَالَ:

((عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتْرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

[الترمذي وابن ماجه وأحمد عن العريضة بن سارية]

وفي حديث آخر عن حذيفة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لِصَاحِبٍ بِدْعَةَ صَوْمًا وَلَا صَلَاةً وَلَا صَدَقَةً وَلَا حَجًّا وَلَا عُمْرَةً وَلَا جِهَادًا وَلَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا تَخْرُجُ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ))

[ابن ماجه عن حذيفة]

فالإنسان يمكن أن يغلط بالوزن، على العين والرأس، تغلط مرة، أما إذا كان الميزان خطأ فهذا شيء خطير، الخطأ في الوزن لا يتكرر، بينما الخطأ في الميزان لا يصوب أبداً.

الميزان إذا كان في أسفله أوقية ملصوقة، لو وزنت به مليون وزنة فكلها خطأ، وقد يكون الميزان حساساً، وزنت كيلوين، واعتقدتها كيلواً واحداً فأنت أخطأت في الوزن، وليس أحد معصوماً من الخطأ في الوزن، أما المؤمن الصادق فمعصوم أن يخطئ في الميزان، لأنه متبع لمنهج الله، ومنهج رسوله.

وَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لِصَاحِبٍ بِدْعَةَ صَوْمًا وَلَا صَلَاةً وَلَا صَدَقَةً وَلَا حَجًّا وَلَا عُمْرَةً وَلَا جِهَادًا وَلَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا تَخْرُجُ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ))

[ابن ماجه عن حذيفة]

أنت مؤمن، والله عز وجل أوحى لنبيه قرآناً، والنبي بيّن لك، وكل جهود العلماء إلى يوم القيامة من أجل أن يبينوا لك ما في القرآن، وما في سنة رسول الله، فهل من الممكن للمؤمن أن يتجاوز؟ لا. دققوا في هذا المثل، لو أن قانوناً صدر لتحديد رواتب الموظفين، وفيه مادة تبين أن أعلى راتب في الدولة عشرة آلاف، وسوف يصدر قراراً تفسيرياً لوزير المالية يبيّن حقيقة أحكام هذا القانون، المادة الصريحة: أعلى راتب عشرة آلاف، هل من الممكن أن نفهمها خمسين ألفاً؟ الشرح يتقيد بالحدود العليا والدنيا، لكن هل من الممكن لشرح القانون أن يتجاوز حدوده؟ لا، كذلك لا يمكن لإنسان يشرح السنة أن يتجاوز حدودها، هذا شيء لا يليق إطلاقاً.

الله العظيم لا يمكن أن يكون في دينه نقص لأن النقص من صفات البشر :

حديث آخر:

((إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأْتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ))

[البخاري عن عبد الله بن مسعود]

نحن لا نعارض أن نصلح دنيانا، من الممكن أن نضع مصعداً للبناء ما كان من قبل، وأن نمدد كهرباء، هذا كله لا علاقة له بالدين، ولكن نحن عندما ندخل على العقيدة، ونُغير على السنة فنلغي بعضها، أو نضيف عليها ما ليس منها، فقد لعبنا بدين الله عز وجل، نحن من الممكن أن نطور حياتنا المادية، الابتداع مجاله في الحياة، أما الاتباع فمجاله في الدين، لأنه دين الله، والله العظيم لا يمكن أن يكون في دينه نقص، النقص من صفات البشر، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة المائدة : 3]

كمال مطلق، المعنى أن عدد القضايا التي عالجها الدين تام، وطريقة المعالجة كاملة، انتهى الأمر، أنا أبتدع وأطور تجارتي، حياتي، مسكني، أطور مرافق الأمة، المستشفيات، المدارس، أما أن أزيد على الدين بحكم التطور، أو أن ألغي منه، فهذا شيء خطير جداً، وقد نهى عنه النبي أشد النهي.

((إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا...))

[البخاري عن عبد الله بن مسعود]

الإسلام الحقيقي الذي جاء به النبي الكريم وحده هو الذي يسعد المسلم :

ما الذي حصل أيها الأخوة، العالم على اتساع رقعته، وعلى مدى قاراته الخمس ترك منهج الله، وأدار له ظهره، وتركه، وابتدع أنظمة، هذه الأنظمة التي ابتدعتها ألم تسقط واحدةً واحدةً؟ الآن تجد الذين ابتدعوا أنظمةً لهم، وابتدعوا منهجاً ليس في كتاب الله فعادوا مقهورين إلى منهج الإسلام، لا عن عبادة، ولكن عن مصلحة، فالمعسكر الشرقي عندما حرم



الإسلام الحقيقي يسعد المسلم

الخمير قبل خمس سنوات تحريماً قطعياً، فلماذا حرمها؟ هل حرمها تديناً؟ لا، هو كافر بالدين، حرمها مصلحةً، فتجد كل إنسان ابتدع نظاماً، أو فكرة، أو عقيدة، ثبت بطلانها، وسقطت في الوحل، ولم يبق في الأرض كلها إلا دين الله، وهناك الآن صحوة إسلامية، ولكن هذه الصحوة ينبغي أن تُزْشَد، لا أن تستغل الناس، فهُم لا يعبؤون بأي منهج وضعي ابتدعه البشر، وكل هذه المناهج سقطت في الوحل، ولم تسعد الإنسان، هذه حقيقة مسلم بها، لا الغرب أسعد الإنسان، ولا الشرق أسعده، ولكن الإسلام وحده يسعد، ولكن أي إسلام؟ إسلام الفتل الميلبية؟ إسلام الطرب؟ إسلام الولايم؟ إسلام المظاهر؟ إسلام المديح؟ لا، لا يسعد المسلم إلا الإسلام الحقيقي الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَانَهُ مُنْذِرٌ جَبِيشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِنْصَبَعِيهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلَأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلِيَ وَعَلَيَّ))

[مسلم عن جابر بن عبد الله]

الشاهد في هذا الحديث: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ.

أمثلة على أن تشريع الله عز وجل تشريع كامل :

أضرب لكم بعض الأمثلة، ولكن على مستوى العالم، هناك بلد مثل الصين، ظهر فيها تشريع يلزم الأسرة بإنجاب ولد واحد، وهذا الموضوع قد تابعته كثيراً، كل شهر يصدر في الصحف خبر صغير عن الموضوع، أول شيء حصل أن كل أسرة في الصين إذا أنجبت بنتاً تخنقها، وإن أنجبت طفلاً

ذكراً تسجله ملزمة بولد واحد، فالبنت تُقْتَل، وتوَاد، والذكر يبقى، فوجئوا أن هناك قرىً بأكملها ليس فيها إناث، كلها ذكور، التقدير الأخير أن هناك خمسين مليون فتى ليس لهم من يتزوجهم، وصار هناك نقص في الإناث، ونشأت عصابات تخطف الفتيات في سن الزواج، هذا إنسان شرع من عنده، لكن الله سبحانه وتعالى حينما شرع كان تشريعه كاملاً.

حينما ألزمتنا كل زوج حين يطلق زوجته - كما هو مطبق في الغرب - وقف الزواج، وحل محله السفاح، الآن معظم العالم زواج بلا عقد، تسكن معه، ويسكن معها، ويتعاشران معاشرَةَ الأزواج دون عقد مدني، ولا ديني أبداً، لكن في الإسلام هناك مهر، إن طلقها فادفع لها المهر، وانتهى الأمر، أما أن تأخذ هي نصف مالك كله فهذا تشريع أرضي، هناك آلاف التشريعات الأرضية لها مضاعفات خطيرة، أما حينما نعلم أن الذي شرع لنا هو خالقنا، فخالقنا لا يحيف على أحدٍ، وهناك نقطة دقيقة جداً سأوضحها لكم: مرة كان أحد العمال يصلح مركبتي، فقال لي: هذه لا لزوم لها، قلت له: خمسة آلاف مهندس يعملون في هذه الشركة، وعمر الشركة مئة عام، فهل أنت أكثر فهماً منهم؟ وبلا مناقشة، دون أن أصغي لوجهة نظره، رفضتُ كلامه، عندي مبادئ، شركة عمرها مئة عام، وفيها خمسة آلاف مهندس صممت هذه القطعة، فلماذا تلقوها في الأرض، وتقول: ليس لنا بها حاجة، أنا لست مستعداً أن أصغي إليك إطلاقاً، ولا أن أناقشك، لست أعظم فهماً، ودراية، ممن صمم هذه المركبة، معنى ذلك هناك شعور ثابت أن الصانع هو وحده الذي يُرجع إليه. وأضرب لكم مثلاً آخر: عندك كومبيوتر تعطل، لا يمكن أن تعطيه لبائع الخضرة، وإن كنت تحبه حباً جماً، وكان مستقيماً، وابن حلال، ولكن هذا ليس اختصاصه، فالكومبيوتر له شركة مصممة صنعته تعود إلى أصل الشركة، فأنت إنسان لك صانع و لك خالق هذا الذي خلق، وأبداع، وصمم، وصنع، وخلق جسمك، وخلق نفسك، وخلق بنيتك، وطباعك، ينبغي أن تعود إليه، لذلك حينما تحدثنا أنفسنا أن نضيف إلى الدين ما ليس منه فقد ارتكبنا جريمةً كبيرة، كذلك أن نحذفه منه شيئاً شوهنا معالمه، ومن الممكن إذاً حذفنا من الجهاز فيوزاً ثمنه ليرتان يتعطل الجهاز بكامله.

من خرج عن منهج الله واتبع هوى نفسه وقع في شر عمله :



دين الله أدق بكثير من هذا الجهاز، إنه منهج متكامل، إذا ألغيت منه بند فقد انتهى الدين إلى ضلال، ما الذي حصل الآن لهذا الدين العظيم؟ المنهج القويم المتعلق بعلاقة الإنسان بربه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بمن يعمل معهم،

كتاب موضوعات مختلفة - لفضيلة الدكتور ما

وعلاقته بمن حوله، بمن دونه، بمن فوقه، هذا الإسلام العظيم ضُغِطَ، وضُغِطَ، ومُسيخ إلى أن أصبح صوماً، وصلاةً، وحجاً، وزكاةً، فلدينا ألف أمر في البيت، ألف أمر في العمل، فهذا المنهج الدقيق يجب أن نعود إليه، وأن نطبقه.

لقد علمتُ لديهم في الأمن الجنائي قاعدة، كلما رأوا جريمة يقولون: ابحث عن المرأة، أغلب الظن أنّ وراء هذه الجريمة امرأة، أو سببها امرأة، أو ضحيتها امرأة، القاعدة الذهبية في الدين: كلما رأيت مشكلةً فابحث عن المعصية، لأنّ الإسلام منهج قويم من عند خالق الإنسان، فصحته مطلقة، وفعاليته مطلقة، ونتائجه مطلقة، فإذا رأيت مشكلةً فاعلم علم اليقين أنّ هناك من خرج عن منهج الله، واتبع هوى نفسه فوق في شر عمله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

((مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ))

[متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها]

يجب أن يُردّ، هو ردّ، وينبغي أن ترده أنت، لأنه لو سمحنا لكل إنسان أن يبتدع صرنا أمام مليون دين، كلها لا تمتّ إلى الأصل بصلة.

آثار كل الأعمال مسجلة على أصحابها :

الحقيقة أنّ أحد أسباب تخلف المسلمين كثرة الخرافات والاتجاهات، اذهب إلى أي مكان في العالم تواجهك فرقٌ، واتجاهات، وانتماءات، وولاءات، كل يدّعي أنه على حق، ويهاجم الطرف الآخر، هذا المنظر لا يحتمل، تمزق، طعن، خلاف، سوء ظن، هذا لا يمكن أن يكون، وهو سبب تخلف المسلمين، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال:

((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ

دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))

[مسلم عن أبي هريرة]

تكلم ما شئت، وادعُ إلى من تشاء، وكيف تشاء، ولكن نيّقن أن كل شيء تدعو إليه إن تمسك به إنسان، وهذا الإنسان دعا إليه، وتمسك به إنسان آخر إلى يوم القيامة، فإن كان صواباً فلك مثل ذلك، وإن كان خطأ فعليك مثل ذلك، فالفضية خطيرة جداً، قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة يس: ١٢]

آثار كل الأعمال مسجلة على أصحابها، فلن تجد حالاً أرقى من الاتباع، إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، الاتباع له ثلاث نصائح، نُكْتَبُ على ظفر: "اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، الورع لا يتسع".

أفضل عمل أن يعرف الإنسان الطريق القويم الذي سنّه الله ورسوله :

أخواننا الكرام، لو أننا جميعاً اتبعنا الكتاب والسنة لاجتمعنا، ولتوحدنا، ولأحبب بعضنا بعضاً، فما الذي فرقنا؟ نصوص ضعيفة، أو نصوص موضوعة، أو أهواء متنوعة، أو انتماءات متباعدة، هذا الذي فرقنا:

((مَنْ سَنَّ سُنَّةً خَيْرٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً شَرًّا فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً))

[مسلم عن جرير بن عبد الله]

لو دقت في عادات المسلمين وتقاليدهم، واحتفالاتهم، وأحزانهم، وأفراحهم، تجد أشياء كثيرة جداً ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لها أصل أبداً، بل هي كلها بدعٌ تفتت في عضدهم، وما حلت بنا بدعة إلا أميت بمثلها سنة كان يجب أن نتبعها.



فِعِنَ الْعُرَيْضِ بْنِ سَارِيَةَ يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً مُودِعٍ فَأَعْهَدَ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ فَقَالَ:

((عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتْرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُخْدَعَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

[الترمذي وابن ماجه وأحمد عن العُرَيْضِ بْنِ سَارِيَةَ]

لذلك فالإنسان عندما يحضر مجلس علم، ويعرف أصل الدين، وحقيقته فهو يخطو خطوة نحو اتباع رسول الله، والحقيقة هل هناك من عمل يعلو على أن تفقه منهج ربك؟ هل هناك من عمل أفضل من أن تعرف الطريق القويم الذي سنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم؟ هل هناك من عمل أعظم من أن تتبع تعليمات الصانع؟ هذا هو الدين.

مَنْ أدرك عَصراً فِيهِ فتن، فِيهِ ضلالات، فِيهِ ولاءات، فِيهِ انتماءات، وفرق، وطوائف، فهذه كلها تتعارض مع بعضها بعضاً:

((... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَيْدِينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ...))

[الترمذي وابن ماجه وأحمد بن العزناض بن سارية]

كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب هذا الخليفة الراشد الذي يعد خامس الخلفاء الراشدين: "أما بعد؛ أوصيك بتقوى الله عز وجل، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، عليك باتباع سنته، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة".

أحياناً يشتري رجل آلة عالية الثمن، ومعها تعليمات يترجمها، ويطبّقها بحذافيرها، فيشعر بالطمأنينة، هذه تعليمات الصانع، كل شيء فعّله بدقة، شغل الآلة بمنتهى الدقة، وطبّق التعليمات بدقة، فشعور الإنسان، وهو يطبق تعليمات الصانع شعور مريح جداً، فكيف بك وأنت تطيع الخالق؟ قال: فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعةً، إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها، أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنّها مَنْ قد علم ما في خلافها، ولم يقل أحد عن الذي سن هذه السنة: لماذا سنّها؟ لماذا قال: عليكم بالجماعة؟ لأنه علم ما في خلافها، فالمشروع هو الله عز وجل، والنبى موحى إليه، فالإله حينما شرع شيئاً يعلم علم الغيب أن الناس قد ينحرفون عنه، لماذا شرع الإله بقرانه، أو أوحى إلى نبيه شيئاً؟ لأنه يعلم ما يؤول إليه حال المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: "قارضَ لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم"، فعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ))

[متفق عليه عن عبد الله رضي الله عنه]

إذاً فالصحابية كانوا نخبة البشر، إن الله اختارني، واختار لي أصحابي، إذا كان هناك قضية والصحابية ترفعوا عن البحث فيها، أو متاهة في الإسلام والصحابية تنزهوا عنها، ينبغي نحن أن نفعل فعلهم.

قال: "قارضَ لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وبصيرة، وبصر نافذ، كفوا عن ذلك،

وقد علموا حقيقة الأمور، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقكم إليه، ولقد قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورجب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من معسر، ولقد قصر قبلهم قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإن بين ذلك لعلى هدى مستقيم، كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير بإذن الله وقعت".

أعطاه مقدماً كيف أنّ سيدنا يوسف في السجن لما سأله إنسان سؤالاً دله على التوحيد أولاً، ثم أعطاه الجواب، فهذا الخليفة الراشد قبل أن يجيبه عن سؤاله الدقيق بيّن له أن هؤلاء الصحابة الكرام كانوا مع النبي، وقد اتبعوا الوحي من السماء، والنبي معصوم فيما يقول، فقد أعطاهم الله كل الخير، فإذا سكت الوحي عن شيء ينبغي أن نسكت عنه، وإذا ترك الصحابة شيئاً ينبغي أن نتركه. ثم يقول: "اعلم ما أحدث الناس من محدثة ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثراً، ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر".

الإسلام نقل وعقل :

نقطة مهمة في هذا الموضوع، وهي أن في الإسلام نقل وعقل، العقل محدود المهمة، العقل مختص بالاستنتاج، هناك كون عظيم، ولك أن تفكر فيه، وأن تستنبط منه حقائق لا تنتهي عن الله عز وجل، هذا مجال العقل، العقل يحتاج إلى شيء مادي تعبّر منه إلى الشيء المعنوي، هو الاستدلال، الأثر يدل على المؤثر، الخلق يدل على الخالق، النظام يدل على المنظم، التسيير يدل على المسير، هذا هو مجال العقل، أما لو أعملت العقل في غير هذا المجال في القضاء والقدر، كلما حل مشكلة أورت مئة مشكلة، لأن هذا القضاء والقدر إخباري، كل شيء عجز العقل عن إدراكه أخبرنا الله به.

المؤمن الصادق عنده ثلاث قواعد، شيء محسوس أدواته الحواس، وشيء معقول أدواته العقل، وشيء مغيب أدواته الخبر الصادق، فكلما نقلت قضية من حقل إلى حقل وقعت في متاهة لا تنتهي، قضية اليوم الآخر لا يستطيع العقل وحده أن يجزم فيها، لأن الله أخبرنا عنه، قضية الإنس والجن والملائكة لا يمكن للعقل أن يقطع فيها، ليس هناك دليل مادي، العقل مهمته أن ينظر إلى شيء، يقول لك: هذا ماء، لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة، لأن الماء صافٍ للشرب، وهذا كأس بلور أسطواني الشكل، فالعقل ينظر، ويحكم، وقد تجد فاكهة لها طعم، ولون، ورائحة، وقوام تناسب جسم الإنسان، الذي خلقها هو الذي خلق الإنسان، هذه الحقيقة يصل بها العقل، حينما تريد أن تعرف

بعقلك القضاء والقدر، أو أن تعرف بعقلك عن الجن والملائكة، أو عن الماضي السحيق، أو المستقبل البعيد، فهذا شيء يفوق طاقة العقل، إلا أن الله أخبرك عن كل شيء. في موضوعات المغيبات تلجأ إلى الخبر الصادق، وفي موضوعات المحسوسات تلجأ إلى الحواس الخمس، وفي موضوعات الاستدلاليات تلجأ إلى العقل. الإنسان متى يخطئ؟ حينما ينقل قضية من حقل العقل إلى حقل النقل، أو من حقل النقل إلى حقل العقل، أو من حقل المحسوس إلى حقل المعقول، كل موضوع يجب أن تستخدم أدواته الأولية.

من علامات توفيق الإنسان أن يبحث في كل شيء عن أصله :

أيها الأخوة، دائماً وأبداً الأديان حينما تأتي إلى الناس تكون عند من كان قريب عهد بنزول الوحي، فالدين صافٍ، لكن بعد مرور الزمن تأتي الإضافات، وتأتي البدع، وتأتي التأويلات، وتأتي المشكلات، فما الذي ينقذنا وقد مضى على نزول الوحي ألف وخمسة عشر عاماً؟



من التوفيق البحث في المنبع الصافي للدين

إذا كان الإنسان في حالة عطش شديد، وأمامه نهر له منبع صافٍ، ماؤه زلال، ثم جاءت روافد حتى جعلت مياهه سوداء، وأنت في حالة عطش شديد أتذهب إلى مصب النهر أم إلى منبعه؟ الآن لا ينفعنا إلا أن نعود إلى منبع النهر، إلى النبع لا إلى المصب، المصب أهواء، وبدع، وخلافات، ومبالغات، أما إذا عدت إلى أصل الدين

وجدت الصفاء ووجدت الوضوح، فعن العزْباضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً دَرَقْتُ مِنْهَا الْعُيُونَ، وَوَجِلْتُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُوَدِّعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ لِنَا؟ قَالَ:

((قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ
عَبَدًا حَبَشِيًّا عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْقَبَدَ انْقَادًا))

[أحمد عن العزْباضِ بْنِ سَارِيَةَ]

لذلك أيها الأخوة الكرام: من علامات توفيق الإنسان أن يبحث في كل شيء عن أصله، عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءَ عُرَاةٍ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، فَتَمَعَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِإِلَاءِ فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (إِلَى آخِرِ الْآيَةِ) إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (وَالآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ) (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) (تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثُوبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تَعْجُزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ قَالَ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))

[مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

على الإنسان أن يأخذ ما هو صحيح و يترك ما هو باطل لينجو بدينه و دنياه :

يا أيها الأخوة الكرام: هذه الأحاديث الصحيحة وضعتها بين أيديكم، القصد أن الإنسان في آخر الزمان تختلط دونه الأوراق، وتتعدد المشارب، وتصطرع المذاهب، فيخفق الحق، ويكثر باطل.

إذا تصورنا أنك دخلت إلى غرفة، ووجدت فيها ألف قطعة صفراء لماعة، ثم أُخْبِرْتَ أن من هذه القطع الألف مئة قطعة من الذهب الخالص، عيارها أربعة وعشرون، ومئة قطعة، عيارها إحدى وعشرون، ومئة قطعة، عيارها ثمانية عشر، ومئة قطعة، عيارها إحدى عشرة، ومئة قطعة من النحاس المطلي بالذهب، ومئة قطعة من النحاس الملمع، ومئة



النجاة في الأخذ بالصحيح وترك الباطل

قطعة من المعدن الخسيس، وكلُّها خلطت خلطاً، ولك أن تمكث في هذه الغرفة ربع ساعة لتختار منها ما تختار لنفسك، فإذا كان معك جهازٌ يكشف لك الذهب الخالص أليس هذا الجهاز من أنفع الأجهزة وأهمها بالنسبة لك؟ فتأخذ القطع من أفضل عيار، وتصبح غنياً جداً.

فنحن الآن أمام ركام، هناك حق، وهناك باطل، وأمامنا صحيح، وغلط، سنة وبدعة، فما الذي ينبغي؟ أن نأخذ مقياس النبي عليه الصلاة والسلام وأن نأخذ من هذا الركام ما هو صحيح وندع ما هو باطل، ونجو بديننا ودينانا.

منهج التلقي أداة الإنسان للحكم في أمر خلافي :



نميز بين الحق والباطل بمنهج الله

وكتطبيق عملي لهذا الدرس، كل إنسان يلتقي مع آلاف الأشخاص في عمله، في نزهته، في سفره، في لقاءاته، في ندواته، وفي الأعم الأغلب تُطرح موضوعات دينية، وإذا لم يكن معنا منهج بحث فهناك آلاف الأطروحات، وآلاف الاتجاهات، وآلاف المنطلقات، فما الذي يعصمنا من هذه الترهات؟ يعصمنا أننا نملك منهج التلقي، أحياناً

أسأل إنساناً: لو عرض عليك ألف قضية في الدين، كيف تميز بين صحيحها وزيفها، بين حقها وباطلها، بين صوابها وخطئها، إذا لم يكن لديك مقياس؟ فالمشكلة كبيرة، أعطيناك قطعة قماش، وعلى كل قطعة مقياسها، هذه اثنتا عشرة ياردة، وهذه خمس وعشرون ياردة، وقلنا لك: هذا المقياس صحيح وليس معك أداة للتأكد من صحة هذا المقياس، لو معك متر لانتهى كل شيء، وهذه القطعة صحيحة، وهذه ناقصة متراً مثلاً... فالفضل للمتر الذي تملكه. أو يمكن أن يحكم إنسان بقياس قطعة قماش، وهو لا يملك متراً وقد تكون عليها لصاقة غير صحيحة؟

أنت لا تستطيع أن تكون حكماً في أمر خلافي إذا لم تملك منهج التلقي، لذلك قال الله عز وجل:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

ما هي البصيرة، لدينا دليل، وعندنا تعليل، فإذا عودت نفسك ألا تقبل شيئاً إلا بالدليل، وألا ترفض شيئاً إلا بالدليل، معنى ذلك أنك تملك منهج التلقي.

١ . القرآن الكريم :

ما هو الدليل؟ أعلى أنواع الأدلة كلام الله، وهو الدليل الأول عند المؤمنين، أما لو حدثت ملحدين، فكلام الله عندهم لا يُقدم ولا يُؤخر، أما الكلام بين المؤمنين فأعلى كلام الله، وكلام الله قطعي الثبوت، ولكن الخلاف الآن لا على ثبوتيته، فليس في العالم الإسلامي إنسان واحد إلا المنحرفين، إلا ويعتقد أن هذا الكلام كله كتاب الله، لماذا نختلف؟ نحن الآن نختلف على تفسيره، لا على ثبوتيته، لا على نصه على تفسيره، أليس هناك منهج للتفسير؟ هناك منهج للتفسير إنه علم الأصول، نحن إذا وقفنا عند آية، وفهمناها وفق علم الأصول فهماً دقيقاً، فهذه أعلى أنواع الأدلة، القرآن قطعي الثبوت، لكنه ظني الدلالة، وقطعي الدلالة، نحن يجب أن نفهمه وفق علم الأصول هذا أول منهج تلقى.

٢ . السنة الشريفة :

الثاني، أصح كلام بعد كلام الله كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو المبيّن، وهو المفسّر، وهو المعصوم، لكن الحديث غير القرآن، القرآن كله قطعي الثبوت، لكن الحديث بعضه قطعي الثبوت، وبعضه ظني الثبوت، ونشاطنا مع القرآن فقط أن نفهم ماذا أراد الله، لكن مع الحديث الشريف فلنا نشاطان، أول نشاط: هل قال هذا النبي حقاً؟ التأكد من صحة الحديث، مرة إنسان قدم لخمسة دكاترة في جامعة القاهرة لوحات زيتية على أنها لبيكاسو، وقال لهم: ما قولكم في هذه اللوحة؟ فتكلم هذا الأستاذ صفحة أو صفحتين عن اللوحة، وأبعادها، وخلفياتها، وعقلية الفنان، ومشكلاته، وصراعاته، تحليل رائع.

الثاني عرضوا عليه اللوحات، فقال رأيه، خمس صفحات كتبت، ونُشرت في مجلة شهيرة جداً في القاهرة، وبعد أن انتهى هذا التحقيق الصحفي أُشيرَ إلى أن هذه اللوحات رسمها قرد في ميلانو، في مركز تدريب القرود، قال: هؤلاء الأساتذة الخمس بقوا سنوات طويلة لا يكلمون أحداً، لأنهم تورطوا في ورطة كبيرة.

لو أنهم تأكدوا من صحة التوقيع لكانوا في غنى عن هذه الورطة، فقد ترى إنساناً يحضر حديثاً حول موضوع، ويحلّله، ويوسّعه، ويظهر أبعاده، وخلفياته، ومؤداه، وأهدافه، فيأتي إنسان آخر، ويقول له: الحديث كله موضوع، فلا تتعب نفسك، والنبى لم يقله.

نحن بحاجة ماسة إلى منهج تلقٍ، أول شيء القرآن قطعي الثبوت، لكنه ظني الدلالة، أو قطعي الدلالة، نفهمه وفق علم الأصول.

البند الثاني لدينا منهج التلقي للحديث، وهو بيان النبي، ولكن هناك أحاديث موضوعة، ليس لها أصل، ندعها، أما الضعيفة فرأي العلماء أنه يجوز أن تستشهد بها في فضائل الأعمال، أما كحكم فقهي فلا بد أن تبقى في الصحاح، وكعقيدة لا بد أن تبقى في المتواتر. أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه، فمع الحديث الصحيح ليس هناك مشكلة، أما الحديث الموضوع ففيه الخطر الداهم، فعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتُمُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

لا يمكن أن تروي حديثاً موضوعاً إلا وأن تذكر أنه موضوع، وإلا فأنت في إثم كبير، لا بد أن نفهم حديث رسول الله وفق علم الأصول.

٣. أي كلام غير كلام رسول الله وكلام الله بعد التأكد من صحته :

الكلام الثالث، أي كلام غير كلام رسول الله وكلام الله، فأولاً: يجب أن نتأكد من صحة نسبته إلى صاحبه، لعله لم يقله، ثم يجب أن نفهمه وفق علم الأصول، ثم نعرضه على كتاب الله وسنة رسوله، فإذا وافقه فعلى العين والرأس، وإذا خالفه فما علينا من بأسٍ إذا ركلناه بأقدامنا، هذا منهج التلقي، وأنت أمام ركام من المعلومات، تريد آية مفسرة تفسيراً أصولياً، أو حديثاً صحيحاً مفسراً تفسيراً أصولياً، أو قول تابعي أو صحابي موافقاً للكتاب والسنة.

إذا كانت عندك هذه القاعدة الذهبية، فهذا اسمه منهج التلقي، أنت عندك حرية الحركة، سمعتُ قصة تعارض آية قرآنية فلا أقبلها، سمعتُ حديثاً لست متأكداً من صحته أرفضه، لذلك منهج التلقي ألا تقبل شيئاً إلا وفق منهج دقيق، وألا ترفض شيئاً إلا وفق منهج دقيق، فأنت عالم، أما جعبة فيها من الشطحات، والمبالغات، والكلمات، والنصوص الضعيفة، فهذا ليس علماً، إنما هذا إنسان قصاص، وهو ليس بعالم، ولكنه يسلي الناس بقصصه، فلتحذر أيها المسلم من أن تتزلق مثله. وإذا لم يكن عندك منهج التلقي فأنت لست عالماً، ولا طالب علم، أنت بحاجة إلى منهج التلقي، أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد قدمت شيئاً في هذا الدرس، وفي هذا الموضوع، ومشكلة المسلمين في البدع التي ملأت حياتهم، وأخرجت دينهم عن صفائه، وعن دقته، وعن صحته.

((... فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا
حَبَشِيًّا عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْفِيدَ انْفَادًا))

[أحمد عن العزْبَضِيِّ بْنِ سَارِيَةَ]

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الاسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٠٧) : آيات تتعلق بالعقيدة - معاني تعدية الأفعال في القرآن.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠٩-٠١.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهم بعض الناس آيات القرآن الكريم عكس ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى :

أيها الأخوة المؤمنون، موضوع الدرس اليوم موضوع جديد ونادر، ذلك أن الإنسان حينما يقرأ القرآن قد يفهم من بعض الآيات معنىً معيناً بادي الأمر، وقد يكون هذا المعنى عكس ما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه وتعالى، وأوضح مثل حينما تجد أن الإضلال معزوّ إلى الله في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٢٣]

يتبادر إلى الذهن أن الله خلق هذا الإنسان ضالاً في أصل التكوين، وقدّر عليه الضلال، ثم يجعله في جهنم إلى أبد الأبد، مهما حاولت أن تؤول المعنى تشعر بضيق.

إله عظيم غني عن تعذيب عباده، يخلقه ضالاً في أصل تكوينه، ويقدرّ عليه النار إلى أبد الأبد. الحقيقة (أضل) فعل مُتَعَدٍ، ففي اللغة أفعال لازمة، مثل: نام، وغضب، وسرّ، وحزن، هذه أفعال لازمة، وفيها أفعال متعدية، مثل: أعطى، ومنح، و(أضل) فعل متعدٍ، فإذا فهم الإنسان أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أضل عباده، يقول: يا رب كيف أفهم هذه الآية؟!

اختيار الله تعالى للغة العربية لتكون لغة القرآن يفرض علينا فهم حقيقة هذه اللغة :

قال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾

[سورة الكهف: ٢٨]

قد يبدو لك من هذه الآية أيضاً أن الله هو الذي أغفل هذا القلب عن ذكر الله، قد يقول قائل: لماذا يعذبه، وماذا فعل؟ فالله هو الذي أغفل قلبه عن ذكره، وللايضاح أقول: أولاً أيها الأخوة، لا تستطيع

أن تفهم القرآن الكريم بمعلومات متواضعة جداً عن اللغة العربية، لا بد من التعمق في فهم اللغة، لأن اللغة العربية اختارها الله لتكون لغة كلامه، قال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[سورة الزخرف: ٢]

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

[سورة الشعراء: ١٩٥]

فحينما اختار الله سبحانه وتعالى اللغة العربية لتكون لغة القرآن دل ذلك أنه ينبغي أن نفهم حقيقة هذه اللغة، فهل كل فعلٍ متعدٍ يعني أن الفاعل خلق الفعل في المفعول به، أم أن هناك معاني أخرى، فإن كان هناك معانٍ أخرى فالقضية متعلقة بالعقيدة، ولو أن اللغة علاقتها بكلام البشر كانت القضية سهلة، نفهم أو لا نفهم، نؤول أو لا نؤول، لكن القضية متعلقة بكلام الله عز وجل، وكلام الله عز وجل أخطر كلام في حياتنا.

الآيات المتشابهة مهما كثرت تُحْمَلُ على الآيات المحكمة مهما قلت :

مثلاً لو فهمت قوله تعالى:

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

[سورة الشمس: ٨]

على أنه أجبرها على الفجور فهذا اعتقاد فاسد، هذا اعتقاد لا يليق بالله عز وجل، بل ينبغي أن تفهم الآية على أنه ألهمها إذا فجرت أن تدرك أنها فجرت، هذا معنى راقٍ جداً، وإن الله عز وجل خلق النفس على فطرة عالية، فإذا انحرفت تدرك أنها انحرفت، وإذا فجرت تدرك أنها فجرت، وإذا أخطأت تدرك أنها أخطأت، وهذا من خصائص الفطرة، فثمة فرق كبير جداً بين أن تفهم (ألهمها فجورها)، أن الله أجبرها على الفجور ولا ذنب لها، وسيعاقبها، وقد تخلد إلى أبد الأبد في جهنم وبئس المصير، وبين أن تفهم أنه ألهمها فجورها وتقواها، أي أنه رسم لها طريق الخير وطريق الشر ومنحها حرية الاختيار، وأنها حينما تفجر فبفطرتها تعرف أنها تفجر، وحينما تتقي فبفطرتها تعرف أنها تتقي، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾

[سورة القيامة: ١٤]

شتان بين أن تفهم أن الله سبحانه وتعالى عدلٌ في أحكامه، وأسمائه حسنى، وصفاته فضلى، وبين أن تفهم فهماً جبرياً ما أَرَادَهُ اللهُ عز وجل، القرآن الكريم يؤيد بعضه بعضاً، لو فهمت أن الله أجبرها على أن تكون فاجرة، فكيف تفهم قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ١٤٨]

هذه الآية أصل في نفي الجبر، ولو أن هناك مني آية يشم منها رائحة الجبر، يجب أن تُحْمَلِ الآيات المتشابهة على الآيات المحكمة، هذه قاعدة في أصول الفقه، المتشابهات مهما كثرت تُحْمَلِ على المحكمات مهما قلَّت.

التعدي في اللغة العربية :

لو رجعنا إلى اللغة العربية ماذا يعني تعدي الفعل؟ قال علماء اللغة: يعني التَّسْبُبُ، فمعنى أعطاه أي كان سبب العطاء أو الحكم، أضله أي وجده ضالاً، وليس معنى (أضله) أنه خلق الضلال فيه، لا، بل معناه وجده ضالاً، أو القضاء قضى عليه بالضلال، أو الاتهام: وقد يكون بريئاً، أو العلم: علمه ضالاً، هذه كتب اللغة، وهناك شواهد كثيرة.

التعدي في اللغة يعني التسبب، والحكم، والقضاء، والعلم، وأحد هذه المعاني التسبب، فإذا فهمت (أضله الله) بمعنى أنه سبب، أن الله هو الذي سبب الضلالة في المخلوق، أو خلقه ضالاً في أصل التكوين، فقد اتهمت الله بما لا يليق به، فقد ظننت به غير الحق، أي ظن الجاهلية.

أيها الأخوة، أنا لا أبالغ إذا قلت: إنَّ عدداً كبيراً يزيد على الثلثين من بين المسلمين يعتقدون أن الله يجبر عباده على المعاصي، لذلك يقولون: لا ندري أين المصير وبهذا الفهم نعطل آيات العدل، ونعطل آيات الرحمة، ونعطل آيات الكمال، والخطأ في العقيدة خطأ فاحش، لأنَّ الإنسان عندما يحتار لا يبالي، واللامبالاة أحد أسبابها الحيرة، هذه آيات يفهمها الناس أنَّ الله خَلَقَ الإنسان ضالاً في أصل التكوين، وقدر عليه قبل أن يُخْلَقَ أن يكون ضالاً، وسوف يضعه في جهنم إلى أبد الأبد، دون أن يفعل شيئاً، فهو ما فعل إلا أنه نفذ أمر الله، فبين أن تسيء الظن بالله، وبين أن تتعدى عن الله، وأنت لا تدري، وبين أن تظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، وبين أن تنفر نفسك من هذا الدين، وبين أن تفهم الدين فهماً صحيحاً، فهماً قوامه العدل، قوامه الرحمة.

من رأى أن فعل الإضلال معزواً إلى الله فهو تعدية حكم أو قضاء أو علم :

إذا قرأت في القرآن الكريم:

﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾

[سورة النحل: ٩٣]

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ
غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٢٣]

﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

[سورة الرعد: ٣٣]

إذا رأيت فعل الإضلال معزواً إلى الله فإياك أن تفهم أن هذه التعدية تعدية تَسْبُبُ، إنها تعدية حكم، أو تعدية قضاء، أو تعدية علم، واليكم الأدلة:

زار عمرو بن معد يكرب رئيس بني سليم، فأعطاه عشرين ألف درهم وسيفاً، وفرساً، وغلماً خبازاً، وثياباً، وطيباً، فقال عمرو: لله دركم يا بني سليم قائلتها فما أجبتنها، وسألتها فما أبخلتها، وهاجبتها فما أفحمتها، هذا في لسان العرب، وهو معجم من أدق وأوسع معاجم اللغة.

"قائلتها فما أجبتنها"، أي ما وجدتها جبانةً، و"سألتها فما أبخلتها"، أبخلَ على وزن أضلَّ، ما أبخلتها أي ما وجدتها بخيلةً، و"هاجبتها فما أفحمتها"، أي ما وجدتها مفحمةً، بل فصيحة البيان، طليقة اللسان. فالأفعال: أفحم، أجين، أبخل، هل معنى أن عمرو بن معد يكرب خلق البخل عند بني سليم، هذا نص جاهلي، وهذه لغة العرب، وهذا لسان العرب، قال تعالى:

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

[سورة الشعراء: ١٩٥]

ليس كل فعل متعدٍ يفهم منه أن الفاعل سبب المفعول به :

أنت ليس لك الحق على معلومات متواضعة باللغة، على فهم ساذج، على فهم أولي، أن تقول: أضله الله، أي أن الله خلق الضلال فيه، هذا المعنى لا يليق بذات الله، ولا بكماله، ولا بأسمائه الحسنى، ولا صفاته الفضلى، هذا ظن غير صحيح، قال تعالى:

﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٤]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ))

[الترمذي وأبو داود وأحمد عن أبي هريرة]

هل معنى أن يتعدى الفعل إلى المفعول به بمعنى خلق المفعول به؟ معنى ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾

[سورة الضحى: ٦-٨]

أضله: أي وجده ضالاً، أضله: أي علمه ضالاً، أضله: أي حَكَمَ عليه بالضلال، أضله أي قضى عليه بالضلال، أضله في غير القرآن الكريم أي: اتهمه بالضلال، يقال لغة: أُجِبْنَه أي: وَجَدَه جباناً، أو حسيبه، وظنّه جباناً، جَبْنَهُ تجبيناً إذا نسبه إلى الجبن، بَخَلَهُ أي: نَسَبَهُ إلى البخل، وتقول في اللغة العربية: جَبْنَت الرجلَ، وبَخَلْتَه، وجَهَلْتَه إذا نسبته إلى الجبن والبخل والجهل، تقول: جَبْنْتَه، وبَخَلْتَه، وجَهَلْتَه، إذا وجدته جباناً بخيلاً جاهلاً.

ليس كل فعل متعدٍ يُفهم منه أن الفاعل سبب المفعول به، لكن الفاعل وجد المفعول به هكذا، أو حكم عليه، أو قضى عليه.

كلما قرأت في القرآن آية تنسب الضلال أو الغفلة إلى الله فصَحِّحْ مفاهيمك :

الآن أفهم آية في كتاب الله بمعنى أضله: أي وجده ضالاً، أضله حكم عليه بالضلال، ولا تعتقد عقيدة جبرية ما أنزل الله بها من سلطان، فأنت بهذا الفهم الدقيق للغة العرب لا تحتاج إلى تأويل، بل تفهم النصوص بلا تأويل، أضله: أي وجده ضالاً.

الآن تقول لغة: أغفلت الرجل إذا أصبته فوجدته غافلاً، قال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾

[سورة الكهف: ٢٨]

نظر الله إلى قلبه فوجده غافلاً، فالإنسان الضعيف في اللغة قد يفهم "أغفل قلبه" أي: خَلَقَ فيه الغفلة، والفرق كبير جداً بين أن تفهم أن الله خلق الغفلة في القلب، يا رب كيف تحاسبه وأنت الذي أغفلت قلبه عن ذكرك؟ وبين أن تفهم حقيقة اللغة: أغفلت الرجل أي وجدته غافلاً، برأت الرجل أي حكمت أنه بريء، فهل القاضي هو الذي خلق البراءة في الرجل؟ لا، لقد حَكَمَ عليه بالبراءة، فرق كبير بين أن يخلق البراءة وبين أن يحكم عليه بالبراءة.

أنا أضع بين أيديكم ما في معاجم اللغة العربية، وهو درس نادر، درس في اللغة العربية يتحدث عن معانٍ عديدة للتعدية، فكلما قرأت في القرآن آية تنسب الضلال إلى الله، أو الغفلة إلى الله فصَحَّ مفاهيمك، قال تعالى:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٦]

المعنى الساذج مبني على معلومات بسيطة في اللغة العربية، الشيطان بريء، إلا أن الله أغواه، وجعله شيطاناً، فهذه مشكلة كبيرة جداً.

الإثناء على الأفعال الطيبة :

برأته أي حكمت عليه بالبراءة، أغفلته وجدته غافلاً، ألا يقول العلماء: القلب منظر الرب، نظر الله إلى قلبه فوجده غافلاً، فتح أبّ الباب على ابنه فوجده نائماً، نظر إليه فوجده غافلاً، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

[سورة الكهف: ٢٨]

إياك أن تظن أن الله خلق الغفلة في قلبه، هذا لا يليق بالله عز وجل، هذا يتناقض مع رحمة الله، مع المنطق السليم، أغفل: وجده غافلاً، أضل: وجده ضالاً، أحلمت الرجل: إذا وجدته حليماً، أو وصفته بالحلم، وسميته حليماً، الآن خطأت الرجل: هل معنى ذلك أنه خلق الخطأ فيه؟ لا، بل خطأت الرجل إذا حكمت عليه بأنه مخطئ، وهذا شيء نستعمله في الحياة اليومية، خطأ: أي بيّن خطأه، هل معنى خطأه أي: خلق فيه الخطأ، أعوذ بالله، أو أنه أجبره على الخطأ، فلان خطأه، وهذه يستعملها العامة أي: نظرت إلى فعله فرأيتَه خطأً.

صوّبت الرجل أي: حكمت عليه بأنه مصيب، أو وصفته بالإصابة، لهذا يقال: إذا أصببت فصبوني، هناك أشخاص بخلاء إذا رأى أحدهم فعلاً حكيماً دقيقاً يبقى ساكناً، عود نفسك أن تقدّر الناس، إذا وقف إنسان موقفاً راقياً، وعمل عملاً طيباً فأثنى عليه، وبيّن له أنك تقدّره، هذا من صفات المؤمنين، وهذا من كمال الإنسان، وهذا ممّا فعله النبي صلى الله عليه وسلم، إنسان يتلقى آلاف الخدمات، ويبقى ساكناً، فهذا كبر، إنسان فعل فعلاً جميلاً أمامك، أو وقف موقفاً أخلاقياً فمن المفروض أن تثني عليه تشجيعاً له، لأن الحق بيّن والباطل بيّن، وإذا أثبتت على إنسان منحرف أغضبت الله، فإن الله ليغضب إذا مدح الفاسق، عود نفسك كلما رأيت فعلاً جميلاً طيباً أن تثني

عليه، وفي هذا تشجيع له على مواصلة الطريق. خطأت الرجل أي: حكمت عليه بأنه مخطئ، وصوبته أي: حكمت عليه بأنه مصيب، وسوّأت الرجل أي: حكمت عليه بأنه أساء، وعلى هذا يقال: إن أسأت فسوّى علي، أي بلّغني، وانصحنى.

على الإنسان أن يحسن الظن بالله تعالى وألا يفهم اللغة فهماً ضيقاً وساذجاً :

سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ورضي عنه عدّه المؤرخون خامس الخلفاء الراشدين، كان يلازمه عالم جليل، اسمه أبو حازم، قال له: يا أبا حازم كن إلى جانبي دائماً، فإذا رأيتني ضللت فأمسكني من تلايبي، وهزّني هزاً عنيفاً، وقل لي: اتق الله يا عمر، فإنك ستموت، هذه مهمته.

ومعنى الفعل المتعدي قد يعني الاتهام، زناه إذا اتهمه بالزنا، أو حكم عليه قضاءً بالزنا، وقد يكون بريئاً من الزنا.

إذا صار التسبب، الوجود . وجدته ضالاً . الحكم، القضاء، الاتهام، هذه خمس معانٍ من معاني التعدية في اللغة العربية، فكلما قرأت حكماً في اللغة العربية يجب أن تبحث عن المعنى المناسب الذي يليق بكمال الله عز وجل، دون أن تفهم اللغة فهماً ضيقاً وساذجاً، وبسيطاً، وتتهم الله وأنت لا تدري، قال تعالى:

﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ
وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

[سورة الفتح: ٦]

قال تعالى:

﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٤]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ))

[الترمذي وأبو داود وأحمد عن أبي هريرة]

الآن مع فعل (جعل)، من الغباء أن تتوهم أن للكلمة في القرآن معنى واحداً، وأوضح مثل أضعه بين أيديكم فعل (أوحى)، قال تعالى:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾

[سورة الزلزلة: ١-٥]

هذا وحي موجّه إلى الجماد، معنى الوحي هنا الأمر، فإن الله عز وجل أمرها أن تتصاع.

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

[سورة فصلت: ١١]

الله عز وجل أمره كن فيكون، فإذا تعلق الوحي بالجماد فهو الأمر، قال تعالى:

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

[سورة النحل: ٦٨]

أما إذا تعلق الوحي بالحيوان فهو الغريزة، قال تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

[سورة القصص: ٧]

وإذا تعلق الوحي بالإنسان العادي فيعني الإلهام، قال تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

[سورة يوسف: ٣]

وحي جبريل وحي ملك، ووحى رسالة.

يجب أن نفهم الكلمة من السباق و السياق و الحاق :

القاعدة الأساسية أنه لا يمكن أن يكون للكلمة في القرآن معنى واحد، بل لها معنى يُحدّد من السياق، والعلماء يقولون: هناك معنى سباق، ومعنى سياق، ومعنى لاحق، فالكلمة يتضح معناها مما قبلها، مثلاً قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

[سورة الصف: ٢-٣]

(تقولون ما لا تفعلون) كيف نفهمها؟ من اللّحاق، فنحن نفهم الكلمة من السباق، ومن السياق، ومن اللّحاق، أي ما قبلها يلقي عليها ضوءاً، وما بعدها يلقي عليها ضوءاً، وما حولها يلقي عليها ضوءاً، هكذا تفهم اللغة.

نعود الآن إلى (جعل)، تأتي في القرآن الكريم بمعنى الفعل والخلق، وتأتي بمعنى الاعتقاد، قال تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾

[سورة ق: ٢٦]

فلا يمكن فهم (جعل) بمعنى خلق مع الله إلهاً، هل هذا معقول؟ إنه مستحيل، معنى (جعل) هنا أي اعتقد، ومن معاني الجعل هو الخلق، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الروم: ٢١]

هنا (جعل) بمعنى خلق فالموددة والرحمة بين الزوجين من خلق الله، (جعل) حينما تعلقت بالموددة والرحمة بين الزوجين فهي الخلق، أما جعل مع الآلهة الأخرى فهي الاعتقاد.

كلما قرأت القرآن فدقق فما كل فعلٍ يفهم فهماً ساذجاً محدوداً :

قال تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾

[سورة ق: ٢٦]

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

[سورة الأنعام: ١٠٠]

أهم خلقوا الجن؟ لا، وهل اعتقدوا أن الجن لها فعلها في الحياة؟ قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾

[سورة الإسراء: ٣٣]

ليس المعنى (الخلق) ولا (الاعتقاد)، لكن هنا الحكم، ومن قُتل مظلوماً فقد حكمنا لوليه أن يكون ذا سلطان في قتل القاتل.

بمعنى الخلق، الاعتقاد، الحكم، كلما قرأت القرآن فددقق، فما كل فعلٍ يُفهم فهماً ساذجاً محدوداً، كل فعلٍ له معنى سباقى، أو لحاقى، أو سباقى، مثلاً، قال تعالى:

﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾

[سورة النجم: ٣٢]

إنَّ الله عز وجل ينهانا أن نزكي أنفسنا، ثم يقول في آيةٍ أخرى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: ٩]

الفعل نفسه مرة فيه نهى، ومرة فيه أمر، (لا تزكوا أنفسكم) لا تنسبوا لها الصفات الراقية من عند أنفسكم، أما: (قد أفلح من زكاهها): عرّف الله، وعرّف أمره، وحمل نفسه على طاعة الله حتى سمّت فزكّت، فبينهما اختلاف كبير.

الحكم بتركية النفس ليس لنا وإنما هو لله :

قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾

[سورة الأعلى: ١٤]

﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾

[سورة النجم: ٣٢]

لا تحكموا لأنفسكم بأنكم أزكياء طاهرون، والمؤمن إذا زكى إنساناً يقول: ولا أزكى على الله أحداً، هذا علمي به فإنّ بدل وغير فلا علم لي بالغيب، وسيدنا الصديق عندما ولى عمر زكاه بما يعلم فيه، لا تزكوا أنفسكم، كما أنه لا تزكوا على الله أحداً، لا تكن وصياً على الناس، تعطي شهادات حسن سلوك، أنت لست وصياً على الناس، فالحكم بتركية النفس ليس لكم، وإنما هو لله:

﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾

[سورة النجم: ٣٢]

قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾

[سورة الأعلى: ١٤-١٥]

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: ٨-١٠]

قد أفلح من زكاها، أي قد أفلح مَنْ جعل نفسه بإرادته وعمله زكياً طاهرةً من الكفر والمعاصي، هذا فعل (لا تزكوا) (وقد أفلح من زكاها) لا بد من معانٍ مختلفة في الكلمة.

تنزّه وتقدّس الله جلّ جلاله أن يخلق الغواية في نفس الإنسان :

قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

[سورة الحجر: ٣٩]

معنى (أغويتني)، حكمت علي بالغواية، فهذه كلها آيات متشابهات، إذا تلاها الإنسان فليس له إلا أن يعود إلى حقائق اللغة، قال تعالى:

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان: ٥٩]

يأمرك أن تسأل خبيراً، وقال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

فقوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

[سورة الحجر: ٣٩]

أي بما حكمت علي بالغواية، بل نظرت إليّ فوجدتني غاوباً وما حكمت عليّ بالغواية بعد ابتلائي بأمر السجود، فطردتني من رحمتك، هذه مقالة إبليس، وليس معنى هذا أن الله عز وجل خلق فيه غوايةً، فقد تنزّه وتقدّس الله جلّ جلاله أن يخلق الغواية في نفس الإنسان.

الإزاغة الجزائية مبنية على زيغ اختياري :

مما يؤيد هذه المعاني، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة الصف: ٥]

ودخلنا الآن في موضوع ذكرته لكم سابقاً، وهو أن هذا الزيغ الثاني إزاغة جزائية بُنيت على زيغ اختياري، وإضلال جزائي بني على ضلال اختياري، وإليك المثل الذي أذكره كثيراً: طالب في الجامعة لم يدرس، ولم يتقدم للامتحان، لم يشتر الكتب، لم يداوم إطلاقاً، أرسل له الإنذار تلو

الإندازار، نُصِحَ كثيراً، فأصرَّ على موقفه من ترك الجامعة، ثم صدر قرار بترقيين قيده، وفصله من الجامعة، هل هذا القرار إجبار على تركه الجامعة، أو تجسيد لرغبته التي أصرَّ عليها، إنها الإزاعة الجزائئية المبنية على زيغ اختياري.

هذا الكلام اللغوي مهم جداً فيما يتعلق بالقرآن الكريم، لأنه كلام الله، ومنه تؤخذ العقيدة، فلو لم تفهم معنى الكلمات في أصل اللغة لآتهمت الله بأنه خَلَقَ الزيغ، وخلق الغواية، وخلق الغفلة، وخلق الضلال، لماذا خلقنا إذا؟ خلقنا ليضل أنفسنا عن سبيل الله؟ حاش الله، وكلا، أفخلق فينا الضلال، وخلق فينا الغواية، وخلق فينا الغفلة، ونهانا أن نزكي أنفسنا؟ هذا المعنى الساذج لهذه الآيات. أيضاً قوله تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾

[سورة الكهف: ٢٨]

أي لا تطع من وجدنا قلبه غافلاً عن ذكرنا فَحَكَمْنَا عليه بأنه غافل.

سبب السعادة الكبرى هذه المشيئة الحرة في نفس الإنسان :

قال تعالى:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة التكوير: ٢٩]

يقول لك بعضهم: الأمر له، حقاً الأمر له، ولكن أنت مخير، والله عز وجل حينما خلق الإنسان، وأعطاه حرية الاختيار، قال تعالى:

﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٦]

أي لولا أن الله شاء لكم أن تكونوا أصحاب مشيئة حرة لما شئتم، وسبب السعادة الكبرى هذه المشيئة الحرة في نفس الإنسان، ولولا أن الله خلق هذه المشيئة الحرة لما أمكنكم أن تختاروا الخير، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، لا بالمعنى الجبري، بالمعنى الإحساني، أي خلق الله سبحانه وتعالى في الإنسان حرية الاختيار، فاختار الله ورسوله، فسعد بالدين والآخره، نقول له: لولا أن الله خلق

الإنسان بشكل يختار لما سعد بهذا الاختيار، الله صاحب الفضل، لذلك كل الفضل منسوب إلى الله، وكل الشر منسوب إلى الإنسان، فَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((وَأَصْرَفُ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبِيبٌ وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))

[مسلم عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الهداية لا بتقييم الناس بل بتقييم الله :

هذه آية أخرى قال تعالى:

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٧٨]

(من يهد الله) أي من يحكم الله له بالهداية فهو المهتدي حقاً، الهداية لا بتقييم الناس بل بتقييم الله، كل إنسان يدعي الهدى، كل إنسان يدعي أنه على حق، وهو المفلح، هو الناجح، هو المتفوق، هو الذي اختار الصحيح، لا، بل مَنْ يَهْدِ اللهُ، أي من يحكم الله له بالهداية فهو المهتدي، المهتدي بتقييم الله له لا بتقييم الناس، هناك أشخاص كثيرون أذكيا، ينتزعون إعجاب الناس، لكنهم ليسوا على حق، أحياناً يكون الإنسان تاجراً لطيفاً، لسانه أظلم من العسل، ينتزع إعجاب الناس، لكن العبرة أن تكون مهتدياً عند الله، وليس معنى هذا أن الله خلق الضلالة والهداية في الإنسان، لكن مَنْ وَجَدَهُ اللهُ ضالاً فهذا هو الضلال الحقيقي، وَمَنْ حَكَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالِ الْحَقِيقِيِّ فَهُوَ الضَّالُّ.

المعنى: من يحكم الله له بالهداية فهو المهتدي حقاً، لأنه هو حقاً العليم بقلوب العباد وما فيها من هداية وضلال، فإذا حكم الله بالهداية فحكمه الحق، وكذلك من يحكم الله عليه بالضلالة فهو الضال حقاً، ولن تجد له من دون الله ولياً ينصره فيحكم له بالرشاد وينجيه من عذاب الله.

الإنسان الجاهل يفهم آيات القرآن الكريم فهماً ما أَرَادَهُ اللهُ :

أحياناً وعاظ كثيرون، وخطباء كثيرون يقعون في مزلق يعطي المستمعين فكرة غير صحيحة عن الله عز وجل، فماذا يقولون؟ يقول أحدهم: إن هؤلاء الكفار مفسطرون على الشر أو على الكفر، هذا من فساد فطرتهم، هذا من خبث فطرتهم، هذا من جِبِلَّتِهِمُ السَّيِّئَةِ، هذا كلام أدبي، ولكنه غير علمي، فإذا كان الكافر له جبلة سيئة، فطرة سيئة، فمن خلق فيه هذا السوء؟ الجواب: الله، لكن الله ما قال هذا، قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الروم: ٣٠]

الشرح الإلهي ليس هكذا، قد يكون الخطيب منفعلًا، فيقول لك: فطرتهم خبيثة، فمن فطرتهم هذه الفطرة الخبيثة؟ الناس في الأصل خيرون جميعاً، سيارة من أرقى ماركات، قادها إنسان سكران، نزل بها في الوادي فتحطمت، لو قال أحدهم: أهكذا يصنع المعمل السيارة؟ نقول له: لا، هذا من أثر من قادها وهو سكران، هي جميلة جداً، خطوطها انسيابية، لماعة، براقعة، مريحة، أما هذا الوضع الأخير فبسبب من قادها.

أحياناً الإنسان يفهم الآية فهماً ما أراد الله، قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٢]

يكفي أن تتقي الله حتى ينساب العلم إلى قلبك، وفي حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ))

[البخاري عن حميد بن عبد الرحمن]

كيف نفهم الآية والحديث، (إنما) أداة قصر وحصر، طريق العلم وحده هو التعلُّم والدراسة، أن تجلس في مجلس علم، أن تقرأ، أن تصغي، أن تذاكر، أن تراجع، ولو أن المعنى الذي تريده من الآية هكذا لقال الله عز وجل: واتقوا الله يعلمكم الله، بالطلب وجوابه، ولكن الله تعالى قال:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٢]

ما من وسيلة إلا علم الله سبحانه وتعالى الإنسان بها :

لَمْ لَا تَتَّقُونَ اللَّهَ؟ لأن الله يعلمكم، علمكم بالكتاب، علمكم بالسنة، علمكم بالعلماء، بالحواس، بانقباض النفس، علمكم بالرؤى، وما من وسيلة إلا علمكم الله سبحانه وتعالى بها، فلم لا تتقون الله؟ هذا معنى الآية الصحيح، أما المعنى الذي يفهمه الناس فهماً ساذجاً، واتقوا الله يعلمكم الله، جواب الطلب مجزوم، بهذه الصيغة يكون المعنى: يكفي أن تتقي الله حتى يأتيك العلم الدقيق بلا جهد، فهذا المعنى ليس له أصل في اللغة، واتقوا الله، لأن الله يعلمكم، لم لا تتقون الله، والله يعلمكم؟ فبين إنسان يفهم الآية فهماً خاطئاً، ويقعد مرتاحاً لا يطلب العلم، وبين آخر يفهم الآية فهماً دقيقاً، كما

ورد في لغة العرب، فينطلق منه إلى طاعة الله لأن الله يعلمه، أشياء كثيرة من هذا القبيل. وقد مرّ معنا في درس الصباح، قال تعالى:

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

[سورة الشعراء: ٢٠-٢٢]

هذه صيغة استفهام بلا أداة استفهام، من أندر الأمثلة، لو أنك فهمت الآية: قال فعلتها . سيدنا موسى . وأنا من الضالين، ليس معقولاً أن يكون النبي ضالاً، لأنه هذا يتناقض مع مهمة النبوة، قال: فعلتها وأنا من الضالين، وتلك نعمة تمنُّها علي أن عبدت بني إسرائيل، هكذا الآية، بل عندما خاطبَ فرعون: وأنا من الضالين، جملة استفهامية بلا أداة استفهام، هكذا تكلمت العرب، والتقدير: أو أنا من الضالين حتى أفعالها.

الضعيف في اللغة العربية ليس له حق أن يفهم القرآن فهماً ذاتياً إلا أن يسأل :

لما تفقّد سيدنا عمر الرعية في الليل، هكذا يُروى عنه، ورأى امرأة جاءها المخاض وليس عندهم طعام، فعاد إلى بيت المال، وحمل على كتفه كيس طحين، فقال له غلامه: أنا أحمله عنك، قال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟

لو فهمناها على أنها تقرير لكان المعنى فاسداً، أي أنت يا غلام تحمل وزري يوم القيامة، وهذا المعنى مستحيل، فالإنسان إذا كان ضعيفاً في اللغة فلا بأس، ولكن ليس له حق أن يفهم القرآن فهماً ذاتياً، إلا أن يسأل، لأن الله قال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: ٤٣]

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان: ٥٩]

إذا الإنسان فهم فهماً ساذجاً لضعف لغته بأن الله خلق الضلال والغواية والغفلة في الإنسان، ونهاه عن أن يزكي نفسه، "فلا تزكوا أنفسكم"، ثم يقول الله: قد أفلح من زكاه، فهذه لا تكون جملةً صحيحةً، ولا مستقيمةً.

كلما ارتقى إيمان الإنسان تألم للذنب ألماً شديداً :

هذه من أدقّ الآيات فأعرضها على مئة إنسان، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

[سورة السجدة: ١٣]

هذه الآية لو فهمتها على ظاهرها لرأيت أن الله سبحانه وتعالى كيف تعبده وقد أراد لعباده الضلال؟ أراد لهم جهنم؟ لا، يا عبادي، أنتم تتوهمون أنني أجبركم على المعاصي، لو أنني كنت مجبركم على شيء ما لما أجبرتكم إلا على الهدى. ولو شئنا أن نجبركم لآتينا كل نفس هداها، ولكن أعمالكم باختياركم، لذلك سوف تلقون جزاءها. وحتى في السنة هناك مثل هذه العبارات، مثلاً: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

[مسلم عن أبي هريرة]

المعنى: هذا الذي لا يحس بذنوبه ميت يستحق الهلاك، أما الذي في الحياة فإذا أذنب لا ينام الليل، أي أن فيه حياة، أحياناً ابتساماً لا تجعله ينام الليل، كذلك كلمة غير مدروسة، فعن عائشة قالت: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ: مَا يَسْرُنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةً وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ:

((لَقَدْ مَرَجَّتْ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَرَجَّتْ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُرَجَّ))

[الترمذي وأبو داود عن عائشة]

كلما ارتقى إيمان الإنسان تألم للذنب ألماً شديداً، بل إن الذنب عند المؤمن كالجبل جائماً على صدره، والذنب عند المنافق كالذبابة.

نحن نريد أن نفهم القرآن والسنة فهماً وفق قواعد اللغة التي نزل بها القرآن، لذلك قال سيدنا عمر: تعلموا العربية فإنها من الدين.

كلما صحت العقيدة صحَّ العمل :

آخر ما في الدرس، قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الروم: ٣٠]

كما قال عليه الصلاة والسلام:

((كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُغْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا فَأَبْوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وفي الحديث القدسي عن عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته:

((إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي فِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَأَضَلَّتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا))

[مسلم عن عياض بن حمار]

فإذا أخذ الخطيب الحماس، وقال لك: هؤلاء ينطون على فطرة خبيثة، على جبلة سيئة، فهذا كلام فارغ، كلام خطابي، وليس كلاماً علمياً، قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبُّهَا لِنِ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٩]

بنية واحدة، فطرة واحدة، جبلة واحدة، أصل الخلق فطرة عالية، أساسها النقاء، والصفاء، كلما صحت العقيدة صحَّ العمل، وتحب الله أكثر لأنك تحسن الظن به، وأخطر شيء أن تسيء الظن بالله عز وجل، وتظن به غير الحق ظن الجاهلية، قال تعالى:

﴿ وَيَعْدِبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

[سورة الفتح: ٦]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ))

[الترمذي وأبو داود وأحمد عن أبي هريرة]

محور الدرس وخلاصته: إذا قرأت آية قرآنية، أو حديثاً صحيحاً، وتوهمت معنى لا يليق بالله عز وجل، فهذا لضعف في لغتك، اللغة العربية واسعة جداً، وممتعة جداً، وكلما تعمقت فيها فهمت من خباياها وأسرارها ما لا سبيل إلى وصفه، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى اختارها لغةً لكلامه.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٠٨) : معاني الفعل في القرآن الكريم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠٩-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض معاني التعديّة :

أيها الأخوة المؤمنون، في الدرس الماضي تحدثت عن بعض المعاني الدقيقة التي يعبر بها عن تعديّة الفعل، ورأيتم كيف أن الإنسان إذا فهم حقيقة لغته العربية، ثم قرأ القرآن الكريم يفهم المعنى الذي أراده الله صواباً، أما إذا كان ضعيفاً في فهمه لقواعد اللغة، ولأسرارها، ولمدلولات ألفاظها، فقد يفهم عكس المعنى الذي أراده الله، فإذا فهم عكس المعنى الذي أراده الله قد يقع في سوء ظن بالله، قد يظن بالله غير الحق ظن الجاهلية.

وقد ضربت على ذلك أمثلة كثيرة، حيث إن من معاني تعديّة الفاعل إلى المفعول به ليس الخلق فحسب، بل الوجدان أيضاً، أبخلته أي: وجدته بخيلاً، أغويته أي: وجدته غاوياً، أغفلته أي: وجدته غافلاً.

من معاني التعديّة الوجدان، ومن معاني التعديّة الحكم، ومن معاني التعديّة القضاء، ومن معاني التعديّة الاتهام، هذه بعض المعاني.

فلو قرأت آية وبدا لك لأول وهلة أن كمال الله عز وجل لا يتناسب مع هذا المعنى، فهل يعقل أن الله سبحانه وتعالى يخلق في نفس الإنسان الغفلة، وقد خلقه ليعرفه، خلقه ليرحمه، وهل يعقل أن يخلق الله في نفس الإنسان الضلال؟ فإذا قال الله: أضله الله، كان المعنى: وجده ضالاً، نظر إليه فوجده ضالاً، فهل يعقل أن يخلق الله في نفس الإنسان الغواية؟ لا، ثم لا، بل نظر إليه فوجده غاوياً، وهكذا.

أخوة كثر تأثروا كما قالوا لي تأثراً بالغاً من الدرس السابق، لأنهم اتجهوا اتجاهاً آخر، لأن هذه اللغة لها أسرار، ولها قواعد، وحينما نعلمها علماً صحيحاً، أو حينما نعرفها معرفةً صحيحةً فماذا فعلنا؟ فهمنا كلام ربنا، وأحسننا الظن به، وازداد حبنا له، وانطلقنا إلى العمل الصالح، لذلك أتابع هذا الموضوع في هذا الدرس.

معاني الفعل في القرآن الكريم :

لدينا موضوع جديد، وهو معاني الأفعال، الدرس الماضي كان معاني تعديّة الأفعال، اليوم موضوع الدرس: معاني الفعل في القرآن الكريم.

أول معنى من معاني الفعل وقوع الفعل، قال تعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

[سورة النصر: ١-٣]

(جاء) بمعنى وقع، هذا اليوم جاء، أي وصلنا إليه، إلا أن اللغة دقيقة جداً، إذ نستخدمها كثيراً، لكن لها معانٍ دقيقة هذه، فكلمة (إذا) فيها معنى الظرف، وفيها معنى الشرط، وفيها معنى الاستقبال في آن واحد، والإعراب التقليدي لها: ظرف لما يستقبل من الزمن، خافض لشرطه، متعلق بجوابه، مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان.

لكن إذا قرأت الآية الكريمة،

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

تجد أنّ العلماء قالوا: (إذا) تفيد تحقق الوقوع، فإذا قال الله عز وجل:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

فنصر الله لا محالة آتٍ فاطمئن، ونحن في أمس الحاجة إلى هذا المعنى.

أحياناً الإنسان لحكمة أرادها الله عز وجل يرى أن المسلمين ضعاف في العالم، وأن أعداءهم أقوى جداً، وأنهم يكيّدون لهم بكل وسيلة، فإذا كنت مع الله عز وجل لا يمكن أن يتخلى الله عنك، وقد مرّ معنا في درس سابق آية كريمة، قال تعالى:

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾

[سورة النحل: ٧٩]

أولاً الآية التي وجهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن توجه إلينا، لكن بقدر إيماننا، فإذا خاطب الله النبي بقوله:

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾

[سورة النحل: ٧٩]

وأنت أيها المؤمن إذا كنت مستقيماً، إذا كنت متبعاً لسنة النبي، وإذا كنت محباً لله عز وجل، مخلصاً له، لا تخش أحداً، فتوكل على الله، هناك معنى يسميه العلماء: ما بين السطور، معنى

ضمني، أنّ الله لا يتخلى عن المؤمنين، فإن كنت مؤمناً صادقاً فتوكل عليه فهو لا يتخلى عنك، فتوكل على الله إنك على الحق المبين، وما دمت على الحق المبين فإن الله لا يخذلك.

مؤثرة مرضاة الله وطاعته يخضعك الله لمنظومة قوانين أخرى :

لدينا نقطة دقيقة جداً، أرجو الله أن يمكنني من توضيحها لكم، في أثناء حركة الحياة نستتبط قوانين، من هذه القوانين المستتبطة من حركة الحياة مثلاً: إذا ملك الرجل مئة ألف ثم أنفقها فعندئذٍ يغدو بلا شيء، وإذا أقرض إنسان مئة ألف، ثم استردها بعد عام خسر في المئة سبعة عشر، وهذه نسبة التضخم النقدي، الحسابات الأرضية: الإقراض خسارة، والإنفاق خسارة، لكن الإنسان حينما يضحى بماله في سبيل مرضاة ربه، يخضعه الله لمنظومة قوانين جديدة:

((ما نقص مال من صدقة))

[ابن المنذر عن أبي سلمة]

قال تعالى:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

[سورة البقرة: ٢٧٦]

أنت بحسب قوانين الأرض، بحسب القواعد المستتبطة من حركة الحياة إنفاق المال خسارة، فإذا أثرت مرضاة الله عز وجل على ما بيدك من المال، إكراماً لك، ومكافأة لك، وتشجيعاً لك يخضعك الله لمنظومة قوانين جديدة أخرى، وخالصة هذه القوانين أن الله سبحانه وتعالى يربي لك هذا المال، وينميه لك بالعناية الإلهية المباشرة.

الحجاج بطّاش، وقتل الإنسان عنده سهل جداً، الإمام الحسن البصري أدى أمانة العلم، ولم يعبأ ببطشه، فبحسب القوانين المستتبطة من حركة الحياة ينبغي أن يُقتل، وبالفعل أمر بقتله واستدعاه، لكن حينما ضحى بكل شيء يملكه من أجل أداء أمانة العلم، أخضع الله عز وجل الإمام الحسن البصري إلى قانون آخر، فألقى في قلب الحجاج تعظيمه، وإكباره، وكأن الله سبحانه وتعالى قلب قلب الحجاج بين أصبعيه، فغدا معظماً، محبباً، ورحب به، وأجلسه على سريره، وعطره، وضيّفه، واستفتاه، وودعه. فهذه نقطة مهمة جداً، فحين يبدو لك من قوانين الأرض أنك إذا أطعت الله عز وجل سوف تخسر، لكن لو أنك ضحيت بمصالحك في الدنيا وأطعته يخضعك الله لمنظومة قوانين أخرى، عندئذٍ تريح.

أولُ معاني (إذا): تعني لتحقيق الوقوع، أما حينما يقول الله عز وجل:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَادِمِينَ ﴾

[سورة الحجرات: ٦]

هل تفيد (إن) التحقق؟ لا، بل تفيد الاحتمال، قد يأتي وربما لا يأتي، أول نقطة في الدرس يجب أن تفرق بين (إن) وبين (إذا)، (إذا) ظرف وشرط واستقبال، إذا اقترنت بالفعل فهو لا محالة آتٍ، أما (إن) فهي تفيد الاحتمال، فقد يقع الفعل وربما لا يقع.

من معاني الفعل في القرآن الكريم المشاركة على الشيء، فحينما قال الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: ٢٣١]

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾

الأجل هنا العدة، إذا بلغت المرأة عدتها ملكت نفسها وأصبحت في حل من عقد الزواج ولن يستطيع زوجها أن يعيدها إليه إلا بعقد جديد ومهر جديد، هل معنى (بلغن) هنا أن الفعل وقع، أي العدة انتهت؟ لا، معنى (بلغن) هنا ليس أن يقع الفعل، بل اقترب وقوع الفعل.

الطلاق السني :

أخواننا الكرام، أحياناً الدين مع امتداد الأمل يضعف فهمه في نفوس الناس، أحياناً يُفَرِّغ من مضمونه، وقد شرع الله عز وجل الطلاق، ولكن الطلاق السني غير الطلاق البدعي. الطلاق السني، لو اختلف الزوجان، وحلف الزوج بالطلاق، تبقى عنده في بيته، تأكل معه، وتشرب معه، وتترين له، فإذا كانت هذه اليمين فيها طابع التسرع، ولسبب صغير غير كبير، فسريراً ما يندم الزوج، وبمجرد أن يضع يده عليها، أو يقول لها: راجعتك، عادت إليه، وانتهى الأمر، أما إذا مضى القرء الأول، والقرء الثاني، والقرء الثالث، أول حيضة، وثاني حيضة، وثالث حيضة، ولم يراجعها عندئذ ملكت نفسها، وطلقت تطلقاً واحدة، وهذه التغطية هي البيونة الصغرى، يمكن أن يعيدها إليه بعقد جديد.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾

أي اقترب بلوغ أجلهن، فأمسكوهن بمعروف، أو طلقوهن بمعروف، إما أن تبقيا وفق الأصول، ووفق القواعد، وإما أن تسرحها، فإذا دخلت إلى الحمام، وأرادت أن تغتسل من القرء الثالث، فحينما تسكب على نفسها أول وعاء من الماء مَلَكَتْ نفسها، أما قبل أن تفعل هذا فأنت الذي تملكها، تعيدها بكلمة، أو تعيدها بلمسة وانتهى الأمر، الفعل هنا في القرآن لا يعني أنه وقع بل يعني أنه اقترب من الوقوع. عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اَقْرَبُوا يَسَ عَلَى مَوْتَاكُمْ))

[أبو داود وابن ماجه وأحمد عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ]

على الذي مات؟ لا، بل على الذي يشارف على الموت، وهو في النزاع الأخير اَقْرَبُوا عليه يس، كما قال عليه الصلاة والسلام، هذا المعنى الثاني.

٣ الفعل في القرآن الكريم له معنى آخر وهو إرادة الشيء :

الفعل في القرآن الكريم له معنى ثالث، أول معنى الوقوع، والمعنى الثاني المشاركة على الوقوع، والمعنى الثالث إرادة الشيء، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

[سورة النحل: ٩٨]

هل بعد أن تقرأ تستعيز بالله؟ لا، إذا أردت أن تقرأ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، إذا إِمَّا أَنْ يُعَبَّرَ الفعل عن وقوع الحدث، أو عن اقترابه، أو عن إرادته فقط.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

[سورة المائدة: ٦]

إذا أردتم أن تصلوا فاغسلوا أيديكم، ذكرت لكم من قبل أن علماء الأصول هم في قمة سلم العلم، بل إن العلماء العاديين أمام علماء الأصول عوام، لأن علم الأصول أخطر ما فيه أنه قواعد قطعية الدلالة، نفهم في ضوءها الأحكام الشرعية، قال الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

[سورة المائدة: ٦]

ليس هناك خلاف في حدود الوجه، من منبت الشعر إلى أسفل الذقن، ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن الأخرى، هذا هو الوضوء، أما هنا فكلمة (يد) احتمالية، يُفهم منها الكف والساعد والمرفق.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

[سورة المائدة: ٦]

جاء هنا التحديد، الوجه ليس مختلفاً على حدوده، مطلق، أما اليد فمختلف في حدودها، فجاءت مقيدة بالمرافق، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

[سورة المائدة: ٦]

الباء هنا زائدة، أي امسحوا رؤوسكم، أهي باء الإلصاق أم باء التبعية؟ هنا الاجتهاد، هذه الباء في قوله:

﴿ بِرُءُوسِكُمْ ﴾

تحتل معنى الإلصاق، أي ألصقوا أيديكم برؤوسكم، وتحتل معنى التبعية، امسحوا بعض رؤوسكم، وتحتل أنها زائدة أي: وامسحوا رؤوسكم، ولكن رحمة الله عز وجل واضحة جداً في هذه الآية، في الشتاء هناك ماء بارد، وليس كل بيت فيه ماء ساخن أو دافئ، فلو أمرنا الله عز وجل أن نغسل رؤوسنا، وشعورنا فإن احتمال المرض يصير كبيراً جداً، لكن أن تمسحوا برؤوسكم، أو أن تمسحوا كل رؤوسكم في الصيف، أو أن تعدها زائدة، والمعنى: أن تمسحوا رؤوسكم كلها، إذاً الاحتمالي في رحمة دائماً، والاختلاف في اجتهاد المجتهدين رحمة للخلق، وامسحوا برؤوسكم، ثم انظر إلى دقة اللغة في قوله:

﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾

فأرجلكم معطوفة على

﴿ وَجُوهَكُمْ ﴾

﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

أيضاً صار هناك تحديد، وبالمناسبة كان من الممكن أن تأتي الأحكام الشرعية في القرآن الكريم قطعية الدلالة عندئذ لا اختلاف، ولا اجتهاد، ولا استنباط، ولا مذاهب، ولكن الله سبحانه وتعالى شاءت حكمته أن تأتي الآيات القطعية في الدلالة لتغطي الثابت في الإنسان، وأن تأتي الآيات

الظنية الدلالة لتكون متسعاً ورحمة للناس، فحينما يأتي نص قرآني احتمالي الدلالة فالله سبحانه وتعالى أراد كل هذه الاحتمالات.

الفرق بين الآيات القطعية الدلالة والآيات الظنية الدلالة :

لعلي لم أوضح تماماً معنى نص احتمالي ونص قطعي، ولنضرب مثلاً: أعطِ فلاناً ألفاً وخمسمئة درهم، فهل هذه قضية تحتل شكاً؟ اعرض هذا النص على ألف إنسان لن تجد خلافاً، إذاً هذا نص قطعي الدلالة، أما أعطِ فلاناً ألف درهم، ونصفه، فهذا النص احتمالي الدلالة، يا ترى ألف وخمسمئة، أو ألف ونصف درهم؟ وقد ذكر لي أخ في مجمع اللغة العربية أن متعهداً قام بمشروع ضخم لجهات حكومية، فلما انتهى المشروع، وسلمه لأولي الأمر حذفوا له خمسمئة ألف ليرة، لأنه وضع أشياء ليست من الدرجة الأولى، حَزَمَ، وأقام دعوى، وأحيلت هذه الدعوى إلى مجمع اللغة العربية، وفي الشروط كان عليه أن يقدم المواد من أجود الأنواع، هم فهموها (أجودَ الأنواع)، المواد ليست أجود الأنواع، لكنها من أجود الأنواع، فالخلاف على معنى (من)، أحيل الموضوع على مجمع اللغة العربية لتحديد معنى (من)، فلما أجاب المجمع بأن (من) تعني التبويض، ولا تعني الإطلاق كسب الدعوى، واسترد خمسمئة ألف ليرة، بسبب معنى (من)، التي تفيد التبويض، مثلاً أنت تقرأ القرآن قولَه تعالى:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة نوح: ٤]

لماذا قال الله: (من)؟ لأن هناك ذنباً لا تُغْفَرُ، فما كان بينك وبين العباد لا يُغْفَرُ إلا بالأداء أو المسامحة، فإمّا أن تؤذي، وإمّا أن يسامحك خصمك، أمّا ما كان بينك وبين الله فإن الله يغفره، فجاءت الآية الكريمة:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة نوح: ٤]

فأنت لتتنبه لهذا، (من) للتبويض.

٤ . المعنى الرابع توقع الفعل :

أول معنى: وقوع الفعل، المعنى الثاني: اقترابه، المعنى الثالث: إرادته، المعنى الرابع: توقعه، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: ٧٨٢]

الفعل (خاف) لا وقوع، ولا اقتراب، ولا إرادة، ولكن: توقع، توقع الشيء عبر عنه بالفعل خاف. إذا فهم الإنسانُ الأفعال على معنى واحد يكون فهمه سقيماً وعلياً ومختلاً، قال تعالى:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

[سورة الأنفال: ٥٨]

هل خاف النبي؟ لا، وهل اقترب من الخوف؟ لا، وهل أراد الخوف؟ لا، لكنّه توقع الخوف، وهذه القصة معروفة عندكم، يوم نقض بعض المشركين عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فنذب إليهم عهدهم، وخشي كفار قريش أن يتوجه إليهم محارباً، فأرسلوا أبا سفيان زعيمهم إلى المدينة المنورة ليسترضي النبي عليه الصلاة والسلام، فأبو سفيان من له من الأقباء في المدينة؟ ابنته زوجة رسول الله، أم حبيبة، فدخل عليها وعلى الأرض فراش، فجلس عليه فأزاحته، وطوته، وأبعدته عنه، فلم يفهم صنيعها هذا، قال: يا بني، أرغبت بي عن الفراش، أم رغبت بالفراش عني؟ فقالت: إنه فراش رسول الله، وإنك مشرك نجس. هذا هو الولاء، وعندما ضعف الولاء في المسلمين، وضعف البراء، واختلطوا بغير المسلمين، أو بغير المؤمنين، أو بغير الطائعين تلوثوا، فضغفت همتهم، وضعفت عزيمتهم.

٥ . المعنى الخامس القدرة على الشيء :

المعنى الخامس: القدرة على الشيء، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: ١٠٤]

الله ما طوى السماء، قال: يوم نطوي السماء، إنا كنا فاعلين، أي إنا كنا قادرين على أن نفعل هذا، فمعنى الفعل هنا القدرة عليه، فصارت معاني الفعل: وقوع الشيء، ومقارنته، ثم إرادته، ثم توقعه، ثم القدرة عليه.

الحقيقة عندما قال سيدنا عمر: تعلموا العربية فإنها من الدين، وهذا الكلام بليغ، هذا الكلام خطير، لأنه بقدر فهمك البليغ للقرآن الكريم يغدو فهمك لأحكام الله عز وجل صحيحاً.

المياه العذبة والمالحة من نعم الله الدالة على عظمته :

قال تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنَ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنَ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر : ١٢]

من الممكن للإنسان أن يركب البحر، ويموت عطشاً، وهو على أكبر كتلة مائية في الأرض، البحر أربعة أخماس اليابسة، وفي البحر أماكن عمقها اثنا عشر ألف متر، ومع ذلك يمكن أن يموت الإنسان عطشاً وهو على ظهر سفينة في البحر، فلذلك:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنَ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنَ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر : ١٢]

المؤمن كلما شرب كأس ماء يجب أن يتذكر أن الله سبحانه وتعالى هو الذي حلّى لنا هذا الماء، وجعله عذبةً فراتاً بعد أن كان ملحاً أجاجاً، ولا تزال نظريات ملوحة البحار موضع شك وأخذ وردّ، هناك بحيرات عذبة في الأرض نشرب ماءها، وبحيرات مالحة، البحر الميت أشد البحار ملوحةً، وفي الكون بحيرات عذبة، والبحار كلها مالحة.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنَ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنَ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر : ١٢]

٦ . المعنى السادس الاستمتاع بالشيء :

أيها المؤمنون، هل ثمّة رجل يلبس حليّة؟ هل هنا معنى الفعل (تلبسونها) أنه وقع؟ لا، اقترب؟ لا، أردناه؟ لا، توقعناه؟ لا، قدرنا عليه؟ لا، معنى الفعل هنا استمتعنا به، هذه الحلي تلبسها زوجاتكم لكم، فتستمتعون أنتم بها، فالحلي مؤداها للأزواج، لذلك قال تعالى:

﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنَ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر : ١٢]

أي تستمتعون بها، وهي على أعضاء زوجاتكم، قال تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنَ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنَ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر : ١٢]

سمعت عن طريق أنشئ في البحر بين السعودية والبحرين كلف أرقاماً فلكية، كلف ميزانيات دول، لو أردنا أن ننشئ طرقاً في البحار لم يكن شيء اسمه ملاحه، لكن الله عز وجل جعل من

خصائص هذا الماء أن يدفع الأشياء إلى الأعلى، فمثلاً احمل دلواً و املاه ماءً، ضعه في البحرة يذهب منه نصف وزنه، أو ثلثا وزنه، لماذا؟ لأنّ الماء دفعه نحو الأعلى، هذا مبدأ أرخميدس، لولا هذه الظاهرة في الماء لما كانت هناك ملاحه بحرية، الآن يمخر البحار سفن تحمل مليون طن، كأنها مدن، واليابان تفتقر إلى المواد الأولية أشد الافتقار، هناك سفن لليابان تأخذ المواد الأولية من الستانلس من أستراليا، وتصنّعها في طريقها إلى الشرق الأوسط، وتسلمها في موانئ دول هذه المنطقة، كانت معادن جاهزة، وفي الطريق صنّعت، لولا قانون أرخميدس لما استفدنا من هذا، لأنه طريق أرضي يحتاج إلى ألوف الملايين هذا الجسر كلف فيما أذكر ميزانيات دول، وهو خمسة وعشرون كيلو متر بين السعودية والبحرين في البحر، قال تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة فاطر : ١٢]

جعل الله السفن همزات وصل بين البحار، وجعل الملاحه طريقاً ميسراً.

هناك حالتان لا بد للزوج أن يعتد فيهما :

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

[سورة الأحزاب : ٤٩]

العدة من يعتدها، الزوج أم الزوجة؟ هنا في الآية الزوج، وهذه مسألة فقهية لطيفة، ليس لها علاقة بدرسنا، هل يمكن للزوج أن يدخل في العدة؟ لا يمكن إلا في حالتين؛ لو أنه طلق زوجته، وخطب أختها هل يستطيع أن يدخل بأختها قبل أن تمضي عدة زوجته الأولى؟ إن لم تمض يكون قد جمع بين الأختين، ويكون مخالفاً لقول الله عز وجل، فلا بد أن يدخل في عدة، و ينتظر أربعة أشهر وعشرة أيام حتى يسمح له بالدخول على أختها، أو لو أنه خطب عمتها، أو خالتها، وهذه حالة نادرة على الرجل أن يدخل في العدة أيضاً، أو لو أن في عصمته أربع نساء، وطلق إحداهن ليتزوج أخرى، فلو تزوج الأخرى مباشرة يكون قد جمع بين خمس زوجات، فيكون حينئذ مخالفاً لنص القرآن الكريم.

إذاً هناك حالتان لا بد للزوج أن يعتد فيهما، ولكن في هذه الآية معنى آخر، ذلك أن المرأة أحياناً

قد تكتم ما في بطنها من حمل، لكن الزوج هو المسؤول، الزوج هو القيوم على تنفيذ العدة، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٤٩]

إذا عقد إنسان قرانه على فتاة، ولم يدخل بها فلا عدة لها إذا طلقها، إلا أن العلماء جميعاً قالوا: إذا أعلق الباب، وأرخی الستار، ولو لم يدخل بها وجب عليه كل مهرها، وهذا حكم شرعي.

٧ بالمعنى السابع أن الفعل لم يقع إطلاقاً ولكنه سيقع يوم القيامة :

أحياناً يأتي الفعل في القرآن الكريم من غير أن يقع، ولا شارفنا على وقوعه، ولا أردناه، ولا قدرنا عليه، ولا استمتعنا به، بمعنى آخر، الفعل لم يقع إطلاقاً، ولكنه سيقع يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة المائدة: ١١٢]

هذا الفعل جاء في الماضي، والفعل لم يقع، ولن يقع إلا في المستقبل يوم القيامة، ومن بلاغة القرآن الكريم أنه يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي، مثلاً قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة المائدة: ١١٢]

المعنى أنه ما أتى، هذا معنى آخر من معاني الفعل في القرآن الكريم، لذلك فالإنسان المسلم إذا له أحد احتمالين؛ إما أنه ضليع في اللغة العربية، يفهمها فهماً عميقاً، ويعرف مدلولات الألفاظ، ويعرف قواعدها، ويعرف فقهها، أو أن يسأل به خبيراً، أو أن يسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم، لكن أخطر شيء أن تكون معلومات المسلم محدودة، وأن يستتبط حكماً شرعياً مع جهله باللغة العربية، وأن يشيعه بين الناس، فيقرأ مثلاً قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[سورة المائدة: ٩٤]

فيدعي أن المعنى في هذه الآية: أن الله ما كان يعلم، إلا أن الله فعل هذا ليعلم، وهذا استنباط سطحي فجَّ يخالف أصول العقيدة الإسلامية، وهذا له معنى آخر؛ فالإنسان ليس مسموحاً له على

ضعفه في اللغة أن يستنبط حكماً شرعياً، أو قاعدةً في العقيدة، أو فكرةً في أصول الدين استنباطاً شخصياً، قبل أن يرجع إلى أهل الذكر.

هناك علمان علم بالله وعلم بأمره وخلقِه :

نحن أمام علمين؛ علم بأمره، وعلم به، العلم به:

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان: ٥٩]

والعلم بأمره:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: ٤٣]

علوم بأمره وخلقِه:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: ٤٣]

وعلم به:

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان: ٥٩]

معانٍ عدة للباء :

أيها الأخوة الكرام، النبي عليه الصلاة والسلام قال: بعثت بمداراة الناس، لِمَ لَمْ يقل: بعثت لمداراة الناس؟ نحن ربما لا نفهم هذا الفرق الدقيق، بمداراة هنا الباء للاستعانة، كأن تقول: كتبت بالقلم، أكلت بالملعقة، أحياناً تأتي الباء زائدة، كما في قوله:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾

[سورة التين: ٨]

ومعنى زائدة أنه يمكن أن تحذف، فلا يتعلق بها المعنى تعلقاً أصلياً:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾

[سورة التين: ٨]

تقول: أليس الله أحكم الحاكمين، فلماذا زدنا هذه الباء؟ للتوكيد، أما إذا قلت: أكلت بالملعقة فهل بإمكانك أن تحذف الباء؟ إن حذفها معنى هذا أنك أكلت بالملعقة، الباء أصلية إذاً، وفي قوله:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾

[سورة التين: ٨]

زائدة، أما: أكلت بالملعقة فالباء أصلية.

الباء الأصلية لها معانٍ كثيرة، أكلت بالملعقة، أي: استعنت على الأكل بالملعقة، مررت بدمشق فالباء ظرفية، أمسكت به، إلصاق:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴾

[سورة النساء: ١٦٠]

الباء سببية، كذلك:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

هذه الباء سببية، أي بسبب رحمة استقرت في قلبك لِنْتَ لَهُمْ، الباء فيما أذكر لها خمسة عشر معنى، ولقد درسنا معاني الأدوات خلال سنة كاملة في الجامعة، وأذكر أنّ لـ (ما) ثمانية وأربعين معنى، وكل شاهد على هذه الكلمة (ما) آية قرآنية، فدقة اللغة متناهية، وفيها متعة بالغة. وإن شاء الله من حين إلى آخر حتى لا تملوا أعرج على درس من دروس القواعد في اللغة ودقائقها، فالنبي قال: بعثت بمدارة الناس، ولو قال: بعثت لمداراتهم لأصبحت المدارة هدفاً، لكنها في الحديث وسيلة، فأنا أستعين على هدايتهم بمداراتهم.

(بسم الله الرحمن الرحيم) لها معانٍ كثيرة جداً :

حينما تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وهذه الآية يردّها الناس دائماً، ولها معانٍ كثيرة جداً، فأنت حينما تلقي النبتة في الأرض أنت الذي تنبتها؟ قال تعالى:

﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾

[سورة الواقعة: ٧٢]

أنت ألقيتها، وانتهى الأمر، فمن الذي تولى إنباتها؟ الله عز وجل، فأنت حينما تلقي الحبة تقول: بسم الله، يا رب أنا أرجو قدرتك، وعلمك، ورحمتك في إنبات هذه البذرة، فالله وضع قوانين، فالنبات من ينبت؟ الله جل جلاله، فمعنى بسم الله الرحمن الرحيم أي: أستعين بقدرتك يا رب على إنبات النبات، فأنا ضعيف، حينما تأكل تقول: بسم الله، فأنت الذي تهضم الطعام بذكائك وخبرتك؟ هل أنت مفرغ لهضم الطعام، تأكل وتنم، تأكل وتمشي، تأكل وتسافر، من هذا الطعام المنوع، من خبز وجبن، إلى فواكه، حلويات، من جعله سائلاً أبيض؟ هضم ميكانيكي، وهضم كيميائي، والصفراء

أَلقَت إفرزاتها، والبنكرياس ألقى إفرزاته، والأمعاء الدقيقة، وعمر الخلية بالأمعاء الدقيقة يومان فقط أي ثمان وأربعين ساعة، وهذا أقصر عمر لخلية، وهذا الغذاء امْتَصَّ إلى الدم، وأصبح دماً، والفضلات خرجت، فأنت إذا قلت: بسم الله، أي: يا رب أنت خلقت الأجهزة، وأنت خلقت الغدد، وأنت خلقت المعدة، وأنت خلقت العصارات، أنا أكلت، وانتهى الأمر، أي لا تتسَّ فضل الله عليك، فليس هذا العمل بجهدك، ولا بعلمك، ولا بخبرتك، تأكل بسم الله، وتركب دابةً بسم الله.

معنيان أساسيان في البسمة :

١ أن تذكر النعمة على أنها من عطاء الله وفضله لا بقدرتك ولا بعلمك :

أيها الأخوة الأكارم، كلمات كثيرة في الإسلام أحياناً فرغت من مضمونها لدى كثيرٍ من الناس، البسمة مرة أخرى لو فكرنا في معناها، مثلاً دخلت إلى بيتك، فهذا البيت مشيدٌ من الإسمنت والحديد، فمن يضمن لك ألا تهتز الأرض اهتزازاً بسيطاً فيصبح البيت أنقاضاً، من أعطى الحديد قوته؟ من أعطى الإسمنت تحمُّله للضغط؟ إذا دخلت إلى بيت فقل: بسم الله، هذا البيت متانته واستقراره وبقاؤه بفضل الله.

ركبت مركبة، فهذا الوقود السائل الذي يحترق، ويدفع مركبة وزئها طن ونصف، مع زوجة وخمسة أولاد، هذه الحركة بفضل من؟ هل بفضل ذكائك؟ لا، أنت اكتشفت البنزين، لكن من أعطاه قوة الانفجار والدفع؟ إنه الله عز وجل، فكما قلت: بسم الله يعني أنت تستخدم خصائص الأشياء باسم الله، وقدرته لا بقدرتك، ويعلم الله لا بعلمك، وبرحمة الله لا برحمتك، وبعناية الله لا بعنايتك، بحفظ الله لا بحفظك، هذه بسم الله، كأنك تعرف أن كل النعم تستخدم باسم الله، إذا أكلت فمن صنع هذا الطعام؟ وهذه الفواكه من صنعها؟ هذا الحليب من خلقه في ثدي البقرة؟ هذا الماء من جعله عذباً فراتاً؟ هذا القمح من أنبته؟ هذه الباء في (بسم الله) للاستعانة.

٢ المعنى الآخر أنك دائماً مع المنهج بعون الله :

المعنى الثاني: أنا آكل بسم الله، وفق منهج الله، أركب هذه الدابة أو المركبة وفق منهج الله، ويهدف يرضي الله، أنا أدخل بيتي لأطبق منهج الله في معاملة زوجتي، أنا أسافر لأطبق منهج الله في السفر، هناك معنيان أساسيان في البسمة، المعنى الأول: أنك تذكر النعمة على أنها من عطاء الله وفضله، وأنت تتحرك، وتستفيد من الأشياء لا بذكائك، ولا بقدرتك، ولا بعلمك، ولكن بفضل الله ورحمته، فأنت دائماً مع المنعم بسم الله، والمعنى الآخر أنك دائماً مع المنهج بعون الله، فعلى

الإنسان أن يقول: بسم الله في حياته اليومية كلها، إن دخل إلى بيته، أو خرج منه، فكل أمرٍ ذي بال لا يبدأ باسم الله فهو أبتر.

لأن البسملة تذكرك بشيئين، تذكرك بنعمة الله عليك، وتذكرك بمنهج الله عز وجل، حتى إن الإنسان إذا تزوج فعليه أن يسمي، اللهم ارزقني ولداً صالحاً ينفع الناس من بعدي، فهل أنت أيها العبد الفقير من خلقته في بطن أمه؟ لا، لقد ألقيت البذرة، وانتهى الأمر، من يعلم ما سيكون؟ الله عز وجل، فأنا أرجو الله عز وجل أن نستخدم كلمة بسم الله كما أرادها الله عز وجل، فهي تذكرك بفضل الله، وتذكرك بمنهج الله.

حركة الإنسان في الأرض والحياة يجب أن تتضبط بأمر الله ونهيه :

كل حركتك في الأرض، وفي الحياة يجب أن تتضبط بأمر الله ونهيه، أما الآن فبعض الناس يسمي ويذهب إلى معصية، يسمي ويغش في البيع والشراء، وقد كتب على محله (بسم الله الرحمن الرحيم) بخط جميل، وفي بيعه كذب، وغش، وتدليس، أفرغت من مضمونها، وليس لها معنى بل هي كلمات على الشفتين.

هذه البسملة تعني أن تذكر نعمة الله عليك، وأنت تستفيد من هذه الأشياء لا بقدرتك، ولا بعلمك، ولا بذكائك، ولكن بفضل الله، وأنت حينما تتعامل مع هذه الأشياء يجب أن تتعامل معها وفق منهج الله وأمره، فلذلك نحن الآن إذا بسلنا نستخدم البسملة لنذكر نعمة الله، ولنذكر منهج الله، النبي صلى الله عليه وسلم علمنا كذلك إذا دخلنا المسجد أن نقول:

((اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي حميد وأبي أسيد]

أنت في المسجد تنتظر رحمة الله، أما إذا خرجت منه تقول:

((اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي حميد وأبي أسيد]

أنت تنتظر فضل الله، أي أن يرزقك عملاً صالحاً لتحقيق ما سمعته في الدرس، في الدرس رحمة وعلم، وخارج الدرس تطبيق وعمل، فدعاء الدخول رائع، ودعاء الخروج مفيد، بسملة في كل حركاتك وسكناتك، عود نفسك، في بعض المدارس يقولون: فلان عنده فكر فيزيائي، فكر رياضي، فكر أدبي، الممارسة تخلق ملكات، فإذا مارست البسملة والتدقيق في الذي أمامك ينشأ عندك فكر توحيدى، دائماً تعزو النعم إلى الله، والنبي الكريم كانت تعظم عنده النعمة مهما دقت.

سئل ملك: بكم تشتري هذه الكأس من الماء إذا منعت عنك؟ قال: بنصف ملكي، قالوا: وإذا منع إخراجها؟ قال: بنصف ملكي الآخر، مُلْكُ مَلِكٍ يساوي كأس ماء، وأنت تشربه ثم تخرجه بسم الله،

فَمَنْ جعل هذا الماء عذباً فراتاً؟ إِنَّه الله عز وجل، ونحن بفضل الله تعالى في الشام نعيش بنعمة لا تقدر بثمن، أنا في الحج، أو في العمرة سكنتُ في بيت في مكة من أفخر البيوت، وأنا داخل إلى هذا البيت وجدت مستودع ماء فيه نباتات وحشرات، قال أحدُهم: هذا الماء للاستخدام، وللغسيل فقط، أما ماء الشرب فنستورده من خارج البلاد، يجب أن يكون عندك سيارة لتشتري الماء من محطات كمحطات البنزين تماماً، أنت في الشام تفتح الصنبور وتشرب بسم الله، فَمَنْ خزن هذا المستودع؟ مستودع الفيحة حدوده المعروفة الآن بين دمشق وحمص شرقاً، ونصف لبنان غرباً إلى حمص شمالاً، إلى الفيحة جنوباً، هذا خزان ماء مهياً لخمسة ملايين إنسان يشربون الماء النقي الصافي في الشام، تفتح الصنبور فتجد الماء. لي صديق ذهب إلى قبرص فقال لي هناك: أين صنبور الفيحة؟ فكلمة الفيحة لا تفارقنا.

التسمية تذكّر الإنسان بفضل الله وبمنهجه :

إذا قال الإنسان: بسم الله يعرف مَنْ جعله عذباً فراتاً، ويذكر المنهج، مصوا الماء مصاً، ولا تعبوه عباً، المنهج اشرب على ثلاث دفعات، المنهج لا تتفخ في الإناء، المنهج لا تشرب من إناء مكسور، هذا هو المنهج.

أُتِيَتْ بفاكهة: بسم الله، مَنْ خَلَق الموز؟ أحدُهم قال: البذرة كبيرة جداً، وأكل القشرة، كيف ينبغي أن تأكلها؟ هل غسلتها، من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه، يقولون: سمَّ الله وكُلُّ، هذه ليست من الدين، فأنا أريد البسملة، أول كلمة في الإسلام، بسم الله الرحمن الرحيم تذكر فضل الله، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ورحمته، وتسخير الكون لك، كل شيء، المعنى الثاني تذكر أمر الله ونهيه في هذا الشيء.

إذا دخل الإنسان بيته، ولم يسمِ قال الشيطان لَمَنْ معه: أدركتم المبيت، طوال الليل يثير مشاكل، إذا أكل الإنسان، ولم يسمِ قال الشيطان لَمَنْ معه: أدركتم العشاء، فإذا دخل ولم يسلم، وأكل ولم يسمِ قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء:

((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء، فإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت وإن لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان : أدركتم المبيت والعشاء))

[البخاري في الأدب عن جابر]

التسمية تذكرك بفضل الله، وبمنهجه، وهي مهمة جداً في حياتنا اليومية، في السفر: بسم الله، في السفر اختلاط؟ فلا تسافر إذا لايسَ السفرَ معصيةً، يجب ألا تلبى الدعوة، هناك مغالطات في حياتنا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ دُعِيَ إِلَى عُرْسٍ أَوْ نَحْوِهِ فَلْيُجِبْ))

[متفق عليه عن ابن عمر، واللفظ لمسلم]

الدعوة إذا قارئها منكرٌ يجب ألاّ تلبّي، اختلاط، غيبة، نميمة، فهذه موانع فاحفظها، كذلك إذا دعاك إنسان ليبدو أمامك عظيماً، فهذه الدعوة ما أريد بها وجه الله، هذه قضية منافسة، قضية استعلاء، قضية عرض عضلات، قضية إظهار زينة، هذه دعوة شيطانية، الدعوات التي لا تكون لوجه الله لا تلبّها، بسم الله، أين ذاهب؟ هناك اختلاط، وكبر، إنه مجلس غيبة، ومجلس كذب، فأين تذهب؟ لا تذهب، فكلما قلت: بسم الله تذكرت فضل الله، وتذكرت منهج الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٠٩) : الكرامات.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٥-٠٩-١٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس التاسع والثلاثين من دروس العقيدة، وصلنا إلى موضوع جديد هو الكرامات، المعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، فما حقيقة الكرامة؟ هل هي صحيحة؟ هل هي واقعة فعلاً؟ هل نثبتها؟ وإذا أثبتناها فما الأدلة على ذلك؟ وهل الأدلة نقلية أم عقلية، أم نقلية وعقلية معاً؟ وإذا نفيناها فما الأدلة؟

فالمسلم يجب أن يتعوّد ألا يقبل شيئاً إلا بالدليل النقلية من كتاب الله، أو من سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألا يرفض شيئاً إلا بالدليل النقلية من كتاب الله، ومن سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلذلك الكرامات موضوع يكثر الحديث فيه، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكنني من توضيح هذا الموضوع الدقيق.



المعجزات وخرق نواميس الكون ممكن الحدوث

في دروس سابقة بينت لكم أن المعجزة ممكنة عقلاً، لأن الذي خلق هذا الشيء على هذه الشاكلة يستطيع أن يخلقه على شاكلة أخرى.

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

[سورة الانفطار : ٨]

الذي خلق الماء مائعاً، سائلاً يستطيع أن يجعله صلباً يابساً، والذي خلق النار تحرق قادر على أن يجعلها لا تحرق، إذا قيس الأمر بقدرة الله عز وجل فانه على كل شيء قدير، ولقد بيّنا في دروس سابقة أن هناك أشياء ممكنة عقلاً، وهناك أشياء واجبة عقلاً، وهناك أشياء مستحيلة عقلاً، فالشيء الواجب الوجود هو الله عز وجل، والشيء الممكن هو الكون، كان على هذا الشكل، ويمكن أن يكون على شكلٍ آخر، فهو ممكن، فإذا أدخلنا موضوع المعجزات في هذا الموضوع فالمعجزات ممكنة.

قال تعالى:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

[سورة الأنبياء: ٦٩]

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

[سورة يس: ٨٢]

إنَّ الله عز وجل جعل لكل شيءٍ سبباً، لكن في أية لحظة يستطيع أن يلغي هذا السبب، أو أن يعطله، ليبين لنا أن هذا الشيء من خلق الله، وليس من خلق السبب، فالسبب وُجد معه، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الشيء، فالمعجزة كما تكلمنا عنها سابقاً في درس مفصل ممكنة عقلاً، لكن قد تكون غير ممكنة عادة، بحسب العادة غير ممكنة، النار تحرق عادةً، فأنت تضع إنساناً في النار ولا يحترق فهذا غير ممكن عادة، أما عقلاً فهو ممكن، لأن الذي أحرق الإنسان بالنار قادر على ألا يحرقه بها أيضاً، إذا أردنا أن ندخل موضوع الكرامات في هذا الموضوع، فالكرامات أمور ممكنة عقلاً.



﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة البقرة: ٢٠]

كما أنه أجرى على يد أنبيائه ورسله بعض المعجزات التي هي خرق للعادات، فمن قدرة الله عز وجل أن يجري على يد بعض الصالحين من أتباع الأنبياء، وعلى يد بعض الأولياء

أموراً فيها خرق للعادات، لكن المعجزة، هي خرق لمجرى العادات الكونية مرافقة لدعوة النبوة، هناك إنسان يقول: أنا نبي، وهذه المعجزة، فالمعجزة ترافق دعوة النبوة، ومقرونة بالتحدي، مثلاً فرعون تحدى فجاء سيدنا موسى بالمعجزة التي أسكتته وفندت دعواه، إذاً المعجزة يرافقها دعوة للنبوة ويلابسها تحدياً، أما الكرامة فهي خرق للعوائد، ولكن غير مقرونة بالتحدي، ولا بدعوة النبوة، لا هو نبي فيقول: أنا نبي، ولا يقع منه تحدياً، إنما هو شيء خارق للعادات، أجراه الله على يدي بعض الصالحين من أوليائه المؤمنين، أتباع النبي.

الكرامات لا تلتبس بالمعجزات فالكرامات شيء والمعجزات شيء آخر :

لكن بالمناسبة هناك قيد للكرامة، ما هو القيد؟ أن الله سبحانه وتعالى لا يجري كرامة على يد عبد من عباده الصالحين إلا إذا كان ملتزماً بأوامر الله سبحانه وتعالى، جملةً وتفصيلاً، فإذا كان غير ملتزمٍ بأوامر الله عز وجل، وادعى أنه أُجْرِي على يديه كرامة فهذه ضلالة، وليست كرامة، الذي يجعل من خرق العادات كرامة أن الذي أُجْرِيَتْ على يده إنسانٌ مستقيمٌ، طيبٌ، متبعٌ، غير مبتدعٍ، أما إذا ادَّعى، ولا أقول: جرت، أما إذا ادَّعى أن فلاناً الفلاني الذي لا يصلي، المبتدع الذي في عقيدته زيغ، إذا ادَّعى أنه أُجْرِي على يده شيء مخالف للعادة فهذه لا تسمى كرامة، إنما هي ضلالة.

لماذا كانت الكرامة؟ لأنها هي شاهد مستمر على إمكان معجزات الأنبياء التي جرت في زمانهم، فهي دليل جزئي على أن هذا الإنسان الصالح، أكرمه الله سبحانه وتعالى بخرق العادات، وحفظه، إذاً من باب أولى أن أنبياءه المصطفين، وأن رسله المكرمين تجري على يديهم معجزات باهرات، دالة على رسالتهم، وعلى عظمة الله سبحانه وتعالى.

شيء آخر، إن هذه الكرامات تؤكد لأتباع هذا الإنسان الذي أكرمه الله بهذه الكرامة أنه مقرب عنده، فكأنها شهادة الله لهذا الإنسان، فكيف يشهد الله عز وجل؟ شهد لأنبيائه بالمعجزات، وشهد لرسله بالكتب، فكيف يشهد لبعض أوليائه بالكرامة؟ بأن يجري على يديهم بعض الكرامات، أي بعض خوارق العادات.

عندنا ملحوظة ثانية، الكرامة مستواها أقل من مستوى المعجزة، يجوز من النبي:

﴿ وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران: ٤٩]

إحياء الميت معجزة، والكرامة أقل من ذلك، فإذا ادعى ولي من أولياء الله أنه يحيي الموتى نقول له: لا، الكرامة ليست بمستوى المعجزة، الكرامة يجب أن تكون في مستوى أقل من مستوى المعجزة. شيء آخر، المعجزة لها صفة جماهيرية، يُدعى الناس جميعاً لمشاهدتها، فيها تحدُّ، ترافق ظهور رسالة سماوية، أما الكرامة فلها طابع فردي، ومستواها أقل من مستوى المعجزة، وطابع الكرامة طابع فردي، وليس طابعاً جماعياً، لهذه الفروق والقيود التي وضحتها لكم يتبين أن الكرامات لا تلتبس بالمعجزات، فالكرامات شيء، والمعجزات شيء آخر، لن تختلط الكرامة بالمعجزة، الكرامة لها مستوى، والمعجزة لها مستوى، الكرامة على شكل فردي، والمعجزة على شكل جماعي، المعجزة يرافقها ظهور نبي، أو نزول وحي، أو نزول رسالة، بينما الكرامة لا يرافقها شيء من هذا، مع المعجزة تحدُّ للناس جميعاً، ومع الكرامة ليس هناك تحدُّ، هذه بعض الفروق والقيود.

الكرامات نوعان كرامات تجري وفق العادات وكرامات تجري خلاف العادات :

شيء آخر، هناك تكريم من الله لبعض الناس، لبعض الصالحين المستقيمين، الملتزمين، المتبعين، غير المبتدعين، هناك تكريم لهم يجري وفق العادات، لا خلاف العادات، ما هو التكريم الذي يكرم الله به بعض عباده وفق مقتضى العادات وليس خلافها؟ قالوا: هو العلم، فقد يمنح هذا الإنسان العلم، فالعلم تكريم، وأيُّ تكريم، بل هو أرفع درجات



التكريم، وليس في العلم خرق للعادات، إذاً الكرامات نوعان؛ كرامات تجري وفق العادات، وكرامات تجري خلاف العادات، برأيكم أي الكرامات أرفع عند الله درجة، التي تجري وفق العادات، أم التي تجري خلاف العادات؟



إذا ذهبت إلى طبيب، وكان هذا الطبيب ماهراً، وعالمًا، ومدققًا، وقد أوتي علماً دقيقاً في مهنته، وأنت مريض، فإذا طار الطبيب أمامك، وحلّق في الهواء، وأنت بقيت مريضاً، هذه الحالة خيرٌ أم أن يفحص مرضك، ويشخص الداء، ويصف لك الدواء، فتشفى؟ فأنت أمام طبيب، أو أمام طبيبين، أحدهم آتاه الله علماً عميقاً، وقدرة على تشخيص

المرض، وقدرة على وصف الدواء المناسب، وطبيب آخر آتاه الله شيئاً من خوارق العادات، فلما دخلت عليه طار في الجو أمامك حتى وقف عند السقف، والله إن هذا لشيء عظيم، ومنظر مذهل، أنت لا زلت مريضاً، أنت بحاجة إلى مَنْ؟ إلى الذي أوتي العلم، العلم شيء ليس فيه خرق للعادات، شيء طبيعي، لذلك العلماء قسموا الكرامات نوعين، خرقٌ للعادات، ووفق العادات، وهذا النوع الذي يجري وفق العادات، وفي مقدمة هذه الأنواع العلم أو القوة الجسمية.

﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٧]

من الكرامات أن يفتح الله لأولياته آفاق العلم والمعرفة :

إنسان قوي آتاه الله عز وجل قوة، هذه كرامة، لكن وفق العادات، العلم كرامة وفق العادات، أو القدرة على التوجيه، أو القيادة، أو الرئاسة، هذه قدرة أيضاً، هناك إنسان عنده إمكانية يجمع الناس حوله، وعنده إمكانية أن يوفق بين متخصصين، عنده قوة حجة، عنده قوة إقناع، عنده سياسة، عنده فهم، عنده حكمة، فالحكمة، والفهم، والسياسة، والكياسة، والقوة الجسمية، والعلم، هذه كلها كرامات، لكنها كرامات وفق مقتضى العادات، وليس فيها خرق للعادات، أو أن يعطيه مالاً وفيراً، أو أن يجعله ينجب أولاداً في مستوى ذكاء رفيع، نابهين، كلهم أطباء، أخلاقيين، فيهم فطنة، لهم سمعة طيبة، فهذه كرامة، إذاً أن يؤتيك الله علماً، كرامة، أن يؤتيك الله قوة، كرامة، تتمتع بجسم قوي، يقول لك: والله لا أعرف المرض، ومن كرامة الله لهذا الإنسان حكمة، والقدرة على تدبير الأمور، والفتنة، وحسن التصرف، والتكيف، هذه كلها كرامات: وكذا المال، والزوجة الصالحة، والأولاد الأبرار، هذه كرامات تجري وفق العادات، والله سبحانه وتعالى يكرم بها بعضاً من عباده الصالحين، وقد يكرم بعض عباده بأن يجري على أيديهم خوارق العادات. من الكرامات التي وردت في كتب العقيدة، أن يفتح الله لأولياته آفاق العلم والمعرفة، فهذه كرامة، والدليل قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٢]

هذه كرامة، إذا آتاك الله عز وجل حسنَ الفهم، كأن يؤتيك فهماً سليماً لكتاب الله، تقرأ الآية فتفهمها سريعاً، تتضح لك أبعادها ومراميتها، علاقتها بالآية السابقة، مدلولاتها، هذه كرامة من الله عز وجل بأن يفتح عليك آفاق العلم والمعرفة، والدليل هذه الآية:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٢]

كرامة الله لأولياته الصالحين أن يجعل لهم مخرجاً :

كرامة الله لأولياته الصالحين أن يجعل لهم مخرجاً.

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

[سورة الطلاق: ٣]

الحياة فيها أزمات، وفيها ورطات، وفيها مشكلات.

كن عن همومك معرضاً وكلِ الأمورِ إلى القضا
و أبشر بخير عاجل تنس به ما قد مضى
فيا ربِّ أمرٍ مسخط لك في عواقبه رضا

ولربما ضاق المضيق ولربما اتسع الفضاء
الله يفعل ما يشاء فلا تكن معترضاً
الله عودك الجميل فقف على ما قد مضى

* * *

الحياة فيها مشكلات، قد تنزل بالمرء
مشكلة، ورطة، مصيبة، فالأمور تتعقد،
ثم يفتح الله سبحانه وتعالى إكراماً لك
أيها المؤمن مخرجاً لم يكن في الحساب،
يخلق لك فرجاً بعد اليأس، وحلاً بعد
التعقيد، بعد أن نزلت واستحكمت حلقاتها
فرجت، وكان يظن أنها لا تُفْرَج، هذه
كرامة، يمكن أن يكون كل واحد منكم



مكراً عند الله، وكل واحد منكم حصراً، على هذه المقاييس، إذا أُوتِيَ شخصٌ فهماً كتاب الله فهذه
كرامة، إذا آتاه الله الحكمة فقد أكرمه، إذا وقع في ورطة فأخرجه الله منها سالماً فقد أكرمه، فهذه إذاً
أنواع الكرامات.

سبحان الله كلمة (مخرج) تعني أن الأمور محكمة ولا أمل، إلا أن الله عز وجل لحكمة بالغة لا يفتح
لك المخرج إلا بعد أن تحكم الشدائد من كل جهة، طرقت باب فلان فإذا هو مسافر، وفلان وَعَدَّكَ
بمبلغ، ثم قال لك: لا أملكه نقداً، فلان قال لك: لمجرد أن تشعر بحاجة فهذا هاتفي، ثم تغير رقم
الهاتف، قال لك فلان: تعال إليّ، فذهبت إليه، فما سُمِحَ لك بالدخول، نزلت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت، وكان يظن أنها لا تفرج، فإن يكن لك مخرج من أزمة مستحكمة فهذه كرامة أيضاً، كرامة من
الله عز وجل.



النصر والتأييد من كرامات المؤمنين

الآن من كرامات الأولياء المؤمنين أنه يكافئهم على نصر دينه، بأن ينصرهم، ويؤيدهم، وأن يجعلهم فوق أعدائهم، وذلك بتهيئة الأسباب، ودفع الموانع، وإلقاء الرعب في قلب العدو، وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[سورة محمد: ٧]

فهذه كرامة، مكافأة لك على أن نصرت دين الله، وعلى أنك وقفت إلى جانب الحق، وعلى أنك آثرت إرضاء الله عز وجل، وأسخطت الخلق، وأرضيت الحق، مكافأة لك على كل ذلك ينصرك على عدوك، ويرفع لك ذكرك، ويعطيك أسباب التفوق، ويزيل من أمامك موانع التقدم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائك، ويصبغ عليك هبة كبيرة، يجعل الناس يتهيئون منازلتك، هذه كرامة أيضاً.

﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

[سورة القصص: ٥-٦]

هذا تعليق لطيف، قال مؤلف الكتاب: وظاهر أن الإكرام بالعلم أو التأييد بالنصر أجل وأرفع من الإكرام مثلاً بالمشي على الماء، أو الطيران في الهواء، أو طي المسافات البعيدة في زمن قصير، أو تحضير الطعام والشراب في مكان ليس فيه طعام ولا شراب، العلم، والفهم، والحكمة، والقدرة على توضيح الحق للناس، والنصر، والتأييد أرفع عند الله عز وجل من أن تمشي على سطح الماء، أو أن تطير في الهواء، لذلك هذا كلام مؤيد بالأدلة القرآنية القطعية الثبوت، القطعية الدلالة، فكل منكم فيما أعتقد أن الله سبحانه وتعالى أكرمه بأن فهمه، وأكرمه بأن علمه، وأكرمه بأن حفظه، وأكرمه بأن جعل له مخرجاً من بعض أزماته، وأكرمه بأن أيده، وأكرمه بأن قرّبه، هذا أكبر تكريم.

لذلك يجب أن نعتقد، ونحن ندرس العقيدة الإسلامية، يجب أن نعتقد أن الكرامات جائزة الوقوع، وأنه لا مانع من أن يجريها الله على يدي بعض الصالحين من عباده إكراماً لهم، وتأييداً للرسول الذين هم من أتباعه.

وما دامت الكرامات تثبت عقلاً يمكن أن يلقي الله عز وجل في قلب عدوك الرعب منك، ويمكن الله عز وجل أن يلقي عليك هيبة، فهذا الخصم يخاف منك، رغم أنك أضعف منه، يمكن لهذا الذي سوف يحاسبك ألا يرى هذه المخالفة، فإن الله عز وجل صرفه عنك، ونجاك منه، ممكن، يمكن لهذه الورطة بعد أن استحكمت حلقاتها أن يفتح لك باب تخرج منها، فافتنعنا الآن أن الكرامة ممكنة عقلاً، لأن الله على كل شيء قدير، ولأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء، هذا الذي سيحاسبك حينما تمر أمامه ليحاسبك يأتيه خاطر متعلق ببيته مثلاً فلا يدقق، فتتجو منه، وهذا ممكن، لأن قلبه بيد الله عز وجل، وعلى هذا فهناك آلاف القصص

ما في إنسان إذا قال: يا رب، إلا قال
الله عز وجل له: لبيك يا عبدي، فعندئذٍ
يُعمي الله عنك، فهذه كرامة، وقد يجعل
عدوك يخاف منك، ويتهيبك، فتجد حلاً،
إذاً الآن أثبتنا أن الكرامة ممكنة عقلاً،
هل هناك دليل نقلي، من القرآن، أو
الحديث الصحيح.

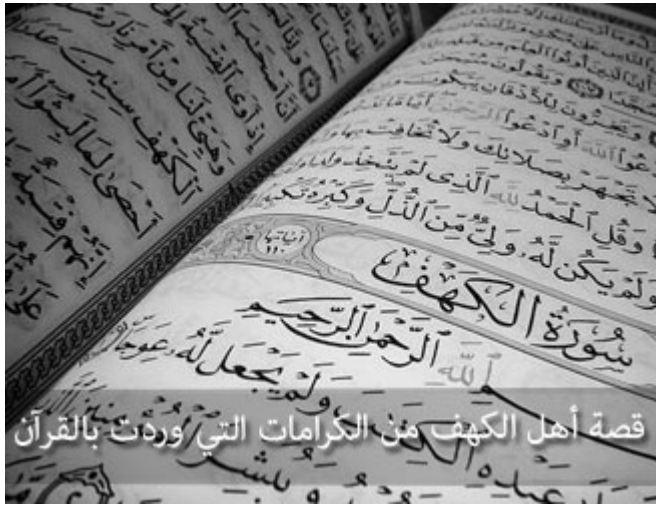


أيها الأخوة الأكارم، إن هناك صوراً كثيرة من الكرامات قد أثبتتها القرآن الكريم، وهناك أمثلة كثيرة من الكرامات أثبتتها الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هناك كرامات كثيرة وردت عن أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله عليهم. إذاً لا يمكن أن تنكر الكرامة، لا من وجه عقلي، ولا من وجه نقلي، فهي ثابتة نقلاً وعقلاً، والنقل يتوافق مع العقل، والعقل يتوافق مع النقل. لكن لدينا تحفظ مهم جداً، أتمنى عليكم أن تدققوا فيه، لا داعي إذاً لإنكار الكرامة، على أنه متى ظهرت أمارات الصدق في طريق روايتها سلّمنا بها.

فلو فرضنا أن شخصاً كذاباً قال لك: فلان أكرمه الله عز وجل، ونجاه من ورطة كبيرة، قد يكون ناقل الخبر كذاباً، فهل هذه كرامة؟ لا، لا تثبت هذه الكرامة إلا إذا وردتنا بالخبر الصادق، الآن هذا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون، شخصٌ أكرمه الله عز وجل مثلاً، وشرب خمراً ولم

يحاسبه، وجعله ينطلق بملكوت السماوات والأرض، وهو سكران، مثلاً، نقول له كفى دجلاً إنك امرؤٌ ضال، يجب أن يكون موضوع الكرامة وفق طاعة الله عز وجل، فإذا تضمنت الكرامة المزعومة مخالفة لظاهر الشرع، أو فيها معصية، أو فيها منكر، أو فيها تعطيل لحكم الله، أو نحو ذلك، فهذه ليست كرامة، بل هي ضلالة، حتى لا يقول أحد لك: والله حدثت معي كذا وكذا، ويصف نفسه أنه من أهل الكرامات، ما دام هذا الذي يدعي الكرامة ضالاً، ومتلبساً بمعصية، وعنده تعطيل لحكم الله عز وجل، ويتصف بالفسق والفجور، فهذه كلها ضلالات من الشيطان.

قصة أهل الكهف من الكرامات التي وردت في كتاب الله :



يجب أن تصلنا الكرامة عن طريق الخبر الصادق، وأما مضمونها فيجب ألا يكون فيه مخالفة للشرع، وألا يكون فيها معصية، أو منكر، أو تعطيل لحكم الله، أو نحو ذلك، فإذا تضمنت شيئاً من ذلك رفضناها رفضاً باتاً، بل هي ليست بكرامة، إنما هي ضلالة من ضلالات الشياطين. فلان الفلاني يجلس مع النساء، فشعر أن امرأً سيقع فقام من

فوره من المجلس، هذا ليس أهلاً لأن تجري على يديه كرامة، فضلاً على أن الغيب لا يعلمه أحد، اطمئنوا فلا يعلم الغيب إلا الله، والآن صرنا بحاجة إلى الدليل بعد كل هذا، فأين الكرامات التي وردت في كتاب الله؟ قصة أهل الكهف، يا ترى أهل الكهف هل هم أنبياء؟ لا، هل هم رسل؟ لا، فقصة أهل الكهف:

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

[سورة الكهف: ١٣]

فروا من ظلم الملك الكافر الذي كان في زمانهم.

﴿ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ ﴾

[سورة الكهف: ١٦]

في بعض الجبال، فأنامهم الله:

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾

[سورة الكهف: ٢٥]

هل هناك إنسان ينام ثلاثمئة سنة وتسع سنين؟ هذه كرامة، لو أنهم أنبياء لكانت معجزة، لو أنهم رسل لكانت معجزة، ما داموا ليسوا بأنبياء ولا برسل بل هم صالحون، طيبون، مؤمنون، فنومهم المديد كرامة لهم، وهذا النوم المديد خرق من خوارق العادات، وقد أكرمهم الله بذلك وهم فتية مؤمنون، صالحون، وليسوا بأنبياء.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرْبَنَا عَلَى أَدَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾

[سورة الكهف: ٩-١٢]

قصة السيدة مريم الصديقة أيضاً من الكرامات :

السيدة مريم، الصديقة، هل هي من الأنبياء؟ لا، النبوة محصورة بالرجال، ومع ذلك أجرى الله على يديها شيئاً من خوارق العادات، فقد حملت بسيدنا عيسى عليه السلام دون أن يمسه بشر، أليس هذا خرقاً للعادات؟ قال تعالى:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

[سورة آل عمران: ٤٧]

لما أحست السيدة مريم بقرب ساعات الوضع ابتعدت عن أهلها إلى مكان خالٍ من الجهة الشرقية، وجلست إلى جانب شجرة من أشجار النخيل التي لا ثمر فيها، وحصلت لها من المساعدات الربانية عند مخاضها أمور كثيرة، منها تساقط الرطب عليها من النخلة غير المثمرة لما هزّت جذعها، قال عز وجل:

﴿ وَهَرِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا ﴾

[سورة مريم: ٢٥]

هذه كرامة لها، أما في حق سيدنا عيسى فهي معجزة، لكنها ما دامت قد جاءت قبل الرسالة فهي إرهاب، كما تحدثنا عنه من قبل. الكرامة الرابعة: لما وضعت ابنها عيسى عليه السلام حملته، وجاءت به إلى قومها، فجعلوا يوجهون إليها الأسئلة، ويحرجونها بالاتهامات الساخرة، وهي صامتة، لا تحير جواباً، وألحوا في استجوابها عن سبب حملها الذي لم يتصوروا فيه على حد تفكيرهم الضيق إلا الفاحشة، وهي منها براء، فأشارت إلى ولدها الرضيع.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأُمْتَارِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

[سورة مريم: ٢٩-٣١]

هذه كرامة، لأنه ليس من السهل أن يتكلم طفل عمره ساعات، أو أيام، يتكلم، ويقول:

﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

أمثلة أخرى وردت في القرآن في موضوع الكرامة :

السيدة عائشة رضي الله عنها، نزلت آيات قرآنية تؤكد براءتها مما اتهمت به من حديث أهل الإفك، فأكرمها الله عز وجل بأن برأها بقرآنه الكريم، هذه كرامة أيضاً، وهي ثابتة في القرآن الكريم، ويتضح لكم بهذا كله أن الكرامات مذكورة في قرآن.

هناك غلام نشأ في اليمن في عهد ملك من ملوك حمير، استعبد الناس، وصدّهم عن الإيمان بالله، وكان لهذا الملك ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سني، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فاختر الملك غلاماً، وبعث به إليه، وتلمذ الغلام على يد الساحر، وأراد الله بالغلام خيراً، فكان يتصل براهب، يأخذ عنه الدين والعبادة، وكان بيت الرهب بين منزل أهل الغلام، وبين بيت الساحر، وكان يحتال بتبرير تأخره عن الساحر صباحاً، وعن أهله مساءً، وقد تقدم هذا الغلام في درجات التقوى حتى أجرى الله على يديه كرامات كثيرة، منها أن دابة خاف الناس منها، وقطعت عليهم طريقهم، فأخذ حجراً، وقال: اللهم إن كان أمر الرهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، فأمن الناس به، سمعوا راهباً، وسمعوا ساحراً، فالراهب رجل دين، والساحر رجل كذاب، حينما رأى الملك بعض الناس قد آمنوا بالله خالق السماوات والأرض حقد عليهم، وعدّ بهم وقتلهم، طبعاً القصة طويلة، حاول الملك أن يقتل الغلام فلم يتمكّن أول مرة، لا في البحر، ولا في الجبل، فحاولوا أن يأخذوه إلى الجبل فيردوه من فوقه، فما تمكنوا، أخذوه إلى عرض البحر ليغرقوه فما تمكنوا، فكان الله عز وجل يحفظه، ويميت من معه، ويحفظه هو، إلى أن قال الغلام للملك: إنك لست بقائلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع شجرة، ثم تأخذ سهماً من كنانتي، ثم تضع السهم في كبد القوس، وتوجّهه نحوي، ثم قل: بسم الله رب الغلام، وارم به، فإن فعلت قتلنتي، ليس لك أن تقتلني إلا بهذه الطريقة، فلما فعل الملك ذلك قتله بهذه الطريقة، فكبر الناس جميعاً، وآمنوا بالله خالق السماوات والأرض، وكفروا بهذا الملك الذي يدعي أنه رب، فهذا الغلام قد ضحى بحياته من أجل أن يؤمن الناس برب العالمين، هذه كرامة وردت في بعض الكتب الصحيحة، والله سبحانه وتعالى أشار إليها فقال:

﴿ قَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ
شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

[سورة البروج: ٤-٨]

لما آمنوا بالله عز وجل حفر لهم الملكُ أخدوداً، وأشعل فيه النار، وأحرقهم فيه. فهذه بعض الأمثلة التي وردت في القرآن في موضوع الكرامة، وإن شاء الله صار الموضوع واضحاً، فالكرامة حق، وممكنة عقلاً، وممكنة نقلاً، ثابتة بالعقل، وثابتة بالنقل، النقل يعني آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة تؤكد الكرامة، لكن أتمنى أن يبقى في أذهانكم أن أرفع الكرامات هو العلم، والمعرفة، والحكمة، والقدرة على هداية الناس، وهذه هي الكرامة المجدية.

الكرامة من الأمور الثابتة قطعاً والتي لا يُشكُّ فيها نظراً للأدلة العقلية والنقلية :

آخر شيء من الكرامات، ما ورد عن سيدنا عمر، وهذه كرامة ثابتة له، حينما كان على المنبر يخطب في الناس، وفجأة قطع خطابه، وقال: يا ساريةُ الجبلِ الجبلِ، سيدنا سارية أحد أصحاب رسول الله، كان قائداً في جيش يغزو الفرس، ويبدو أن خلف الجبل كميناً للفرس، سيدنا عمر، وهو على المنبر رأى الكمين، ورأى الجيش، فخاطبه، فقال له: يا ساريةُ الجبلِ الجبلِ، فسمع سيدنا سارية، وقال: أسمع صوت أمير المؤمنين يحذرنى الجبل، هل هذا لا سلكي أم سلكي؟ لا، خط هاتفي؟ إنه كرامة من الله عز وجل، وأيضاً هذه قصة ثابتة. أما إذا كانت الحادثة أُجريت على يد إنسان فاسد، أو على يد إنسان فاسق، فاجر، مخطئ، مبتدع، لا يصلي، مرتكب للمعاصي، يجالس النساء، يخرق حدود الشرع، فإياكم أن تسموها كرامة، هذه ضلالة، لقوله تعالى:

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِّمُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

[سورة الكهف: ٥١]

خاتمة الموضوع: نرى مما سبق أن الكرامة من الأمور الثابتة قطعاً، والتي لا يُشكُّ فيها، نظراً للأدلة العقلية والنقلية، ومن ينكرها من حيث هي فإنما ينكر شيئاً شهدت بإمكانه الأدلة العقلية، وتظاهرت على إثبات وقوعه الأدلة الشرعية المتوافرة، من قرآن وسنة، بلغت في معناها معنى التواتر على ما نعتقد، ولا داعي أيضاً لإنكار مفردات الكرامات متى ثبتت الحادثة بطريق صحيح.

لكن أريد أن أوضح لكم شيئاً: لو فرضنا طالباً من طلاب المدارس قضى العام الدراسي في طاعة الله عز وجل، قرصاً، وقصر في تحضير إحدى المواد، وهذا شيء مخالف للسنة، لأنه يجب أن تأخذ بالأسباب، ثم تتوكل على رب الأرباب، لكن فرضاً حدث مثل هذا، أن زيدا من الناس طوال

السنة مستقيم، يحضر مجالس العلم، لا تأخذه في الله لومة لائم، من مسجد إلى مسجد، من طاعة إلى طاعة، وشارف الامتحان على المجيء، وهذه المادة التي فحصها غداً ليس متمكناً منها، والفحص مصيري، وسيترتب على هذا الفحص مستقبله، نام ليلة الامتحان، فرأى في المنام أن السؤال الفلاني أحد أسئلة الامتحان، فلما استيقظ قرأ جواب السؤال جيداً، وأتقنه مرة، واثنين، وثلاثاً، إلى أن حفظه، ودخل الامتحان، وجاء السؤال بذاته، وهو إجباريٌ ووحيدٌ، كتب الإجابة ونال علامة تامة، بريك مع أن هذه القصة صحيحة، وهي كرامة لهذا الطالب، أيصح أن تلقى هذه القصة على الطلبة، فينامون طيلة السنة، ويقولون: انتظروا مناماً، فهل يتعلم الطلاب بهذه الطريقة!!؟

الكرامة الحقيقية :

إذاً، فموقفي من الكرامات أنني لا أنكرها، ولا أروبها، إذا رويت الكرامات، أو أكثرت من روايتها فهذا شيء قد يدعو إلى الكسل، وهو خلاف أوامر الدين، وخلاف الأخذ بالأسباب، لماذا هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة وهو نبي الله، وهو رسول الله، وهو المعصوم من القتل؟

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة المائدة: ٦٧]

لماذا سار في طريق قريب من الساحل؟ ولماذا اختار خبيراً للطريق؟ ولماذا اختار رجلاً يحمو آثار المشي؟ ولماذا اختار رجلاً يأتيه بالأخبار، وآخر يأتيه بالزاد؟ ولماذا دخل إلى غار ثور حين اشتداد الطلب؟ أليس هذا كله أخذ بالأسباب، هكذا المؤمن.

لذلك فأنتم ترونني لا أكثر من ذكر الكرامات، الكرامة لك شخصياً، وهي حادث شخصي لك، هذا الطالب لكرامته على الله عز وجل، ولأنه أمضى كل العام الدراسي في طاعة الله، وفي التقرب إليه، وفي طلب العلم الشرعي، وغفل عن هذه المادة، أراد الله أن يظهر له كرامته عنده، فأراه في المنام سؤال الامتحان، ودرسه صباحاً، وتمكن منه، ونجح، لو أن هذه القصة تلوناها على مسامع الطلاب لخارت عزائمهم، لذلك أنا لا أتمنى عليكم أن تتحدثوا بالكرامات، أنت بحاجة إلى طبيب يعالجك من مرضك، ولست بحاجة إلى شخص يقوم بحركات بهلوانية أمامك، وأنت تبقى مريضاً، أليس كذلك؟ هل أنت بحاجة إلى إنسان يفعل أمامك خوارق العادات وأنت كما أنت، أم تريد إنساناً يعمل على شفائك من مرضك، هذه أول ملاحظة.

الملحوظة الثانية: كل الذي أرجوه أن تعتقدوا أن أعظم الكرامات أن تعرف الله عز وجل، وأن تفهم كتابه، وأن تفهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وأن تكون فقيهاً، وأن تتلو كتاب الله، وأن تعلمه

للناس، وأن تُرزق الحكمة في تصريف الأمور، وأن تُرزق التكيف مع الظروف الصعبة، وأن تُرزق النصر على من يناوئك، هذه الكرامة الحقيقية، فإذا أردت أن تكون من هؤلاء فأغلب الظن أن كل من يسمعي، وكل من يحضر هذا المجلس لا شك أن الله أكرمه بطريقة أو بأخرى من هذه الكرامات.

الكرامات حوادث خاصة أما المعجزات فحوادث عامة :

شيء آخر، الكرامات حوادث خاصة، غير قابلة وغير صالحة للنشر، إنها حوادث خاصة، أما المعجزات فحوادث عامة، لما أُسري بالنبي الكريم إلى بيت المقدس، وعُرج به إلى السماء، أفي إمكانه أن يسكت عنها؟ هذه معجزة، ينبغي أن يبوح بها، أما إذا أكرمك الله عز وجل بشيء، وحدثت الناس به فماذا يحدث؟ أكثرهم يكذبونك، وقد تكون صادقاً، وقد تكون مخلصاً، وما كذبت في حديثك، والله أكرمك، لكن قد يكون المصدقون لك قليلاً، فأنا أنصحك إذا أكرمك الله عز وجل بشيء ألا تحدث به أحداً، فهذا لك خاص، وهذه الكرامة خاصة بك، فالكرامات حوادث خاصة، يكرم الله بها بعض المتقين، فلا يصح أن تتخذ ذريعةً للتفاخر، تقول لي: والله البارحة رأيت مناماً ألبس أبيض بأبيض، ولفة خضراء على رأسي، ودخلت إلى بستان جميل، رأيت سيدنا الخضر قاعداً، واستقبلني، دع المنام لنفسك، ولا تبلبل به أفكار من حولك. لا يصح أن تتخذ هذه الكرامات ذريعةً للتفاخر، أو لتحصيل الأموال ومن ثم يمد المنديل ليتسول، وهكذا المسلم؟ وإلا كانت استدراجاً ووبالاً على صاحبها.

شيء آخر: لا يمكن أن تتخذ الكرامة ذريعةً لإثبات الأحكام الشرعية، رأيت مناماً، وقيل لي: فقط صلّ الفرض، ما هذا الكلام، تُردُّ الرؤيا، ويثبت الشرع، سمعت شخصاً في الحج يلبس سروالاً، ورداء مخيطاً، وقال: جاء الهاتف من السماء أن هكذا إحرامك، ما هذا الكلام؟ أنعطل مناسك الحج من أجل منامك، لا، فهذا كذب!! من ادعى أنه رأى رؤيا،



أو جاءه هاتف، أو حدثه قلبه بشيء مخالف للشرع تُردُّ الكرامة المزعومة، ويثبت الشرع، ولا تُتخذ الكرامة ذريعةً للتفاخر، ولا يتخذ منها حكم شرعي، الشرع ثبت، وانتهى بطريق النقل، وأصح كلمة قرأتها أننا نفهم الشرع بالعقل، ولا نحكم العقل بالشرع، لأن العقل قد يضل، وقد يغتر، وقد يجاوز

الحدود، نفهم الشرع بالعقل، ولا نحكم العقل بالشرع، لأن الشرع ثبت بطريق النقل، وانتهى الأمر، فإله سبحانه وتعالى قد يكرمك بكرامة، بالعلم، قد يكرمك بالحكمة، فيجعلك حكيمًا، قد يكرمك بالمال، بالزوجة الصالحة، بالأولاد الأبرار، بالهيبة، بالرفعة، بالمكانة، هذه كلها كرامات، تجري وفق العادات، ووفق الأصول، مثلاً درست، والله وفقك، وأخذت شهادة عليا، وعُيِّنَت في منصب رفيع، وصارت لك مكانة اجتماعية، درست دراسة معينة فأصبحت طبيبا، لك مكانتك، وأنت محسن للناس، والناس وقَّروك واحترموك، فهذه كرامة، لكنها جرت مجرى العادات، فلا تبحث عن الكرامات التي فيها خرق للعادات، ولا تفكر فيها، والأولى أن تبحث عن الكرامات التي تجري العادات.

الكرامة قد تكون وسيلة لتثبيت الإيمان وقد تكون امتحاناً له وابتلاء :

أحياناً يأتي أخ جديد للدرس، في باله سؤال عويص، يدعو الله عز وجل أن يلهم أحداً يسأل عنه، وحدث ذلك، هذه كرامة، أي أن الله عز وجل راضٍ عن هذا الإنسان؟ فالزمه، المتكلم لا علم له بهذه المسألة، لكن الله عز وجل ألقى في خاطره الموضوع المستهدف، وتكلم فيه، وكان أحد الحاضرين يبحث عن هذا الموضوع بإصرار، وعلى أحرّ من الجمر، يقول له قائلٌ: هذه كرامة لك، فالزم مع هذا الإنسان، هذه كرامة مقبولة، ولطيفة، وهي عبارة عن إلهام إلهي، ليس أكثر. شيء آخر: الكرامة قد تكون وسيلة لتثبيت الإيمان، وقد تكون امتحاناً له وابتلاء، وقد تكون استدراجاً لصاحبها، فإذا استمر على معصية بعدها كانت وبالاً عليه، وسبباً للتكليف به، وحجة عليه من الله تعالى.



ركب شخص البحر، فهاج البحر، فدعا: يا رب ليس لنا سواك، فهدأ البحر، وعاد الرجل إلى الشاطئ، فإذا فعل معصية بعدها كانت هذه الكرامة استدراجاً وليست تكريماً.

شيء آخر، لا يصح بحال من الأحوال الاغترار بأصحاب الكرامات إذا لم يكونوا ملتزمين بأحكام الشريعة، متقيدين بأوامرها ونواهيها، يقولون: فلان وليّ،

مسك العصا، وكسر الجرة فخرج منها حية، وهو لا يصلي، مادام لا يصلي فهذه ليست ولاية، أصحاب الكرامات إن لم يكونوا ملتزمين بأوامر الشرع، واقفين عند حدوده فهذه ليست كرامات، فلا تغتر بهم، الحكم الصحيح هو ميزان الشرع، كل من رمى من يده ميزان الشريعة لحظة هلك، ليس

الولي كل الولي مَن يفعل خوارق العادات، ولكنه من تجده عند الأمر والنهي في الملمات. كان الشافعي يقول: إذا رأيتَ الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، وهذا هو الميزان الحق، فلو رأيتَ إنساناً يمشي على الماء، فلا تغتر به حتى تعرض أمره على الكتاب والسنة. ثم قال مرة ثانية: وإذا رأيتَ الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فالشرع هو المقياس، والكرامات أشياء شخصية، انحصرت لك، وليست قابلة للنشر، قد تُكذَّب بها، وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وأرجو الله عز وجل أن أكون قد وفقت إلى تحديد موضوع الكرامة.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٠) : النصف من شعبان - المولد .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤمن الحقيقي مع الله دائماً :

أيها الأخوة المؤمنون، في مناسبة النصف من شعبان أردت أن يكون هذا الدرس حول هذه المناسبة وغيرها من المناسبات لننطلق من حقيقة ونصل إلى هدف نبيل.

أكثر الناس في هذه المناسبات، السابع والعشرون من رجب، الخامس عشر من شعبان يطرحون أسئلة كثيرة جداً على الدعاة إلى الله، هل شرع صيام هذا اليوم أو قيام هذه الليلة وما الحكم الشرعي في ذلك؟

أنا أريد أن أضع بين أيديكم الحقيقة التالية، المؤمن والذي يسير في طريق الإيمان والذي صحت عقيدته وصحت رؤيته واستقام أمره، مؤمن ليس في حياته ما يسمى بالمناسبات، كل لياليه ليلة النصف من شعبان، وكل لياليه ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وكل أيامه عيد، ليس هذا من باب الكلام الإنشائي، لا يوجد عند المؤمن تقلت وفي هذه المناسبات ينضب، هذا شيء غير وارد إطلاقاً، هو منضبط في كل الأوقات وفي كل الشهور وفي كل الليالي وفي كل المناسبات، في هذه المناسبة لعله يرفع بعضاً من عبادته يرفع الوتيرة قليلاً، أما أنه يوجد تقلت، تسبب، عدم التزام، عدم انضباط، في هذه الليلة نقومها ونصوم نهارها، هذا ليس وارد في حياة المؤمنين الصادقين ولا في حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

يوجد في بعض الكتب النقدية في الأدب ما يسمى بشاعر مناسبات، لكل مناسبة له قصيدة وكأن هذا حرفه له، أما الشاعر الحقيقي يعبر عن مشاعره دائماً، والمؤمن الحقيقي مع الله دائماً.

لا بد من أن نراعي شيئين في الدين ألا نضيف عليه شيئاً وألا ننتقص منه شيئاً :

نحن إذا عددنا أن العبادات الأصل فيها الحظر ولا تشرع عبادة إلا بنص، أما الأشياء الأصل فيها الإباحة ولا يحرم شيء إلا بنص، هذه قاعدة خطيرة جداً، العبادات من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، من صلاة نافلة ومن صيام نفل، كل العبادات فرائض ونوافل هذه عبادات الأصل فيها الحظر ولا تشرع عبادة إلا بنص.

أكثر شيء مطروق بين المسلمين أو بين أطراف المسلمين قضية المولد الاحتفال بعيد المولد، كلكم يعلم أيها الأخوة أن النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح يقول:

((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: يَحْمَدُ اللَّهُ وَيُنْتَبِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلُّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجَنَّتَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ نَذِيرٌ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ مَسَاكُمُ ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَرَكَ مَا لَّا فَلَاهُ لَهُ وَمَنْ تَرَكَ دِينَنَا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ))

[مسلم عن جابر بن عبد الله]

من أجل أن يستمر الإسلام كما بدأ لا بد من أن نراعي شيئين ألا نضيف عليه شيئاً وألا ننقص منه شيئاً، إن أردت إسلاماً كإسلام الصحابة، إن أردت ديناً كالدين الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، إن أردت أن يستمر هذا الدين بصفائه، بخصائصه المتألقة، بحقائقه، بثمراته اليانعة، فليكن هذا الدين كما كان على عهد رسول الله.

كيف نضمن هذا الدين كما كان على عهد رسول الله؟ بأن نقف موقفاً حازماً ومتشدداً من أن نضيف عليه شيئاً، أو من أن نحذف منه شيئاً، كلمة التجديد كلمة براءة تتوق لها النفس، ولكن أوضح لكم ماذا يعني التجديد في الدين؟ أحياناً الأمثلة تعطي أدق الأفكار، عندنا في الشام بناء محطة الحجاز كلكم يعرفه، هذا البناء مضى عليه عقود كثيرة حتى صار أسود اللون، قبل سنوات عدة كما أذكر جرت لهذا البناء عملية تنظيف حديثة جداً عن طريق الرمل، يوجد جهاز يدفع الرمل في قوة كبيرة هذا الرمل ينتزع من الحجر كل ما علق بالحجر وليس منه هذا هو التجديد، هذا هو التجديد، كل شيء علق على هذا الحجر من تراكم الأيام والليالي من دخان وغبار وغازات معينة، من ألوان، كل شيء علق على هذا الحجر وليس منه انتزعناه فعاد الحجر كما بني أول مرة هذا هو التجديد في الدين.

التجديد في الدين :

التجديد في الدين لا يعني أن نضيف شيئاً لأن هذا الدين ليس من صنع البشر، البشر يخطئ ويصيب، أي شيء من صنع البشر نجده بالتعديلات، نضيف عليه، نحذف منه، نشذبه، نهذب، كم من كتاب بين أيديكم مكتوب عليه تهذيب ابن كثير، لماذا التهذيب؟ الأصل غير مهذب، يوجد روايات ضعيفة، قصص باطلة، يوجد أشياء غير صحيحة، نصوص موضوعة، مبالغات، فجاء مؤلف وقال: تهذيب ابن كثير، تهذيب سيرة ابن هشام، معنى هذا أنه من صنع البشر يعتربه الخطأ والزلل، فتهذيبه أن ننزع منه ونحذف منه ما ليس موافق للكتاب والسنة، هذا ممكن مع عمل صنعه

بشر، أما مع دين من عند خالق البشر لا يجوز أن يكون التجديد إضافةً ولا حذفاً، أعمال البشر تجدد بالإضافات والحذف، لأن الإنسان غير معصوم.

يقول بعض الأدباء: ما كتبت كتاباً إلا قلت في غد لو بدل هذا لكان أحسن، لو أضيف هذا لكان يستحسن، لو حذف هذا لكان أفضل، وهذا من أعظم العبر، إذاً نخلص إلى أن كل شيء من صنع البشر يجدد بالحذف منه أو بالإضافة عليه إلا ما كان من عند الله، التجديد بما يتعلق بدين الله أن تزيل عنه ما ألحق به مما ليس منه هذا هو التجديد، تصوروا بناء الحجاز بعد أن أجري عليه التجديد، أي أزيل عنه كل ما لحق به ما ليس منه، هذا هو التجديد.

فذلك إذا فرضنا أن هناك موالد تقام في بعض البلاد الإسلامية فيها كل المعاصي والآثام، فيها كل الموبقات هل هذا هو الدين؟ هل تعتقد أن هذا الدين أن يقف إنسان ويرتدي ثوب فضفاض وأن يدور حول نفسه إلى درجة غير معقولة، فإذا بهذا الثوب كالمظلة ويرافق هذه الحركات الالتفافية موسيقياً وأناشيداً هذا هو الدين؟ هكذا فعل أصحاب رسول الله؟ تذهبون إلى بعض البلاد الدين هو ضرب شيش، وأكثرهم والله أعلم لهم حال مع الله لا يرضي، الدين ضرب شيش، الدين رقص، الدين أناشيد، ولائم.

الدين طاعة الله عز وجل، النقطة الدقيقة تصور نهر، تصور نبع الفيحة، أو بردى اذهب إلى النبع تجد ماءً عذباً، فراتاً، صافياً، متألقاً اذهب إلى الغوطة الشرقية وانظر إلى الماء، أسود اللون، جاءتة رواسب غير صافية فاختلطت به، أنت إذا أردت الدين الصحيح عد إلى ينابيعه، عد إلى أصله، عد إلى هذا القرآن الكريم الذي بين أيدينا وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة التي هي بيان لما في الكتاب الصحيح.

الحق دائماً بين طرفين والفضيلة بين رذيلتين وكل ما كان في الوسط هو الاعتدال :

أيها الأخوة، إذاً نحن في موضوع المولد مثلاً هناك من يقول: المولد بدعة ويحاربون المولد، وهناك من يفعلون في المولد ما لا يعقل من اختلاط، من حركات، من كشف عورات، من تجاوزات، أين الحق؟

الحق العبادات الشعائرية الأصل فيها الحظر ولا تشرع عبادة إلا بنص، أما الأشياء الأصل فيها الإباحة لا يحرم منها شيء إلا بنص هذه قاعدة.

إنسان أراد أن يقيم مولداً لا يوجد مانع، جمع الناس وقام أحد الدعاة إلى الله وألقى خطبةً عن شمائل النبي عليه الصلاة والسلام، عن أخلاقه، عن رحمته، عن عدله، عن علمه، عن محبته لأصحابه، عن حرصه على أمته، شيء جميل جداً وزعت الحلوى والضيافة، ليس هذا محرماً، إذا قلنا الاحتفال في المولد عبادة فهو بدعة، أما إذا عرفنا الناس بالله ما فعلنا شيئاً، بالعكس فعلنا شيئاً طيباً، لا تقل المولد عبادة قل ننطلق من قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٣]

المؤمن الصادق يعرف الناس برسول الله، ننطلق من قوله تعالى:

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة هود: ١٢٠]

فإذا كان قلب النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق، سيد ولد آدم، يزداد ثبوتاً بسماع قصة نبي دونه فلئن نزداد نحن إيماناً بسماع قصة النبي من باب أولى، فإذا جمع الناس وذكروا بشمائل النبي وقدمت لهم بعض الضيافات ما فعلنا شيئاً، هذا هو الاعتدال، هذا هو الحق بين تفرقين، هذه هي الفضيلة بين رذيلتين، هذا هو الكمال بين نقيصتين، والحق بين طرفين، فالذين أقاموا النكير وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها لأنك احتفلت بعيد المولد تفرقوا، والذين جعلوا من هذا الاحتفال مناسبة للمعاصي والآثام والغناء، والرقص، وكشف الحرمات، وكشف العورات، هؤلاء تطرفوا، والحق دائماً بين طرفين، والفضيلة بين رذيلتين، وكل ما كان في الوسط هو الاعتدال.

للبدعة معيان؛ بدعة لغوية و بدعة في الدين :

نحن لا بد لنا من منهج نسير عليه، لأن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، أحياناً حديث ليس له أصل يخلق مشكلة لا تنتهي، وأنا أقول لكم أيها الأخوة هذه الحقيقة لو اكتفينا في النصوص الصحيحة ما اختلفنا أبداً، ما من شيء يجمع الأمة كأن نكتفي بالنصوص الصحيحة لأن هذا العلم دين والدين أساسه النقل وأخطر ما في النقل صحة النقل، أيضاً هناك نصوص غير صحيحة وتحكيم للعقل غير مشرع له، فتجد إنساناً ينطلق من عقل فقط، فينظر بعقله يرفض ويقبل، هذا منهج خطير باسم الدين، وإنسان آخر يقبل أي نص مهما يكن تالفاً أو موضوعاً أو ضعيفاً، فالذي يقبل أي نص تطرف، والذي يحكم العقل تطرف.

لذلك أيها الأخوة: أردت في أمور العبادات ألا تشرع عبادة إلا بنص، لو أن إنساناً صام يوم غد لا يوجد مانع، لكن لا على أنه عبادة، لو إنسان قام في إحدى الليالي ليس عليه شيء، ولكن حينما يأتي بنص ضعيف ويلزم الناس في صيام ذلك اليوم أو قيام تلك الليلة والنص غير صحيح، أو ضعيف، أو لا يرقى إلى مستوى الصحة هذا تطرف في الدين، نحن نريد أن نعود بالإسلام إلى أصله إلى ينابيعه، نحن أمام مناسبات كثيرة، الإسرائء والمعراج، النصف من شعبان، في محرم، في عاشوراء، لا بد من أن نتأكد من صحة النص، لأن العبادة أساسها النص، أما الأشياء أساسها الإباحة، والتحرير يحتاج إلى نص.

شيء لا يغيب عن أذهانكم طالما تحدثنا عن البدعة، أيها الأخوة البدعة لها معنيان، هناك بدعة لغوية وهناك بدعة في الدين، البدعة اللغوية أي كل شيء جديد، هذا التكبير لم يكن على عهد النبي، هذه الإضاءة لم تكن على عهد النبي، هذا الفرش في هذا المسجد لم يكن على عهد النبي، هذا الماء الساخن للوضوء في الشتاء لم يكن على عهد النبي، هذا الماء البارد في الصيف لم يكن على عهد النبي، كل هذا المسجد بدع ولكن هذه البدع لغوية، أي شيء حسن لم يكن من قبل، كبرنا الصوت، لطفنا الجو، يسرنا السبل، أضأنا المصابيح، هذه بالمعنى اللغوي بدع لكن البدعة في اللغة لا شيء عليها، إلا أن العلماء قالوا: البدعة في اللغة محكومة بشيء؛ هي موقوفة على نوع استخدامها، لو فرضنا بدعة لم تكن على عهد رسول الله لكنها متوافقة مع الأمر والنهي، لا يوجد مانع، بدعة لم تكن على عهد رسول الله لكنها تصطدم مع قواعد الشرع.

البدعة اللغوية موقوفة على نوع استخدامها أما البدعة في الدين فمرفوضة كلياً :

أوضح مثل أضعه بين أيديكم موضوع التصوير في الحفلات ولاسيما تصوير الحفلات النسائية، حرمة ما بعدها حرمة أن ألتقط صوراً ملونة متحركة لنساء مسلمات في عرس هن كاسيات عاريات، وأن يعرض هذا الفيلم على الرجال ليعرف كل رجل من هذه ومن تكون فلانة، هذه محرمة أشد التحريم، لو أنك استخدمت مسجلة لسماع درس علم لا شيء عليها، لسماع قرآن لا شيء فيها. البدعة اللغوية موقوفة على نوع استخدامها، أما البدعة في الدين فمرفوضة كلياً، السبب الدين أتمه الله كما قلت في أول الدرس، هذا الدين من عند الله عز وجل كل ما عنده كامل كمالاً مطلقاً، أية إضافة على الدين اتهام ضمنى له بالنقص، وأي حذف من الدين اتهام له بالزيادة، فأنت حينما تحذف أو حينما تضيف تتهم هذا الدين مرتين، تتهمه بالنقص أو تتهمه بالزيادة، وتتهم ما عند الله من كمال مطلق، والآية الكريمة التي تعرفونها جميعاً:

﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة المائدة: ٣]

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾

والإكمال نوعي والإتمام عددي، قضايا الدين تامة من حيث العدد، طريقة المعالجة كاملة من حيث النوع، أي تفكير أن تضيف على الدين شيئاً فقد وقعت في منكر شديد، لأننا إذا سمحنا لإنسان أن يضيف شيئاً جديداً كنا في آخر الزمان مع ألف دين، مع مليون دين، والدين واحد. كيف يبقى الدين واحداً؟ إن لم نضف عليه شيئاً، كيف نحافظ على وحدة الدين؟ إن لم نحذف منه شيئاً، الفرق الإسلامية ما أسباب فرقتها وتشعبها وكثرتها؟ أنهم اعتمدوا نصوصاً غير صحيحة،

الأصل الكتاب والسنة، فإذا جننا بحديث موضوع أو حديث ضعيف صار هناك من يؤمن بهذا الحديث وأخذ خط، وخط ثاني، وخط ثالث ضاع الدين قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٩]

للدين كليات ثلاثة؛ كلية تعليمية معرفية وكلية سلوكية وكلية جمالية :

أيها الأخوة الكرام، لازلت أقول لكم لا بد من أن نتمسك بهذا المنهج الذي جاء به النبي، كنت أقول دائماً الدين فيه كليات ثلاثة، كلية تعليمية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية، يوجد شيء اسمه تطرف، وشيء اسمه تفوق، لو أخذت خطأ واحداً واعتنيت به على حساب الخطين الآخرين فهذا هو التطرف، لو جمعت الخطوط الثلاثة هذا هو التفوق.

النبي عليه الصلاة والسلام من حيث العلم في أعلى درجة، من حيث الالتزام والسلوك في أعلى درجة، من حيث الاتصال بالله في أعلى درجة، الكلية الأولى معرفية، والثانية سلوكية، والثالثة جمالية، فالإنسان إذا تحرك على هذه الخطوط معاً تفوق، أما إذا اكتفى بخط واحد تطرف لأنه أخذ من الدين بعضه والدين شيء متكامل.

يوجد شيء اسمه وحدة عضوية، جسم ما ممكن أن تقطع الرأس وتكتفي بالجسم، الرأس متكامل مع الأعضاء لأن حركات الأعضاء متعلقة بالدماغ، نقول يوجد وحدة عضوية في الجسم لا يمكن أن تلغي جهاز، إن ألغيت أحد الأجهزة تعطلت باقي الأجهزة، يوجد وحدة، وانسجام، وترابط عضوي في جسم الإنسان، وكذلك الدين.

((هذا دين ارتضيته لنفسه ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه.))

[رواه الرافعي عن أنس]

فلا يتفوق في هذا الدين إلا من أحاطه بكل جوانبه، والمشكلة التي يعانيها المسلمون أن كل جماعة أخذوا زاوية من الدين واعتنوا بها كثيراً على حساب كليتيه الثابنتين فهناك من اعتنى بالفكر على حساب القلب، وهناك من اعتنى بالقلب على حساب الفكر، هناك من اعتنى بالسلوك على حساب القلب والفكر معاً، فلا بد من أن نتحرك على الخطوط الثلاثة لهذا الدين.

لا بد من جمع الكليات معاً من أجل أن نقطف ثمار هذا الدين :

يوجد شيء أيضاً يمكن أن يضاف إلى هذه الحقيقة وهو أن الإنسان لا يستطيع أن يقطف ثمار هذا الدين بخط واحد، أي خط وحده يوجد معه مضاعفات خطيرة، لو الإنسان اكتفى بإصلاح قلبه ولم

يعتني بعقله، ولم يعتني بسلوكه، يزيغ سريعاً، القلب سريع التحول، لو اعتنى بعقله سريعاً ولم يعتني بقلبه صار هناك تصرح، لو اعتنى بسلوكه ولم يعتني بعلمه صار جهل، لا بد من أن تجمع الكلية المعرفية مع الكلية السلوكية مع الكلية الجمالية من أجل أن تقطف ثمار هذا الدين.

أيها الأخوة نحن مقبلين على شهر الصيام، الحقيقة أن شهر الصيام موسم سنوي الإنسان يمكن أن يتألق في هذا الشهر إلى أعلى درجة وهذا دورة مكثفة، أحياناً يقول: العناية المشددة، أنت يمكن أن تكون في هذا الشهر في دورة مكثفة جداً، وممكن أن تقفز في هذا الشهر فقرة نوعية إن شاء الله تعالى، ونحن الآن في النصف من شعبان وباقي أسبوعين إذا يوجد مشكلات يمكن أن تعمل تعكير أثناء الصيام إما أن تحلها الآن وإما أن تلجئها إلى ما بعد العيد، اجعل من هذا الشهر شهر صفاء، شهر حب، شهر تفرغ، الإنسان إذا ما اقتطع وقت لصفائه لا يقطف ثمار هذا الدين، فنحن يوجد شيء، لو أن الإنسان انطلق بسرعة، واحد رمضان يبلغ السرعة العالية، أما إذا انطلق في واحد رمضان إلى أن تزداد سرعته يكون مضى أسبوع، الآن إذا في مشكلة، أعمال، علاقات شائكة، الآن حاول في هذين الأسبوعين أن تحلها من أجل أن تكون جاهزاً ومنطلقاً إلى الله بسرعة عالية في أول رمضان فلعن الله سبحانه وتعالى يعتقنا في هذا الشهر الكريم من النار.

يوجد شيء دقيق الإنسان عنده عدة مداخلات، فإذا ما ضبطها كلها معاً لا يجد للعبادة طعم، إذا في تقلت في النظر هذه العبادة لا تقطف ثمارها، إذا في تقلت في القول هذه العبادة لا تقطف ثمرتها، إذا في تقلت في المباحات هذه العبادة لا تقطف ثمرتها، لا بد من الضبط، والإنسان يهين نفسه قبل أن يأتي رمضان لكي يكون في أول رمضان في درجة من التأهب أو درجة من الجاهزية العالية.

بعض ما ورد من النصوص عن بعض الليالي الفضيلة :

أضع بين أيديكم ما ورد من النصوص لترقى إلى مستوى الصحة عن هذه الليلة كما وعدتكم في أول الدرس:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَطَّلُعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا لاثْنَيْنِ مُشَاحِنٍ وَقَاتِلِ نَفْسٍ))

[أحمد عن عبد الله بن عمرو]

معنى ذلك أن هذه الليلة كما ورد في هذا النص مناسبة لأن يغفر للعبد ذنبه، الحقيقة مغفرة الذنب شيء كبير جداً، المغفرة تغطي الماضي كله، أنت الآن تبت إلى الله جيد، شيء طبيعي جداً الإنسان يصحو ومع الصحو يوجد توبة، والتوبة أول طريق الإيمان، بصراحة الله عز وجل لا يمكن أن ينظر إلى إنسان ويتجلى عليه ويرحمه إلا إذا أعلن توبته، فالتوبة شيء أساسي.

صعد النبي المنبر عليه الصلاة والسلام فقال: آمين، صعد الدرجة الثانية فقال: آمين، صعد الدرجة الثالثة فقال: آمين، فقالوا: يا رسول الله علام أمنت؟ قال: جاءني جبريل فقال لي:

((...رغم أنف امرئ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له...))

[اليزار عن أنس بن مالك]

أنت تظن قضية سهلة أن تخرج من كل ذنوبك كيوم ولدتك أمك، سهل أن يكون عليك ملايين الديون، ذهبت إلى التاجر فوجدت مئة واثنين وثلاثين صفحة كلها مسحوبات، عليك ثمانية ملايين ونصف، قال: سوف أسامحك بها ونفتح صفحة جديدة هذه قليلة الإنسان.

((عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَزِفْتُ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

((عن عبد الرحمن بن عوفٍ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَقَضَّلَهُ عَلَى الشُّهُورِ وَقَالَ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.))

[النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه]

أنت لا تعرف ما معنى المغفرة؟ أي الماضي كله؛ ستون سنة، أربعون سنة، فيها أخطاء، فيها انحرافات، فيها تقصيرات، ممكن الماضي كله بلحظة يطوى وتعفى من المحاسبة. إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هئتوا فلاناً فقد اصطح مع الله.

شهر رمضان يجب أن يكون شهر عبادة خالصة لله عز وجل :

يوجد أخ كريم سألني: الله قبل توبتي؟ حينما يقبل الله توبتك يملأ قلبك فرحاً، يملأ قلبك طمأنينة، يشعر أنك قبل توبتك، يشعر أنك أحبك، الإنسان أن تقبل توبته وأن يغفر ذنبه وأن يطوى الماضي بكلمة فشيء جميل جداً، ونحن أمام هذا الشهر الكريم، شهر التوبة، شهر المغفرة، شهر كتاب الله، شهر الإنفاق، شهر الصلح مع الله، دائماً يوجد عندنا شيء اسمه قفزة نوعية، العاصي يقفز في هذا الشهر إلى الاستقامة، المستقيم إلى العبادة الراقية، والذي في عبادة راقية إلى عبادة شهودية، كل إنسان له مقام عند الله في هذا الشهر، ففي هذا الشهر هناك قفزة نوعية.

هذا الشيء يثلج الصدر، الشام بلد مبارك، نحن في رمضان أمام عرس، عرس بالمعنى الحقيقي، الإنسان يهيب نفسه قبل رمضان بأسبوعين يهيب علاقاته، يعمل خلوة، برنامج دقيق، النقطة الدقيقة أن أصل العبادة أنت مخلوق للعبادة، يوجد شخص إذا فرغ من عمله يصلي التراويح، لا ليس هذا القصد، الأصل صلاة التراويح، إذا عندك وقت آخر تفعل به ما تشاء. الأصل أن تقيم الشعائر، فنحن يوجد فرصة أنا أعتقد أنها ثمينة جداً، رغم أنف عبد أدرك رمضان ولم يغفر له فإن لم يغفر له

فمتى؟!

أما الناس تجد عندهم انحراف خطير، إكراماً لهذا الشهر الفضيل يقيم حفلة استثنائية، وإكراماً لهذا الشهر الكريم يقوم بأشياء لا ترضي الله عز وجل، وكله تحت غطاء إكراماً لهذا الشهر الكريم. إكراماً لهذا الشهر الكريم عليك أن تتوب إلى الله، وأن تطيعه، أول شيء في هذا الدرس طبعاً بعد هذا التمهيد الطويل، أنك أمام فرصة لا تقدر بثمن وهي أن تحوز مغفرة الله عز وجل في هذا الشهر، وأنا أريد أن نبدأ رمضان بسرعة عالية، لا أن نبدأ بسرعة ابتدائية تتزايد، لا من الآن صفي نفسك، يوجد أعمال لا تحل في رمضان، فيها مشاحنة، فيها مشكلة، الأمور العويصة دعها إلى ما بعد العيد، أو أنجزها في هذين الأسبوعين واجعل من هذا الشهر شهر عبادة خالصة لله عز وجل. إذا قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَطَّلِعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا لاثْنَيْنِ مُشَاحِنٍ وَقَاتِلِ نَفْسٍ))

[أحمد عن عبد الله بن عمرو]

قم ما شئت أن تقوم وصم ما شئت أن تصوم ولكن العبرة أن تجعل حياتك كلها طاعة :

عن علي بن أبي طالب قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقومُوا لَيْلَهَا وَصومُوا نهارها فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِعُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ أَلَا مُبْتَلَى فَأَعَافِيَهُ أَلَا كَذَّاءٌ كَذَّاءٌ حَتَّى يَطَّلِعَ الْفَجْرُ))

[ابن ماجه عن علي بن أبي طالب]

هذا الحديث لا يرقى إلى مستوى الصحة، لكن هذا الذي يفعله الناس مبني على هذا الحديث، على كل أن تقوم الليل لا شيء عليك، أما أن تجعله عبادة وتلزم الناس بها وليس هناك نص قوي، هذا غير مقبول، أن تصوم النهار لا شيء عليك، صيام الناقل في أي يوم لا شيء عليك، لكن أن تجعله عبادة ملزمة هذا الذي لا نحب أن يكون فيه عدم تقيد في المنهج.

أيها الأخوة، يوجد تسع كتب صحيحة لم أجد إلا هذه الأحاديث فقط وليست في البخاري ومسلم إلا في ابن ماجه، ومسنده كتاب أحمد. الصيام مقبول والقيام مقبول، كن معتدلاً، قم ما شئت أن تقوم وصم ما شئت أن تصوم ولا شيء عليك ولكن العبرة أن تجعل حياتك كلها طاعة، أنا كما قلت أول الدرس قضية المناسبات أنه يوجد تفلت، تقصير، لا يوجد التزام، هؤلاء يعتنون بالمناسبات عناية فائقة، وهي منافس لهم صغيرة، أما المؤمن الصادق أيامه كلها استقامة، أيامه كلها إقبال على الله

عز وجل، هذا الذي يرقى بالإنسان، والحقيقة أن الإنسان من دون تراكم لا يرقى، ومضات متباعدة لا تصنع منه مؤمناً، أما المتابعة حتى في العلم الذي يقرأ بالشهر صفحتين لا يصبح عالماً، إن لم تقرأ كل يوم عشرات الصفحات بل مئات لا تغدو عالماً، فالحركة البطيئة جداً، المتباعدة، غير المرتبة، غير النظامية هذه لا تصنع شيئاً، تصنع تطلعات، تصنع تمنيات، لكن لا تصنع إيماناً قوياً.

أيها الأخوة، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

قام أي صلى التراويح، الإنسان ممكن أن يخفف من المناسبات الأسرية هذه يمكن أن تعيقه عن صلاة التراويح، اجعل المناسبات بعد رمضان.

إذا ضعف العلم بين الناس صار رمضان طقوساً بعد أن كان عبادات ترقى بالإنسان :

إذا الإنسان عكف في بيته والتزم صلاته، والتزم نظاماً دقيقاً جداً، طبعاً الإنسان إذا دعي إلى ولائم قد تفسد الولائم عليه منهجه ونظام حياته في رمضان، وقد تعيقه عن صلاة التراويح، لأن أكثر الناس يعدون من الإكرام أن يلزموك بأن تأكل، والأكل الكثير قبل التراويح يعيق الصلة بالله عز وجل، فهذا الذي أريد أن أذكركم به؛ أنكم مقدمون على شهر هو فرصة ثمينة جداً للصلح مع الله، أو قفزة نوعية، والذي ألح عليه دائماً أن القفزة النوعية تستمر، تماماً كالدرج، جاء رمضان صعد درجة، صعود مستمر، من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، والمغبون من تساوى يوماه، أما هذا الصعود والهبوط غير مقبول، لا يوجد تقدم والنبي وصف المنافقين أنهم إذا صاموا رمضان هم كالناقة حبسها أهلها ثم أطلقوها لا تدري لا لم عقلت ولا لم أطلقت؟!

لا يليق بالمؤمن أن تكون عباداته طقوس، أكثر الناس يسهرون حتى قبيل السحور، يتسحرون وينامون، أين صلاة الفجر؟ الأصل أنه يوجد سهرة واختلاط، مسلسلات، وأشياء مفرحة، أحياناً يأكلون الطعام في أماكن عامة حيث الاختلاط والتقلت وما شابه ذلك، طبعاً أنا لا أخاطب أناساً يفعلون ذلك، هذا ما يفعله عامة الناس أما الملتزمون في المساجد لهم بيوتهم ولهم التزامهم واتصالهم بالله عز وجل، ولكن إذا ضعف العلم بين الناس صار رمضان طقوس، عادات، تقاليد، فولكلور، شيء شعبي، من تراث الأمة، كان عبادة ترقى بالإنسان إلى أعلى عليين، كان عبادة تتجيك من عذاب النار، كان عبادة تسمو بها، صار طقس، طعام خاص، احتفالات خاصة، والشيء العجيب أن استهلاك المواد الغذائية برمضان يفوق حد الخيال، الله أراد في هذا الشهر أن تقلل من الطعام،

والناس يستهلكون من الطعام أضعافاً مضاعفة، أي عكسوا النهار إلى الليل، كان يأكل من الصباح وحتى المغرب، صار يأكل من المغرب وحتى الصباح عملية عكس، وهذا كله بعد عن فقه الصيام، إن شاء الله أنا في دروس قادمة أتحدث عن ما قاله العلماء في الصيام وآثاره الجسمية، أي عملية صيانة الجسد صيانة سنوية، طبعاً هذا الجوع يسبب تجريح في الأمعاء، يوجد زوايا فيها تعفونات، الله أرادك في رمضان أن تأكل أكلاً معتدلاً في هذا الشهر، الاحتفالات كلها في رمضان، السهرات الرمضانية كلها في رمضان، فهذا شيء يتناقض مع العبادة، أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينجينا من هذا، أن تكون بيوتنا في رمضان بيوت إسلامية طبعاً وبعد رمضان.

أنا ضد أن يفعل الإنسان شيء في شهر ثم يدعه، ما ارتقى إطلاقاً، الذي بدأت به الدرس المسلم ليس إيمانه إيمان مناسبات، إيمان مستمر، إيمان مناسبات ويعود بعدها إلى ما كان عليه، أما الإيمان المستمر في كل الأيام في رمضان، في كل الأيام في شعبان، كل الأيام في التاسع والعشرين من رجب، هذا هو وضع المؤمن، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يحقق هذا المراد إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١١) : الجن والسحر والحسد .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورود السحر والحسد في القرآن الكريم :

أيها الأخوة المؤمنون، من أكثر الأسئلة التي ترد لمن يعمل في حقل الدعوة قضايا السحر، وقضايا الجن، وهناك آلاف القصص حولها، ذلك أنّ فلاناً دخل فيه جني، والشيخ الفلاني وعدنا أن يخرج، وقضية أخرى أنّ فلاناً مسحور، وفلاناً محسود، وعين الحاسد تبلى بالعمى، وما إلى ذلك، قصص لا تعد ولا تحصى حول موضوع الحسد وموضوع السحر .

الشيء الثابت أن الحسد ورد في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

[سورة الفلق: ٥]

والشيء الثابت أنّ السحر ورد في القرآن الكريم، نحن بين أيدينا تعليمات الصانع، كلّ ما في القرآن حقّ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن الإشكال: يا ترى هؤلاء السحرة هل أعطاهم الله قدرة أن يضرّوا من يسحروه؟ إن أعطاهم قدرة ينشأ إشكال ثانٍ، أنا علاقتي مع من إذا؟ يجب أن أتقي غضب هذا الساحر، وكذلك الجن، وكذلك الحاسد، فهل هناك حاسد، وجني، وساحر؟ كيف أجمع بين أن السحر والحسد ورد في القرآن الكريم، وهو ثابت قطعاً، وبين أن الإنسان حر، ومحاسب عن أعماله الاختيارية، وأن الله بيده كل شيء؟ هنا الموضوع دقيق، ويحتاج إلى أمثلة كثيرة، فمثلاً سمح الله عز وجل لقوم إبراهيم أن يلقوا القبض عليه، فلو أنهم لم يلقوا القبض عليه لقالوا: لو وقع في أيدينا لنكلت به آلهتنا، سمح لهم أن يلقوا القبض عليه، وسمح لهم أن يضرّوا ناراً عظيمة ليحرقوه، وكان من الممكن أن يختفي، ويمكنهم أن يقبضوا عليه، وهو نبي عظيم، وهو أبو الأنبياء، وكان من الممكن لهذه النار المشتعلة أن تأتيها أمطار غزيرة فتطفئها، ولقال عبّاد الأحجار والأوثان عندئذٍ: لولا هذه المطر لنكلت به آلهتنا، في النهاية لا يقع إلا ما يريد الله قال تعالى:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

[سورة الأنبياء: ٦٩]

الله جل جلاله بيده أن يعطي الأسباب فاعليتها أو لا يعطي :

كيف يكون الإنسان مخيراً، والفعل بيد الله عز وجل؟ لو أن مجرماً أراد قتل إنسان، فإنه يشتري المسدس، ويمكنه من شراء المسدس، ويمكنه من التدريب عليه، ويمكنه أن يجتمع بعدوه في مكان خالٍ، أي يسر كل الأسباب، ولكن ليس باختياره أن يقتل أو لا يقتل، قد تطيش الرصاصة فينجو المقتول، قد يسمع صوتاً مخيفاً فيقع المسدس من يده، قد ينحني فجأةً فينجو من هذه الرصاصة، الله عز وجل يمكّن وينسق والفعل فعله، لو وُجد سحرة وحاسدون، لو وُجد أعداء، لو وُجد جن، فهذه مخلوقات مخيرة يمكنها الله عز وجل من الأخذ بالأسباب، ولكن هذه الأسباب لا تفعل فعلها إلا إذا أراد مسبب الأسباب.

يمكّن الله عز وجل هذه المخلوقات من أن تأخذ بالأسباب، لكن الله جل جلاله بيده أن يعطي هذه الأسباب فاعليتها أو لا يعطي، لذلك هناك دعاء رائع في موضوع السحر: اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر، ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضر، فأعوذ بما احتفظت به ممّا أقدرت عليه بحق قولك:

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

هذه الآية اعتبرها دستوراً، لا تستطيع جهة على وجه الأرض: ساحر، جني، حاسد، عدو، أن يصل إليك إلا إذا سمح الله، يمكنه من كل الأسباب، أما أن يكون بيده أن تفعل هذه الأسباب فغلها فلا، لأنّ هذا بيد الله وحده، هناك سحر، وجن، وحساد، وأشرار، وقد مكّنوا من الأسباب، أما أن تفعل هذه الأسباب فغلها فهذا لا يكون إلا بإذن رب العالمين.

أيها الأخوة، قصص لا تعدّ ولا تحصى، فمثلاً نافذة في طائرة كسرت فجأةً، وكانت تركب إلى جانبها امرأة ذاهبة من الرياض إلى الباكستان، فدخلت الريح من هذه النافذة فسحبت ولديها، ووقعا فوق بحر الخليج من ارتفاع أربعين ألف قدم، واليقين القطعي أن هذين الطفلين ماتا، وفي الباكستان أعلمت هذه الأم أهلها بموت ولديها، وبعد أسبوعين جاءت رسالة تدعو الأم إلى أن تأتي إلى الخليج على حساب الشركة فإذا بولديها أمامها.

من الممكن للإنسان أن يملك الأسباب كلها بإذن الله تعالى لكن يبقى الفعل فاعله :

من الممكن للإنسان أن يملك الأسباب كلها بإذن الله عز وجل، لكن يبقى الفعل فاعله، أسباب الموت قائمة مئة بالمئة، وسقط هذان الطفلان الصغيران أمام صياد، فغاص في الماء، وأنقذهما، وأوصلهما إلى مستشفى.

وإنسان آخر يقع من طائرة فوق جبال الألب، على ارتفاع أربعين ألف قدم، تنشط الطائرة إلى جنب مقعده، والموت محقق فتوهي على غابة من الصنوبر في جبال الألب، سماكة الثلج خمسة أمتار والأغصان مرنة نزل واقفاً سليماً، يمكن أن تأخذ بكل الأسباب، أما أن تفعل هذه الأسباب فعلها فهذا بيد الله وحده، اجعل هذه الآية منهجاً، قال تعالى:

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[سورة إبراهيم: ٢٢]

كن مع الله ولا تبال :

قد تغرق عبارة في البحر الأحمر، وعليها ثمانمئة راكب، فينجو من ينجو بقدر الله، ويموت من يموت بقدر الله، وقد يقع بناء فينجو من ينجو، ويموت من يموت، قد يأتي عمود فوق إنسان من البناء الذي انهار فيحميه من تهشم جمجمته، ويسمح له بالهواء، فيقال: بقي ستاً وثلاثين ساعة تحت الأنقاض، ثم أنقذ، بينما إنسان يموت لأنفه سبب، مرة في الحرب الأخيرة مع الصهاينة، حرب تشرين، جرى قصف، فأحد البيوت سقطت عليه فذائف كثيرة فأصبح البيت أربع بلاطات، كل بلاطة عشرين سم، البناء كله سماكته أقل من متر، أحد أصحاب البيوت يعمل تاجراً، فلما علم أن البناء تهدم جاء فوق مغمى عليه، وفي هذا البيت زوجة وخمسة أولاد، أخذ إلى بيت أهل زوجته، فإذا زوجته وأولاده الخمسة موجودون هناك، فما هي القصة؟ جاء أخو الزوجة من سفر، وأخبرها أني وصلت بإجازة بعد ساعات فتعالي إلي، وتعلق بها أبناؤها بأنه لا بد أن نذهب معك، فقبل انهيار البناء خرجت من البيت، بينما إنسان آخر جاء إلى البيت ليلقى حتفه، قضية الموت والحياة، قضية السحر، قضية الجن، الأشرار كثيرون، وما أشد ضررهم، ولكن والله أيها الأخوة لا يستطيعون أن يخذلوا خدشاً إلا بإذن الله، فاطمئن، وكن مع الله، ولا تبال.

كن مع الله تر الله معك واترك الكل وحاذر طمعك

* * *

هذه أول حقيقة، قال تعالى:

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

الأمثلة لا تعد ولا تحصى، قد تنجو والموت كان محققاً، وقد يموت الإنسان لأتفه سبب، رجل غني كبير، ذكي، ومتمكن جداً، في أوج نجاحه، وتألّقه، وصحته، خطر في باله أن يجدد قاطعاً كهربائياً في الحمام، فجاء بمنّ يجدد له هذا القاطع الكهربائي، فقال له: لو نرفعه إلى أعلى يا سيدي، وهو رجل من عليّة القوم بالمقياس المادي، وليس بالمقياس الديني، وفي اليوم التالي أراد أن يستعمله فلم يصل إليه، فأحضر كرسيّاً، وصعد عليه، فوقع، فدخل الكرسي في مقعدته، وبقي ثمانية عشر يوماً في المستشفى، حتى انتهى به المرض إلى الموت، لأتفه سبب، وقد تنجو بمعجزة. فهناك سحر، وجن، وحساد، وأشرار، لكنّ الله موجود، والله بيده كل شيء، الضر بيده، النفع بيده، قد يمكنّ عدوه من الأخذ بكل الأسباب.

في الهجرة أحاطوا بمنزل رسول الله، ولو خرج قبل أن يحيطوا به لقالوا: نجا قبل محاصرته، ولو أمسكناه لكانت القاضية، ولكن الله مكّنهم أن يحيطوا به، ومكّنهم أن يحملوا السيوف، واتّمروا على قتله، فلما أراد الله له الهجرة ما رآه حين خرج إطلاقاً، وقال: شأهت الوجوه. الأمر بيد الله، قال له أبو بكر في الغار: لقد رأونا، قال له: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، ثم قال له: لقد رأونا، قال له: ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٩٨]

أحياناً تقف أمام إنسان بإمكانه أن يؤذيك، فتراه يتساهل معك، ورحب بك، سهّل لك أمورك بشكل عجيب، وإنسان آخر يبحث لك عن مشكلة تافهة، يجعلها أكبر عقبة أمامك، مشكلة لا تحل في سنتين، ينقصها توقيع أو رقم، ويتعلّل بأتفه التعليلات، وأكبر مشكلة تحل بأتفه سبب، ليس ثمة قاعدة، فقد مكّن الله عباده من الأسباب، أما أن تفعل هذه الأسباب ففعلها فلا، لأنّ فعلها بيد الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

المحسود إذا كان موصولاً بالله فلا يستطيع الحسد أن يؤثر فيه إطلاقاً :

أيها الأخوة، مع موضوع دقيق، الحسد خلاصته أنّ إنساناً يتمنى زوال النعمة عن أخيه دون أن تتحوّل إليه، لو أنه أراد أن تتحوّل عن أخيه إليه لكان هذا موضوعاً آخر، نقول: إنه تنافس، أما

الحاسد فلا يتمنى إلا أن تزول النعمة عن المحسود، دون أن يستفيد شيئاً، الحاسد إنسان شرير، لذلك كثرة الظهور تقصم الظهور، لا تظهر كثيراً، كن بشكل طبيعي، قال تعالى:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القصص: ٧٩]

كل إنسان يفتخر بمتاع الحياة الدنيا حوله حساد كثيرون، يا ترى هذا الحاسد قد يملك أسباب إيذاء المحسود، فالسرُّ مجهول، والحدث موجود، هناك شيء يقرب الموضوع تقريباً لطيفاً، أخيراً توصل العلماء إلى إجراء عمليات معقدة جداً بأشعة الليزر دون مشروط، دون فتح بطن، ودون فتح عين، أشعة الليزر دقيقة دقيقة، وخفية خفية، تتسرب إلى جسم الإنسان، وتحرك بأدوات من خارج الجسم، وتجرى بعض العمليات في تفتيت حصاة بالليزر، وكذلك في ترقيع شبكية بالليزر، والله أعلم فلعل الحاسد تخرج منه قوة خفية تتغلغل في نفس المحسود، ورد هذا في حديث، لكن هذا الحديث يحتاج إلى مراجعة، وخلاصته: أن العين أي عين الحاسد تضع الجمل في القدر والرجل في القبر، يؤكد هذا قول الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

[سورة الفلق: ٥]

أهم نقطة في هذا الموضوع أن المحسود إذا كان موصولاً بالله فلا يستطيع الحسد أن يؤثر فيه إطلاقاً.

من كان غافلاً عن الله يصيبه الحسد :

أمّا المحسود الغافل عن الله، والحاسد الحاقد، ولعل عنده أشعة، وهذا الشيء يعلمه معظم الناس، فمثلاً إنسان أظهر ما عنده من متاع الحياة الدنيا أمام إنسان محروم، وبعيد عن الله، وهو شاك في عدالة الله، وهو محروق على أن يكون مثل فلان، لعل هناك أشعة تخرج منه فتؤذي هذا المحسود، فالحاسد إنسان شرير، والحاسد إنسان كافر لماذا؟ لعله كُفِّرَ جزئي، كافر بعدالة الله، مع أن الله عز وجل ورَّع الحظوظ بالتساوي، لكن الناس لجهلهم يتوهمون أن الحظ الذي يُقِيم به الناس هو المال، راحة البال لا تقل أهمية عن المال، والصحة لا تقل عن المال، والزواج الناجح لا يقل عن المال، والأولاد الأبرار لا تقل أهميتهم عن المال، وقد يكون المال سبب قتل إنسان، قضية التوفيق شيء عجيب، أنا أعتقد أن هذه الحظوظ موزعة بالتساوي، ترى إنساناً فقيراً دخله محدود، ولكنه يتمتع بصحة مثل الحصان، إذا أكل فلافل يقول لك: أطيب طعام، وأجهزته كلها سليمة، ليس لديه أية مشكلة، وترى إنساناً يملك الملايين المملينة يعاني من خمسين علة، هذه الأكلة ممنوع عنها، وهذه

تفعل له مشكلة، وهذه تصبه بخلل في جسمه، فلو خيرنا المعطوب أتنمى أن يكون دخلك محدوداً وصحتك جيدة يقول أتنمى والله، أنا أعلم علم اليقين أن هناك أشخاصاً يتمنون أن يفقدوا كل ما يملكون نظير صحة، أو نظيرة راحة بال، أو نظير حظ آخر يفتقده، فالمشكلة أننا نقيم بعضنا في المال فقط، مع أن مؤمناً تقياً خفياً إذا حضر لم يعرف، وإذا غاب لم يفتقد، هذا النقي النقي عنده من راحة البال، وعنده من التوازن والطمأنينة ما لو وُزَّع على أهل بلد لكفاهم، شيء رائع، على كل فالحسد لولا أن الله عز وجل أثبتته في القرآن الكريم لما عرفناه، نرى مصائب كثيرة، نرى بيتاً احترق، وطفلاً مات، طفلاً جميل الصورة، وأمه تباهي به أمام امرأة محرومة من الأطفال، فهناك نساء حمقاوات جداً تعرض ما عندها على الناس، ما عندها على المحرومين، وبين الناس محروم جاهل، ومحروم غير مؤمن، محروم كافر، هذا الكافر يكفر بعدالة الله فيحسد ذا النعمة، ويحقد عليهم، فإذا كان الآخر غافلاً عن الله يصيبه الحسد، لولا أن الله عز وجل أخبرنا، "ومن شر حاسد إذا حسد" لكننا في ضياع، ومتاهة أمام ما يحدث.

قد يكون عند الحاسد شيء مؤثر ومهلك كفيروس الإيدز :

ثمّة نقطة مهمة، وهي أنّ الشيء الخفي أيها الأخوة له فعلٌ كبير، تصور دول العالم كلها، فهناك دول عندها قنابل تدمر الأرض خمسين مرة خمس قارات، ودول عندها رقابة على الأرض، إذا تحرك شيء في السرّ في القارات الخمس فهو مكشوف، أقمار صناعية، وسائل الاتصال مذهلة، في أثناء حرب الخليج كان المراسلُ يوجه الآلة إلى السماء، وبيعت (فاكس)، ولا يحتاج إلى هاتف، ولا إلى شبكة اتصالات، معه فاكس موصول بالأقمار مباشرة، إنه تقدم مذهل، ومع ذلك الشيء الخفي له فعل عجيب، العالم كله الآن بكل مؤسساته، بكل إمكاناته، بكل أمواله، بكل طاقاته، ففي العالم أموالٌ يصعب أن تتصوروها، أرقام فلكية في الدول الغنية، ومع ذلك العالم كله يقف مكتوف اليدين أمام أضعف فيروس على وجه الأرض، فيروس الإيدز، الذي إذا خرج من الإنسان لمسافة عشرة سنتمترات يموت فوراً، وهذا الفيروس حير علماء الأرض، ومشكلته كمن يدخل فرقة عسكرية إلى بلد معادٍ بلباس وأسلحة وأعلام كأعلام الجيش المعادي نفسه، فيظنونه صديقاً، يدخل فيروس الإيدز جسم الإنسان على شكل كريات بيضاء، والكريات البيضاء معروفة بأنها هي التي تقوم بمهمة الدفاع عن الجسم، فلا تقترب من هذا الفيروس، لأنه كما يبدو ليس جسماً غريباً، بل هو صديق، له مواصفاته ذاتها، كما تراه، لأنّ فيروس الإيدز شكله شكل كرية بيضاء، ومنها مكن قوته وخطره، فإذا دخل فلا شيء يقاومه، فإذا تمكن قاوم كل هذه الكريات وأكلها، أحياناً يخصّصون مبلغ ثلاثين ملياراً على أبحاث لكشف مصل مضاد، فيغيّر هذا الفيروس شكله، لكن هذه الأموال ذهبت سدى، فعنده قدرة على تغيير شكله، وكل الأجهزة عندنا لكشف فيروس الإيدز بالعالم كله متخصصة في سلالة واحدة منه، لكن كما بيّن العلم أنّ له أربع سلالات، وقد يجري الخبراء فحصاً وتجارب فتكون

النتيجة سلبية، لأن البحث جرى على سلالة واحدة، ثلاث سلالات أخرى، ولم يتمكن من السلالات الثلاث الأخرى لعجزه عن فهمها، وإذا أردنا أن نفحص إنساناً بحثاً عن هذه السلالات الثلاث نحتاج إلى خمسين ألف ليرة، وهذا فوق طاقة الإنسان، ولو وجدنا مصلاً فثمنه خمسة عشر مليون تقريباً، إذاً تصور العالم كله مكتوف اليدين أمام أضعف فيروس، إذا كان فيروس الإيدز له هذا التأثير فيمكن أن يكون عند الحاسد شيء مؤثر مهلك، لذلك قال تعالى:

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

[سورة الفلق: ٥]

في القرآن بعض السور كالمعوذتين فيهما علاج من السحر والحسد :

أن تضع حذوة حصان فهذا شرك، أو خرزة زرقاء فهذا شرك، وأن تضع تميمة فهذا شرك كذلك، إذاً أما يكفي أن تكون مع الله، إنَّ المحسود إذا كان متصلاً بالله لم تؤثر فيه أشعة الحاسد، وأنت ممكن أن تركب سيارة مصفحة، لو أطلق الرصاص على بلورها لما أمكنه أن يخترقه، ولو أطلق على عجلاتها لما كان له تأثير، ولا على أبوابها، فالإنسان إذا كان مع الله كأنه يركب سيارة مصفحة، ومهما كان مع الخصم أسلحة فلن تؤثر فيك، هذا هو حال المؤمن، فهو محصن، والمحسود المغفل هو الذي يناله الأذى وحده.

لكن ماذا عندنا لنقاوم الحسد، والسحر، أو نقاوم الجن، عند عامة الناس ألف علاج، وأكثر هذه العلاجات أشخاص يحتالون على الناس دجالون، يوهمون أنه بإمكانهم إخراج الجني، إذا كان خالق الأكوام قال لك: استعذ بي، ومليون إنسان قال لك: هناك إنسان يُخرج الجني، أفتصدّق؟ هذا كله شرك أيها الأخوة، العلاج الوحيد: قل أعوذ برب الفلق، الفلق الصبح، الفلق النور، هذا الإله العظيم الذي خلق النور المادي نور الشمس كي نرى كل شيء في النهار، وخلق نور الإيمان الذي إذا ألقى في القلب نرى الحقيقة، الله عز وجل نور الأرض بنور الشمس، ونور القلوب بنوره، فإذا كان في قلبك إيمان، ولديك اتصال بالله سبحانه فقلبك منور بنور الله عز وجل، لذلك رؤيتك صحيحة، والقرار سليم، وإذا توفرت لديك رؤية صحيحة، وقرار سليم، كانت النتائج مضمونة إن شاء الله، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾

[سورة الفلق: ١]

في القرآن بعض السور كالمعوذتين، فيهما علاج، قال عليه الصلاة والسلام:

((يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما يعني المعوذتين.))

[أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان عن عقبة بن عامر]

فهاتان أهم سورتين تعالجان ما أمامك من أخطار لا تعد ولا تحصى، فإذا كان دونك حاسد، حاقد، جني، ساحر، وإنسان محروم شرير، قل: أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب هذه الشمس الذي أطلعها من مشرقها ونورت الأرض، كان عليه الصلاة والسلام يقول:

((إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ فَأَيْنَ النَّهَارُ))

[أحمد عن سعيد بن أبي راشد]

الليل غابة مخيفة، كلها أشباح، مكان سحيق، صحراء وعرة، الليل مظلم بهيم، تأتي الشمس، وتزيل هذا الفلق.

الشر المطلق يتناقض مع وجود الله :

قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ﴾

[سورة الفلق: ١]

الفلق: إما الصبح، أو النور، أو النور الإلهي الذي يُقَدِّف في قلب الإنسان، فيريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، عندئذ يكون قراره سليماً ونتائجه مضمونة.

﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

[سورة الفلق: ٢]

آية دقيقة جداً، فإن الله عز وجل لا يخلق إلا الخير، أما الشر فهو نسبي، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((والشر ليس إليك))

[رواه أحمد ومسلم عن علي بن أبي طالب]

الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، كيف أن النور والظلام يتناقضان إذا أثبت أن هذا المسجد مظلم، أي ليس فيه نور، نقضت وجود النور، وإذا أثبت أن هذا المسجد مُنار بالكهرباء فقد نفيت الظلام، والنور والظلام متناقضان، لأن وجود أحدهما يرفض وجود الآخر، الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، أنت مخير، فإن آمنت بالشر المطلق فمعنى ذلك أن الله غير موجود، وإذا آمنت بوجود إله عظيم، فمعنى ذلك أن الشر المطلق لا وجود له، لكن ماذا نقول؟ هناك شر نسبي، الشر النسبي أساسه بأبسط تعريف سوء استعمال، كأن تقول: سكر، وملح، ومسحوق غسيل، ثلاثة مساحيق بيضاء، إن تضع في الشاي ملحاً تتلفه، وإن تضع الملح في الحلويات تتلفها، الملح مادة جيدة، لكن في الحلويات يفسدها إذاً فما هو الشر؟ سوء استعمال، الزواج والزنا عملية واحدة، ولكن

واحد بقانون شرعي، هذه زوجته مدى الحياة، والثمرة إنجاب أولاد، ثمار يانعة، لكن الزنا لقاء عابر أفسد هذه الفتاة، وتركها كمنديل مسحت به أقدّر عملية، ثم ألقى في الطريق، فالشر سوء استعمال فقط، لكن الله عز وجل ما خلق إلا الخير فقط.

الشر هو اتباع الهوى بغير هدى من الله :

الشر أساسه أن الإنسان مخلوق مخير، أودعت به الشهوات ليرقى بها، وأعطى منهاجاً، لكنه ضرب بالمنهج عرض الحائط، وتحرك وفق شهواته بلا منهج، هذا هو الشر، قال تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

هذا هو الشر، اتباع الهوى بغير هدى من الله، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾

[سورة الفلق: ١]

إنسان بعيد عن الله، بعيد عن منهج الله، أودعت فيه شهوات مستعرة، وترك طليقاً مخيراً، يفعل ما يريد، عندئذ يؤدي، فيأكل مال الناس، ويضطهدهم، ويستعلي عليهم، ويذلهم، ويهينهم، من شر ما خلق، ولكن كما قلت قبل قليل: قال تعالى:

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

الظالم سوط الله ينتقم به ثم ينتقم منه وهذا قانون سماوي :

أنت مخير أن تفعل ما تشاء ولكن لا على من تشاء على من يشاء الله، فالظالم سوطاً الله في الأرض ينتقم به ثم ينتقم منه، ولقد سمعت أن شرطياً أوقف سيارة، فلم تقف، ثم أشار للسيارة الثانية، والثالثة، والرابعة، وهو شرطي يرى أنه يجب أن يطاع، وكذلك الخامسة والسادسة، فامتلاً غيظاً، لكن رجلاً وقف له فضربه ضرباً مبرحاً، فقال له: ماذا فعلت؟ وكان هذا السائق قد ضرب أمه صباحاً، فجعل الله هذا الشرطي يصب كل غضبه عليه.

الظالم سوط الله، ينتقم به ثم ينتقم منه، هذا قانون سماوي، أنت مخير أن تفعل ما تشاء، ولكن لا على من تشاء، على من يشاء الله، كأن الله جل جلاله جعل هذا الإنسان الشرير سواء كان حاسداً،

أو جنياً، أو ساحراً، أو أي إنسان ماهر، أراد الشر فقاده الله إلى من يستحق هذا الشر، ينتقم به ثم ينتقم منه. نريد دليلاً أقوى، قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ١٢٩]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * ﴾

[سورة الفلق]

الغاسق هو الليل، وكذلك هو الشيطان إذا دخل قلب الإنسان، يقال: فلان بداخله إبليس، أو داخل فيه شيطان، كل كلامه مؤذٍ، حركاته مؤذية، نظراته خبيثة، تعليقاته لاذعة، كتلة شر متحركة، فإما أنه من الشيطان، أو أن الله عز وجل يأمرنا أن نستعيد من الليل، السبب أنك نائم، والنائم ميت، أما إذا كان الإنسان يقطاً فيحامي نفسه، لأنه منتبه لما يجري حوله، والله جعل الليل سكناً والنهار معاشاً، فما دام الإنسان مستيقظاً فبإمكانه أن يتخذ الاحتياطات اللازمة أما نائم فهو أعزل ومستسلم.

مهمة الشيطان الخبيثة التحريش بين المؤمنين :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزْرِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾

[سورة الفلق: ٤]

هؤلاء الحاسدون السحرة كفرة، ومن سحر فقد كفر، سأقول لكم حقيقتين، ومعظم الناس واقعون في خطأ فاحش، الساحر، والجنى، والحاسد أشرار حاقدون، هؤلاء لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً إلا بإذن الله، فعلاقتك مع الله، وليس معهم.

الحقيقة الثانية: لا تستطيع أن تنجو منهم إلا بالاستعاذة بالله منهم، مع أن هناك دجالين بأعداد كبيرة جداً، يبتزون أموال الناس، ويأخذونها باطلاً، ويوهمونهم أنهم يقدرون على خلاصهم، وهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، كن علمياً، كن ربانياً، القرآن الكريم أمامك، قال لك:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

شيطان دخل إلى الصدر، أو الليل إذا لف الأرض، وفي الليل المفاجئات كثيرة جداً، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾

[سورة الفلق : ٤]

هؤلاء السحرة الذين ينفثون سحرهم في بعض الناس الغافلين، وللاية تفسير ثانٍ مقبول: ينفثون ما في العُقَدِ، أيّة عقدة بين اثنين، قالت له: كيف حبك لي؟ قال: كعقدة الحبل، هذه العلاقات من يفصمها؟ الحاسدون، أكبر عمل للشيطان وأتباع الشيطان هو التفريق بين الناس، بين الأخ وأخيه، بين الزوج وزوجته، بين الجار وجاره، بين المؤمنين، عندما ييأس الشيطان أن يحمل الإنسان على الكفر، وعلى الشرك، ثم على الكبائر، ثم على الصغائر، ثم على الانشغال بالمباحات، حينما ييأس، حينما يأتيه من بين يديه فلا يفلح، وعن أيمانه فلا يفلح، وعن شمائله فلا يفلح، بقي شيء واحد هو التحريش بين المؤمنين، لم يسلم عليّ مثلاً، أو لم ينظر إليّ باهتمام، أحياناً أرى أن أخوين تخاصما، فماذا فعل معك؟ يقول: شاهدني ولم يسلم علي، من الممكن أن يكون غير منتبه، فاحمل هذا على المحمل الطيب، فالشيطان له أكبر مهمة كبيرة خبيثة هي التحريش بين المؤمنين، فعن جابر قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ بَيَّسَ أَنْ يَغْبِطَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ))

[مسلم عن جابر]

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

[سورة الفلق : ٥]

أيُّ تعاون بين الإنس والجن محرم ومن سحر فقد كفر :

أهم نقطتين في الدرس أن كل هؤلاء الأشرار لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً إلا بإذن الله، فعلاقتك مع من؟ إن كانت مع الله فاطمئن، وأنه إذا وقع شرهم على إنسان لا يستطيع أن ينجو منه إلا بالاستعاذة بالله فقط، لا بشيخ لفته خضراء، ولا برجلٍ يقدر على فكّ السحر، ولا بشيخ معه جني صالح كما يدعون، هذا مؤمن يفهم على أخوانه، هكذا يقول، لا ليس قوله هذا صحيحاً، لو كان صحيحاً لكان قاله النبي، لأنه ما ترك شيئاً إلا قال فيه ما قال.

أيها الأخوة، عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ عَقَدَ عَقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وَكَلَّ إِلَيْهِ))

[أخرجه النسائي عن أبي هريرة]

واعلم أنه ليس في الإسلام أيُّ تعاون بين الإنس والجن مسموح به، فأَيُّ تعاون بين الإنس والجن محرم، ومن سحر فقد كفر، قال تعالى:

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

باع نفسه بثمن بخس.

الإِنسان قيمته عند الله بعلمه واستقامته وأخلاقه :

أيها الأخوة، ما اخترت هذا الموضوع إلا لما انهالت عليَّ الأسئلة، أن رجلاً دخل فيه جني، وهذه تكره زوجها، وقد أوقع الساحرُ بينها وبين زوجها، واعلموا أنني ما نفيت السحر، وما نفيت فعل الجن، وما نفيتُ الحسد، هذا كله واقع، ولكن لا يقع إلا بإذن الله، لأنَّ علاقتك مع الله، لا يقع فعلُ هؤلاء على الصاحي المقبل المستقيم، أنت في سيارة محصنة، لا أحد يمكن أن يصل إليك إلا إذا خرجت منها، إذا خرجت منها حولك أناس معهم مسدسات، فأَيُّ واحد يمكنه أن يطلق النار عليك، فإذا كنت في هذه السيارة المصفحة فسلامتك محققة، هذه السيارة المصفحة صلتك بالله، أنت موصول مستقيم، ولأنك مستقيم ليس عندك رغبة أن تعرض ما عندك على الناس، وليس عندك رغبة أن تجعل الآخرين أضعف منك، والإنسان قيمته عند الله بعلمه واستقامته وأخلاقه.

وفي الواقع هناك أسرٌّ، وأشخاص متقفون يقتنعون أن سبب سوءِ علاقته مع زوجته هو أن هناك مَنْ سحرهم، وألقى لهم ماءً وملحاً أمام الباب، فلا يتفاهمان أبداً، هذا شيء مستحيل، لكن الحقيقة أن في البيت معصية، وهذه المعصية سببت الفرقة والخلاف والشقاق. قال تعالى:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

[سورة المائدة: ١٤]

كن علمياً، كن ربانياً، كن قرانياً، ففي زمنِ الرسول صلى الله عليه وسلم كسفت الشمس، والصحابة فهموا جميعاً أن الشمس كسفت من أجل موت إبراهيم، وكان بإمكان النبي أن يسكت، ولكنه جمع أصحابه ونبَّههم، فعن أبي بكرٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ))

[متفق عليه عن أبي بكرٍ]

الحكمة من تقديم شياطين الإنس في الذكر على شياطين الجن :

كنت مرة في مكة المكرمة، وسمعت قصصاً ليست معقولة، وكلها متواترة، أن أنواراً في المدينة تصل إلى السماء، وقالوا: إنها أنوار المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهناك درس علم بين المغرب

والعشاء، وكنْتُ أحب أن أحضره، بعد أن انتهى الدرس قال المدرس: لقد التقيت مع أمير المدينة، وأخبرني أن هذه الأنوار الساطعة من القبة الخضراء أشعة ليزر، صنعت من أجل إرشاد الطائرات أن هنا قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي طريقة تكنولوجية ليس لها علاقة بما يشاع بين الناس، فعندما تكون علمياً يكون كلامك صحيحاً، وتُحترَم، وعندما تسحب سحبات تزعر ثقة الناس بالدين فالوزر كبير والله يعلم السرّ وأخفى.

فيما بين الناس حسد مدمر، والعوام يعرفون هذا الشيء، قد تكون المرأة محرومةً من الأولاد، نظرت إليه، وتمنت زوال النعمة عن أمه فقط، فإن كان مالاً مثلاً، أو كان مما يُكسر فوراً، بذلة أنيقة جداً يسير صاحبها مثل الطاووس فتتمزق، ومن شر حاسد إذا حسد، لا يزول الحسد بحذوة فرس تعلّق، ولا بجملة مثل: وعين الحاسد تبلى بالعمى، هذا كلام الجهلة، كن مع الله فأنت محصن، أنت في مركبة محصنة إذا كنت مع الله، في الكون جنٌّ، وفيه إنس، قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ١١٢]

لقد قدّم الله شياطين الإنس في الذكر على شياطين الجن، لأن شياطين الجن يحتاجون إلى ألف درس من شياطين الإنس، فكل إنسي يضع ألف جني في طرف جيبه، نحن عندنا وهم أن فلاناً جني، إذا أردت أن تمدح جنياً فصِفْه، وقل: فلان إنسي، هناك أشرار، جن، وحساد، والله موجود، والأمر كله بيده، يعطيهم كل الأسباب، أما أن تفعل هذه الأسباب فعلها فلا، لأنّ علاقتك مع الله، وإذا كنت معه لم يستطع أحد أن يؤثر فيك، أنت الآن يجب أن ترمي ألف قصة في الحاوية، فلان مسحور، وفلان أصابته عين، وأمثال هذه الخزعبلات.

قد يُمكن الله كافرًا من مؤمن لكن في النهاية يحفظ الله المؤمن :

كنت مرة في جلسة، فسمعت عنها أن كل واحد فسر أحداث لبنان تفسيراً، لكن امرأة قالت: أصاب لبنان عينٌ، وعلى كل فنحن لا ننكر أثر السحر، قال تعالى:

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾

[سورة الشعراء: ١٥٣]

﴿ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾

[سورة الإسراء: ٤٧]

النبي عليه الصلاة والسلام منزه أن يؤثر فيه السحر، قد تجري محاولة، وإنّ الله قد حفظ القرآن، فهل معنى حفظ الله لكتابه أنه لا تجري محاولة لتغييره؟ تجري، لكنها لا تنجح، لو كانت لا تجري

فثمة مشكلة هناك، والله يسمح أن تجري، ولكن في النهاية لا تتجح، لأن الإنسان مخير، يمكنه الله من الأسباب.

سيدنا إبراهيم مَنَّ اللهُ قَوْمَهُ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَيْهِ، مَكْنَهُمْ، ولم يكن هناك مطر، فألقوه في النار، قال تعالى:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

[سورة الأنبياء: ٦٩]

كل دعواهم أصبحت في الوحل، قد يُمكن اللهُ كافرًا من مؤمن، لكنّه في النهاية يحفظ اللهُ المؤمن، فلو أنّه لم يمكنه منه لما أظهر له ضعف الكافر، الكافر معتدّ بنفسه، ويقول: لو أمسكه، فلما أمسكه لم يقدر عليه، لأنّ الله يحميه ويحفظه، ويعطيه حجة يقيمها على الكافر، ويلقي على المؤمن هيبة، قبل أن يلتقي به يقول: أريد أن أفرمه فرمًا، فلما التقى به جاء خائبًا.

لا تُحلّ القضايا إذا وقعت إلا عن طريق الاستعادة بالله :

قضية الجن، والحسد، والسحر، وهذه الأشياء الخفية المدمرة، فعلها وتأثيرها بيد الله، فاحفظوا هذه الآية:

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

علاقتك مع الله، ولا تُحلّ القضايا إذا وقعت إلا عن طريق الاستعادة بالله، فليس هناك من منهج آخر، فلان أخرج الساحر الجني منه، ولكن طلب منهم خروفاً ذا قرنين، وديكاً نصفه أسود ونصفه أبيض، يعطيك أشياء مضحكة، ويضع لفة خضراء، ويقولون: إن هذا الشيخ يؤاخي جنّاً مؤمنين فلا تخف منه، كل هذا دجل، أي تعاون بين الإنس والجن تعاون باطل، مَنْ سَحَرَ فَقَدْ كَفَرَ، والحاسد كافر، كفر بعدالة الله، وشيطان الإنس كافر أراد أن يؤذي الآخرين، والمؤمن محصن:

((يقول الله لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن عذابي.))

[ابن عساكر عن علي]

فحصن نفسك بطاعة الله، والاستقامة على أمره، ولا تخشَ أحداً، لا تخشَ إلا الله، فهو القائلُ:

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

[سورة الأعراف: ٥٤]

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٢) : مفهوم الزمن والموت .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٦-٠٨-١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الموت حقيقةً تنقلنا إلى جنة الله عز وجل :

أيها الأخوة المؤمنون، موضوع هذا الدرس متعلق بالعقيدة، متعلق بمفهوم الزمن، ومتعلق بالموت، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

[سورة الملك : ٢]

آية خطيرة، فوجودك في الأرض مقرون بالابتلاء والامتحان، فإن الله خلق الموت، وخلق الحياة، الموت مخلوق، يخلق الموت خلقاً، هذه الخلايا يأتيها الغذاء فتتمو، ويأتيها الغذاء فتعيش وتستمر، ولكن هناك عوامل تسبب موت الخلايا، هذا الموت يتعاضم إلى أن يسبب موت الإنسان. كما أنك مخلوق لتحيا فمع خلق الحياة خلق الموت، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

[سورة الملك : ٢]

أيها الأخوة الكرام، أنا أتصور أن الذي يدخل مفهوم الموت من باب التشاؤم مخطئ، بل الموت حقيقةً تنقلك إلى جنة الله عز وجل، تنقلك إلى الأبد، إلى السعادة العظمى المطلقة، أن تدخل مفهوم الموت في حسابك، أو أن تدخل مفهوم الزمن فهذا صحيح، والناس الغافلون يعيشون غفلتهم ثم يموتون، لكن لو عرف كل إنسان أنه يعيش أيام محدودة معدودة تمضي سريعاً، ثم سيواجه حساباً دقيقاً، وسيواجه حياةً أبديةً؛ فإما لجنة يدوم نعيمها، وإما إلى نار لا ينفذ عذابها، اختلفت حالهم اختلافاً كلياً، المشكلة الغفلة، الإنسان يعيش مع الناس، يعيش بحكم حياته المستمرة، لكن لو وقف، وقال: مَنْ أنا، ما علاقتي بالزمن؟ أنا بضعة أيام، لماذا خُلقتُ؟ فعليه حينئذٍ أن يعرف لأنه خُلِقَ للابتلاء، وما هو أخطر حدث في حياتي؟ إنه الموت.

أخطر حدث نهاية الدنيا، وكل المكتسبات تلغى عندئذٍ في ثانية، كان رجلاً فصار خبراً على الجدران.

كل شيء خلقه الله عز وجل له بداية وله نهاية :

فيا أيها الأخوة، أول نقطة في هذا الدرس أن كل شيء خلقه الله عز وجل له بداية وله نهاية، قال تعالى:

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

[سورة يس: ٣٨]

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعُشُورُ عَطَلَتْ ﴾

[سورة التكويد: ١-٤]

﴿ يَوْمَ نَطُوي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقِ نُعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: ١٠٤]

أول حقيقة أنك كإنسان، وكذلك الحيوان، وكذلك النبات، كل شيء خلقه الله عز وجل له بداية وله نهاية، لكن الله قديم أزلي، هو الباقي الحي على الدوام، ليس له بداية، وليس له نهاية.

الشيء الثاني أن تعلم في هذه الحياة المحدودة التي لها بداية ونهاية أن البداية لها مئة طريق مفتوحة أمامك، لكن النهاية لا يبقى أمامك إلا طريقان، طريق الجنة وطريق النار.

والذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار؛ إما الجنة أو النار، لذلك قدم الله الموت على الحياة تقديم أهمية، فالإنسان حينما يولد يكون أمامه مليون خيار، ينحرف فيتوب، فهذا خيار التوبة، ينحرف فيسترجع، يستغفر، يستقيم، فالبداية تفتح أمامك ألف طريق، أما حين يأتيه ملك الموت فليس أمامك إلا طريقان، طريق الجنة أو طريق النار.

الناس يوم القيامة جميعاً إما مؤمن وإما كافر :

الناس في الدنيا يصنفون بمئات الأصناف، إلا يوم القيامة فإنهم جميعاً إما مؤمن وإما كافر، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٠٦]

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٠٧]

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة: ٢٢-٢٣]

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَتَّظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة: ٢٤-٢٥]

﴿ وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴾

[سورة عيس: ٤٠-٤٢]

كوننا كونُ الأسباب :

كلام متعلق بالعقيدة، هذا الدرس مأخوذ من دروس العقيدة، أول مفهوم: أن كل شيء خلقه الله له نهاية، والدنيا أمامكم، والناس أمامكم، كل واحد من أخواننا الكرام له أقرباء قد ماتوا؟ كان أحدهم ملء السمع والبصر فأصبح خيراً، ونحن على هذا الطريق، وسيأتي يوم لا يبقى فيه أحد في هذا المسجد، بل فوق الأرض، كلهم تحت الأرض، وكل إنسان رهين عمله، قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨]

وهناك شيء آخر، أن هذه الحياة الدنيا فيها أشياء تتفعل لك، لا تحتاج إلى سعي، ولا إلى بحث، ولا إلى كسب، ولا إلى طلب، فالشمس يستوي الناس جميعاً في عطائها، والهواء ليس فيه فاتورة، فقد تُطالب بفاتورة الهاتف، وفاتورة الكهرباء، وفاتورة الماء، لكن والحمد لله فاتورة الهواء لا وجود لها، فاتورة شمس مشرقة لن تصلك، ولن تُطالب بشيء منها.

مرة كنت في مكان جميل مرتفع، والدنيا حر في الأماكن الأخرى، لكن حولنا نسيمات عليلة، قلت: والله لو خطر في بالهم لوضعوا على هذه النسيمات العليلة ضريبة، هذه الأشياء تتفعل لك، لكن هناك في الأرض أشياء لا تأخذها إلا بالأسباب، فكوننا كونُ الأسباب لن نستطيع أن نستخرج الماء إلا إذا حفرت البئر، فالماء الذي في باطن الأرض ينفعل بك، أما الهواء فلأن الشمس لك، لكن الماء والأرض إن لم تحفر لم تأخذه، ولن يصل إليك.

النبات مسخر لك لكن بك، لا بد من أن تزرع، العلم ينفعلك إذا طلبته إن لم تطلب العلم لا تنتفع بالعلم، يمكن أن نسمي هذا الكون كون الأسباب، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾

[سورة الانشقاق: ٦]

إذا انتقلنا إلى الدار الآخرة فنحن عندئذ في كون الإكرام :

حتى إن الإنسان يملك بيتاً صغيراً في أطراف المدينة، ودخله محدود، يقول لك: مت ألف مائة حتى اشترينا بيتاً من ستة وخمسين متراً بتسعمئة ألف ليرة، ويحتاج إلى مئة ألف أخرى، فعليك جهد،

وعمل يومي، ومشقة، من أجل أن تشتري بيتاً صغيراً، فنحن في كون الأسباب، أما إذا انتقلنا إلى الدار الآخرة فنحن عندئذٍ في كون الإكرام، قال تعالى:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الزمر: ٣٤]

الأسباب معروفة، والتمن ليس له حساب، الطالب محقق، فأبى شيء تطلبه سهل ومتوفر، أي شيء يخطر في بالك تجده أمامك، قال تعالى:

﴿فُطُوْهَا دَانِيَةً﴾

[سورة الحاقة: ٢٣]

الفاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة، أكلها دائماً وظلها، بين كون الأسباب وكون الإكرام مسافة كبيرة جداً، ففي الدنيا من أجل أن تضع إلى جانب اسمك دالاً ونقطة تحتاج إلى ثلاث وثلاثين سنة دراسة، تقوم بهذه الدراسة بالجهد والمشقة، ثم تحتاج إلى اختصاص لا قيمة لها إلا باختصاص، عشر سنوات اختصاص بالخامسة والأربعين ماذا بقي؟ هكذا الحياة، نحن في كون الأسباب، نحن في كون الكدح، في كون الجهد والامتحان والابتلاء، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

[سورة الملك: ٢]

لكننا خلقنا للجنة، لجنة الإكرام، نحن الآن في دار تكليف لكننا سندخل في الجنة إن شاء الله، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بدخولها، نحن مخلوقون لدار التشريف، نحن في دار العمل الآن، ومخلوقون لدار الجزاء في خاتمة المطاف.

أغبي الناس هو الذي زهد بالدار الآخرة وطمع بالدنيا :

والله يا أيها الأخوة، أحقق الناس، وأغبي الناس هو الذي زهد بالدار الآخرة وطمع بالدنيا، والدنيا والله مقامرة ومغامرة، لأنها لا تستقيم على حال، ويمكن أن تغادرها وأنت في أوجك، أكثر الناس يتعلم دروساً حتى تنتامي خبراته، وصارت علاقاته بالناس واضحة جداً، وقلما يستطيع أحد أن يخدعه، نكاه، خبرات، ضبط كل شيء دقيق، حينما تكتمل خبراته يضعف جسمه، مفارقة عجيبة، الشاب أحياناً يأكل الحلفاً كما يقولون، عندما تنتامي أذواقه في الطعام لا يتحمل جسمه آثار الطعام، فلا يستطيع أن يأكل هذا الطعام، وقد يعيش في الحرمان، وإذا أفرط تعاقبت عليه المشاكل والويلات والآلام.

حياتنا حياة كدح، حياة امتحان، حياة ابتلاء، والإنسان إذا وطئ نفسه أن يكون في هذه الحياة جندياً لله عز وجل فإنه تنتظره سعادة أبدية كبيرة.

شيء آخر، مفهوم الزمن أمرٌ دقيق، قضية غامضة جداً أحاول توضيحها، مرة ذكرت أن أي شيء له طول، نقطة هندسية حركتها رسمت خطأً، الخط حركناه فرسم سطحاً، السطح حركناه فشكّل حجماً، الحجم حركناه فشكّل زمناً، فمفهوم الزمن غامض قالوا عنه: إنه البعد الرابع للأشياء. الزمن ما يطرأ على الشيء بفعل حركته بالضبط، أهل الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً، الزمن يجب أن يطيل أظافرك، وأن يطيل شعرك، وأن يبيض الشعر، وأن يتجدد جلد الوجه، وأن تتحني القامة، استيقظوا كما ناموا ثلاثمئة أعوام وتسعة، كما ناموا استيقظوا، فأين الزمن؟ الله عز وجل أبطل فعل الزمن مع أهل الكهف.

وقد قال سيدنا عمر بن عبد العزيز: ((الليل والنهار يعملان فيك))، وأوضح سبب خذ صورة لك قبل عشرين عاماً، أو قبل ثلاثين عاماً، ووازن بينها، وبين الصورة الحديثة، كان شعرك أسوداً كثيفاً، اختلف لونه، اختلفت ملامح الوجه، كل ما فيك اختلف، هذا من فعل الزمن، كائن متحرك مع الحركة تصيبه تغييرات وتعترية أطواراً.

الموت أحد مخلوقات الله عز وجل ولأنه أحد مخلوقاته يمكن أن يعطله :

لكن الله عز وجل هو خالق الزمن، والموت أحد مخلوقاته، ولأنه أحد مخلوقاته يمكن أن يعطله، كما عطّله مع أهل الكهف، وعطّله أيضاً مع هذا الذي قال عنه الله:

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٩]

أماته مئة عام، ثم بعثه، ربنا عز وجل وضعنا أمام أمرين، عطّل فعل الزمن في الطعام والشراب، فبقي طازجاً طيب الطعم مئة عام، وسلط الزمن على الحمار، فكان عظاماً نخرة، هناك بُعد رابع للأشياء.

وكتقريب للمعنى تجد سيارة جديدة خرجت من معملها، وصاحبها يعتني بها عناية كبيرة جداً، فانظر إليها بعد خمسة أعوام تجد فرقاً واضحاً، فرق الاستعمال، هذا من أثر الزمن، شيء متحرك تقع عليه تغييرات الزمن.

أيها الأخوة، الإنسان أصبح زمناً، وهو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، والله إن هذا المفهوم وحده لو أدركنا حقيقته لما نمنا الليل، إنسان عاش سنتين سنة، ولسبب أو لآخر ربما لا نستطيع أن نعد كل حركاته وسكناته، ذاق سنتين صيفاً وستين شتاءً وستين خريفاً وستين ربيعاً،

أنجب خمسة أولاد، وإع، صاح، وعاش خمس مناسبات، زوجته على وشك الولادة، ألا نستطيع أن نعدّ له كم سفرة؟ نستطيع، كم دعوة لباها؟ معدودة، كم مرة بكى، كم مرة ضحك؟ الإنسان بضعة أيام.

مفهوم الزمن مفهوم خطير جداً :

مرة قابلت إنساناً في بلد إسلامي وهو رجلٌ عالمٌ، والنقطة لنا صوراً في هذه الجلسة رأيتها قبل أيام، الرجل توفي رحمه الله، وأنا أنظر إليه يتحرك، ويتكلم، ويشرح هذه الآية، ويشرح هذا الحديث، ويأتي بأدلة كثيرة، لكنني أنظر إليه الآن فهو تحت أطباق الثرى مضى إلى ربه.

مفهوم الزمن أنّ الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، هناك علماء في الفيزياء، والموضوع درسوه من وجهة نظر فيزيائية، هكذا قالوا: في الكون سرعة ثابتة، هي سرعة الضوء، تقريباً ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، بالدقة مئتان وتسعة وتسعون وثمانمائة واثنان عشر ألف كيلو متر في الثانية، أي جسم سار بسرعة الضوء يصبح ضوءاً، يمكن لطفل صغير مثلاً لو أتيح له أن يطير بسرعة الضوء فهذا الطفل يصبح ضوءاً، وتصبح كتلته صفراً، وحجمه لا نهائياً، هذا مبدأ أينشتاين، ويعد أعلم علماء الفيزياء، وجاء بنظرية النسبية، وهي أخطر النظريات. فالشيء إذا سار مع الضوء أصبح ضوءاً، وتوقف الزمن بالنسبة له، هذا المسجد ونحن أجسام، ونتلقى منبعاً ضوئياً من المصابيح، هذا الضوء يأتي إلينا، وينعكس منا موجات ضوئية، لو تصورنا أن هذه الموجات صاعدة في الفضاء الخارجي، ولو أن واحداً منا استطاع أن يطير مع هذه الموجات لرأى هذا المسجد، وهؤلاء الأخوة الكرام إلى أبد الأبد، وقد انعدم الزمن، يكون الدرس انتهى بعد ساعة، والعشاء صليناها، وجئنا بعد أسبوع، وأسبوع آخر، ثم جاء الأجل، وأصبحنا كلنا تحت أطباق الثرى، وترحم الله علينا، وصاحبنا الذي يطير مع هذه الموجات يرانا كما نحن.

لو أنه سبق الضوء رجوع الزمن، نظرياً ممكن أن نشاهد موقعة بدر كما هي، لو سرنا في الفضاء الخارجي بأسرع من الضوء حتى حصلنا على موجات هذه المعركة لشاهدناها كما هي، ولو سبقنا الضوء تراجع الزمن، لو قصرنا عن الضوء تراخى الزمن، ساعة في الفضاء الخارجي يقابلها في الأرض ألف عام.

قضية الزمن قضية خطيرة جداً، والزمن يمضي بسرعة، وكل واحد من أخواننا الكرام له عمر، فاسأله كيف مضى هذا العمر؟ يقول لك: كلمح البصر، والإنسان عندما ينام يقف الزمن، يستيقظ قبل المغرب، فيظن نفسه أنه استيقظ بعد الفجر، هذه تحدث كثيراً، نام نوماً عميقاً عند العصر، فاستيقظ قبل المغرب، فقال: هل أدرك صلاة الصبح، أي صبح هذا؟ المغرب لم يؤدّن له بعد، عندما نام تعطل الزمن، لذلك عندما سئل أهل الكهف: كم لبثتم؟ حسب القوانين المألوفة لبثنا يوماً أو بعض يوم، ومضى على نومهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً.

ما مضى فات والمؤمل غيب ولنا الساعة التي نحن فيها :

ربنا عز وجل يوقف الزمن، فهذا الذي مات توقف الزمن أيضاً بالنسبة له، الذي بعثه الله بعد موته ضُرب ببعض البقرة، فسئل: مَنْ قتلَه؟ إنها قصة البقرة التي وقعت في عهد بني إسرائيل مع سيدنا موسى، عندما قتل ابن عمه، وقال الله سبحانه:

﴿ اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾

[سورة البقرة: ٧٣]

فيمكن أن يتوقف الزمن وأنت في الزمن، ويمكن أن يتوقف الزمن بعد مضي الزمن، أو ممكن أن تدخل على الزمن بعد انقضاء الزمن.

أيها الأخوة، الذي نريده أن يعلم الإنسان علم اليقين: ما مضى فات، والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها، لا أحد من أخواننا الحاضرين وأنا معكم يملك ساعة بعد هذه الساعة.

مرة دعيت إلى مولد في جامع الحنابلة، بعد انتهاء درس الأحد فيما أذكر توجهت إلى ذلك المسجد، أحد أعضاء الجمعية التي سعت لإنشاء هذا الحفل استقبلني عند مدخل المسجد بترحاب شديد، ودخلت إلى المسجد، وجلست في مكاني أستمع لبعض الكلمات، ولم ألبث أن سمعتُ اضطراباً وضجيجاً في المسجد فما فهمت شيئاً، ثم أعلمت أن هذا الذي استقبلني وقع ميتاً، ذهبنا إلى مستشفى أمية لنسعف الرجل، لكنه مضى إلى مولاه، وكان قد صافحني قبل دقيقتين، كذلك كنتُ مرة في تعزية فجلس إلى جانبي أحد علماء دمشق الأفاضل، رحمه الله، حدثته وحدثني، وقام وانصرف، خرج من بيت التعزية رجلٌ عنده سيارة لا يعرفه إطلاقاً، ولا يعرف اسمه، فدعاه ليوصله إلى البيت، فاستجاب له شاكرًا، أوصله إلى البيت، وبيته في الطابق الرابع، وصعد الطوابق الأربعة، وفتح الباب، ودخل إلى بيته، ثم دخل إلى غرفته، وضع عمامته على الطاولة، وخلع جيبته، واستلقى على السرير، وسلم روحه، لو أراد أن يستأجر سيارة لتوصله لمات في السيارة، أما هذا الأخ الذي ألهمه الله أن يأخذه من باب بيت التعزية إلى باب بيته بأسرع ما يمكن، وأجله بعد خروجه من التعزية بعشر دقائق، كانت هذه كافية لكي ينتقل إلى بيته.

الموت يأتي فجأةً والقبر صندوق العمل :

مَنْ منا يملك ساعة في المستقبل، وذات مرة جلست مع مدير ثانوية، وبث لي همومه، وقال: أنا مُجمِع على السفر إلى الجزائر كي أعلم هناك، وكان هناك في وزارة التربية نظام الإعارة، مدرس له أن يذهب إلى أي بلد عربي، ويأخذ ضعف راتبه، فقال لي: سأذهب إلى هناك، وأقيم خمس سنوات،

ولن أتى إلى الشام في هذه السنوات الخمس، وسوف أقوم بزيارات في صيف هذه السنوات الخمس، وعداً لي البلاد الأوربية التي سيزورها، بلداً بلداً، أول سنة إسبانيا، وفي الثانية بريطانيا، وفي الثالثة فرنسا، وفي الرابعة إيطاليا، وسأتجول في هذه البلاد، وأذهب إلى المتاحف، وإلى الريف، ثم أعود بعد خمس سنوات، وأطلب الإحالة على التقاعد، وأشتري محلاً لبيع التحف، ويكون أولادي قد كبروا، ويقيمون في هذا المحل، وأجعله منتدى لي ولأصدقائي، ولا أذكر التفاصيل الأخرى، جلست عنده ساعة، حدثني فيها عن عشرين سنة قادمة، ثم فوجئت مساءً أنه مات في اليوم نفسه، والله في اليوم نفسه وجدت نعيه على الجدران وقد انصرفت إلى البيت بعد لقائي به، وعدت إلى مركز المدينة لعمل، وفي طريق العودة إلى البيت رأيت نعيه على الجدران في اليوم نفسه، وهذا يحدث كثيراً. الموت يأتي فجأة، والقبر صندوق العمل، لحكمة بالغة أيها الأخوة ليس للموت قاعدة، إنسان معلل ثلاثين سنة وهو مُقعد في البيت، ولا أحد من ذويه إلا ويتمنى موته، ولا يموت، وإنسان في ريعان الشباب يباغته أجله، كلنا تحت هذا القانون، ولا يُستثنى واحد، أليس الأفضل أن تعدّ لساعة المغادرة عدتها، ما مضى فات، الماضي لا تبحث فيه إطلاقاً، فإنّ البحث فيه غباء، ما مضى فات، والمؤمل غيب لا تملكه، لا نملك إلا هذه الساعة، فيجب أن تتوب في هذه الساعة، بل في هذه اللحظة، تريد أن تطلب العلم فاطلب العلم الآن، تريد أن تتفق انفق الآن، لا تقل غداً، قال النبي الكريم لرجل: ويحك أو ليس الدهر كله غداً.

أخواننا الكرام، قضية الموت والزمن قضية كبيرة، كما قال سيدنا عمر بن عبد العزيز: ((الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما)).

أيها الأخوة لو يعلم الإنسان ماذا ينتظره بعد الموت، فو الله أكاد أقول لكم: لن ينام أبداً، هناك مَنْ يعمل في التجارة، زرت معملاً كلموني فقال لي بعض مَنْ فيه: إن صاحبه اشترى بيتاً ثمنه مئة وستون مليوناً، يعمل من الساعة الخامسة حتى الساعة الحادية عشر مساءً، فهذا الجهد ينبغي أن يكون للأخرة، انظر إلى النبي اللهم صلي عليه، لقد جاء إلى الدنيا، وخرج فماذا فعل؟ لقد أقسم الله سبحانه وتعالى بعمره، فقال تعالى:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[سورة الحجر : ٧٢]

الطامة الكبرى أن يعيش الإنسان دون هدف كالدابة تماماً :

وكذلك اسأل نفسك: ماذا فعلت للمسلمين؟ ماذا قدمت، أقدّمت علماً، أقدّمت مالاً، أقدّمت خبرةً، أقدّمت مساعدة، أربّيت أولادك، ماذا فعلت؟ هذه هي الغنيمة، لقد ذهبت إلى بلاد الغرب، إلى أمريكا، فكان أكثر شيء لفت نظري أن الإنسان هناك يعيش بلا هدف، يأكل، ويشرب، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾

[سورة محمد: ١٢]

يعيش الإنسان بلا هدف فهذه والله الطامة الكبرى، مرة التقيت مع مندوب شركة، أردت أن أحدثه عن الله قليلاً، فما إن بدأت حتى قال: هذه المعلومات لا تعينني، ولا أهتم لها، ولا ألقى لها بالاً إطلاقاً، أنا يعنيني امرأة جميلة، وبيت واسع، وسيارة حديثة، إنه تائه ضائع، قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملوك: ١٠]

يا أيها الأخوة، درسنا اليوم دارَ حول مفهوم الزمن ومفهوم الموت، وكلاهما مفهومان خطيران، ملخص الملخص قول الإمام الحسن البصري: ((الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه)).

العاقل من يدخل ساعة الموت في حساباته اليومية :

والله ما رأيت في كل حياتي موقفاً فيه عبرة كما أقف أمام قبر، ويدفن الميت أمامي، وأنا أعرفه تماماً، قد يكون صديقاً، وقد يكون قريباً، أعرفه تماماً، أعرف حياته، وطريقة حياته، وصلاته، ودينه، أراه ملفوفاً بقماش يُحمل، ويُدفن تحت الأرض، والشيء المؤلم أن توضع دقائق الحجرة على فتحة القبر، ويأتي الحفار، ويجرف التراب، وقد تسقط عليه كمية كبيرة جداً من التراب، وكان قبل أيام على سرير معطر، وشرشف جديد معطر ومغسول، حرام في الشتاء وثير، في الصيف مسبل لطيف، أما بعد الموت فيحال عليه التراب، وانتهى الأمر، والذي أرجوه أن ندخل هذه الساعة في حساباتنا اليومية، فاحذر أن تأكل قرشاً حراماً أو أن تكذب، واحذر أن تعتدي ولا على نملة، لأن كله مسطرٌ ومسجل عليك، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَذَابِ الْحَرِيقِ ﴾

[سورة آل عمران: ١٨١]

أما هذا الغافل فإنه يعيش كالبهيمة لا يعرف لماذا خلق؟ ولماذا جاء به إلى الدنيا؟ وماذا بعد الموت؟ قال تعالى:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾

[سورة إبراهيم: ٣٠]

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[سورة البقرة: ١٢٦]

هذا الكلام خطير، يجب أن تراجع كل حساباتك، تراجع شؤون بيتك وظروف عملك، أي حرفة رائجة يقبل الناس عليها حلالاً كانت أو حراماً، أي جهاز ممتع مسلّ ألهو به، يا ترى ما الذي يعطلني عن صلواتي، ويفسد علاقتي مع أهلي، ويفسد تربية أولادي؟ واحذر أن تقول: أنا واحدٌ من الناس.

العمل الصالح هو الفوز والذكاء والفلاح أما الراحة فهي استهلاك رخيص للوقت :

أخواننا الكرام، عندما تُدخل الموت في حساباتك اليومية تنعكس الموازين، سأوضح لكم هذا، إنسان تعب في العمل الصالح يقال له: لماذا لا ترتاح؟ لو فرضنا أنني ألغيت هذا الدرس، وتوقفتُ عن هذه الخدمة، وطويت هذا الكتاب، وسأخذ للراحة في البيت، هل الراحة هي الهدف؟ لا، فإنّ الهدف هو العمل، مثل بسيط وطريف: إذا ملأ رجل الحمام ماءً . البانيو . ماءً فاتراً، والماء الفاتر مهدئ جداً، وجلس ساعة، وساعتين، وثلاثاً، وتمطى كل يوم عشر ساعات في الماء الفاتر، هل يصبح طبيباً، أو يصبح تاجراً كبيراً، هذا مستحيل، الراحة ليس لها مردود، وليس لها مستقبل، أما التعب فله مستقبل، إنسان يتعب يحقق نجاحاً، يقطف ثماره، لما دخل الموتُ في حساباتي رأيتُ أن العمل الصالح هو الفوز، هو الذكاء، هو الريح، هو الفلاح، والراحة استهلاك رخيص للوقت.

مرة شاهدت بيتاً جميلاً في مكان، فقلت لصديقي: لو كانت هذه البيت لنا، وأقمنا فيها كل أيامنا فسنتي يوم القيامة مفلسين، مكان جميل، وطعام شهّي، ومناظر خلابة، تأكل، وتنام، وتسهر، وتتأمل، يأتي عليك يوم القيامة وأنت مفلس، فالأولى أن نجلس في مكان حار، وفيه كل المنغصات، ولكن فيه عمل صالح، إذاً عندما تدخل الموت والآخرة في الحسابات تجد التعب راحة، والبذل هو الفلاح، وليس الأخذ، أكثر الناس يحسب نفسه ذكياً إذا أخذ، بالعكس فإنّ الإنسان المفلح هو الذي يعطي، أما إذا أخذ تجده بعد حينٍ ترك هذا ومات، لم أر عبارة أدق لما أعلم من إنسانٍ من أهل الدنيا، ومن كبار الأغنياء مات، فيقال: ترك كل شيء، بينما رجل له أعمال صالحة، ومات أخذ كل شيء، جملة (كل شيء) في الحالتين موجودة، ولكن أحدهما أخذ (كل شيء)، والآخر ترك (كل شيء)، عندما تدخل الموت والآخرة في حساباتك فأنت بالتعبير العامي "تقبضها" وليس في ذلك كلام، تنعكس موازينك، وترى الفلاح في القبض وليس في الأخذ، ترى الذكاء في التعب، والسهر، وبذل الجهد، أعرف أشخاصاً يعملون عشرين ساعة لله، وهو أسعد الناس، يقال له: عليك بالراحة قليلاً، فيقول: أنا بالراحة أتعب، فإن رأيتُ نفسي عاطلاً عن أيِّ عملٍ، فارغاً، فعندئذٍ ليس للحياة مذاق، أمامك عمل، وإنفاق المال، والتعليم، وطلب علم، وحلّ المشكلات، وتيسير أمرٍ لإنسان، بهذا

ترقى عند الله، اخذ إلى الراحة تشعر بنفاهة الحياة، لا تستحق أن تعيش هذه الحياة، تراهم مثل البهائم، يأكل أحدهم ويشرب، وينام، ويرفس النعمة، ويقول: هكذا الناس؛ أكل، وشرب، ونوم، وكلام مؤذ مثل الرصاص، كبر واستعلاء، متى يشعر بقيمة الحياة؟ حينما يأتيه ملك الموت.

حينما تؤمن بالآخرة وتدخل الموت في حساباتك ترى التعب راحة والعطاء أخذاً :

قال تعالى:

﴿ يَفْؤُلُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

[سورة الفجر : ٢٤]

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾

[سورة الزمر : ٥٦]

﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾

[سورة الفرقان : ٢٧]

الحقيقة أنّ المشكلة الآن في الملهيّات الكثيرة حولك، تنسيك الزمن كله، أجدادنا لم يكن عندهم ملهيّات، أحدنا الآن يمكن أن يجلس أمام التلفاز حتى الساعة الخامسة صباحاً، من محطة إلى محطة أخرى، أو تلعب طاولة طول الليل، أو تتابع الأخبار، أو المسلسلات، أو تسهر في المقاهي، يمكن أن تبذل وقتك كله في مُتّع متتابعة، ولا تشعر بالوقت أبداً، فجأةً أزمة في الصحة شديدة، فيؤخذ إلى المستشفى، عناية مشددة، ثم يُنشر نعيه، هذا واقع الناس كلهم، فنحن نضرع إلى الله أن يلهمنا الصواب، حينما تؤمن بالآخرة، وحينما تدخل الموت في حساباتك اليومية، ترى التعب راحة، وترى العطاء أخذاً، والعمل المتواصل هو الذكاء، وكل إنسان وجد الراحة هي الهدف، فهو الغبيّ الذي لم يفقه من الدنيا شيئاً، معظم الناس تراه وليس له عمل صالح يحتاج إلى فيلا ومسيح، ودخل كبير، يتمتع ويسافر، ولا يريد شيئاً آخر، أهذا الشيء يدوم؟ وإذا دام فإلى متى؟ ألم يعلم أنّ كل حال يزول، وسبحان الحيّ الذي لا يزول ولا يحول.

الموت مصير كل إنسان :

أقام إنسان في بلد نفطي ثلاثين سنة، جمع عدة آلاف من الملايين، مات فجأةً في فندق، وهو في نزهة، وعمره خمس وخمسون سنة، الأربعة آلاف مليون أين هي؟ وماذا انتفع منها إن لم يكن تصدّق؟ ربما تكون عليه وبالاً يوم القيامة، ونخشى أن يقال له يوم القيامة:

﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾

[سورة القيامة : ٣١]

((أَنَّهُمْ دَبَّحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا،
قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا))

[الترمذي وأحمد عن عائشة]

أنا الذي ألح عليه هو أنك حينما تؤمن بالآخرة إيماناً حقيقياً، كيف يكون الطالب المجتهد مترقياً
قدوم أيام الفحص، فيدرس له من أول السنة، يقرأ، ويلخص حتى الساعة الواحدة ليلاً كل يوم، لأنه
مؤمن أن الفحص قريبٌ وآتٍ، وعليه أن يجمع علامات، وهذه العلامات سوف تحدد مستقبله، طبيياً،
أو مهندساً، فعندما يؤمن الإنسان بالامتحان إيماناً حقيقياً، ويستعد له من قبل يقطف ثماره، فإذا آمن
أحدنا أن الموت قادمٌ لا محالة، وسوف أحاسب على الكلمة، وعلى النظرة، وعلى الليرة كيف
كسبتها، وكيف أنفقتها، فسأدخل جنةً فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،
فلن يألُو جهداً ولن يتلُكاً لحظةً.

مرة دعانا أخ إلى مكان جميل في اللاذقية، دخلنا إلى فيلا في بستان، فيه كل أنواع الفواكه، في
حضن جبل أخضر مطلة على البحر، حتى وجدنا في البستان الموز، أنواع الفواكه كلها تملأ جنات
هذا البستان، فسألت فقالوا: والده مات بجلطة، وترك هذا البيت، ومضى إلى الله، هذا مصير كل
إنسان يترك ويمضي، نظمٌ أمورك، فهنا الإقامة مؤقتة، والمثوى الأخير معروف، وسيشيع كل واحدٍ
منا إلى مثواه الأخير، القضية ليست قضية تشاؤم، وليس قضية سوداوية، لا، فالموت مصير كل
إنسان، وكل مخلوق له بداية، وله نهاية، وهو بضعة أيام، وعند الولادة تكثر الخيارات، أما عند
الموت فليس من خيارات إلا خيارين؛ إما جنة، وإما نار، وحينما تؤمن بالله إيماناً حقيقياً تنعكس
المقاييس، ويصبح التعب هو الراحة، والبذل هو الأخذ، والإنفاق هو السحب، والله سبحانه وتعالى
يوفقنا لما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٣) : قصة إيمان (جيفري لنك ١) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم هو علاقة بين شيئين مقطوع بها يؤكدها الواقع وعليها دليل :

أيها الأخوة الكرام، موضوع جديد ربما استغرق بضعة دروس، جديد وفريد ذلك أن المعلومات النظرية في الدين نافعة جداً لكنها تفتقد إلى شواهد عملية، لذلك حينما تقرأ سنة رسول الله تستفيد منها أيما فائدة، أما حينما تقرأ سيرته تشعر أن هذا الحق الذي جاء به النبي طبقه، فأنت أمام حقيقة مع البرهان عليها، ولا أحد يقبل أن يكتفي بمعلومات نظرية، أما إذا طبقت، إذا انقلبت إلى واقع، إذا انقلبت إلى خبرة يومية يعيشها الإنسان هذا يؤكد المنطلقات النظرية.

لو قال أحدهم: أنا اكتشفت أنه يمكن أن
تبنى بناءً من دون حديد ونوفر ألوف
الملايين وجاء بأدلة وآراء منطقية
ورائعة، نحن قلنا له: ابني بناءً أمامنا
من دون حديد، فلما بنى البناء وقع
البناء كله، يا ترى ما الذي سقط البناء
أم النظرية؟ النظرية انتهت، فالواقع هو
الذي أنهى النظرية، لذلك الواقع هو
الأصل، بل إن تعريف العلم أنه وصف



النظرية انقلبت إلى واقع

مطابق للواقع مع الدليل، فأية حقيقة لن يؤكدها الواقع لا قيمة لها تعد جهلاً، بل إن من بعض تعريفات العلم أنه علاقة بين شيئين مقطوع بها يؤكدها الواقع وعليها دليل، لو لم يكن مقطوع بها لكانت وهماً ثلاثين بالمئة، شكاً خمسين، ظناً سبعين، قطعاً مئة بالمئة، بالعلم لا يوجد ظن ولا شك ولا وهم، يوجد اضطرار، ثبوت، وقطع.

علاقة بين شيئين مقطوع بها، لو لم يكن مقطوع بها لكانت شكاً أو وهماً أو ظناً، الآن يؤكدها الواقع لو لم يؤكدها الواقع كانت جهلاً، قد يتوهم أحكم أن الجاهل هو الذي ليس عنده معلومات، الجاهل قد يكون ممثلاً من المعلومات ولكن كلها معلومات مغلوطة، اجلس مع إنسان من أهل الدنيا تسمع كلاماً غريباً، أي شيء يقدم له نفعاً يعده مشروعاً، أي شيء يحرمه من أي شيء من الدنيا يعده

مرفوضاً، فمقياسه مصلحته، ليس هناك مبدأ يحكمه، فإن لم توافق الواقع كانت جهلاً، وإن لم يكن عليها دليل كانت تقليداً.

فالعلم لا يحتمل شكاً، ولا ظناً، ولا وهماً، ولا مخالفةً للواقع، ولا تقليداً، لا يوجد دليل تقليدي، ما طبقت الواقع جهل، لن يكن مقطوعاً بها وهم، ظن، شك.

الأسوة<أكبر مهمة للأنبياء :

إذا الوصف المطابق للواقع مع الدليل، يأتي النبي عليه الصلاة والسلام ويحدث الناس، أهم من حديثه لهم واقعه، سلوكه، موافقه، فالذي يشد الناس حقيقة يؤيدها الواقع، وأنا أقول لكم: الحق دائرة لا بد من أن تتقاطع فيها أربعة خطوط، خط النقل الصحيح وهو الكتاب والسنة، وخط العقل الصريح، وخط الفطرة السليمة، وخط الواقع الموضوعي هذه إذا تضافرت كونت الحق، لأن النقل كلام الله قرآناً، وبيان النبي لهذا القرآن حديثاً، والعقل مقياس أودعه الله فينا فهل يعقل أن يتناقض هذا المقياس مع كلام الله؟ والفطرة جبلة جبلنا عليها من صنع الله أيضاً، والواقع خلقه فلا بد من أن يتوافق خلقه مع جبلته مع مقياسه مع كلامه، لا بد من أن تتوافق الفطرة مع العقل مع الواقع لذلك أكبر مهمة للأنبياء الأسوة، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٢١]

الآن ملاحظة نحن في هذا العصر، في عصر الاتصالات، في عصر الزخرف، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة يونس: ٢٤]

كل مؤمن له اتصال حقيقي بالله عز وجل:

نحن في عصر استعمار الشهوات، نحن في عصر شيوع الضلالات، نحن في عصر تفكك الأسرة، نحن في عصر غلبت المصلحة على المبدأ، والحاجة على المثل إلى آخره، ما الذي يشدنا إلى الدين؟ إنسان بالعصر العباسي عرف الله أم إنسان يعيش معنا عرف الله؟ الذي يعيش معنا يشدنا أكثر لماذا؟ لأنه واقع تحت الظروف التي نعيشها ظروفنا ظروفه، الضغوط هي نفسها، الإغراءات هي نفسها، الشبهات هي نفسها، الشبهات والضغوط والإغراءات كلها واحدة ومع ذلك انتصر على نفسه وعرف الله.

هذه مقدمة، قبل أسابيع وقع تحت يدي كتاب ما كنت أظن أن فيه عمقاً بهذا العمق، رجل أستاذ في الجامعة في أمريكا، من حيث الذكاء متفوق تفوقاً عجبياً، كان أستاذه في الجامعة يقول له: اخرج من القاعة ولك علامة تامة، لأنه إذا دخل أريك أستاذه، تلقى التعليم الديني في المرحلة الثانوية، لم يقدم له أستاذ التربية الدينية الأدلة التي تقنعه على وجود الله، هدده أستاذه أن يجعله مع الراسيين، عندما علم أبوه بهذا أقام عليه النكير ثم اتخذ الإلحاد مذهباً له، صار ملحداً وتابع دراسته ووصل إلى أعلى مرتبة في جامعة من جامعات أمريكا، وصار أستاذاً في هذه الجامعة وهو ملحد، لم يكن يخشى من إلحاده، الأدلة التي جاء بها رجال الدين لم تكن كافية عنده على أن تؤكد له وجود الله عز وجل.

هذا الملحد الألمعي، الذكي، العبقرى، جالس في مكتبه دخلت عليه فتاة يقول هذا المؤلف: لن أستطع نسيان تلك الفتاة الشابة التي جاءت إلى مكتبي تطلب المساعدة، عندما فتحت الباب وجدت أمامي امرأة غامضة، بدت وكأنها من الشرق الأوسط، كانت مغطاة بالثياب السود بشكل كامل من رأسها إلى قدمها، لقد طلبت مساعدتي من الجانب النظري في حقل دراستها، وقالت: إن أستاذها أرشدها إلي، كان أستاذه يستعين به لشدة تفوقه، وافقت على مساعدتها وسرعان ما تحطمت الصورة التي كنت قد كونتها مسبقاً عن النساء العربيات، لقد كانت طالبة دراسات عليا في الرياضيات وكانت معيدة في قسم الرياضيات ولكني لم أستطع تخيلها وهي تقف بتلك الملابس أمام صف من سكان إنديانا الأصليين، ولكن في الوقت نفسه دققوا الآن، كان لها وقار واتزان جعلاني أشعر بالخجل من نفسي لقربها، وجدت نفسي محاولاً عدم التحديق بها من شدة هيبتها، قال: شعرت أن في داخل هذه الفتاة قوة مجهولة شددتني إلى أن أحداثها، فيها قوة، بعد أن التقى بهذه الفتاة قال: بدأت أهتم بدراسة الديانات الأخرى.

الإنسان إذاً حكم اتصاله بالله عز وجل ملك ما يسمى بالقوة الروحية:



أي أن منطلق هذا الأستاذ للإيمان بالله هذه الفتاة المحجبة، المؤدبة، المحتشمة، الذكية، التي تعمل معيدة في الجامعة، شعر أنه بحاجة إلى أن يحادثها، شعر بقوة خفية فيها، شعر بوقار واتزان، شعر بخجل أن يكون قريباً منها، شعر بحياء أن ينظر إليها، من هنا انطلق لدراسة الدين الإسلامي.

التعليق على هذه القصة، أن المسلم أحياناً هو نفسه دعوة وإن لم يتكلم كلمة واحدة، سمته، وأدبه، ووقاره، واتصاله بالله عز وجل، وتألقه، وهذه القوة الخفية فيه بسبب اتصاله بالله عز وجل، عنده قوة نفسية بتعبير آخر عنده زخم روحي، المؤمن متصل بالقوي، المؤمن متصل بالعليم، بالحكيم، المؤمن يشعر بقوة كبيرة جداً وكل مؤمن له اتصال بالله عز وجل حقيقي يوجد حوله هالة كأنه يشع نوراً، كأنه يشع نوراً يطمئن من حوله، واثقاً من نفسه، واثق من أن الله معه لن يخزيه.

كل واحد منا إذا أحكم اتصاله بالله عز وجل ملك ما يسمى بالقوة الروحية، هو ساكت له تأثير، قوة أسرة، إنسان ملحد، فتاة مسلمة محجبة، وقورة، متزنة، في داخلها قوة خفية شعر بخجل أن يكون بقربها، استحيا أن يحدق فيها، هذا المنظر دفعه إلى أن يدرس الإسلام هذه واحدة.

إذاً كل مؤمن داعية، قبل أن يقول كلمة واحدة، اتصاله بالقوة العظمى بالكون، اتصاله بالحدود اللانهائية للكون، إدراكه لقيمته في الحياة، إدراكه لرسالته تجعل منه دعوة بأكملها، قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة النحل: ١٢٠]

الملحد عالمه صغير وحدود عالمه متناقضة وهو يشك في كل شيء:

يقول هذا الرجل: لا أحد يعرف الوحدة والوحشة كالملحد، حينما يشعر الشخص العادي بالعزلة يستطيع أن يناجي ربه من خلال أعماق روحه، يناجي الواحد الأحد الذي يعرفه، يناجيه وينتظر استجابته، فهو يأنس به، أما الملحد لا يسمح لنفسه بتلك النعمة لأن عليه أن يسحق هذا الدافع وأن يذكر نفسه بسخفها، فالملحد عالمه صغير، صغير وحدود عالمه متناقضة وهو يشك في كل شيء.

هو كان ملحد، أنا مرة تذكرت أن الذي قال: لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف، هذا القول كنت أذكره عشرات المرات ولكن قبل سنة أو أكثر تنبهت إلى أن قائل هذا القول كان سلطاناً، كان ملكاً وترك الملك زهداً وصار عارفاً لله، هو الإنسان الوحيد الذي يصدق لأنه عاش في الملك وعاش في معرفة الله، قال: لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف.

يقول هذا المؤلف: إن الرجل المؤمن يمتلك إيماناً بأشياء تفوق إحساسه وإدراكه، في حين أن الملحد لا يستطيع أن يثق بشيء وليس عنده حقيقة مطلقة، إن مفاهيم الملحد عن المحبة والرحمة والعدالة في تبدل وفي تحول ومفاهيم ضبابية لا معنى لها، لذلك هو في وحشة كبيرة. الملحد يريد أن يلبي حاجة الخلود من خلال كتابة مؤلف، اختراع شيء، هو بحاجة الخلود والموت أمامه واضح، لأنه أنكر الآخرة صار عنده خلل، الإنسان مفطور على حب وجوده وعلى حب سلامة وجوده وعلى حب كمال وجوده وعلى حب استمرار وجوده، الإنسان حينما يؤمن بالله يحقق الاستمرار، قال تعالى:

﴿ وَلَئِن مَّتَّوْاْ قَتَلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٨]

المؤمن متوازن يعلم علم اليقين أن هناك موت ولكن هذا الموت ليس نهاية الحياة بل بداية الحياة، قال تعالى:

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

[سورة الفجر: ٢٤]

حب الاستمرار والخلود محقق في حياة المؤمن :

الإيمان بالآخرة، الإيمان بالجنة يلبي بالإنسان حب الاستمرار، الملحد يحب الاستمرار من خلال اختراع، يقول: أخترع اختراعاً يسجل باسمي، أموت يبقى ذكري في الأرض لمئات السنين، لا يوجد حل ثاني، هو يوقن أنه انتهى ولكن يبقى فكرة في أذهان الناس، هكذا يؤمن الملحد بالخلود لكن المؤمن يعيش حياة حقيقية، قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٩]

وازن، الملحد يؤلف كتاب، يؤلف قصة، يعمل عمل فني، يخترع شيء حتى يردد اسمه بعد موته، لا يوجد عنده إلا هذا الخلود، المؤمن ولو أنه انتقل إلى الدار الآخرة ينتقل إلى حياة أعلى، حب الاستمرار والخلود محقق في حياة المؤمن.



السعادة المستمرة في العمل الصالح

الآن يوجد حقيقة مهمة جداً، هذه تعرفونها جميعاً ولا تخفى على أحد، ليس في الدنيا كلها شيء يمنحك سعادة مستمرة، طالب يحلم بالشهادة الثانوية، أحياناً يبقى ساعات طويلة بعد أن يستلقي على فراشه يحلم أي بعد حين صار معي شهادة ثانوية بمجموع عالٍ، يتلقى نبأ النجاح وبعد يومين أو ثلاثة تتلاشى هذه السعادة وانتهى الأمر، دخل الجامعة يحلم أن ينجح، أن يحمل لسانس، يحمل إجازة، يحلم أربع سنوات، يتلقى نبأ النجاح بعد أيام معدودة تلاشت هذه السعادة، يظن أنه إذا تزوج سوف ينغمس بالسعادة، يتزوج يكون في أيام الخطبة يمضي ساعات على الهاتف مع مخطوبته،

بعد أن يتزوج الزواج شيء عادي وأقل من عادي، يشتري مركبة أول جمعة لا ينام الليل من مكان إلى مكان، بعد أسبوعين ثلاث انتهى شيء عادي جداً، ينتقل إلى بيت واسع أسبوعين بعد ذلك فقد هذا البيت ألقه وبريقه.

ليس في الدنيا كلها شيء يمكن أن يمدك بالسعادة المستمرة، طبعاً متزايدة مستحيل، مستمرة مستحيل، متناقصة أقرب إلى الواقع وأمدتها قصير، وهذه حقيقة بين أيديكم.

كل شيء في الدنيا يتناقص إلا محبة الله ومعرفته :

يقول هذا الأستاذ: لقد أمضيت خمس سنوات من العمل الدؤوب في موضوعي وها أنا أنتظر نتيجة هذا العمل على أحر من الجمر، وفجأةً فتح أحدهم الباب ليحييني بكلمات، قال له: مبارك يا دكتور لقد نجحت، بحسب تصوره هذا النجاح يجب أن يمدك بسعادة كبيرة ولكن بينما كنت عائداً إلى منزلي بدأت فرحتي بالتلاشي وكنت كلما حاولت استرجاعها غمرني مزيد من الشعور بالسوداوية وخيبة الأمل والمرارة.

هذه حقيقة مهمة جداً كلكم سوف ترونها، قبل الزواج الزواج كبير، تتزوج صار صغير، قبل الغنى الغنى شيء كالحلم، تملك المال صار صغيراً، فشهوات الدنيا واحدة وأرواح ما فيها قبل أن تصل إليها، فإذا وصلت إليها زهدت فيها، حتى أنهم قالوا: مجنون ليلي لو تزوجها لطلقها، لأنه حيل بينه وبينها عاش عمره في التغزل بها.

كل شيء في الدنيا يتناقص إلا محبة الله، إلا معرفة الله، فأكبر كلمة تأثرت بها يوم كنت في أمريكا أنني رأيت إنساناً بلا هدف، يمشي في طريق مسدود، ولاسيما كبار السن، كبار السن هناك الأعمار تزيد عن الخامسة والثمانين، معدل العمر هناك خمسة وثمانون، هؤلاء المتقدمين في السن يعيشون بولاية في بيوت متنقلة، بيت فيه غرفة ضيوف غرفة نوم كل شيء فيه ولكن يفكك وينقل، هكذا نظامه، من شدة الملل من شدة السوداوية، من شدة الشعور بنهاية الحياة فهذا لا يحتمل أن يكون في مكان واحد، فكلما أمضى شهرين أو ثلاث في مكان نقل بيته إلى مكان آخر.

أما المؤمن يكون ساكن في غرفة تحت الأرض ولكن لأنه عرف الله، ولأن له رسالة كبيرة، ولأنه يسعى لجنة عرضها السموات والأرض، ولأنه يتلقى من الله الشعور بالرضا يسعد بأصعب ظرف، قد تجد بيت ثمنه مئة مليون وأصحابه يعيشون في شقاء ما بعده شقاء، أنا مرة دخلت إلى بيت، ما رأيت بيتاً أشد تواضعاً من هذا البيت في الجادة الأولى من قمة الجبل، الأولى من فوق، بلاط لا يوجد، فيه بساط من بقايا قطع القماش، البيت نظيف، غرفة ومنافعها وممشى، شعرت أن في هذا البيت من السعادة ما لا يوصف، هؤلاء الذين عرفوا الله واتصلوا به هؤلاء أينما كانوا يسعدون، بأي شرط من شروط الحياة هم راضون، العبرة أن تتصل بالله، تصور قطاراً فخماً جداً، يوجد قطار

خمس نجوم لا أعتقد، قطار خمس نجوم، مقاعد وثيرة، لوحات زيتية، طاوولات متحركة، تكييف، لو أغلقنا النوافذ في هذا القطار والطريق إلى حلب تنتظر إلى المقاعد، والمنظر استوعبته، ومن ثم تضيق نفسك، اركب قطار الزيداني الذي صنع سنة ألف وتسعمئة وستة وثلاثين، إذا النافذة مفتوحة والقطار يسير أنت مسرور، تنتقل من منظر إلى منظر، القطار الفخم جداً مع إغلاق النوافذ أصبح جحيماً، والقطار القديم جداً مع فتح النوافذ أصبح نعيماً.

النظام الإسلامي نظام الزواج المقدس :

أنت عندما تكون مع الله وفتح نافذة لك، هناك تجدد في حياتك، إذا أنت مع الدنيا، الدنيا محدودة أسأل من يسكن أفخر بيت، والله هذا البيت الفخم يعتاد عليه وكأنه ليس بفخم، انظر إلى مكتب تجاري مكلف ملايين تزيينه، صاحب المكتب مل منه، هذه قاعدة. قال: أخذت دكتوراه، وتذكرت شعوراً بالسوداوية وخيبة الأمل والمرارة.



الإنسان غير المؤمن . اسمع لهذا الوصف . حينما يخطط هو ولا يتبع منهج الله يشقى، إنسان بلا منهج تزوج، قال: اتفق مع زوجته على أن هذا الزواج ليس التزاماً دائماً بل مؤقتاً، بل بمقدورنا أن ننهيه بمودة، إذا ما بدا لأحدنا أو كلينا بدي لنا فرص أكمل، تصور إنسان تزوج امرأة وبعد أن تزوجها بسنة وجد فتاة عندها بيت، وهذه

أحسن يطلق القديمة ويتزوج الجديدة، والأولاد!!! هذا النظام نظام ناتج من البعد عن الله عز وجل، اتفاق رسمي اتفق معها على أن هذا الزواج ليس التزاماً دائماً بل بمقدورنا أن ننهيه بمودة إذا ما بدي لأحدنا أو كلينا فرص أكمل، وبالفعل بعد عدد من السنوات طلقها ووجد فرصة أكمل فطلقها. لا يوجد استقرار، من فضل الله في بلادنا الإسلامية قبل هذه الموجة من التقلت وقبل هذه الموجة من الغزو الثقافي الفضائي والذي أحال البيوت إلى ملاهي وإلى نوادي ليلية، قبل هذه الموجة كان هناك استقرار والحمد لله، هذه زوجته باستمرار، أما على هذا التقلت ارتفعت نسبة الطلاق. سمعت من اثنين بالألف إلى خمسة عشر بالمئة نسب الطلاق، بأمريكا خمسة وستين بالمئة، أطول زواج سنتين إذا في فرصة أخرى فيها شروط أفضل نتخلى عن هذه الفتاة ونأخذ الثانية، ويوجد عند الفتيات قلق مخيف أنه لا أحد يقبلها دائماً، وحين يذهب جمالها ماذا تفعل؟ تعيش بمفردها، يوجد

إحصاء في فرنسا، نصف سكان فرنسا من النساء ونصف النساء في فرنسا يعشن وحدهن، بيت فيه امرأة واحدة، النظام الإسلامي نظام الزواج المقدس، قال تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

[سورة النساء: ٢١]

الله عز وجل ينتظر من عبده المؤمن أن يذكره كما يذكر أباه لأن الأب مقدس :

هذا العقد المقدس مع إنجاب الأطفال، مع تربية الأولاد، مع المودة والرحمة من أروع ما في هذه الآية، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم: ٢١]

ما دام يوجد مصالح متبادلة الزوج غني والزوجة شابة، يوجد مصالح متبادلة جعل الله بينهم المودة، فلو تعطلت هذه المصالح افتقر الزوج يوجد رحمة، كم من امرأة صالحة تعمل لتطعم زوجها المريض، وكم من زوج صالح يجهد لرعاية زوجته المريضة، وجعل بينكم مودة ورحمة.

أما في النظام الغربي إذا في فرصة طارئة جديدة، مرة رجل شاب واقف على جانب نهر السين، يوجد رجل ذهب إلى فرنسا بمهمة وقف على هذا النهر فوجد شاب مسترسل كأن يوجد مشكلة عنده، أحب أن يجرب لغته الفرنسية فسأله: لماذا أنت هكذا؟ قال له: دعني وشأني، فقال له: بريك ما الذي تفكر به، قال: والله أفكر بقتل أبي، فقال له: ولم؟ لأن عندنا الأب مقدس. الله عز وجل ينتظر من عبده المؤمن أن يذكره كما يذكر أباه، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾

[سورة البقرة: ٢٠٠]

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ٢٤]

بدأ الله بالأب، فقال له هذا الشاب: لأنني أحب فتاة أخذها مني.

هذا النظام الغربي، عندنا الأب يعيش لأولاده، هناك إذا بلغت البنت الرابعة عشر تركل بالقدم خارج البيت كي تعمل وتأكل، إما أن تدخل إلى بيوت وتتحرف هذا شيء بسيط جداً، أساساً كل مشكلة كلينتون ليست بالزنا بل بالكذب، شيء بسيط جداً، لماذا كذب؟ مجتمع قائم على البعد عن الله عز وجل، فهذا الزواج إذا وجد ظرف آخر بشروط أفضل ينتهي هذا الزواج ويأخذ الثانية، طبعاً أنا إن شاء الله يجب أن تعرفوا حقيقة الحياة الغربية، هذا كلام صادق من إنسان عاشها وعاش شقاءها ثم عرف الله، يوجد فصول قادمة إن شاء الله مهمة جداً، هذه تجربة إنسان يعيش هذا العصر، يعيش تجربة هذا العصر الشبهات، الضلالات، التقلت، الإباحية، وهو في هذا المستنقع عرف الله.

والله أيها الأخوة، انتابته مشاعر تنتاب
كبار المؤمنين، سئل استهزاءً: ما هو
شعورك في الخطبة يوم الجمعة عندما
تصلي في المسجد الصلوات الجهرية
وأنت لا تعرف العربية؟ فقال: ما هو
شعور الطفل الرضيع وهو على ثدي أمه
وهو في حضنها وتناغيه وتخاطبه وهو
لا يفهم من كلامها شيء، إنه في قمة
السعادة مع أنه لم يفهم من كلامها شيئاً،



هكذا كان شعوره.

ونحن أن الأوان أن نعرف الحقيقة، هذا إنسان ملحد وأستاذ جامعي وعاش في ظروف بعيدة عن ظروفنا مئة بالمئة، أي لا شيء اسمه عادات، تقاليد، خجل، حياء، عدم اختلاط، إباحية مطلقة، كل شيء مسموح به؛ زواج مؤقت، ومع ذلك شعر بحاجة إلى أن يعرف الله، وحينما عرف الله شعر أنه ولد من جديد.

أيها الأخوة الكرام، عود على بدء، لماذا اخترت هذا الموضوع المعاصر؟ لأن إنساناً عاش هذا العصر وخضع لكل إغراءاته، وخضع لكل شبهاته، وخضع لكل ضغوطه، وخضع لكل زيفه، هذا الإنسان حينما طلب الحقيقة عرفها، وحينما أراد الله عز وجل وصل إليه، بعد حين أقرأ لكم بعض الفصول قد لا تصدقون إنسان في هذه البيئة، وبهذه العقلية، وبهذا الفكر العلماني الإلحادي يصل إلى الله بهذه القوة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت: ٦٩]

فعار علينا أن يكون هؤلاء الملحدون في قمة السعادة مع ربهم والمسلم الذي نشأ في بيته وهو يصلي الصلوات الجهرية ولا يفهم شيئاً من الإمام لكنه يبكي، وأنت تستمع إلى صلاة بأحكام التجويد تفهم الكلمات كلمة كلمة وتفكر في حساب الصندوق، ناقص خمسة آلاف أين ذهبوا وأنت في الصلاة، هل هذا معقول؟ علمكم تغارون، ذكرت هذا الموضوع في درس ديني من أجل أن تعرف كم هو سعيد من عرف الله.

الفرق الكبير بين التعصب والتمسك :

قد ينتقل الإنسان نقلة مفاجئة من الشقاء إلى السعادة، ومن الضياع إلى الوجدان، من العبث إلى الهدف، إن شاء الله نمضي عدة دروس في هذا الموضوع وأرجو الله سبحانه وتعالى بأن أوفق بأن تضعوا أيديكم على حقيقة الإيمان.

أختم الدرس بهذه الحقيقة ذكرتها قبل يومين: يوجد في الكون حقيقة واحدة هي الله، الآن دقق أي إنسان اتصل بهذه الحقيقة من أي جنس، من أي عرق، من أي قارة، من أي ثقافة، من أي انتماء، من أي عقلية، من أي وضع اقتصادي، من أي وضع اجتماعي، تتنابه مشاعر متشابهة مع كل المؤمنين في العالم.



أي إن قرأ الإنسان قصة أو تجربة هذا الملحد الذي عرف الله قد تجد نفسك في هذا الكتاب، وقد تستوحش من أخيك النسبي الذي ولد معك وترى في بيت واحد، وأبوه وأمه واحدة، أبوه أبوك وأمه أمك وأنت في وحشة منه، بينما تقرأ حياة ملحد عاش في أمريكا وعاش في اختصاص نادر عندما وصل إلى الله تجد في تجربته تجربتك، وفي مشاعره

مشاعرك، وفي أحواله أحوالك، وفي خبرته خبرتك، لذلك الدين عامل وحدة، أما التعصب للدين عامل تفرق، كلامي واضح حقيقة الدين عامل وحدة، قواسم مشتركة، قيم مشتركة، مبادئ مشتركة، مشاعر مشتركة، اهتمامات مشتركة، أما التعصب للدين يفرق الأمة، فكن متمسكاً ولا تكن متعصباً إذا كنت متمسكاً، التقيت مع كل المؤمنين في العالم وإذا كنت متعصباً يوجد خصومات بين أفراد

الحلقة الواحدة والجماعة الواحدة، وبين كل جماعة وأخرى ترى المجموع إسلامي إما متفرقون، متشاكسون، متعادون، يطعن بعضهم ببعض، هذا التعصب إياك أن تتعصب، تمسك إذا تمسكت بقواعد منهج الله ووصلت إلى الله صار كل مؤمن في العالم أخوك، أما إذا تعصبت وانحزت انحيازاً أعمى لجهة، أو لجماعة، أو لطائفة، ولم تكن في المستوى الحقيقي للدين نشأت عن هذا التدين عداوات لا تنتهي.

فرق كبير بين التعصب والتمسك، في التمسك تألق، في التعصب عداء، في التمسك وصول إلى الله، في التعصب بعد عنه، الدين هو العامل الوحيد لوحدة الأمة، لأن هناك مئة قاسم مشترك بينك وبين المؤمنين، والدليل اجلس مع إنسان من أقصى بلاد الدنيا تجده أقرب الناس إليك واجلس مع أخيك النسبي إن لم يكن مؤمناً تشعر بوحشة كبيرة منه، وإلى دروس قادمة في هذا الموضوع.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٤) : قصة إيمان (جيفري لنك ٢) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٨-٠٩-١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقياس الفطرة :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في الحديث عن تجربة هذا الملحد الذي سلك طريقه إلى الإيمان بالله، فانتقل من الشقاء إلى السعادة، ومن الضياع إلى الوجدان، من ضيق الدنيا إلى رحابة الكون، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات. أيها الأخوة، هذا الإنسان كان في غرفة صغيرة جدرانها بلون رمادي، لها نافذة في حائطها الجنوبي، على أرضها



سجادة فيها لونان متميزان، يقف في الصف الثالث وأمام الصفيين الذي قبله رجل يقف أمامهما في الوسط، ثم يؤدي حركات غريبة تارةً هكذا وتارةً هكذا، هذه الرؤية رآها ذلك الرجل قبل عشرين عاماً ولم يفهم منها شيئاً، بعد أن تجاوز مراحل الدراسة ونال الشهادة وانتقل إلى سان فرانسيسكو، وصار أستاذاً في الجامعة وله باع طويل في الرياضيات، واتخذ الإلحاد مذهباً له، كان مرة في مكتبه في هذه الجامعة وقد ألحق بهذه الجامعة دار عبادة، وقد استأجر المسلمون من هذه الدار غرفةً صغيرة كمسجد لهم، لا يدري هذا الإنسان لماذا اتجه نحو المسجد، وقيل أن يدخل المسجد شعر باضطراب شديد، وتردد عجيب، وقلق شديد بين مقبل ومحجم، داخل وواقف، ثم دخل إلى هذه الغرفة الصغيرة التي لا تزيد عن بضعة أمتار طولاً وعرضاً وجدرانها خالية من كل شيء، على أرضها بساط ذو لونين، دخل إلى هذه الغرفة ففيها رجلان ارتسمت على وجهيهما تعابير السرور والبهجة. هو حينما دخل هذه الغرفة، قال: شعرت بأن شيئاً ما صحيح أتبعه، هذه الفطرة، طبعاً لن أكتفي بقراءة بعض فقرات هذا الكتاب وسأحلل لكم، الإنسان أحياناً يرتاح لشيء ولا يرتاح لشيء آخر، حينما دخل هذا المسجد شعر بشيء عجيب، قال: شعرت بأن شيئاً ما صحيح أتبعه بغض النظر عما يعتقدونه الآخرون، كل من حوله يعتقد أن هؤلاء الذين في هذه الغرفة ليسوا على الحق شأن الفرق الدينية في العالم كله، كل يدعي وصلاً بليلي، كل يتوهم أنه على حق.

قال: أمه اعتادت أن تقول له: يا بني اتبع مشاعرك، المشاعر السليمة تعطيك مقياساً صحيحاً، هذا المقياس هو مقياس الفطرة، أشار النبي عليه الصلاة والسلام إليه قال:

((عَنْ وَابِصَةَ بِنِ مَعْبِدِ الْأَسَدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوَابِصَةَ: جِئْتِ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ فَضَرَبَ بِهَا صَدْرَهُ وَقَالَ: اسْتَفْتِ نَفْسَكَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ ثَلَاثًا الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ))

[أحمد عن وابصة بن معبد الأسدي]

إذا طمست الفطرة فهي ليست مقياساً صحيحاً :

يا أيها الأخوة، إن عملت عملاً وشعرت بعده براحة عجيبة ولك نفس طاهرة وفطرة سليمة فاعلم أن هذا العمل صحيح، وإن عملت عملاً وشعرت بقلق واضطراب، شعرت بخزي من الله عز وجل، وقفت لتصلي رأيت الطريق مسدوداً، وقفت لتصلي لم تشعر بشيء وكأنك في حجاب عن الله عز وجل، اعلم أن هذا العمل لا يرضي الله، هذه هي الفطرة، قال تعالى:

﴿فَمَنْ حَاكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَلْيُنَادِ يَوْمَئِذٍ أَبَوَاءَهُ وَأَنسَاءَهُمْ
وَأَنفُسَهُمْ وَأَنفُسَهُمْ ثُمَّ نَبَّهْلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة آل عمران: ٦١]

مقياس دقيق، هل تستطيع أن تتصل بالله عقب هذا العمل؟ إن كان لك وجه أبيض في أثناء الصلاة فالعمل صحيح ولا شيء عليه، إلا أن هذا المقياس لا بد من التحفظ به، ذكرت قبل قليل إن كانت لك فطرة سليمة، قلب نقي، أما إذا طمست هذه الفطرة ليست إذاً مقياساً صحيحاً، أصحاب الفطر المطموسة بالشهوات هؤلاء لا يعد ارتياحهم لشيء ولا انزعاجهم من شيء مقياساً صحيحاً. قال هو: عندما دخل هذه الغرفة شعر بأن شيئاً ما صحيحاً قد فعله بصرف النظر عما يعتقد من حوله، وكانت أمه تقول له: اتبع مشاعرك، الحقيقة حينما تتعقد لك صلة بالله، حينما تتوب إلى الله، حينما تصح مسارك، حينما تفكر أن تتعرف على ربك تصبح إنساناً آخر، قد يقول أحدكم ما السبب؟ السبب هو أن الله يقبلك، ألم يقل الله عز وجل في الحديث القدسي:

((عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشِيئًا أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً))

[متفق عليه عن أنس رضي الله عنه]

شعور التائب بالسعادة والفرح والطمأنينة شعور طبيعي لأنه من خلق الله عز وجل :

شعور التائب بالسعادة، بالفرح، بالراحة، بالطمأنينة هذا شعور طبيعي جداً لأنه من خلق الله عز وجل، لأنك بادرت إلى الله، بادرت إلى طاعته، بادرت إلى التعرف عليه، بادرت إلى شكره، بادرت إلى العبودية له.

هؤلاء الذين في الغرفة حينما رأوني أدخل عليهم اعتقدوا أنني أريد أن أصبح مسلماً فرحوا فرحاً شديداً، وهذه حال المسلم دائماً عندما يرى إنساناً يقبل على الدين، يشعر براحة ما بعدها راحة، لماذا؟ هذا من رحمة المؤمن، لأن الله عز وجل نقل إنساناً من الضياع إلى الهدى، من الشقاء إلى السعادة.

رحبوا بي وذكروني بإسلام مهندسي الناسا، الناسا مؤسسة أبحاث فضائية في أمريكا، هؤلاء عندما رأوا من المجرات ومن عظيم السموات، لما رأوا هذه المسافات الكونية الشاسعة، لما رأوا مواقع النجوم، لما رأوا الشيء الذي لا يصدق خشعوا لله عز وجل، وهذا ما وقع لسحرة فرعون، هم سحرة يأتون بأنابيب مطاطية يضعون فيها زئبق، يضعون تحته منطقة ساخنة الزئبق يتحرك ويحرك هذه الأنابيب ويخيل للناس أنها تسعى، وحينما نظروا إلى العصاة بيد سيدنا موسى وقد أصبحت ثعباناً ميبناً هذا ليس سحراً، هذه معجزة، فسجد السحرة لله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ﴾

[سورة الشعراء: ٤٦]

فهؤلاء مهندسو ناسا مؤسسة أبحاث فضائية أمريكية، هؤلاء أعلنوا إسلامهم لعظم ما رأوا من آيات الله في الكون، هم شجعوني على ذلك ولم أكن أسلمت بشكل رسمي.

قال: دخل رجل وضيء الوجه وقور، قيل له: إن هذا الرجل، إن هذا الأخ يريد أن يصبح مسلماً، فقال لهم: عليه أن ينطق بالشهادة، فتراجع بهدوء كما أنه اكتشف شيئاً ثميناً، وقال له: أخبر الأخ ماذا عليه أن يقول في الشهادة.

حياة الجسم بالطعام والشراب وحياة القلب بمعرفة الله :

الآن دقق في مشاعر إنسان ملحد ينطق بالشهادة أول مرة، يوجد عندنا قاعدة في اللغة أن الكلمة حينما يكثر استعمالها تفقد معناها، المسلمون نشؤوا في بلاد إسلامية وهذه الشهادة تطرق مسامعهم كل يوم آلاف المرات قلما يفكر أحد بمعنى لا إله إلا الله، ولكن الآن دقق في شعور إنسان ملحد يلتم الشهادة.

قال له هذا الإنسان الوضيء ويبدو أنه إمام المسجد: قل أشهد وهو الآن يترجم ما معنى أشهد، أقر وأعترف، قال: حاولت أن أنطقها بشكل صحيح، لقد كنت كمن يحاول تعلم اللغة الثانية، قال: لا إله، قلت مردداً: لا إله، أي ليس هناك إله، قال: كنت أؤمن بهذه العبارة بمفردها طوال حياتي، كل حياته يؤمن أنه لا إله، وقال: هذه عقيدتي السابقة وأما الآن فقد أدركت أول مرة الحقيقة المرعبة لهذه العبارة. كلمة لا إله حقيقة مرعبة، وحشة، ضيق، شقاء، حركة في طريق مسدود.

قال له الإمام: إلا، قلت: إلا أي استثناءً، يقول في ترجمة هذه العبارة: أداة استثناء تشير إلى أن هناك شيئاً مغفلاً، لا إله إلا، لعند إلا يوجد شيء مغفل، إنها كلمة صغيرة وقفت بيني وبين هذا الفراغ الهائل طوال حياتي مبعده إياي عن الواقع الذي كنت أبحث عنه، فلما قال الإمام إلا الله، قلت: الله المعبود، الآن دقق في شعور ملحد.

قال: كانت هذه الكلمات لا إله إلا الله كقطرات ماء صافية تتحدر في حلق رجل قارب الموت من شدة العطش، كلمة لا إله إلا الله كأنها قطرات ماء صافية تتحدر في حلق رجل قارب الموت من شدة العطش، وكنت أستعيد القوة بكل كلمة منها وكنت أصحو للحياة الثانية. كان ميتاً فأحياه الله بهذه الكلمة، ويوجد حياة الجسم وحياة القلب، حياة الجسم بالطعام والشراب، وحياة القلب بمعرفة الله. الحمد لله نحن نشأنا في بلاد إسلامية، وربينا على معرفة الله، وحضرنا دروس العلم، لا يوجد عندنا مشكلة الإلحاد، لكن دقق في شعور ملحد يعيش في وحدة، في خوف، في قلق، في طرق مسدودة، في عالم صغير، في كون محدود، في تشاؤم، تشكيك بكل شيء، فلما قال: أشهد أن لا إله، لا إله عقيدتي طوال حياتي، إلا كلمة مبهمة، فلما جاءت كلمة الله ملأت فراغ حياتي.

المؤمن يغني بغنى الله ويتقوى بقوة الله ويتعلم بعلم الله ويسمو بعظمة الله :

نتابع الشهادة، وأشهد أي أقر وأعترف، قال: كنت أنضم إلى أتباع الأنبياء جميعاً المؤمنون في الأرض أتباع الأنبياء، والأنبياء قمم البشر قمم في الكمال، والأقوياء قمم في السلطة والقوة، فهؤلاء أتباع الأنبياء انضم إليهم.

قال: كنت أنضم إلى أتباع الأنبياء جميعاً الذين يؤمنون بكافة الرسل الذين أرسلوا في مختلف العصور لجميع الأجناس والأعراق، أمد يدي كتاب ومصدق لمن بعث للإنسانية منذ أربعة عشر قرناً.

قال الإمام: وأشهد أن محمداً، قلت: محمداً، لقد كان هذا أكثر من اعتراف، إن هذا يعني التزاماً

بطريق عالمي متمتعٍ بقداسة القدم، بشرت بها حملة أول رسالة سماوية وختمت بظهور محمد صلى الله عليه وسلم وأشهد أن محمداً رسول، الرسول حامل الشهادة.

قال: شعرت بالحصانة والأمان، شعرت الحرية والطمأنينة، شعرت بمقدوري أنني بإمكانني أن أحب وأن يحبني من لا حدود لعطائه.

أنت تحب شخص وشخص يحبك، أما إذا أحبك إنسان عظيم يملك الأرض كلها ماذا تعني هذه المحبة؟ أنك ملكت من خلاله كل شيء، ماذا يعني أن يحبك غني جداً غني فاحشاً؟ يعني أنك أصبحت غنياً، ماذا يعني أن يحبك قوي قوة لا حدود لها؟ أي أصبحت قوياً بقوته، أنت تغتني بغنى الله، تتقوى بقوة الله، تتعلم بعلم الله، تسمو بعظمة الله.

قال: شعرت بالحصانة والأمان، شعرت الحرية والطمأنينة، شعرت بمقدوري أنني بإمكانني أن أحب وأن يحبني من لا حدود لعطاءاته ونعمه، أي بتقدير المسلم الصادق أعظم إنسان على الإطلاق هو رسول الله، لا يوجد مخلوق نال عطاء من الله يفوق رسول الله من حيث العلم، لقد رأى من آيات ربه الكبرى، رأى حقائق الأشياء، رأى عظمة الله عز وجل قال تعالى:

﴿ تَمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾

[سورة النجم: ٨-٩]

رأى ملكوت السموات والأرض، رأى ما كان وأراه الله ما سيكون في الإسراء والمعراج، هذا من حيث العلم، أما عمله له أثر بثلاث سكان الأرض الآن، أي مليار ومئتان مليون يتبعون هذا النبي الكريم، هذا العمل.

الإمام الذي أتاه الله حفظ القرآن وأتاه صوتاً حسناً له دور خطير في الإسلام :



الإنسان يفرح عندما يرى المسجد مليء بالمصلين فيقول: لا يوجد مكان في المسجد، وإذا كانت الأرض مليئة والقارات مليئة، اذهب إلى الشرق الهند وباكستان ملايين مملية، اذهب إلى الغرب إلى شمال أفريقيا، اذهب إلى قارة أفريقيا دول إسلامية بأكملها مليار ومئتان مليون هؤلاء في صحيفة النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: شعرت بالحصانة والأمان، شعرت الحرية والطمأنينة، شعرت بمقدوري أنني بإمكانني أن أحب وأن يحبني من لا حدود لعطاءاته ونعمه، لقد هويت في الرحمة النابعة من الحب الأسمى، لقد عدت إلى ملاذي ثانيةً.

إنسان مشرد، جائع، عطشان، خائف، طريد، دخل إلى بيت أمه وأبيه، استلقى على وسادة مريحة، اغتسل، أكل أنفس الطعام هذا مكانه الصحيح.

والله أقول لكم أيها الأخوة: أحياناً اللغة تعجز عن أن تعبر عن الحقيقة، يعتري المؤمن الصادق حينما يتوب إلى الله عز وجل تعتريه مشاعر مهما كان فصيحاً أو بليغاً لا يستطيع أن يعبر عن هذه المشاعر.

قال الإمام: وأشهد أن محمداً رسول الله، قال: بعد يومين تعلمت أول صلاة جمعة جماعية، كان يوم صيف هندي، مشمس، دافئ، طبعاً في سان فرانسيسكو كنا في الركعة الثانية من الصلاة وكان الإمام يتلو القرآن بأسلوبه الرائع المميز.

الإمام الذي أتاه الله حفظ القرآن وأتاه صوتاً حسناً له دور خطير في الإسلام، خطير جداً، أحياناً تستمع إلى صوت الآيات القرآنية من فم مؤمن صادق، طليق اللسان، واضح النبرات، أتاه الله مزماراً كمزمار داود، هذه القراءة وحدها اتصال بالله، هذه القراءة وحدها تعليم، أنت تعتقد معي القرآن يحتاج إلى تفسير لكن يوجد سور بأكملها وآيات وما أكثرها لمجرد أن تقرأها تخر ساجداً لله عز وجل، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١١]

تحتاج إلى تفسير، قال تعالى:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١١٣]

الحكمة من وقوف المصلي إلى جنب المصلي في صلاة الجماعة :

أخوانا في التراويح المؤمن عندما يصوم ويستمع إلى القرآن من فم إمام عذب الصوت، هذا وحده درس بليغ. يقول هذا الرجل: إن معظم تلاوات



القرآن بطيئة ومنسقة الأصوات ومضبوطة، لقد كانت قراءته كمناجاة طفل يناجي والديه، انظر الحب والرحمة، الحقيقة الذي عنده ابن أو أخ صغير يستمع إلى صوت الطفل الصغير وهو ينادي أمه بكل الحب، بكل الثقة، بكل الأمل، بكل العطف، يشعر بعطف أمه ورحمتها واهتمامها، يناديها وعرف مكانته عندها.

قال: هكذا كان يفهم على الإمام قراءته في الصلاة، لقد كان يتضرع إلى الله عز وجل بترنيمة إيقاعية محكمة، وقفنا خلفه مصطفين، الكتف على الكتف والقدم على القدم.

ومرة سئل وكانت الدنيا حر: لماذا ينبغي أن يقف المصلي إلى جنب المصلي؟ مكان واسع دع متر بمتر، هو هذا الذي كان ملحداً أجاب عن هذه النقطة، فقال: وأنت في أشد حالات القرب من الله يجب أن تشعر بأخيك إلى جانبك، يجب أن تتعاون أنت وإياه، كتفه على كتفك، شعور مركز أخاك إلى جنبك أنت له وهو لك، إجابة إنسان كان قبل حين ملحداً. أنت تحب أن تجلس على كرسي وإلى جانبك نصف متر فارغ، حدثنا أحد قراء القرآن الكريم: حضر مهرجاناً، أعتقد في ماليزيا، وطرب الناس من قراءته، وطرب رئيس الجمهورية هناك، فتكريماً له حجز له مقعداً فارغاً إلى جانبه، شيء مريح جنبك يوجد في فراغ مجال حيوي.

أما في الصلاة كتف إلى كتف، قدم إلى قدم، هذا الملحد سابقاً أجاب عن هذا التساؤل، فقال: وأنت في أشد حالات القرب من الله يجب أن تشعر بأخيك إلى جانبك، أن تشعر بوجوده، أن تشعر بمحبته، يجب أن تتعاون أنت وإياه، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ: أُمَّةً مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ شَدَّ إِلَى النَّارِ))

[الترمذي عن ابن عمر]

كبر الإمام بالركوع وقال: الله أكبر، ترجمها الله هو الأعظم.

وصف دقيق للركوع في الصلاة بلسان جيفري لنك :



الركوع في الصلاة

مرة ثانية أخوانا الكرام أنت كمسلم نشأت في بلاد إسلامية ومن أم وأب مسلمين هذه الكلمات مألوفة عندك، أما انظر إلى وقعها عند ملحد، الله أكبر، قبل قليل لم يكن يعترف بوجود الله، قال: عندما سمعنا هذا النداء الله أكبر، أي الله هو الأعظم، قال: انحنينا وأيدي كل

واحد منا على ركبتيه وأظهرنا متعامدة على أرجلنا، الزاوية قائمة، وهمست بالمديح السماوي سبحان ربي العظيم، هذه أول صلاة يصلحها، أي أشكرك يا ربي لأنك جلبتني إلى هنا هكذا فسرهما، غرفة صغيرة هو رئيس قسم في الجامعة، أستاذ كبير، مكتبه فخم جداً، دور العبادة هناك شيء لا يصدق، حدثني أخ كان دور العبادة في بعض البلاد لها مساحات واسعة وزخرفة وتماثيل، شيء لا يصدق، غرفة لا شيء فيها، جدران فارغة، نافذة في الأمام، بساط فقط، ومع ذلك كأنه يتجدد من جديد.

سبحان ربي العظيم، المجد لربي العظيم، أشكرك يا ربي لأنك جلبتني إلى هنا، قال الإمام: سمع الله لمن حمده، وقفنا منتصبين ثانية وأجبنا: ربنا ولك الحمد، يا خالقنا لك المديح والسلام، أي أنت عندما تقول: سمع الله لمن حمده، هل تنتبه ماذا تتكلم؟ سمع الله أي الله عز وجل يستمع إليك، ماذا تقول له؟ تقول له: يا ربي لك الحمد، على ماذا؟ على أن أوجدتني، لم أكن شيئاً مذكوراً، على أن خلقتني في أحسن تقويم، أمشي على قدمين، لي يدان، لي سمع وبصر، لي رأس، مفاصل، أجهزة، لي زوجة، لي أولاد، نصبت لي هذه الآيات، أرسلت إلي هؤلاء الأنبياء والمرسلين، هذه الكتب، ثم يقول: ونحن واقفون في صفوف محكمة التنظيم كنا نتحرك وكأننا جسد واحد، لقد أدت أربع صلوات في المسجد يوم الخميس ولكن ليس بهذا العدد من الناس، وأما الآن فكان حولي ثمانين مصلياً تقريباً حشروا في غرفة صغيرة شاباً من جميع بلدان العالم، يمثلون ربما عشرين بلداً يؤدون شعيرة جماعية يوم الجمعة.

المنام وسيلة من وسائل إعلام العبد من الله مباشرة :

يتابع حديثه عن صلاته: ولما هويينا إلى الأرض ثانية، هويينا على ركبتينا ثم على أقدامنا جميعاً ثم لامسنا بوجوهنا السجاد، ثم قلت بصوت منخفض: سبحان ربي الأعلى، وترجمها المجد لربي الأكثر علواً ومضيفاً، اللهم إني أعوذ بك من أن أضل، ثم جلسنا على أقدامنا مقتدين بالإمام، كنت أنا في الصف الثالث ونظرت أمامي فإذا بي أرى إنساناً بعيداً عني يقف تحت النافذة التي كانت تملأ الغرفة نوراً، وكان وحده دون صف باعتباره إماماً، وكان يرتدي عباءة بيضاء طويلة، وكان معتماً بلفحة بيضاء ذات رسم آخر، صرخت من داخلي إنه الحلم، هذا الحلم رآه ثلاث مرات خلال عشر سنوات، رأى نفسه في غرفة صغيرة جدرانها ليس عليها شيء مطلية بلون ألماسي، والأرض عليها سجادة حمراء وصفراء، يقف مع نسق أول ونسق ثاني ونسق ثالث، هو في النسق الثالث أمامه رجل وحده تحت النافذة، وكانوا يؤدون حركات معينة. هذه الرؤيا بشارة من الله، الإنسان أحياناً يرى منام لا يفقه تفسيره، المنام وسيلة من وسائل إعلام العبد من الله مباشرة.

مرة اتصل بي أخ كريم من ألمانيا قال لي: أنا إلى أن وصلت إلى هاتفك مضى على ذلك شهران، ما قصتك؟ قال لي: أنا بعيد عن الدين بعداً شديداً، ما صليت في حياتي ولا ركعة، ولا صمت إطلاقاً، وأنا أكره الدين وأكره رجاله، تكلم كلاماً غير معقول، دعت أخته لزيارة أمريكا، أخته في كندا،

سمع شريطاً لاسم من أسماء الله الحسنى، قال: هذا الكلام أبحث عنه، وجلب عدداً كبيراً من هذه الأشرطة عن أسماء الله الحسنى، واستمع إليها واحداً واحداً، قال لي: قبل عشرين عاماً رأيت في المنام أن علبة أنتني فتحتها فإذا فيها شيء، كتب عليها اسم الله العظيم قال: والله هذا الرؤية تحققت بعد عشرين عاماً، جاءتني علبة أشرطة من الشام، فتحت هذه العلبة عليها هذا الاسم، إذا الإنسان رأى رؤية واضحة جداً البحث عن تفسيرها إعلام من الله عز وجل، الرؤية الصادقة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة.

أيها الأخوة، هذا الرجل بعد أن دخل إلى المسجد الصغير وصلى هذه الصلاة وشعرة بنشوة الهداية، وأمن الهداية، ورحمة الهداية، تذكر هذه الرؤية التي رآها قبل عشر سنوات، ورآها ثلاث مرات، وعرف كأن الله سبحانه وتعالى علم فيه خيراً وبشره بهذا الإسلام الذي وصل إليه.

الصلاة هي رحمة الله :

يقول: إن الله عز وجل كان يترك لي مجال الاختيار في المسائل الحاسمة، هو أدرك أن الإنسان مخير، قال: تملكني الخوف والرهبية عندما شعرت بالحب والعطف الظاهرين لا لأنني أستحق ذلك، لكن لأن هذا الحب والعطف كانا دوماً موجودين وكل ما علينا عمله للحصول عليهما هو أن نعود إلى الله.



الصلاة هي رحمة الله

الحب موجود، والعطف موجود، والرعاية موجودة، والاهتمام موجود، والرحمة موجودة، والتوفيق موجود، ولكن الناس في غفلة، يكفي أن تعود إلى الله ليطمئنك الله، ليسعدك الله، ليوفقك الله، ليأخذ بيدك الله، قال: شيء موجود ونحن في غفلة عنه، غفل عنه سنوات طويلة حينما كان ملحداً، هذه الصلاة التي أرادها الله، أرجو الله عز وجل أن يوفقنا إلى مثل هذه الصلاة، أن تفق بين يدي الله تقول: الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، أن تفقه معنى الركوع سمعاً وطاعةً لك يا رب، أن تفقه معنى السجود يا رب أعني على طاعتك، إذا قلت: سمع الله لمن حمده، يا ربي لك الحمد والشكر والنعمة والرضا، حمداً كثيراً طيباً مباركاً، هذه الصلاة هي رحمة الله، قال تعالى:

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[سورة طه: ١٤]

﴿ كَلَّا لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

[سورة العلق : ١٩]

﴿ اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : ٤٥]

الصلاة ميزان فمن وفى استوفى :

((عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: قَالَ مِسْعَرٌ أَرَاهُ مِنْ خُرَاعَةٍ لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ غَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا))

[أبو داود عن سالم بن أبي الجعد]

((عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمَلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعِ نَفْسَهُ فَمَعَتِقُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا))

[مسلم عن أبي مالك الأشعري]

الصلاة حضور، الصلاة ميزان فمن وفى استوفى، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا ﴾

[سورة النساء : ٤٣]

يا أيها الأخوة الكرام: كلما كانت معرفتك بالله أكبر، وكلما كانت استقامتك أدق إذا وقفت أمام يدي الله عز وجل تشعر بهذه المشاعر، بربكم إنسان ملحد بعيد عن جو المسلمين، يعيش في جو الرياضيات، أستاذ جامعي كبير يصلي هذه الصلاة ولعله أقرب إلى الله من بعض المسلمين.

ملخص القصة :

ملخص هذه القصة أن الله عز وجل هو الموجود، هو الواحد الأحد، كل إنسان من أي جنس، من أي عرق، من أي انتماء، من أي ثقافة، من أي ملّة، من أي حرفة، من أي دين، اتصل بالله عز وجل شعر بمشاعر، وآمن بقيم، واختط له طريقاً مساوياً لكل طريق يسلكه المؤمنون، لذلك هذه

الرؤيا أحياناً لها قيمة كبيرة، رأى أنه في غرفة يقف ويتحرك وهو في الصف الثالث أمامه نافذة، يوجد رجل يقود هؤلاء في هذه الحركات، بعد عشر سنوات هذه الرؤيا تحققت، ولا تنسوا قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[سورة يوسف: ٤]

فلما تحققت هذه الرؤيا ماذا قال سيدنا يوسف؟ قال تعالى:

﴿ وَرَفَعَ أَبُوتِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة يوسف: ١٠٠]

أصبحت واقعة، إذا الإنسان رأى رؤية واضحة عليه أن يستبشر إذا كانت من الله عز وجل، نبقى مع هذا الكتاب دروس أخرى إن شاء الله، لأنها تجربة فريدة، ليس إنساناً مسلماً من أب وأم مسلمين، يعيش في بيئة مسلمة، ثم اهتدى إلى الله، إنسان ملحد، في بيئة منفلتة، في بيئة الزنا على قارعة الطريق، النساء شبه عرايا، ومع ذلك عاش الظروف نفسها، والضغوط نفسها، والإغراءات نفسها، عاشها وتوجه إلى الله عز وجل، إن شاء الله نتابع قصة هذا الإنسان الذي له تجربة فريدة مع الله عز وجل. وهذا يدفعنا نحن إلى أن نحكم صلاتنا، إلى أن نحكم استقامتنا، إلى أن نحكم معرفتنا برينا، أيكون هذا أسبقنا إلى الله عز وجل! هكذا يصلي.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٥) : قصة إيمان (جيفري لنك ٣). القرآن الكريم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشر الموجود في العالم ليس شراً مطلقاً ولكنه يؤدي إلى خير كبير :

أيها الأخوة الكرام: لا زلنا مع الموضوع الجديد تجربة ملحد وصل إلى الله، فالحديث بالدرسين السابقين عن قصة إسلامه، وعن أول صلاة صلاها، وكيف كان شعوره وهو يستمع ويركع ويسجد ويسبح، الفصل الثاني في هذا الكتاب حول القرآن.

يا أيها الأخوة، الحق واحد صدقوني أن أي إنسان طلب الحقيقة بصدق لا بد من أن يصل إليها، وزوال الكون أهون على الله من أن تطلب الحق صادقاً ولا تصل إليه، هذا الإنسان الذي انتقل من الإلحاد إلى الإيمان يقول: مع قليل من التفكير العميق سوف نتوصل إلى نسبية الشر، ذلك أن الشر الموجود في هذا العالم ليس شراً مطلقاً، ألم تسمعوا مني



لعل مرضك سبب عودتك إلى الله

هذه الكلمة كثيراً، الشر المطلق ليس موجود يوجد شر نسبي، أي شر موظف للخير، يوجد فقر، آلام، هموم، أحزان، موت أقارب، فقر مدقع، سجن، هذه الشرور نسبية موظفة للخير المطلق. هذا الإنسان اكتشف مع قليل من التفكير العميق سوف نتوصل إلى نسبية الشر ذلك أن الشر الموجود في هذا العالم ليس شراً مطلقاً ولكنه يؤدي إلى خير كبير، قال تعالى:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

إلى خير كبير، توبة، إلى الصلح مع الله، إلى أن تقف على أبواب الله على أعتابه، إلى أن تسعد بقره، هذا هو الشر، وهو جزء أساسي من العقيدة، يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أن الشر المطلق لا وجود له إطلاقاً هناك شر نسبي، أي بالنسبة إليك وهو موظف للخير المطلق.

الخير من الله والشر كفعل من الله أما كباعث فمن الإنسان :

يوجد نقطة دقيقة جداً وصل إليها هذا الإنسان لما قال تعالى:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾

[سورة النساء: ٧٨]

أي في سطر واحد في آية واحدة يبدو أن هناك تناقضاً، الله عز وجل يؤكد أن الخير من الله وأن الشر من الله، قال تعالى:

﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾

[سورة النساء: ٧٨]

وبعد قليل يقول: الخير من الله والشر من نفسك، أدرك هذا الإنسان أن الشر كفعل من الله، أما كباعث، ككسب، كمسبب فمن الإنسان، مثلاً طالب راسب، إذا قلت: المدير راسبه بناءً على علاماته المتدنية، كلام صحيح، وإذا قلنا: الطالب راسب بسبب كسله، كلام صحيح، إذا قلنا: الطالب راسب أي قدم سبب الرسوب بسبب كسله وتخلفه راسب، وإذا قلنا الذي وقع قرار الترسيب أيضاً صحيح.

الأفعال كلها من حيث التنفيذ من الله ومن حيث الكسب من النفس البشرية :

النقطة الدقيقة وضع يده عليها، الأفعال كلها من حيث التنفيذ من الله لأنه لا يقع شيء في كونه إلا إذا سمح له، ومن حيث الكسب من النفس البشرية، قال تعالى:

﴿ لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٦]

فالعمل سبباً من الإنسان، فعلاً من الله، هذه نقطة ثانية وضع يده عليها، وفي سورة يوسف يقول: تتكشف لنا إرادة الله التي هي الغالبة، أن أخوة كثر أرادوا لأخيهم كيداً، أرادوا أن يضعوه في غيابت الجب ليموت ليخلو لهم وجه أبيهم، بالنهاية، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة يوسف: ٢١]

حينما تؤمن أن الله فعال لما يريد، حينما تؤمن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا يمكن أن تتوصل إلى هدف بمعصية، الفعل فعله، من ابتغى أمر بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما ارتقى، حينما تؤمن أن الفعل فعله وأن التوفيق من الله، وأن تحقيق الأهداف من الله، وأن الحفظ من الله، وأنه لا يقع شيء إلا بعلم الله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، عندئذ ترى أن أقرب طريق إلى السعادة أن تطيعه، لأن كل المتغيرات بيد الله عز وجل.

قصص من القرآن تبين أن أشياء شريرة من حيث الظاهر يمكن أن تؤدي خيراً كبيراً:

حينما قرأ هذا الإنسان قصة سيدنا موسى والخضر قال: القارئ يجد نفسه قد حل لغزاً سرمدياً، ما هو هذا اللغز السرمدى؟ قال: كيف يمكن لأشياء شريرة من حيث الظاهر أن تؤدي خيراً كبيراً، سيدنا موسى مع الخضر، خرق السفينة، هذا شيء شر ظاهراً، قتل الغلام، إنشاء جدار بلا أجر، هذا كله شر ظاهراً، كيف أن الشر الظاهر ينطوي على خير عميم؛ هذا درس ثان.

في سورة الكهف يقول: تعلمنا هذه القصة قصة أصحاب الكهف أن لا نضيع وقتنا في تفاصيل لا تقدم ولا تؤخر، قال تعالى:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَلْمَهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾

[سورة الكهف: ٢٢]

أي وضع يده على مغزى القصة، قال تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى ﴾

[سورة الكهف: ١٣]

حينما تبحث عن الحقيقة تصل إليها، حينما تلجأ إلى الله عز وجل يهتئ لك من رحمته الشيء الكثير، هذا درس أيضاً.

القرآن يعلمنا الأدب في مناقشة الأمور الدينية :

يوجد آية أخرى وقف عندها وقفه متأنية، قال: هؤلاء الناس الذين يضلون عن الحقيقة في كل الظروف، يقول لك: أنا بعد أن أتزوج أتوب، ما تاب بعد الزواج، قبل الزواج عاصي وبعد الزواج عاصي، قبل الغنى عاصي وبعد الغنى عاصي، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرِكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَافْصَحْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٧٦]

كل إنسان يتحجج أنني عندما أستقر، أتزوج، آخذ الشهادة العليا، أشتري بيتاً، حتى ترتاح نفسي أتوب كذاب، الذي يجمع التوبة يعقدها فور نيته، هذا مثل آخر .

يقول هذا المؤلف: القرآن يعلمنا الأدب في مناقشة الأمور الدينية، قال تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

[سورة الطور: ٣٣-٣٤]

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ١٤٨]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١١٣]

القرآن معجزة مستمرة لذلك التقدم العلمي يكشف جوانب من عظمة هذا القرآن :



القرآن معجزة مستمرة

أي أن القرآن الكريم يعطيك الدليل، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

[سورة المؤمنون: ١١٧]

معنى ذلك أنه لا برهان على الباطل، هناك ألف برهان وبرهان على الحق، اكتشف هذا المؤلف ويجب أن نذكر أن

هناك تعابير في القرآن الكريم يبدو كأنها تشير إلى تفاسير علمية مستقبلية، يقول الإمام علي كرم الله وجهه: في القرآن آيات لما تفسر بعد، القرآن الكريم أيها الأخوة معجزة مستمرة، كل معجزات

الأنبياء السابقين الحسية معجزات وقعت مرةً واحدة، تألفت كعود الثقاب رآها من عاصرها ثم أصبحت خبراً يصدقها من يصدقها ويكذبها من يكذبها إلا معجزة نبينا عليه الصلاة والسلام، معجزة مستمرة بدأت مع نزول هذا القرآن وإلى يوم القيامة كلما تقدم العلم كشف جانباً من عظمة هذا القرآن، فالقرآن معجزة مستمرة، لذلك التقدم العلمي يكشف جوانب من عظمة هذا القرآن.

الكون خُلِقَ واتسع أما نهاية الكون فهي عملية معاكسة لاتساعه :

حينما قال الله عز وجل:

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس: ٤٠]

هذه كل وبعض من الألفاظ المغرقة بالإبهام، أي كل شيء في الكون وهذه إشارة إلى الذرة، يقول الله عز وجل:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: ١٠٤]

عندما يكون الإنسان معه لفافة من ورق ملفوفة ومربوطة، فإذا أفلت رباطها انتشرت، الله عز وجل قال:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[سورة الذاريات: ٤٧]

خلق الكون واتسع، أما نهاية الكون، قال: عملية معاكسة لاتساعه، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: ١٠٤]

هذه حقيقة في الكون، الكون خلق واتسع، والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون ثم طويت السماء كطي السجل للكتب، أي علماء الفلك يبحثون، ويفكرون، ويلاحظوا، ويسجلوا، لو أنهم قرؤوا هذا القرآن لوجدوا حلولاً لكل المعضلات التي يعانون منها.

في عهد النبي معطيات العلم محدودة جداً :

نظرية خلق العالم، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[سورة الذاريات: ٤٧]

ونظرية انتهاء العالم، قال تعالى:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

[سورة الأنبياء: ١٠٤]

ثم يذكر قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾

[سورة النحل: ٦٨]

الله عز وجل استخدم ياء المؤنثة المخاطبة، يوجد نقطة مهمة جداً في عهد النبي معطيات العلم محدودة جداً، فالنبي عليه الصلاة والسلام أنزل عليه هذا القرآن وبيّنه بحديثه الشريف.

إشارات من قبل النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن تفسر بثقافة العصر :

في إشارات من قبل النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن تفسر بثقافة العصر، أضرب لكم مثلاً؛ النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا إن ذبحنا دابةً أن نقطع أوداجها فقط وأن نبقي رأسها متصلاً بجسمها، لا في عهد النبي، ولا في مراكز العلم في عهد النبي، لا عند الرومان، ولا عند اليونان، ولا عند الفرس، في علومهم ما يفسر هذا الإجراء، مضى مئة عام، مئتا عام، خمسمئة عام، ألف عام وليس في الأرض كلها معلومات تفسر هذا التوجيه، قبل خمسين سنة وجدوا أن القلب ينبض بتأثير كهربائي من داخل القلب في مركز تنبيه كهربائي ذاتي، هذا المركز إذا تعطل هناك مركز تنبيه كهربائي احتياط أول، ومركز تنبيه احتياط ثاني، ثلاث مراكز في القلب، القلب لا علاقة له بكهرباء الجسم إطلاقاً، كيف إذا عندنا مستشفى فيها غرفة عمليات لا ينبغي أن نعتمد على الشبكة الخارجية، مريض مفتوح قلبه والكهرباء قطعت معنى هذا أنه مات، لا يمكن لمستشفى أن تعتمد على الكهرباء الخارجية لا بد لها من التغذية الداخلية، وهذا القلب لخطورته يتلقى النبض من داخله وليس له علاقة بكهرباء الجسم، إلا أن هذه المراكز الذاتية تعطيه الأمر النظامي فقط ثمانين ضربة في الدقيقة، الإنسان أيام يصعد درجاً، يواجه عدواً يقتضي أن يركض، يلعب لعبة تحتاج إلى ركض، فالقلب لا بد له من أن يرتفع إلى مئة وثمانين نبضة، القلب السليم ينبض ثمانين نبضة في الدقيقة أما هذا القلب السليم أحياناً يرتفع إلى مئة وثمانين، والذي يفحص قلبه يمشي على بساط والبساط يسرع، فكلما يسرع البساط ارتفع النبض والضغط، وقد يصل النبض إلى مئة وثمانين ضربة في الدقيقة، قال: هذا النبض العالي يحتاج إلى أمر ناتج عن الكظر عن طريق الرأس، يأتي الأمر من الكظر عن طريق الرأس، مهمة القلب بعد ذبح الدابة إفراغ الدم إلى خارجها، ثمانين نبضة لا تكفي إلى إخراج الدم يبقى نصف دم الدابة في جسمها ترى اللحم أزرق، أما إذا بقي الرأس موصول مع الجسم جاء الأمر الاستثنائي من الكظر عن طريق الرأس فارتفع النبض إلى مئة وثمانين نبضة، القلب مهمته بعد الذبح أن يخرج الدم خارج الجسم، معنى ذلك أن الدابة لا تتركى إلى إذا بقي رأسها موصول بجسمها.

أكثر مسالخ العالم تعلق الدابة من قدميها ويقطع رأسها كلياً، بقي دمها فيها، الذي أمرنا أن لا نذبح دابة إلا بقطع أوداجها فقط ليبقى الأمر الاستثنائي الذي يرفع النبض إلى مئة وثمانين نبضة قائم، ترى اللحم المزكى شرعاً لونه وردي تشتهي أن تنظر إليه، واللحم الغير مزكى لونه أزرق والنفس تنقرز منه.

الحكمة من عدم تفسير النبي للآيات الكونية :

بربكم هذه الحقائق الدقيقة عن القلب أنه يوجد مركز كهربائي داخلي وعنده أمر استثنائي خارجي، والأمر يأتي من الكظر عن طريق الرأس، هل في عهد النبي معطيات علمية تفسر هذا الأمر؟ هذا الحديث من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك النبي الآيات الكونية ما فسرهما وكان حكيماً حكمةً رائعة، أو أن الله عز وجل أوحى إليه وحياً غير مثلو أن هذه الآيات لا تفسرها، لماذا؟ لو أنه فسرهما تفسيراً بسيطاً يتناسب مع معطيات العلم المتواضعة في عصره لأنكرنا عليه هذا التفسير، ولو فسرهما تفسير يتناسب مع التقدم العلمي لأنكروا عليه هم أيضاً، فمن الحكمة البالغة أن يدع هذه الآيات للتطور كلما تقدم العلم كشف جانباً من جوانب عظمة هذا القرآن الكريم. بدقة قال: في القرآن إشارات إلى حقائق لم تكتشف بعد، حقائق مستقبلية، أيضاً هذه كما قال سيدنا علي: في القرآن آيات لم تفسر بعد، الآن حينما قال الله عز وجل:

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾

[سورة العلق : 1]

العلماء قالوا: العلق هي جلطة، أو قالوا: شيء يعلق، اكتشفوا أن البويضة الملقحة تنمو لها استطالات كثيفة جداً وطويلة، هذه الاستطالات تنغرس في جدار الرحم والرحم جداره مخملي ثخين، فهذه البويضة حينما تنقسم إلى عشرة آلاف قسم في طريقها إلى الرحم، أي من المبيض إلى الرحم تنقسم عشرة آلاف قسم من دون أن يزيد حجمها، البويضة إذا وصلت إلى الرحم أرجلها، ذؤاباتها، نهاياتها، تنغرس في جدار الرحم والجدار ثخين ومخملي الملمس، حينما تنغرس تأخذ غذاءها من الجدار، الآية الكريمة قال: هذه البويضة حينما تعلق في الجدار لو صورناها تشبه قطعة لحم ممضوغة، يوجد لحم قطعة واحدة، لحم مفروم، أحياناً الإنسان يأكل قطعة لحم يمضغها يجعلها ناعمة ثم يكتشف فيها شيء يخرجها، هذه قطعة اللحم الممضوغة هي الوصف الدقيق الدقيق للبيضة عندما تنغرس في جدار الرحم.

مثال على حقائق وردت في القرآن الكريم قبل أن يؤكد العلم :

الآية الكريمة:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون: ١٢-١٤]

علقة، مضغة، عظام، عضلات، حدثنا
أخ طبيب مختص بالعظمية درس في
بريطانيا عندهم أستاذ كبير جداً في علم
الأجنة، قال: مرة دخل علينا وقال: أيها
الطلاب كتابي الذي تدرسونه . هذا
الكتاب لاشتهاره كان واسع الانتشار .
قال: اكتشفت خطأ في الكتاب أن
العظام تشكل قبل العضلات، هو كان



البويضة الملقحة

يتوهم أن العضلات أولاً ثم العظام ثانياً، فقام طالب باكستاني وقال: يا أستاذ هذه الحقيقة وردت في القرآن الكريم، فقال له: ليس من المعقول، فقال له الآية قال تعالى:

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون: ١٤]

دهش، هذه القضية قضية عشرين سنة، أما العالم كله كان يعتقد أن بعد المضغة عضلات وبعد العضلات عظام والآية بالعكس، ثم اكتشف أن العظام أولاً ثم العضلات ثانياً.

إشارات وردت في القرآن الكريم على أن الأرض كرة :

قال تعالى:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون: ١٤]

يوجد نقطة ثانية في القرآن الكريم أن العرب يعيشون في أرض منبسطة ما خطر في بالهم أنها كرة، لو قال الله عز وجل بآية قطعية الدلالة أنها كرة لاضطربوا، فرينا عز وجل حكيم بحكمة بالغة، ورد بالقرآن إشارات إلى أن الأرض كرة، من هذه الإشارات قوله تعالى:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾

[سورة الزمر : ٥]

التكوير لف شيء حول شيء كروي، بالمعنى المعجمي الدقيق، لا يوجد شكل هندسي يمكن أن يتداخل الضوء مع الظلام أمام منبع ضوئي بعيد إلا الكرة، أما الشكل المكعب أو متوازي المستطيلات لو كان في منبع ضوئي هنا ودورته يأتي الضوء فجأة بسبب الحروف، إلا الكرة لأنها كرة أثناء دورانها يأتي الضوء ويتداخل مع الظلام وهذا ما تجدونه ما بين الفجر والشمس وما بين المغرب والعشاء لأنها كرة الضوء والظلام يتداخلان، إذا رجل مسافر غابت الشمس الدنيا مضيئة لو لاحظ كيف يمتد الظلام شيئاً فشيئاً، أنا أعتقد تقريباً عشرين دقيقة إلى أن يبدو لك أنه صار ظلام ولكن مع العشرين دقيقة تشعر أن الأمور واضحة، أما حينما يغيب الشفق الأحمر يكون قد دخل وقت العشاء.

الآية التالية دليل كروية الأرض :

قوله تعالى :

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾

[سورة الزمر : ٥]



تداخل الليل والنهار بسبب كروية الارض

هذا دليل كروية الأرض، سمعت ولم أقرأ في الكتاب أن مؤلف الكتاب وهو يقرأ القرآن وصل إلى قوله تعالى وهو يخاطب فرعون بعد أن أغرقه الله:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّبُكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾

[سورة يونس : ٩٢]

قال: هذا خطأ، هو كان يقرأ القرآن قراءة نقدية يريد أن يجد فيه خطأً هكذا سمعت أنه اتصل بموريس بوكاي بباريس، قال له: هذه الآية لا تطابق الواقع، اليوم ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية، موريس بوكاي فحص مومياء فرعون موسى بنفسه ووجد فطور بحرية في فمه وعلى جلده، ووجد أملاح بفمه، فرعون موسى والذي غرق في البحر الأحمر موجود في متحف مصر الفرعوني، وسمعت أنه أخذ إلى باريس لترميم جنته، انظر إلى هذه الآية الكريمة هذا كلام خالق الكون:

﴿ قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾

[سورة يونس: ٩٢]

هذه أيضاً نقطة انتبه إليها مؤلف الكتاب، وتحقق من صحتها عن طريق رجل فرنسي ألف كتاباً عن الأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله من هذه الآية، طبعاً هذا الكتاب كما تعلمون لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لا يمكن أن تنشأ في حياتنا حقيقة علمية تناقض ما في القرآن أبداً لأنه كلام الله :

يوجد مشكلة يعانيتها أصحاب المذاهب الوضعية؛ ترى شخصاً ذكياً وعاقلاً اعتنق مذهب مع مضي الزمن تنشأ ظروف ومفارقات تسفه مذهبه. ذكرت لكم سابقاً أنه يوجد رئيس وزارة فرنسي انتحر وهو من أرقى الأسر الفرنسية وغني، ولا يوجد عنده مشكلة إطلاقاً سمعته نظيفة، أكثر من مئة صحفي حاولوا الكتابة عن انتحار هذا الإنسان ما وجدوا شيء يدعو إلى الانتحار إلا صحفي واحد فسر انتحاره على الشكل التالي: أن هذا الإنسان اعتنق مذهب إلحادي سبعين سنة ثم اكتشف أنه كان مخطئاً فاحتقر نفسه، إنسان بهذا العقل والذكاء يعتقد بالإلحاد ثم يكتشف أنه كان في غلط كبير جداً.

لا يمكن للمسلم أن يأتي يوم يفاجأ بحقيقة علمية تخالف القرآن، والدليل صار هناك تطور علمي بالمئة سنة الأخيرة . هكذا يقول بعض العلماء . بما يوازي التطور الذي تم من آدم إلى قبل مئة عام، أي من آدم إلى قبل مئة عام بكفة، ومن مئة عام إلى الآن بكفة ثانية، تطور مذهل، لا يوجد حقيقة علمية على الإطلاق يمكن أن تصطدم مع آية لأن



لا تناقض بين العلم والقرآن ويخلق مالا تعلمون

هذا كلام الله مستحيل، المسلم يعيش الحياة مهما تطور الزمان لمصلحته، لا يمكن أن تنشأ في حياتنا حقيقة علمية تناقض ما في القرآن الكريم أبداً لأن هذا الكتاب كلام الله. وذكرت مرة مثل عندما قال الله تعالى:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: ٨]

رجل يركب شبح الآن ما هذه؟ أتمم الآية:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: ٨]

معنى ذلك يتحجم، هذا الكلام كلام الله، لو كان كلام النبي لوقفت عند لتركبوها وزينة، ماذا رأى؟ خيلاً، وبغالاً، وحميراً، لتركبوها وزينة، لأن الله يعلم أن سيكون طائرات، ومراكب بحرية، وحوامات، ومراكب فضائية، ويخلق ما لا تعلمون.

كلما تعمقنا في فهم الآيات الكونية والدقائق التشريعية كلما ازددنا يقيناً وإيماناً :

والله أيها الأخوة، هذا الكتاب كلام الله عز وجل، هذا الكتاب منهج حياتنا كلها، وكلما تعمقنا في فهم آياته الكونية وفي فهم دقائقه التشريعية كلما ازددنا يقيناً وإيماناً، والنبي عليه الصلاة والسلام يدعونا إلى أن نجدد إيماننا.

يقول المؤلف: هناك إشارات غريبة في الآية الثانية والتسعين قال تعالى:

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافُلُونَ ﴾

[سورة يونس: ٩٢]

قال: إن التحقق من هوية فرعون والخروج كان موضوع تفكير وبحث طويلان، وبعد دراسة مفصلة يناقش موريس بوكاي هذه المسألة على نحو مقنع ويقول: إن فرعون موسى هو نفسه موجود في المتحف الفرعوني وسمى مكان وجوده، وهناك أدلة قطعية في جسمه على أنه مات غرقاً.

طبعاً قد يقول قائل: لماذا أبقى الله جثته؟ لأن فرعون ادّعى الألوهية، لو أن الله أغرقه واختفت جثته لقالوا صعد إلى السماء، أراد الله أن يؤكد للذين ألوهه أنه إنسان عادي يموت وهذه جثته على الساحل، قال تعالى:

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافُلُونَ ﴾

[سورة يونس: ٩٢]

بإمكاني أن أقول لكم أن إنساناً بعيداً عن الأجواء الدينية، مهما كان بعيداً عن القرآن الكريم، أنت نشأت في بلد عربي تقرأ القرآن ببساطة، هذا الإنسان لا يفقه كلمة واحدة في اللغة العربية يقرأ

ترجمات القرآن ووصل إلى هذه القناعة والتقى مع كبار المفكرين الإسلاميين. معنى ذلك أن الحقيقة واحدة في الكون إن أردتها صدقاً لا بد من أن تصل إليها، وأنت حينما تتصل بالله تنتابك المشاعر والأحاسيس، ويملاً قلبك الإيمان والثقة والشعور بالسعادة بحيث يتساوى الناس جميعاً في كل بقاع الأرض، وصار الدين كما قلت قبل قليل عامل توحد وليس عامل تفرقة، ما الذي يسمى عامل تفرقة؟ هو التعصب للدين، أما حقيقة الدين لن تكون إلا عامل توحد وعامل وحدة بين المؤمنين، أرجو الله سبحانه وتعالى في درس قادم أن نتابع موضوع القرآن الكريم الذي ورد في هذا الكتاب وهو تجربة ملحد وصل إلى الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٦) : قصة إيمان (جيفري لنك ٤). فصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث ممتع عن رسول الله بـقلم رجل كان ملحدًا فصار مؤمنًا :

أيها الأخوة الكرام، لازلنا مع تجربةٍ ممتعةٍ مؤثرةٍ لهذا الرجل الذي كان ملحدًا ثم وصل إلى الإسلام الحقيقي، في دروس سابقة تحدثت عن قصة إسلامه وعن فهمه لكتاب الله عز وجل، واليوم ننتقل إلى حديث ممتع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بـقلم رجل كان ملحدًا فصار مؤمنًا، يقول هذا المؤلف: يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٦]

جعل هذه الآية في صدر فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا بدأ، قال: انتشر الخبر بسرعة كبيرة وبدأت الحشود في الساحة تزدهم وتضج، على الرغم من الدلائل الكثيرة التي ظهرت أخيراً، والتي كانت تنذر بدنو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أصيبت الحشود بالصدمة وكانت على حافة من الهلع، ربما كانت هذه محنتهم الكبرى والتي كانت أشد مما كابدوا من الآلام، ومن الهجرات، ومن الموت، أي أن أكبر محنة عاناها المسلمون هي هذه المحنة، ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام كان دوماً بينهم بقيادته الوطيدة الواثقة، برحمته، بروحانيته العظيمة، بابتسامته المطمئنة، بروح دعابته الوداعة هكذا كان النبي بينهم، هاجروا، وقاتلوا، ومرضوا، وتركوا أوطانهم، وقاتلوا أعداءهم، كل هذا يهون عليهم لأن النبي بينهم بقيادته الحكيمة، بقيادته الوطيدة الواثقة، برحمته، بروحانيته العظيمة، بابتسامته المطمئنة، بروح دعابته الوداعة.

مواقف لبعض الصحابة من موت النبي عليه الصلاة والسلام :

لقد قال مرة لعلي بن أبي طالب وهو يمازحه: انهض يا أبا تراب، كان عليه الصلاة والسلام يمزح مع أصحابه، ومما يدل على تواضعه واحترامه الشديدين أنه بسط ملاءته مرةً لعجوز فقيرة كي تجلس عليها، قال لزوجته عائشة: إنها كانت تأتينا أيام خديجة، لشدة وفائه صلى الله عليه وسلم،

وكان حفيده الحسن يركب كتفه وهو يصلي، وقد كان الله معه دوماً في الغار، في ساحة القتال، في يوم أحد، في المحراب، حتى أن هؤلاء الصحابة الكرام ظنوا أن موته لا يمكن أن يكون حقيقةً مستحيل، وماذا عساهم أن يفعلوا الآن وقد مات عليه الصلاة والسلام؟ رأيتم إلى هذا الأسلوب، إلى هذه العبارات الحارة، إلى هذا الوصف الدقيق، انطلق عمر من مسكنه واندفع بين الحشد في الساحة ثم صعد المنبر وصرخ قائلاً: إن أناساً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه قد مات، إنهم يكذبون وهدد أن يضرب عنق كل من يقول هذا الكلام، لقد كان أكثر عنفاً من أي وقت مضى، وكانت عيناه تؤكدان شدة غضبه وتوعده.

كان عليه الصلاة والسلام يقول: إن الشيطان إذا ما صادف عمر غير اتجاهه وولى هارباً، طبعاً هو لا يحفظ نص الحديث يقول معنى الحديث، قال: في البداية ارتاح الناس لهذا الكلام، كلام مريح معنى هذا أنه ما مات، ذلك أن عمر قد رأى النبي لتوه في البيت، ولكن الناس كانوا لا يزالون يسمعون بكاء زوجاته في داخل الحجرات، وكان هناك شيء ما غريب حقيقي في احتجاجات عمر، لقد كان أشبه بالولد الذي يرفض أن يصدق وفاة أبيه، وتتهد الجميع بأساً يا الله إنها الحقيقة، ربنا أعنا إن محمداً قد ذهب، هكذا يبدأ فصل محمد عليه الصلاة والسلام.

ثم حضر أبو بكر إلى ساحة المسجد وحصانه يلهث ويتصبب عرقاً من الجري، ونزل على حصانه بسرعة، وانطلق حتى دخل حجرة ابنته فزاح الستارة مستأذناً، فأجابت ابنته أن لا حاجة للاستئذان، ثم مشى إلى الحصيرة حيث كان يرقد صهره رسول الله، وقد غطى وجهه بعباءة، إن صداقتهم تعود إلى سنين عديدة، إلى ما قبل عهد النبوة، إلى ما قبل زواجه من خديجة، كان صديقه الحميم، بل إلى الوقت الذي كانا فيه شابين لاعمين في المجتمع المكي، انحنى أبو بكر وقبل وجه حبيبه قائلاً: طببت حياً وميتاً، ثم رفع رأس النبي برفق بين يديه وكانت الدموع تنهمر من عينيه فوق وجه النبي، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أما الموتة التي كتب الله عليك فلقد ذقتها ثم لم يصيبك بعدها موت أبداً، إلى سعادة أبدية، وبرقة بالغة أعاد رأس النبي إلى وسادته وانحنى ثانياً وقبله، ثم أعاد الغطاء على وجهه، ثم غادر الحجرة، إن أبا بكر . هكذا يقول المؤلف . كان قصير القامة ونحيلها ولقد اشتهر برقة القلب ورقة المشاعر، لم يظهر على أنه الخليفة الطبيعي للرسول، في الحقيقة كانت ابنته عائشة خشيت أن لا يكون أبيها قادراً على أن يؤم المسلمين في الصلاة بسبب طبيعته العاطفية، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرى فيه ما هو أعمق من ذلك.

موقف الصديق من موت النبي الكريم :

بعد خروجه من حجرة ابنته، دخل أبو بكر إلى الساحة ثانيةً واتجه إلى مقدمة الحشد، وحاول أن يجذب انتباه الناس، لكن عمر الذي كان ما يزال يخطب بالناس، لم يكن ليسمح لأحد أن يقاطعه، إلا أن الناس أرادوا أن يسمعوها ماذا يقول أبو بكر، لذلك حولوا انتباههم حوله، قال أبو بكر بصوت

مرتفع: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. تعليقي على هذا القول أنه فيما أعتقد ما من رجل أحب رجلاً كما أحب الصديق رسول الله، ومع كل هذا الحب ما حمله على أن يشرك، أبداً لم يقل رسول الله، قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، هذا الدين دين التوحيد، فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. عندها التفت عمر إليه وصمت الجميع إصغاءً، من كان يعبد محمداً ثم أضاف ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم إن حدة صوته ارتفعت وهو يتلو قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ

عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٤٤]

صعق عمر حينما أدرك أن النبي قد مات حقاً، فجتأ على ركبتيه يبكي ما كان قد رفض تصديقه لتوه، ثم يبكي الخبر الذي لم يصدقه قبل قليل، ثم إن عمر قال بعدها: كأنما الآية ما نزلت إلا يومئذ، وكأنما لم يقرأها من قبل، وهكذا أصبح موت النبي عليه الصلاة والسلام حقيقة واقعة.

دور أبي بكر قيادة الأمة الإسلامية عبر إحدى أصعب حقب تطورها :

يقول هذا المؤلف: أنا أقول لكم لعل أحدكم يتساءل ما الذي جعل الأستاذ يقرأ من هذا الكتاب مثلاً، أريد أن لا تنسوا أبداً أن في الكون حقيقة واحدة هي الله، وأن كل إنسان عرف الله، واستقام على أمره، وأقبل عليه، يصبح أقرب الناس إليك مهما كان بعيداً، مهما كان بعيداً بعرقه، وجنسه، وديانته، وثقافته، واختصاصه، وعمله، لو أن إنساناً من طرف الدنيا الآخر وصل إلى الله لرأيت أقرب الناس إليك، هذا كلام إنسان كان ملحداً قبل سنوات.

أيها الأخوة، يقول هذا المؤلف: لقد كان دور أبي بكر محدداً فقد توفي بعد عامين من موت النبي عليه الصلاة والسلام، لكن هذا الوقت كان أشد الأوقات حساسيةً، على هذا الخليفة العظيم أن يقود الأمة الإسلامية الجديدة عبر إحدى أصعب حقب تطورها، أصعب فترة، وقد كان نزول الوحي قد اكتمل، وقد تم تطبيق ما أنزل على نحو عملي، وقد آن الأوان لهذه الأمة أن تنطلق بمفردها بعد أن فقدت أمن الحياة بصحبة النبي، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٣٣]

وجود النبي بين أظهرهم، هم في بحبوحة من عذاب الله، هم في مأمن من عذاب الله لأن النبي بشخصه كان بين أظهرهم، بقيادته الحكيمة، برحمته الواسعة، بحكمته الدقيقة، بدعابته اللطيفة، بأنسه، بروحانيته العظيمة، كان بينهم، الآن أمة بلا نبي تجربة جديدة.

الآن هذه الأمة تطبق الرسالة في أقاليم مترامية الأطراف، ويوجد روح قبلية في هؤلاء الذين آمنوا حديثاً، ما كل ما دخل في دين الله كان إيمانه عميق، طبعاً هؤلاء الصحابة الكرام الذين عرفوا الله في وقت مبكر، ودافعوا عن النبي ونصروه، وبذلوا الغالي والرخيص، والنفس والنفيس هؤلاء كانوا مثل عليا، لكن حينما دخل الناس في دين الله أفواجاً، هؤلاء الناس ليسوا على المستوى الذي ينبغي أن يكونوا عليه، لذلك ما إن توفي النبي عليه الصلاة والسلام حتى ارتد معظم العرب عن دين الله، وصار هناك دعوات إلى النبوة، ومسيلمة الكذاب، وشرك، وفتن، وهذا الخليفة الذي كان رفيق النبي عليه الصلاة والسلام عليه أن يقود هذه الأمة في أصعب مراحلها، في أدق الظروف.

ما من علاقة على وجه الأرض أشد من علاقة الأخوة الإيمانية :

أيها الأخوة، هكذا بدأ فصل النبي عليه الصلاة والسلام، يقول هذا المؤلف: إن التصوير القرآني لرسول الله جل جلاله هو في الوسط بين الفهم اليهودي والفهم المسيحي، رسل الله عز وجل في القرآن الكريم مبرؤون من المعاصي المنسوبة إليهم في العهد القديم، ولكنهم لا يرقون إلى درجة الألوهية، الأنبياء في القرآن معصومون كمل لكنهم ليسوا آلهة، كتب العهد القديم اتهمت الأنبياء بالانحراف، والزنا، والعريضة، والخمر، وكتب العهد الجديد صاروا آلهة، كلا الطرفين وقع في الغلو، الأنبياء في القرآن الكريم بحجمها الحقيقي، قمم البشر لكنهم عبيد الله عز وجل، قمم البشر في الكمال لكنهم عبيد الله ما يفعلون إلا ما يأمرهم الله عز وجل به.

يقول هذا المؤلف الذي كان ملحداً: مضى عام تقريباً على إسلامي ومنذ أن نطقت بالشهادة وأصبحت أنا وصديقي فلان سمي اسمه أكثر من أصدقاء، لقد كنا أخوة في الإسلام، الآن يوجد شيء جديد أدرك معنى الأخوة في الإسلام، والله أيها الأخوة فيما أتصور ما من علاقة على وجه الأرض أشد من علاقة الأخوة الإيمانية، والدليل قاله تعالى:

﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[سورة الأنفال: ٦٣]

هذه الأخوة بين المؤمنين هي أثنى ما في الحياة، أجمل ما في الحياة، والله أيها الأخوة إن قلبي ليمتلئ سروراً واطمئناناً حينما أرى أخوة الإيمان متحابين، متعاونين، متبادلين، متزاورين، متناصحين، متكاتفين، متضامنين، هذه علامة طيبة، علامة أن إيمانهم في المستوى الذي يرضي الله عز وجل، أما حينما يتنافسون، يتراشقون التهم، حينما يطعن بعضهم ببعض، حينما يزري بعضهم ببعض، حينما يحتقر الإنسان أخاه، حينما يأخذ ما ليس له، اقرأ على الدنيا السلام، الإسلام ليس معلومات بل سلوك، ومواقف، حب، تعاون، تكاتف.

قال: مضى عام تقريباً منذ أن نطقت بالشهادة وأصبحت أنا وفلان أكثر من أصدقاء فقد كنا أخوة في الإسلام، لقد ذهبنا معاً في السيارة إلى فنلندا لنستمع إلى محاضرة مولتها إحدى جماعات الطلبة المسلمين في المسجد، والتي كان عبارة عن بيت صغير تم تحويله مؤخراً إلى مكان للعبادة، كنا مختلفين عن باقي الحضور ليس فقط لأنني كنت الأمريكي الوحيد بينهم بل لأننا كنا عملياً الشخصين الوحيدين الذين يرتدون ثياباً غريبة، وبعد أن عثرنا على مكان للجلوس بدأ أحد المتكلمين بسرد القصة التالية كي يذكر في بحثه المستمعين بعقم إيمانهم إذا ما قرن بأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

القصة التي سمعها في المحاضرة وذهب من أجلها من ولاية إلى ولاية وجلس في غرفة صغيرة يستمع إلى هذه المحاضرة هي كما يلي:

قال: قابل النبي بدياً في الصحراء فدعاه إلى الإسلام، ولكن البدوي أبى ذلك وطلب من النبي أن يثبت صدق نبوته، ثم إن محمداً أخبر البدوي إن كان يرضى بشاهد على ذلك، فقال الرجل: لا يوجد من أحد هنا، ولا يقطن هنا أحد من حولنا فمن عسى أن يكون شاهدك؟ فأشار النبي إلى شجرة مجاورة قائلاً: هذه سوف تشهد لي وفي تلك اللحظة انفلق جانب من تلك الشجرة ومشى نحو الرجلين، ثم انسلخ الجزء الآخر من الشجرة وتقدم نحوهما، شاهد الرجل هذا بهلع شديد فصرخ قائلاً: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، انتهت القصة، قال: لاحظ صديقي علامات عدم الارتياح على وجهي، وبعد المحاضرة حاول أن يصلح الضرر وبالطبع كان محقاً بقوله: إن الحضور لم يكونوا ليمثلوا جميع المسلمين، أي أن هذا الذي قال هذه القصة لا يمثل الإسلام، وإن قيمة مثل هذه القصة لا تكمن في تاريخها بل في قدرتها على خلق مزيد من الخشية والشعور بالله، وبالحقيقة أن الكثير ممن كان حاضراً كان يصغي مشدوهاً إلى تلك القصة وإلى قصص أخرى أمثالها وردت في المحاضرة، وفي نهاية كل قصة كانوا ينطلقون في المديح على نحو انفعالي، ولكنني شعرت أن اعتذار صديقي لي كان اعتذاراً غريباً أكثر من كونه اعتذاراً إسلامياً.

وفي رأبي وهذا رأي المؤلف: أن مثل هذه القصص تضعف من مخاطبة القرآن للعقل، إذا دعيت إلى الله عز وجل فابق في الحقائق، الشيء المألوف، المعروف، المنطقي، المؤكد بالدليل، ابق في الواقع فالواقع ينطق بوجود الله، ينطق بوحديته، وينطق بكماله، ولا تحتاج إلى قصة مهتزة ضعيفة، ضعيفة السند.

صديقه بعد أن اعتذر، قال له: ومن نحن حتى ننكر شرعية منظور آخر لأنه ببساطة لا يتوافق مع منظورنا، اعتذار نوعاً ما، عندها أدرك وهو أدرك أن القصة غير حقيقية وردت في الأحاديث، لعل القصة غير حقيقية، فقال: عندها أدركت أنه من أجل مصلحتي كمسلم علي أن أقوم بدراسة أفضل لمعرفة وفهم مكانة الحديث، التراث النبوي في حياة مجتمعي الجديد.

من لوازم حفظ القرآن حفظ السنة لأنها بيان للقرآن :

أخوانا الكرام، لأن الدين بالأصل نقل، إن أخطر ما في النقل صحة النقل، تصوروا لو هذبنا ديننا من كل قصة خرافية، ومن كل حديث موضوع، ومن كل حديث ضعيف لاجتماعنا، أساساً هذه التفرقة بين المسلمين أساسها النصوص الضعيفة فرقتهم ومزقتهم، وحينما ينصرف المثقف عن الدين لأنه سمع في الخطبة إلى قصة خرافية لا أصل لها، هناك أدلة كثيرة جداً على صدق رسالة النبي، وأدلة كثيرة جداً على عظمة هذا الدين، الحق لا يحتاج إلى قصة مهزوزة تعززه بها، لا يحتاج إلى قصة لم تثبت تؤكد لها.

أيها الأخوة، الإنسان حينما يصل إلى الله عز وجل قصة غير صحيحة لا تصرفه عن الدين بالعكس يحللها وينهياها.

يقول: إن عمل هؤلاء المحدثين العظام، وهو درس علم الحديث، وعرف هذه الجهود الجبارة التي بذلها علماء الحديث كي ينقوا السنة مما ليس منها، قال: إن عمل هؤلاء المحدثين العظام قد تحتم وذلك بسبب المكانة البارزة التي اكتسبتها الأحاديث النبوية، وكان بسبب الحقيقة التي لا مفر منها وهي أن آلافاً من الأحاديث قد تم تليقها وتمت نسبتها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، لأغراض سياسية، وحزبية، ودينية، وعصبية، وتحريضية، رجل وضاع قال: وضعت فيكم مئة ألف حديث، حلت فيها الحرام وحرمت فيها الحلال، قضية تنقية السنة المطهرة من كل ما ليس منها هذا عمل عظيم وقد قام به المحدثون الأوائل، ولعل حفظ الحديث الشريف هو من لوازم حفظ القرآن الكريم، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[سورة الحجر: ٩]

من لوازم حفظ القرآن حفظ السنة لأنها بيان للقرآن، قال: ويمكن التحقق إلى الدرجة التي وصل إليها التفيق في الحديث من خلال البخاري الذي أحصى ستمئة ألف حديث وقام بفحصها جميعاً فلم يبق منها سوى ألفين وستمئة من الأحاديث، دون التكرار في مجموعته المعروفة بصحيح البخاري، أي ألفين وستمئة عدا التكرار من ستمئة ألف حديث لذلك أصح كتاب بعد كتاب الله صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم، هذه الكتب الستة.

صور عن عطف النبي الكريم وحنانه :

ويشيد هذا المؤلف صاحب التجربة الإيمانية، قال: ومن خلال القرن الإيماني الثاني أدت الحاجة لتثبيت صحة الإسناد إلى جمع وتصنيف المجلدات من البيانات حول تراجم رواة الحديث وانتقاداتهم

ومصدقيتهم وفكرهم، إن هذا العلم المعروف بأسماء الرجال قد تطور إلى علم مستقل تقريباً قائم بذاته، له أهميته وغناه لدرجة أنها دفعت عالماً كبيراً ليقول: إنها فخر الأمة الإسلامية.

علم الرجال، علم الجرح والتعديل، وقال بعضهم: ليس إلا الأمة الإسلامية عندها هذا العلم بشكل دقيق جداً، أنا أقرأ لكم مختارات من هذا الكتاب، قال: من بين العديد من القصص التي توضح رقة ولطافة مشاعر النبي هناك البعض على الأقل مما هو جدير بالتصديق، فأرملة ابن عمه جعفر بن أبي طالب نفسها قصت على حفيدتها كيف أفضى لهم بخبر استشهاد جعفر، جعفر ابن عمه استشهد في مؤتة، النبي عليه الصلاة والسلام ليخفف وقع هذا الخبر على أهل جعفر وأولاده ذهب بنفسه إليهم.

يوجد أشخاص لهم كهنوت لا يتحرك، يرى مكانته أكبر من أن يذهب إلى مكان، فسيد الخلق وحبيب الحق ذهب بنفسه إلى بيت أهل جعفر ليبلغهم نبأ استشهادهم بشكل مخفف، لقد كانت زوجته منشغلة ذات صباح بأعبائها المنزلية والذي من بينها دباغة أربعين جلدًا وعجن العجين، وعندما زارهم محمد صلى الله عليه وسلم جمعت أولادها وكان لها ثلاثة أولاد من جعفر فغسلت وجوههم ودهنتها بالزيت، وعندما دخل محمد طلب رؤية أولاد جعفر ثم فاضت عيناه بالدموع وبكى، فسألته المرأة: هل هناك أخبار عن جعفر؟ فأخبرها بأنه قد قتل، ثم بعد ذلك أمر بعضاً من قومه أن يحضروا الطعام لآل جعفر لأنهم قد جاءهم ما يشغلهم، هذا من كماله أنه تولى بنفسه إبلاغ الخبر المؤلم لأهل بيت جعفر.

قال: كان قادراً على أن يجاري الأطفال بألعابهم، وكان يلعب الصبية الذين رجعوا من الحبشة، وفي أحد بيوت المدينة كان هناك غلام صغير وكان من عادة النبي أن يمازحه، وفي أحد الأيام وجد ذلك الصبي حزيناً جداً، سأله عما جرى له، وحينما أخبره أن عصفوره المدلل قد مات، قام بعمل أرضى فيه الغلام، يا عمير ماذا فعل النغير، إن عطفه وحنانه امتد حتى إلى الحيوان وهذا يعد شيئاً عظيماً بالنسبة لعصر محمد صلى الله عليه وسلم.

كل مظهر إسلامي لو أردت أن تعرفه بصدق لهداك الله إلى حكمته :

قال: إننا في أمريكا نعد الرق أحد الأعراق الكريهة جداً، في حين بحثوا القضاة المسلمون في اعتمادهم على القرآن الكريم وأحاديث النبي في تشريع قوانين من شأنها أن تضمن معاملةً كريمة وعادلةً للأرقاء، ففي مواضع عدة من القرآن الكريم آيات تأمر بتحرير الرقيق، بعضها أمر بتخصيص صندوق تكافل اجتماعي من أجل شراء حريات هؤلاء الأرقاء.

أنا تأثرت من هذا الكتاب أن الإنسان إذا كان صادقاً في طلب الحقيقة يهتدي إليها أولاً، ويستطيع أن يرد كل شبهة ثانياً، هو كأبي إنسان يوجد أشياء كثيرة جداً فيما قرأ ليست في صالح المسلمين ولا الإسلام، لكن بحكمته وصدقه في طلب الحقيقة استطاع أن ينفبها عن الإسلام، حتى أن مرة سأله

شخص . أنت تصلي والجو حار . لماذا يقف المسلمون مترصين؟ ما الحكمة من ذلك تباعدوا؟ قال: من أجل أن يشعر المسلم أنه مع الله ومع أخيه في آن واحد، يجب أن يشعر المسلم وهو في الصلاة أن أخاه إلى جانبه، أحياناً يوجد تعبير رمزي، أن يتجه المسلمون في العالم كله إلى الكعبة المكرمة هذا له معنى كبير، هذه تؤكد وحدة المسلمين في العالم، أن يأكل المسلمون في رمضان في وقت واحد هذا شيء يعلم النظام، كل مظهر إسلامي لو أردت أن تعرفه بصدق لهداك الله إلى حكمته. يقول هذا المؤلف: عندما تصل الأمور إلى التأريخ فإن علماء المسلمين والمستشرقين على حد سواء يجمعون على أن القرآن يمثل الكلام الموثق الذي رواه محمد من وحي ربه، هذا هو الإيمان الصحيح أن القرآن كلام الله عز وجل أوحاه إلى محمد، لذلك أكثر الأجانب والمستشرقين يروه من صياغة محمد عليه الصلاة والسلام.

أيها الأخوة، لعلي قرأت لكم بعض الأشياء التي رأيت أنها تقرب هذه الحقيقة وهي أن الإيمان الصحيح يوحد كل المؤمنين، فعلى اختلاف البيئات، والعادات، والتقاليد، والعقليات، والمنطلقات، والثقافات، والترسبات، والعصبيات في العالم، هذا الدين يجمع كل المؤمنين في العالم لأن الله واحد والاتصال بالله يصدر عنه شعور واحد الطمأنينة، شعور بالحب إلى كل المخلوقات، فالذي يلفت النظر أن هذا الإنسان الذي يعيش في بيئة بعيدة كل البعد عن بيئتنا، وعقلية بعيدة كل البعد عن عقليتنا، وثقافة بعيدة كل البعد عن ثقافتنا، ومع كل هذه الفوارق الكبيرة والحادة تجد أن هذا الإنسان في هذا الكتاب كأحد المسلمين الذين وصلوا إلى الحقيقة، وعلى كل هذا حجة: يقول لك أحدهم كلاماً مضحكاً: ما ذنب هذا الذي نشأ في بلاد الغرب؟ الإسلام ما وصله، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٢٣]

إلزام الله عز وجل نفسه بهداية خلقه :

الله عز وجل قال:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾

[سورة الليل: ١٢]

الهدى، كلمة (على) إذا أضيفت إلى لفظ الجلالة تفيد الإلزام الذاتي، أي أن الله عز وجل ألزم نفسه بهداية خلقه، فلو علم من واحد بأقصى الدنيا، في ألاسكا، في أستراليا، في الأرجنتين، في سيبيريا، لو علم أن إنساناً يبحث عن الحقيقة يوصله الله إليها لأن الله عز وجل ألزم نفسه بهداية العباد، ولا يشرد عن الله عز وجل ولا يخلد في النار إلا من شرد عن الله عز وجل شرود البعير.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الكلمات التي قرأتها لكم من هذا الكتاب ولعل هذا الكتاب في المستقبل يطبع طبعات كثيرة جداً، ولعل هذا الكتاب يكون دليلاً للحيارى من أهل الغرب إلى

الإسلام، يوجد نقطة دقيقة بذهني أن المسلمين مكلفون في نشر هذا الدين وهؤلاء الذين يعيشون في أوروبا وأمريكا أناس لهم عقليات معينة، لهم أسلوب في الحياة معين، لا تستطيع أن تصل إليهم إلا إذا جئت وفق نمط تفكيرهم وأساسيات حياتهم، فحينما يعين الله إنساناً من بني جلدتهم، منهم، من تفكيرهم، أن يكون مسلماً حقاً، مؤمناً حقاً فلعل هذا الكتاب له أثر أكبر بكثير من أي كتاب ألفه مسلم في الشرق، هذا مسلم في الغرب، فالإنسان حينما يشكك أن هذا الدين لا يصح في هذه البلاد، وإنسان ملحد أستاذ رياضيات يعيش في بلد متفلت إباحي وصل إلى مشاعر وإلى قناعات لا تختلف عن قناعات المؤمنين حقاً، فهذا الكتاب حجة على هؤلاء الذين يقولون أن البيئة هي التي تحرك الإنسان، لا صدق الإنسان في طلب الحقيقة هو الذي يهديه، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت: ٦٩]

أرجو الله سبحانه وتعالى أن نصل إلى الحقيقة في وقت مبكر وأن ننتفع بها لأن الأحقية التي نبحث عنها هي أس سعادتنا وأس سلامتنا، والسعادة والسلامة مطلبان ثابتان لكل إنسان في كل زمان ومكان.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٧) : أصول الدين (دور العقل في فهم الدين وعدم خروجه من دائرته)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين في أصله نقلٌ والعقل مهمته التأكد من صحة النقل ثم فهم النقل :

ويبعد: فيا أيها الأخوة الكرام، يطيب للإنسان أحياناً أن يتحدث في أصول الدين، كما أنه في حاجة ماسة أحياناً أخرى إلى فروع الدين، والمزاوجة بين أصول الدين وبين فروع الدين يعطي تصوراً شاملاً وكاملاً لهذا الدين العظيم. في ظاهرة خطيرة جداً في الأوساط الإسلامية وهي تحكيم العقل بالنقل، فالإنسان يتوهم أن عقله مقياس مطلق



للمعرفة، هذا كلام غير صحيح إطلاقاً، هناك مجموعة حقائق سوف أحاول أن أعالجها، لتكون هذه الحقائق تمهيداً لحقيقة كبرى وهي أن الدين في أصله نقلٌ، والعقل مهمته التأكد من صحة النقل، ثم فهم النقل.

يا أيها الأخوة، الإنسان مخلوق لسعادة أبدية، الإنسان مخلوق للجنة، الإنسان مخلوق ليرحمه الله، في سعادة متنامية إلى أبد الآبدين، الإنسان نفخة من روح الله، وقبضة من تراب الأرض.



﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾

[سورة الزخرف: ٧٧]

الإنسان لا يفنى، يفنى جسده، لكن نفسه باقية إلى أبد الآبدين، والإنسان يذوق

ثمن الجنة الصبر

كتاب موضوعات مختلفة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

الموت ولا يموت، أول حقيقة أن هذه الجنة التي عَرَضُهَا السماوات والأرض، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذه الجنة ذات السعادة المتنامية المتعاضمة إلى أبد الآبدين لها ثمنٌ في الدنيا واحد، سأذكر أسماء عديدة والمسمى واحد، ثمن هذه الجنة الضبط، ثمن هذه الجنة الصبر، ثمن هذه الجنة أن تطيع الله عزَّ وجل، ثمن هذه الجنة أن تطبق منهجه،.

الإنسان أودع الله فيه الشهوات، أي إنسان كائنٌ من مكان، حتى الأنبياء، لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم بشرٌ تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر، يخاف، ويجوع، ويشتهي، هو بشر، لكنه انتصر على بشريته وحقق غاية الله من خلقه، واصطبغ بالكمال الإلهي، هذا تعريف النبي عليه الصلاة والسلام.

ثمن الجنة هو التناقض الظاهري بين الطبع وبين التكليف :

ما هو ثمن الجنة؟ تناقض ظاهري بين الطبع وبين التكليف، لو كان هناك توافق بين الطبع والتكليف لما كان هناك جنة، لو كان الأمر أن تُطْلَقِ البصر، والأمر أن تأكل المال من أي طريقٍ كان، والأمر أن تنام ولا تستيقظ، والأمر أن تأكل ولا تشبع، والأمر أن تقارب أية امرأة، لو كان الأمر كذلك وهذا متوافق مع طبع الإنسان المادي، أين الجنة؟



ماذا فعل الإنسان؟ هذه الجنة التي خلق الإنسان من أجلها، والتي أعدّها الله له، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، هذه الجنة ثمنها الضبط، أن تضبط الغرائز، أن تضبط الشهوات، أن تضبط النوازع، فلذلك ورد في الحديث:

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلَاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عباس]



أي أن طريق الجنة محفوف بالمكاره،
وطريق النار محفوف بالشهوات،
الملاهي مفتحة أبوابها؛ طعام، وشراب،
وخمر، وراقصات ومغنيين، كسب المال
من أي طريق؟ بالبنوك، بالفوائد،
بالاحتيال، بالضغط، بالإكراه، هذه
طريقة لكسب المال، اقتناص الشهوات:

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بَرَبُوعَةٌ ثَلَاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عباس]

أي لا بد من أن تجد في الطريق إلى الله مكاره، وعقبات، المكاره والعقبات هي التناقض بين التكليف وبين الطبع، فكل إنسان يحاول يجعل الإسلام يتماشى مع كل حاجاته، أي أن كل قضية هو مشتاق إليها، أو حريص عليها، أو يحبها، يبحث عن فتوى ضعيفة يغطيها، هذه مسموحة، وهذه بلوى عامة، وهذه فيها فتوى، وهذه الله لا يؤاخذنا، وهذه ماذا فعل الحياة صعبة. فكل قضية أعطاهَا تَعْلِيل، بعد حين أصبح الدين هواء غاز، لم يعد للدين وجود، يتشكّل بأي مكان، يتسرّب إلى أي مكان.

وسبحان الله الشيء المؤلم الآن أن الفتوى في العالم الإسلامي بدل أن تنهض بالناس إلى مستوى الشرع العظيم هبطت إلى واقع المسلمين، لم يعد شيء غير مسموح، الربا مسموح، والتمثيل مسموح، والغناء مسموح، يكاد يكون كل شيء مسموح ضمن إطار هش من الدين، إطار ضعيف جداً، أو غلاف ديني هَش، أساسه أن جامع فيه أقواس، فيه تحف، فيه فسيفساء، كتب إسلامية، زخرفة إسلامية، مناظر إسلامية، شعارات إسلامية، أما المضمون غربي بحت، هذه مشكلة كبيرة جداً أن الإنسان بدأ يحكّم عقله بالنقل، أنه لماذا هذه حرام؟ والآن مطروح أطروحات كبيرة جداً لماذا يعد هذا حراماً؟

الردّ على محاولة التوفيق بين مصالح الإنسان المادية القريبة وبين أحكام الدين :

أول سؤال: إذا أردت أن توفق بين المصالح القريبة العاجلة، وبين نوازح الطبع، وبين رغبات النفس، وبين النصوص انتهى الدين، أفضيت منه، الدين منهج، الدين شيء صُلْب، له كيان، المسلم إسلامه

صارخ، المسلم متميّز؛ بكلامه، بأفراحه، بأحزانه، بكسب ماله، بإنفاق ماله، ببيته، بكل شيء متميز، فإذا لم يتميز المسلم، صار في انتماء شكلي انتهى الإسلام، فالاتجاه الخطير محاولة عصرنة الدين، أن تقرأ القرآن قراءة معاصرة، أن تفهم الدين فهماً نابعاً من ظروف الحياة المعاصرة، هذه لا بد منها، وهذه إن لم نفعلها كنا في آخر الأمم، وكأن الله عز وجل غاب عنه أن منهجه لا يصلح لهذا الزمان، هذا اتهام للدين، حينما يقول الله عز وجل:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[سورة المائدة: ٣]

فإذا أردت أن تحذف وأن تضيف على هذا الدين معنى ذلك أنت متهم بهذا الدين بالخلل والنقص والزيادة.



مرة ثانية لا بد من أن نعود إلى أصول الدين، ولا بد من أن يكون الدين كياناً صلباً، ولا بد من أن يعبد الله وفق ما شرع الله، ولا بد من أن نقول: لا يعبد إلا الله وفق ما شرع الله. هذا الرد على محاولة التوفيق بين مصالح الإنسان المادية القريبة وبين أحكام الدين، إلى درجة أنني من باب المداعبة، إذا قال لي إنسان: ما قولك بهذا؟ أقول له: تريد الفتوى أم التقوى؟ إن أردت الفتوى لكل معصية فتوى، ليست هناك مشكلة، إن أردت التقوى استفتي قلبك وإن أفتاك المفتون وأفتوك، يا وابصة كما قال عليه الصلاة والسلام:

((يا وابصة البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس))

[الدارمي عن وابصة بن معبد الأسدي]

هذا هو الإثم.

١ . الإيمان هو الصبر والصبر هو الضبط :

أول فقرة في هذا الدرس التناقض الظاهري الأولي بين مصالح الإنسان القربية وبين التكليف، هذا التناقض إذا حلَّ بإيثار طاعة الله عزَّ وجلَّ على المصالح؛ هذا الإيثار هو ثمن الجنة التي خلقنا من أجلها، فكل إنسان يريد أن لا يتكلف، ولا يخالف نوازه، ولا يعطلَّ مصالحه، يريد فتوى لكل تقصير، يريد حل لكل معصية، هذا يُلغي الدين وهو لا يشعر، بقي الدين طقوس، كيف أن بعض الشرائع الأرضية لها حركات وسكنات وتمتات لا معنى لها، فلما نحاول أن نوفِّق بين أحكام الدين الصُّلبة وبين مصالحنا القربية، نجعل من هذا الدين طقوساً وليس ديناً، أي حركات، وسكنات، وتمتات، وقراءات نُؤديها بلا معنى، لنوهم أنفسنا أننا مسلمون وأننا دينون. لذلك الإيمان هو الصبر والصبر هو الضبط، والضبط ضبط النوازع والرغبات، هذه أول فكرة بالدرس.

٢ . العقل من دون وحي أعمى :



الفكرة الثانية أن الله عزَّ وجلَّ أعطى الإنسان عيناً، ولكن هذه العين مهما كانت دقيقة حادة النظر، لا تستطيع أن ترى من دون وسيط وهو الضوء، ضع في غرفةٍ حالكة الظلام إنساناً مبصراً وإنساناً أعمى، هما سواء، إذا لا يوجد ضوء هما سواء، وقياساً على هذا العقل من دون وحي أعمى، وأكبر دليل هذا الذي يجري في العالم الغربي ما هذه؟

عقل مُنقَد بعيد عن الوحي، فارتأوا الجماعة أن الإنسان عليه أن يمارس كل شهواته بأية طريقة يريد، ومع من يريد، وفي أي وقت يريد، فظهر الشذوذ، وظهر زنا المحارم، وظهر انحلال الأسرة، وأكبر رئيس دولة في العالم يقول: عندنا أربعة أخطار كبيرة تتهددنا . وقد ظننت الصين، وظننت الاتحاد الأوروبي، وظننت اليابان، لا، لا . قال: انحلال الأسرة، وشيوع المخدرات، وشيوع الجريمة . والشيء الرابع نسيته . المخدرات، والجريمة، وشيوع انحلال الأسرة، والشذوذ، هذه أخطار كبيرة جداً، فتقريباً

الغرب عقل بلا وحي، كل شيء مباح. لكن كل شيء مباح صار الإنسان أشقى كائن، الشقاء تراه بعينك هناك، لأنه لا يوجد منهج، لا يوجد شيء محرم، لا يوجد شيء لا يجوز، لا يوجد صلة بين العبد وربّه، لا يوجد عمل تسمو به، إنسان بلا هدف، حياته لا معنى لها.

إنسان بلا هدف عقل بلا وحي :

كنت مرة في استنبول فسمعت قصة مؤثرة جداً، هذا الجسر الضخم العملاق الذي يعد ثاني جسر في العالم، والذي يصل بين شطري استنبول الشرقي والغربي، ويعبره في اليوم ثلاثمئة ألف سيارة، وبأجرة، وهو معلق بالحبال، وتسير تحته أضخم البواخر، هذا الجسر صممه أحد خمس مهندسين في العالم وهم يابانيين، من كبار مهندسي العالم، وأنا حينما كنت هناك وجدت جسر ثاني أنشئ على شاكلته، صاروا جسرين، هذا الجسر الأول يوم افتتاحه، قص رئيس بلدية استنبول الشريط الحريري وإلى جانبه المهندس الأول الذي صمم هذا الجسر، وما هي إلا لمحة بصر حتى ألقى هذا المهندس بنفسه في البحر ومات، انتحر. فهرعوا إلى غرفته في الفندق، فندق الشيراتون في استنبول، فإذا رسالة كتب عليها قبل أن ينتحر: ذقت كل شيء في الحياة . يبدو شهرة إلى أعلى درجة، أحد خمس مهندسين في العالم، إنجاز ثاني أكبر جسر في العالم، شاب، كل الشهوات مارسها . فلم أجد لها طعماً، أردت أن أدوق طعم الموت. هذا نص الرسالة التي كتبها هذا المهندس قبل أن ينتحر، إنسان بلا هدف، عقل بلا وحي.

فالنقطة الثانية أن هذا العقل من دون وحي أعمى، لو أنك أعملته بعيداً عن الوحي، لقال لك لم الزواج؟ الطفل عبء تربيته، ومتعب، والزوجة عبء فكل يوم مع امرأة، ومالك وللاولاد، الآن بالعالم الغربي معظم أنواع الزواج مساكنة فقط، لا يوجد عقد أبداً، نحن كنا في لبنان صارت معركة قبل سنة تقريباً حول الزواج المدني، الآن بأمريكا وأوروبا لا



يوجد زواج مدني، ولا زواج كنسي، ولا زواج ديني، ولا زواج قانوني، في مساكنة، يسكن معها ويعاشرها كزوجة، ولأنفه سبب يركلها بقدمه، وانتهت الحياة، هذا عقل بلا وحي.

أخواننا الكرام، في بلادنا الإسلامية والحمد لله سعادة وهي والله حقيقية، ولا أبالغ، ولا كما يقول العامة: أنني أُرش على الموت سكر. لا والله لكن في شيء اسمه نظام أسرة، في شيء اسمه نظام

قيم، في شيء اسمه حرام، في شيء اسمه حلال، في شيء اسمه هذا الشيء يغضب الله عز وجل، في شيء اسمه علاقات اجتماعية، صلاة جماعة، أتري هذا الدرس مستحيل أن تراه في بلد آخر، عندما زرت أوروبا وأمريكا قال لي أحدهم: هذا جاري من خمسة وعشرين سنة لم يطرق بابي. كل واحد يعيش لنفسه، نصف نساء فرنسا يعشن وحدهن، فكم كلباً بفرنسا؟ تسعة وخمسون مليون كلب، كلاب لها قيود نفوس، وهذه الكلاب تقوم بأقذر مهمة مع النساء، هكذا عقل بلا وحي.

يجب عدم تحكيم العقل بالنقل لأن الدين في الأصل نقل :

أخواننا الكرام، العقل بلا وحي أعمى، وإذا أردت شاهد فهذه هي الحياة الغربية؛ تفوق مادي مذهل، يقابله شقاء نفسي ليس له حدود، إنسان تائه، شاردي. فحينما تحكم العقل بالنقل، وحينما تحاول أن تكتشف لماذا أمرنا الله؟ لماذا نهانا؟ وأن ترفض وأن تقبل، هنا دخلنا في منطقة حمراء خطيرة هو تحكيم العقل بالنقل والدين في الأصل نقل.



تحكيم العقل بالنقل دخول في منطقة خطيرة

العقل أيها الأخوة قاصر عن إدراك
حكمة الله عز وجل من أمره، والشيء
العظيم في الشرع، أن هناك قاعدة:
الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم
به. أي أنك من الممكن أن تكون ذا
اختصاص أدبي ولا تفقه في العلوم
شياً، وتكره العلوم، وتكره الفيزياء، وتكره
أي معادلة فيزيائية، وتشتري مكيف،
بكبسة ذر تنعم بالهواء البارد، دون أن

تفقه ماذا يجري في هذا المكيف؟ أنت أمامك ألف آلة، فهذا الكمبيوتر هل تفهم حقيقة البرمجة؟ هل تفهم أن هذا . الهارد . القرص الصلب الذي فيه ملايين المعلومات كيف تقرأ؟ الآن توصل العلماء إلى قراءة ألف مليون حرف بثنائية، هناك من يستخدم الكمبيوتر استخداماً عالياً جداً ولا يفقه ماذا يجري في الداخل، فكيف يقرأ خمسمئة كتاب في ثواني، تقرأ حرفاً حرفاً؟ الآن في أقراص فيها خمسمئة كتاب، يمكن أن تقرأها حرفاً حرفاً في بضع ثواني، وأنت تستخدم هذا الحاسوب ولكنك لا تعرف ماذا يجري؟ إذا الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به.

فأنت ممكن أن تطبق الشرع فقط،
تقطف كل ثماره، أنت الآن عابده، أما
حينما تطبق أحكام الشرع وتفقه الحكم
أنت عالم، العالم نفعه كبير، والعابد نفعه
محدود، لكن الإنسان حينما يثبت له
نص في الشرع صحيح؛ كتاب أو سنة،
ويقبل على تطبيقه، دون أن يعلّق
تطبيقه على معرفة حكمته فهذا نوعٌ من
العبودية عالي جداً، ولكن الله عزّ وجل



يكافئ هذا العابد إذا انصاع إلى الأمر لمجرد أنه أمر يكافئه بكشف الحكمة، فهذا يجمع بين معرفة
الحكم وبين ثواب العبادة. إذا العقل قاصر عن معرفة الأبعاد الأخيرة لحكمة الشرع، إذا النزعة
الجديدة في العالم الإسلامي لعقلنة الدين بشكل ساذج، فأحياناً تقام ندوات يطرح فيها أن قطع اليد
غير مناسب الآن، فلتبحث عن حل آخر، أي أن الله عزّ وجل غاب عنه أن هذا الحل هو غير
مناسب وسيأتي عصر يرفض؟! تعجب من عند من جاء هذا الشرع؟ من عند خالق الكون.

فالنقطة الثانية العقل له دوران دورٌ قبل النقل، ودورٌ بعد النقل، قبل النقل للتأكد من صحة النقل
وبعد النقل لفهم النقل، ولكن العقل محظورٌ عليه أن يلغي النقل، الآن هناك محاولات كثيرة لتجميد
بعض الأحكام الشرعية في الأوساط الدينية؛ هذا الحكم لا يصح، وهذا الحكم لا يجوز، وهذا الحكم
غير لائق، وهذا الحكم يعبرٌ عن تخلف، فهنا المشكلة، المسلم حينما يستحي بدينه، وحينما لا يملك
الحجة القوية للدفاع عنه يضعف، فإذا تفلّت عن هذا الدين مُنعت عنه ثماره، فإذا مُنعت عنه ثماره
أصبح هذا الدين طقوساً لا معنى له.

الفرائض التي هي شرط أساسي لسلامة الإنسان وسعادته نصوصها قطعية الدلالة :

أخواننا الكرام، في نقطة مهمة جداً، هذه النقطة هي أن الإنسان عنده ثوابت ومتغيّرات، الثوابت أي
الخصائص التي جُبل الإنسان عليها، مثلاً:

((يا داود ذكّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من
أساء إليها))

[حديث قنسي رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

الإنسان خُلِقَ ضعيفاً إذا كان له اعتماد على جهة قوية يسعد..

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾

[سورة النساء: ٢٨]



﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾

[سورة الإسراء: ١١]

وخلق الإنسان هلوياً:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ

مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[سورة المعارج: ١٩-٢٢]

فعدنا خصائص للنفس البشرية هذه ثوابت.

الآن هذا القرآن الكريم كلام رب العالمين، فيه نصوص قطعية الدلالة، أي تقرأها، فلا تحتاج لا إلى مفسر، لا إلى بيضاوي، ولا إلى زمخشري، ولا إلى قرطبي، واضحة كالشمس، فالنصوص القطعية الدلالة التي لا تحتل إلا معنى واحداً، هذه النصوص متعلقة بالفرائض والمحرمات، فالفريضة شرطٌ أساسي لسلامتك وسعادتك، والمحرمات عنصر أساسي في هدم سعادتك، فالإنسان أحياناً لا يوجد معه ثمن فواكه، يعيش شهر من دون فواكه، لكنه لا يستطيع أن يعيش من دون هواء، الهواء فرض، لا يستطيع أن يعيش بلا ماء، الماء فرض، أما إذا لم يأكل كرز لا يموت، في أنواع كثيرة من الفواكه إذا لم يتناولها يبقى حياً ولا شيء عليه، ففي أشياء أساسية في الحياة كالهواء والماء والطعام، وفي أشياء ثانوية، أما إذا لم يشتر باقة ورد لا يحدث شيء إطلاقاً، يعيش حياة سعيدة جداً بلا ورد طبيعي، ففي أشياء كالهواء والماء هذه فرائض، الفرائض التي هي شرط أساسي لسلامتك وسعادتك نصوصها قطعية الدلالة.

المال شقيق الروح والإنسان مجبول على حبّ التملك :

قال تعالى:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾

[سورة المائدة: ٣٨]

لأن الإنسان مركب فيه حب التملك،
والمال شقيق الروح، ولهذا الحب حب
التملك له صفات كبيرة جداً، فالشيء
كيف يصاب، وكيف المال يحفظ؟ بحب
التملك، والدليل انظر إلى شيء ملكية
مشتركة تجده منته، شيء ذو ملكية
خاصة تجده جيداً جداً، فأحياناً في
بعض البلاد يملك الموظف السيارة



بسعر رمزي، وحينما ينقل إلى وظيفة ثانية، أو حينما يترك عمله يخير بين أن يدفع الفرق أو أن يبيعها لخلفه بحسب العناية بها، فهناك ألوف الملايين من النفقات وفرت، لأن الإنسان حينما شعر أن هذه المركبة ملكه اعتنى به عناية كبيرة جداً، فالإنسان مركب فيه حب التملك، فحينما يعتدى على ملكية الآخرين تختل الحياة، فجاء الشرع ووضع هذه الحدود.

من منكم يصدق أن بلداً غير متعلم . فهو بالتصنيف متخلف . لكن لأن السارق تقطع يده ممكن تنتقل رواتب محافظة بعيدة جداً بشاحنات بسيطة مكشوفة، وأكياس الأموال مكدسة؟ بلاد طويلة عريضة ولا يوجد فيها ثقافة عالية، ومع ذلك ممكن صراف بصندوق فيه مئات الألوف من كل العملات، يؤذن الظهر، فيذهب للصلاة ويترك الشيء كما هو عليه، في مشاهدات في بلاد تطبق قطع اليد، شيء لا يصدق إطلاقاً، طبعاً أصبح مع السرقة الآن في تساهل، فمع هذا التساهل صار في انحراف، يوم طبق هذا بحزم الشيء الذي يصفه الناس لا يصدق.

٣ . الأشياء الأساسية كالفرائض مغطاة بنصوص قطعية الدلالة :

أيها الأخوة الموضوع الثالث أن الأشياء الأساسية، الفرائض والمحرمات، مغطاة بنصوص قطعية الدلالة لا تحتاج إلى مفسر، إن الله يحب الصادقين، واضحة.

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

[سورة المجادلة: ١٣]

واضحة..

﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾

[سورة الحجرات: ١٢]

واضحة، الآن في عندنا أشياء متغيرة، بالمناسبة النصوص القطعية قطعياً الدلالة تغطي الثوابت في الإنسان، أما النصوص الظنية الدلالة هذه تغطي المتغيرات، الحياة تتبدل، ظروف الحياة تتبدل، فتبدل الظروف تغطيها نصوص ظنية الدلالة، أي أن الله عز وجل شاء بحكمته الكبيرة أن يأتي النص ظني الدلالة مثل:

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

[سورة المجادلة: ١٣]

كيف إيتاء الذكاء؟ مجمل، النبي فصل، يا ترى في زكاة للأموال؟ في زكاة للتجارة؟ في زكاة للأنعام؟ في زكاة للركاز؟ في زكاة للزراعة؟ أتوا الزكاة والنبي فصل فيها، فكل شيء متغير النبي فصل فيه، جاء النص القرآني ظني الدلالة، معنى ظني الدلالة نص احتمالي، النص الاحتمالي يحتمل معاني عديدة، والله عز وجل رحمةً بخلقه أراد كل المعاني التي يحتملها النص، بسبب تبدل البيئات والطباع، والتقاليد والعادات.

هناك أشياء حيادية لا تقرب ولا تبعد، لا بالتقريب ولا بالتباعد، هذه الشرع سكت عنها لا سكوت نسيان ولكن سكوت رحمة، فالله لم يلزمنا بألوان الألبسة كل إنسان يلبس اللون الذي يريد، فليست هناك مشكلة في ذلك، في أذواق، في أشياء موجودة في السوق، في أشياء ألفها الناس، الإنسان جاءه قميص هدية يلبسه بأي لون، ففي أشياء حيادية لا تقرب ولا تبعد.

٤ . هناك محرمات ظاهرة ومشتبهات ظاهرة وهنا يظهر الورع :

الآن الموضوع الرابع هذا سوف أمهد له تمهيداً بسيطاً، من تعليمات وضع الأسئلة بالامتحانات أن يضعوا سؤالاً بسيطاً، تقريباً كل الطلاب الضعاف يجيبون عليه، تقدم مئة ألف طالب كفاءة في سؤال يكاد يجيب عنه كل الطلاب، تسعين ألف طالب أجاب عن السؤال، هذا سؤال بسيط عليه ثلث العلامة، في سؤال متوسط يُعطي الطالب المتوسط، يجيب عنه نصف الطلاب تقريباً، في سؤال دقيق، وعميق، وصعب، يجيب عنه من عشرين إلى ثلاثين بالمئة فقط، فالإنسان إذا أجاب عن أول سؤال يكون مستواه ضعيف، إذا أجاب عن الثاني مستواه متوسط، إذا أجاب عن الثالث مستواه متفوق.



الآن عندنا محرمات ظاهرة؛ القتل، الزنا، السرقة. وأوامر ظاهرة؛ الصدق، والأمانة، والعفاف، والصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، النبي يقول بالحديث الصحيح:

((الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ))

[البخاري عن النعمان بن بشير]

المشبهات هنا يبدو الورع، أي أنه تارة تشبه الحلال، وتارة تشبه الحرام، هناك أدلة تجعلها حلالاً؛ أدلة ضعيفة، وهناك أدلة ضعيفة تجعلها حراماً، هذه المشبهات لا يعلمها كثير من الناس، ما معنى لا يعلمها كثير من الناس؟ أي يعلمها بعض العلماء..

((الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمَشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرِضِهِ))

[البخاري عن النعمان بن بشير]

في آية قرآنية:

﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾

[سورة فاطر: ٣٢]

العلماء قالوا: الله عز وجل أمر بأوامر، فالظالم يأتمر بها وقد يقصر، ونهى عن منهيات، فالظالم ينتهي عنها وقد يقع، انتهى عن بعضها وقع في بعضها، أخذ بعضها وترك بعضها، هذا ظالم.

الإنسان بالفرائض يتقرب إلى الله وبالنوافل يحبه الله :

قال:

﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾

[سورة فاطر: ٣٢]

المقتصد الله أمر بأوامر فأتمر بها، ونهى عن أشياء فانتهى عنها.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾

[سورة فاطر: ٣٢]

السابق لم يكتف بأخذ الأمر تطبيقاً، ولا بترك المنهي عنه ورعاً، انتقل إلى أعلى من ذلك، انتقل إلى ترك صغائر المخالفات، ما ترك الكبائر، ترك الصغائر، ثم انتقل إلى ترك الشبهات، ثم انتقل إلى ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، فمثلاً في مكان إذا زرع عنب قد يسوق إلى معصرة الخمر، لا شيء عليك إذا زرعت العنب، لكن لأنه قد ينتقل إلى حرام صار محرماً، ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس. ترك تجارة بالأساس حلال لكن يمكن أن تفضي به إلى محرم. إذاً من هو السابق؟ أولاً ائتمر بالأمر، وانتهى عما نهى الله عنه، ثم ترك صغائر المخالفات، ثم ترك الشبهات، ثم ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، ثم فعل النوافل. فالعلماء قالوا: الإنسان بالفرائض يتقرب إلى الله وبالنوافل يحبه الله..

((مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

الآن عندنا حلال بيّن، وعندنا حرام بيّن، وفي عندنا شبهات، تقريباً الحلال البيّن شاطئ نهر جاف، والحرام البيّن الوقوع في النهر، الغرق، والشبهات شاطئ مائل زلق، إن مشيت على الشاطئ المستوي الجاف فأنت في أمان، وإذا الإنسان وقع في النهر غرق، المنطقة الخطرة أن يمشي على الشاطئ المائل الزلق، فالاحتمال الكبير أن هذا الشاطئ نذل قدم السائر عليه إلى النهر، هذا معنى الحديث الشريف:

((...إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىٰ أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ))

[البخاري عن النعمان بن بشير]

الله عز وجل لا يفعل إلا الأصلاح :

أخواننا الكرام، كما ذكرت قبل قليل قليل الفتاوى أحياناً بدل أن تنهض بالناس إلى مستوى الشريعة الغراء، أصبحت هي تهدف إلى مستوى الناس بفعل الضغوط، الآن تجد فتاوى كثيرة جداً تبيح أكثر المحرمات بطريقة أو بأخرى، فالورع يبقى مع الأصول في هذا الدين الصحيح.

لكن بالمناسبة الإنسان إذا استعان بعقله على معرفة حكمة الشرع لا يوجد مانع، أما يستعين بعقله على إلغاء حكم شرعي هنا الخطورة، هذا اتجاه قديم، اتجاه معتزلي تحكيم العقل بالنقل، العقل مسموح له أن يتأكد من صحة النقل، والعقل مسموح له أن يفهم النقل، لكن ليس مسموحاً له أبداً أن يلغي النقل، إذا ألغى النقل صار نداً للمشرع، صار الله



عزَّ وجل مشرّع والعقل مشرع، والعقول متفاوتة ومختلفة، والعقل قاصر، ففي بعض كتب العقيدة مكتوب: أن الله عزَّ وجل لا يفعل الأصلح. كلمة غير مقبولة، ولعل الذي كتبها يقصد شيء آخر. الله عزَّ وجل ليس واجباً عليه أن يفعل الأصلح. أنا أردت أن أصيغها صياغة أخرى: الله عزَّ وجل لا يفعل إلا الأصلح، ولكن عقولنا قاصرة عن فهم الأصلح. الله عزَّ وجل لا يفعل إلا الأصلح والدليل:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْئِلُ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ نَزَعْنَا الْمُلْكَ مِنْ يَدَيْهِ وَيُعِزُّهُ اللَّهُ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ يُعِزُّ مَنْ يُشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو الْجَوْلَادِ ۗ ﴾

[سورة آل عمران: ٢٦]

لم يقل: والشر. معنى إيتاء الملك خير، ونزع الملك خير، والإعزاز خير، والإذلال خير. والمقولة الشهيرة التي إذا الإنسان استوعبها تحل كل مشكلاته مع الله عزَّ وجل وهي: أن كل شيء وقع إرادته الله، وأن كل شيء إرادته الله وقع، وأن إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، يضاف إلى هذه المقولة: أن الشر المطلق لا وجود له في الكون إطلاقاً.

أي خلل في العقيدة يقابله خلل في السلوك :

يا أيها الأخوة الكرام، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم:

((يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذ خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ

عن الذين مالوا))

[ابن عدي عن ابن عمر]

قضية الدين قضية خطيرة جداً، فهي قضية مصير أبدي، بيت غير مناسب تبيعه، أساسه فيه خلل، تتركه لم يبع معك، مركبة سيئة تتخلى عنها، تبدلها، أما الدين؛ المصير الأبدي بالدين، سعادة أبدية أو شقاء أبدي، فالإنسان بالدين لا يقدر أن يأخذ الدين من جهة غير موثوقة، والذي يلفت النظر أن

كل إنسان يقول لك: هكذا قال فلان. فمن فلان؟ يقولون: هذا عندنا غير جائز فمن أنتم حتى يكون لكم عند؟

فكلمة: ضعها برقبتي. هذا كلام مضحك، فأنا أتمنى أن الإنسان يعمل جرد لعقله، في أوهام، في معتقدات فاسدة، منحرفة، في أهواء، في تمنيات غير صحيحة، في نصوص ضعيفة موضوعة، في تفسيرات لكتاب الله غير صحيحة، فأنا أتمنى على الإنسان أن يرى أن موضوع الدين موضوع مصيري، موضوع خطير جداً يجب أن يتأكد من سلامة عقيدته، لأن أي خلل في العقيدة يقابله خلل في السلوك.

فرضاً لو أن الخلل في العقيدة لا يقابله سلوك منحرف اعتقد ما شئت، ولكن لأنه لا بد ممن اعتقد اعتقاداً فاسداً أن ينحرف في سلوكه، إذاً لا بد من سلامة العقيدة.

فسبب إلقاءي لهذا الدرس هو أنك تجلس مع مسلمين لهم ثقافة غير إسلامية، فكل قضية تجد عقله هو الحكم، ينظر نظرة ويقول لك: هذه غير معقولة. ويكون نص قطعي الدلالة، ثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، الله عز وجل قال عنه: لا ينطق عن الهوى، وقد عصمه، وقال:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر: ٧]

من يرفض السنة يرفض القرآن :

الإنسان يعجب أحياناً تجد بحوث علمية في غاية الخطورة أساسها حديث شريف، النبي نهى عنها، مرة لي صديق حضر مؤتمر تطوير إداري عقد في دمشق، فسألته: ما مضمون هذا المؤتمر؟ قال لي: والله التوصية مختصرة جداً، هي أن كل إنسان برأس مجموعة لا ينجح عمله الإداري إلا إذا ألغى الحواجز بينه وبين القاعدة. مؤتمر أربع أيام هذا أهم توصية المؤتمر.

سيدنا عمر قال: ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم، فإذا مجموعة في مستشفى، مديرها، إذا كل إنسان بالمستشفى بإمكانه أن يلتقي مع المدير، فالذين تحت المدير العام يعدون للألف قبل أن يظلموا أحداً، لأنه سيشتكى عليهم، الباب مفتوح، فتوصية مهمة جداً قال عنها سيدنا عمر: ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم.

أحياناً في الكشوفات العلمية في أشياء تؤكد نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، الآن علم المستحاثات أكد أن الربع الخالي عبارة عن مدن عامرة، وبساتين، وحدائق، وأنهار كلها مضمورة بالرمال، النبي الكريم يقول:

((لا تقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً))

[من تفسير المأثور عن أبي هريرة]

أي كانت، إشارة وهذا من دلالات نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، أنا الذي أتمنأه عليكم أن الآن في مقالات، في أطروحات، في كتب تهاجم السنة؛ أنه كفانا القرآن، فأنت حينما تقول: نكتفي بالقرآن. أنت بهذا الكلام ترفض القرآن، فكيف؟ القرآن يقول لك:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر: ٧]

الذي يرفض السنة يرفض القرآن.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الاسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٨) : أسئلة وأجوبة في العقيدة - من هو ولي الله (

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٧-٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

من هو ولي الله؟

أخ كريم وجه إليّ بعض الأسئلة، فرأيت من المناسب أن يكون هذا الدرس إجابة لها .
السؤال الأول: من هو ولي الله؟
القرآن أجاب عن هذا السؤال، قال:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[سورة يونس : ٦٢-٦٤]

ولا أستطيع أن أزيد عن هذا التعريف ولا كلمة . الذين آمنوا وكانوا يتقون ..
أما أن الولي هو الذي يمشي على وجه الماء فليس هذا هو الولي، أما أن الولي هو الذي يطير في الهواء فليس هذا هو الولي، أما أن الولي الذي يروج في الناس خوارق العادات فليس هذا هو الولي، أما أن الولي هو يسوع في



الطرقات فليس هذا هو الولي، أما أن الولي هو الذي يضرب جسمه بشيش ويقول: أنا ولي الله فليس هذا هو الولي ..

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

[سورة يونس : ٦٢-٦٤]

كرامته بالعلم، والعلم ليس فيه خرق للعادات، أعظم كرامة يكرم الله بها وليه أن يعلمه، وأن ينطقه بالكلام المناسب، وأن يجعل قلوب الناس تهفو إليه بإخلاصه .

النبي بشر، وتجري عليه كل خصائص البشر، من باب أولى أن يكون الولي بشراً وتجري عليه كل خصائص البشر، ليس فوق البشر، ليس له خصوصيات، ولكن الله يوفقه في نقل الحق إلى الآخرين.

يقول: يريد كتاباً عن سيرة الشيخ ابن عربي سلطان العارفين، وعن الشيخ أرسلان، وعن الشيخ عبد القادر الجيلاني، وعن الشيخ حسن الشاذلي، وهل يجد أولياء آخرون في دمشق أو خارجها؟

من جاء بعد النبي إن كان محسناً فله إحسانه وإن كان مسيئاً فعليه إساءته:

أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام هو المشرع، والقرآن هو المنهج، من جاء بعد النبي إن كان محسناً فله إحسانه، وإن كان مسيئاً فعليه إساءته، إن كان على حق فله، وإن كان على باطل فعليه . ماذا نستفيد من تقييم الأشخاص؟ تقييم الأشخاص بيد الله عز وجل، هو الذي يعلم السر وأخفى .



لا يمكن لإنسان أن يقيم آخر فالله وحده الذي يعلم السر وأخفى

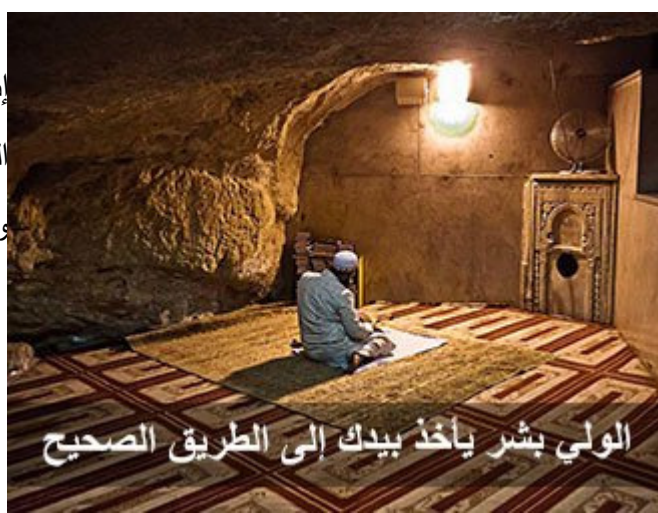
أقول لكم أيها الأخوة، إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحيب الحق، لا يملك لنا نفعاً ولا ضرراً، أفيملك لنا ولي نفعاً أو ضرراً؟ الآن أبلغ من ذلك، إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، أفيملك لنا نفعاً أو ضرراً؟ مستحيل ..

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٨]

لنفسه لا يستطيع، لغيره من باب أولى ..

إنسان بمعية ولي .. جيد .. في حدود السنة ينبغي أن تحبه، وينبغي أن توقره، وينبغي أن تحترمه، وينبغي أن توقره،



الولي بشر يأخذ بيدك إلى الطريق الصحيح

ولكن هناك خطأ أحمر من دون أن تؤلّفه . والدليل:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[سورة التوبة: ٣١]

ينبغي أن تحبه، وينبغي أن تعاونه، وينبغي أن تحترمه، وأن توقره من دون أن تؤلّفه، فإذا كان مقام النبي مقام الرفيق في الطريق إلى الله قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان: ٢٧]

الرسول يرافقك في الطريق إلى الله، ولكن ليس هو القبلة، هو رسول، رفيق الدرب، ولكن رفيق مشرع، رفيق دليل، رفيق نصوح، رفيق مستتير، رفيق عقيدته صحيحة، رفيق أكرمه الله بالحقيقة، مستتير، نصوح، أخلاقي، هذا مقام الولي أكثر لا يوجد.

الولي بشر تجري عليه كل خصائص البشر لكن الله كرمه بمعرفة عالية:

النبي عليه الصلاة والسلام أمر صحابي على نفر من أصحابه وكان ذا دعابة، فلما خرجوا قال: أضرموا ناراً عظيمة، فأضرموها، قال: اقتحموها، فقال بعض



أصحاب النبي: كيف نفتحمها وقد آمنا بالله فراراً منها؟ وقال بعضهم الآخر: طاعة الأمير طاعة النبي.. اختلفوا عرضوا الأمر على النبي الكريم فقال: "والله لو اقتحمتموها لا زلتم فيها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في معروف " . العقل لا يعطل مع أحد كائناً من كان، والدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إنما الطاعة في معروف))

[مسلم عن علي]

والدليل الآخر:

﴿ وَلَا يَغْضِبُكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الممتحنة : ١٢]

فأول شيء الولي بشر، تجري عليه كل خصائص البشر، لكن الله كرمه بمعرفة عالية، وبحال من خلال اتصاله بالله عز وجل، فقد تنتفع بعلمه، وينهض بك حاله إلى الله ولا شيء أكثر من ذلك .

تقييم الأشخاص من شأن الله تعالى وحده :

أما هؤلاء الأشخاص انتقلوا إلى رحمة ربهم، فإن كانوا على حق فلهم، وإن كانوا على باطل فعليهم، ولا يعيننا أن نقيّمهم، لأن تقييم الأشخاص من شأن الله تعالى، ولكن أضع بين أيديكم هذه الحقائق .
الشيخ محي الدين مثلاً، لو قال قولاً مخالفاً للكتاب والسنة لا نقبله أبداً، ولكن نقول: لعله لم يقله، وقد أضيف إلى كتبه إضافةً خبيثة، ولعله قاله ولم يقصد المعنى الذي فهمناه منه، ولعله قاله وقصد المعنى ثم غير رأيه بعد حين، ولعله قاله وقصد المعنى ولم يغير رأيه إذاً هو مخطئ. الشيخ محي الدين ليس مشرعاً .

النبى عليه الصلاة والسلام قال:
"أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ قالوا:
لا، قال: خاطبوا الناس بما يفهمون".
فإذا خاطبت الناس بما لا يفهمون فقد
خرجت عن سنة النبي عليه الصلاة
والسلام.



عود نفسك أن تقييم الأشخاص من شأن الله، والطاعة في معروف .

لو أن أحد هؤلاء العلماء الكبار، أو العارفين بالله الكبار، أفتى لك فتوى، أقول لك: إن لم تكن محققاً لا تنجو من عذاب الله، طالبني بالدليل .

سيد الخلق قال:

((.....وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ
قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[البخاري ومسلم عن أم سلمة]

لو معك فتوى من الرسول لا تستفيد شيئاً .. إياك والشرك .

سيدنا الصديق .. ما على الأرض رجل يحب رسول الله عليه الصلاة والسلام كسيدنا الصديق، فلما مات النبي قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت..

بهذا فتح المسلمون العالم، بهذا رفرفت راياتهم في الآفاق، فلما ألها أولياءهم، فلما أدخلوا على دينهم ما ليس منه، فلما حذفوا من دينهم ما ليس منه، ضلوا ضلالاً بعيداً.

تركت فيكم شيئين، ما إن تمسكتم بهما فلم تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنة رسوله، نحن مع المبادئ لا مع الأشخاص، مع المضامين لا مع العناوين، مع التربية لا مع التعرية، مع الأصول قبل الفروع، والإحسان قبل البيان، والقنوة قبل الدعوة .

علينا أن نحب العلماء والأولياء دون أن نؤلّهم :

السؤال الثالث:

إننا نشاهد مخالقات اعتقادية تُمارس أمام مقام الأولياء أو العارفين بالله أرجو أن توضحوا وبصراحة ويقصد التوعية لهؤلاء الناس بكيفية التصرف أمام المقام خوفاً من الوقوع بأمر لا يرضي الله عز وجل؟

السيدة عائشة أنزل الله براءتها، فقالت أمها لها: قومي يا بنيتي فاشكري رسول الله، قالت: والله لا أقوم إلا لله، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال: عرفت الحق لأهله .



رجل قال للنبي: ما شاء الله وشئت، قال: بئس الخطيب أنت جعلتني نداً لله، قل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن..

توحيد، نحن بحاجة إلى التوحيد، نحن بحاجة إلى أن نحب العلماء والأولياء دون أن نؤلّهم، دون أن نعبدهم من دون الله، دون أن نعطل عقولنا مع كلامهم .. الدليل؛ طالبني بالدليل .

سيد الأولياء سيدنا الصديق قال: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، راقبوني وبيننا كتاب الله .

لا يوجد إنسان فوق النقد أبداً، ما من أحد أكبر من أن يُنقد، وما من أحد أصغر من أن يُنقد، أبداً .. لا يوجد إنسان فوق النقد إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ما جاءنا عن صاحب هذه القبة الخضراء فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن غيره فنحن رجال وهم رجال، كل إنسان يؤخذ منه ويُرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء، أنت مع القرآن عليك أن تفهمه فقط، ومع سنة النبي عليك أن تتأكد من صحتها وأن تفهمها، ومع أي نص آخر لأي إنسان كائناً من كان عليك أن تعرض النص على الكتاب والسنة، فإن وافقهما فاقبله، وإلا فاركله بقدمك .

الابتعاد عن البدع التي لا ترضي الله عز وجل :

ورد عن الإمام علي قولاً - وأنا لا أصدق أن الإمام علي قاله - قال: "المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها " .

كلام غير صحيح، أنا أجزم أن هذا الإمام العظيم ما قاله، لأنه خلاف الكتاب والسنة، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم: ٢١]

ما قال المرأة شر كلها .. نحن عندنا قرآن واحد وسنة واحدة، ما سوى ذلك نعرضه على الكتاب والسنة وافقه فعلى العين والرأس، و إن لم يوافقك فدعك منه، لا تعباً به أبداً .. فهذه المخالفات الاعتقادية .. يا شيخ محي الدين أريد ولداً .. ما علاقة الشيخ محي الدين؟ هذا شرك ..

الله والباز .. من هذا ؟ هذا شرك، كلام فارغ، الله هو الفعال، هو النافع، هو الضار، هو المعطي، هو المانع، هو المعز، هو المذل، هو وحده كل شيء، نحن عبيد ..

مدد يا رسول الله، المدد من الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾

[سورة الحاقة: ٤٤-٤٧]

يا رسول الله متل بهم كما متلوا بعمك؟ قال: لا أمتل بهم فيمثل الله بي ولو كنت نبياً ..

لا يوجد عندنا إنسان فوق القوانين، فوق الشرع، أبداً لا نقدر ..

الوحي انقطع أسبوعين، قال: يا عائشة لعلها تمرة أكلتها من تمر الصدقة دون أن أعلم ..
وجد تمرة على السرير فأكلها، قال: لعلها من تمر الصدقة، حُجب عنه الوحي أسبوعين .. لا أحد
فوق الشرع إطلاقاً .

فلذلك هذا الذي تشاهدونه ؛ النياحة، والرقص، والبكاء، واللطم، والضرب، هذا كله من البدع التي لا
ترضي الله عز وجل .

إنسان جاء إلى دمشق، ركب سيارة و هو لا يتكلم العربية، فسأله السائق: إلى أين؟ قال: إلى المكان
الذي يلطمون فيه، فأخذه إلى المالية ..

يا أيها الأخوة الكرام، الحق أحق أن يتبع، لا نستطيع أن نستعيد مجدنا الغابر إلا بمتابعة الكتاب
والسنة، وأن نعيد للإسلام رونقه، وصفاءه، ونقاءه .

ما هو التجديد؟ أن تزيل عن الإسلام ما علق به مما ليس منه. أما الدين فتوقيفي.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٩) : التجديد في الإسلام بشكل موسع (الدين توقيفي) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٨-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

أخطر شيء في الإنسان عقيدته فإن صحت صح عمله وإن فسدت فسد عمله

أيها الأخوة الكرام، بينت البارحة أن التجديد في الدين يعني أن نزيل عنه ما علق به مما ليس منه، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها، و(من) تعني الجمع، يوزع الله عز وجل الدعاة في شتى بقاع المسلمين، ومن حين لآخر يأتي هؤلاء



الدين في أصله صاف كنعج الماء لا شائبة فيه

الدعاة الصادقون المخلصون فينزعون عن الدين ما ألحق به مما ليس منه.

أوضح مثل نبع بردي، ومصب بردي، نبع بردي ماء عذب كالزلال، صاف، أما في مصبه فالماء أسود اللون، لأنه صُب عليه مما ليس منه، فإن أردت صفاء الدين فارجع إلى ينابيعه، والمؤمن الصادق كل شيء تراكم في عقله وذهنه عن الإسلام يجري له مراجعة (جرد) فما وافق الكتاب والسنة ثبته، وما خالف الكتاب والسنة حذفه، لأن أخطر شيء في الإنسان عقيدته، فإن صحت صح عمله، وإن صح عمله سلم وسعد في الدنيا والآخرة، وإن فسدت عقيدته فسد عمله، وإن فسد عمله شقي وهلك في الدنيا والآخرة، وما من انحراف في العقيدة إلا ويقابله انحراف في السلوك. قانون.

لو فرضنا أن انحراف العقيدة لا يقابله انحراف في السلوك اعتقد ما شئت، أما لأنه ما من عقيدة منحرفة إلا ويقابلها انحراف في السلوك إذاً العقيدة هي الأصل.

حاجة الإنسان إلى منهج التلقي :

لذلك في الدين مقولات كثيرة جداً، لا بدّ لطالب العلم من منهج تلقّي يكون معه كمقياس. لو أنك بائع أقمشة، عرضوا عليك بضاعة، وكل ثوب عليه طوله، إذا أنت لا تملك متراً، قد تكون هذه اللصاقات غير صحيحة، قد يكتبون عليها ثلاثين يارداً وهي غير ذلك، أنت تحتاج إلى متر فقط، فكل قطعة قماش مكتوب عليها خمسة، تكيلها فإن كانت خمسة فهي صحيحة وإلا ترفضها، لا بد لك من متر كبائع الأقمشة تقيس به هذه الأثواب التي كتب عليها لصاقات صحيحة وغير صحيحة. إذا أنت لا بد لك أيضاً من منهج التلقي.



أيها الأخوة نحن عندنا محسوسات، ومعقولات، وإخباريات، فالمحسوسات نعرفها بالحواس، لا خلاف بها، والمعقولات نعرفها بالاستدلال، فالإيمان بالله يتم عن طريق العقل، ويتم عن طريق الفطرة، والإيمان برسول الله يتم عن طريق العقل، معه معجزة، والقرآن كلام الله يتم عن طريق العقل، فيه إعجاز. الكون يدل عليه، والعقل أداة،

والإعجاز يدل عليه والعقل أداة، والقرآن يدل على رسول الله والعقل أداة.. هذا هو حيز العقل. العقل يحتاج إلى محسوس يستنبط منه المجرد، ولكن بعد أن تؤمن بالله من خلال خلقه وعن طريق عقلك، وبعد أن تؤمن بكلامه من خلال إعجازه وعن طريق عقلك، وبعد أن تؤمن برسوله من خلال كتابه الذي جاء به وعن طريق عقلك، ينتهي دور العقل ليبدأ دور النقل. النقل قسم من العقيدة لا يستطيع العقل أن يثبتها، إخبار من الله، ما عجز عقلا عن إدراكه أخبرنا الله به، قال الله: يوجد ملائكة، جن، يوم آخر، جنة، نار، حوض، صراط، عذاب، حساب، بدأ خلق البشرية بآدم، ويوجد أنبياء، ورسول.. وكل ما لا يستطيع عقلك إثباته مغيب بمغيب، والله عز وجل أخبرك به، إلا أن الإيمان بالغيب لا يمكن أن يكون إلا بعد الإيمان بالمعقولات، والإيمان بالمعقولات لا بد أن يكون عن طريق المحسوسات؛ محسوس، معقول، مغيب.

على الإنسان أن يؤمن بالله من المحسوسات إلى المعقولات إلى الإخباريات :

يوجد شمس، قمر، مئة ألف مليون مجرة في السماء، مجرتنا إحدى هذه المجرات، المجموعة الشمسية نقطة على هذه المجرة، طول المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، بعد الشمس عن

الأرض ثماني دقائق، المجموعة الشمسية كلها نقطة على مجرة درب التبانة المتواضعة، المتوسطة، هناك مثيلاتها مئة ألف مليون مجرة، وفي مجرتنا مئة ألف مليون نجم، فهذا الكون يدل على الله عز وجل، يدل عليه موجوداً، ويدل عليه كاملاً كمالاً مطلقاً، ويدل عليه واحداً.

فتؤمن بالله من المحسوسات إلى المعقولات إلى الإخباريات.

كل شيء يعجز العقل عن إدراكه أخبرنا الله به :

إذا آمنت أن الله كامل، وأن وعده حق، وأن كلامه حق، وأنه أصدق القائلين، أخبرك بوجود الجن، أخبرك بوجود الملائكة، أخبرك بأن أول البشرية آدم، لم تعد تقبل نظرية داروين ؛ لأن خالق البشرية أخبرك، هو الخبير، قال الله عز وجل:

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

[سورة الكهف: ٥١]

أب جالس في مجلس، وعنده محل تجاري في سوق الحميدية، قال: هذا المحل قد اشتريته من زمن بعشرة آلاف، أو بثلاثين ليرة ذهباً وبعد أن أخذ المحل بثماني سنوات تزوج، وعندما تزوج بسنتين جاءه ولد، الولد كبير، قال له: بابا الكلام غير صحيح.. نظر إليه وقال: هل كنت موجوداً أنت في ذلك الوقت؟ لم تكن خلقت بعد.

يقول: بدأ العالم بقرد، فأنت كنت وقتها؟ قال تعالى:

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

[سورة الكهف: ٥١]

فالله أخبرنا كيف بدأ العالم، أخبرنا لماذا خلقنا، كل شيء يعجز العقل عن إدراكه أخبرنا الله به..

الخبر الصادق أساس الإيمان بالغيبيات :

عندك محسوسات، معقولات، إخباريات، إياك ثم إياك ثم إياك أن تفنع إنساناً بالإخباريات إذا كان إيمانه بالمعقولات مهزوزاً يضحك عليك.. قل لرجل ملحد: يوجد ملائكة، يقول لك: هل أنت



دوائر الإيمان: المحسوسات والمعقولات والإخباريات

مجنون؟ أين الملائكة؟ قل له: أين عقلك لا أجده؟

فكل إنسان يجادل الطرف الآخر بالغيبيات يكن أحمقاً بالدعوة. الغيبيات يلزمها إيمان بالله أولاً. إذا آمن بالله يصدق، إذا لم يؤمن به لا يصدق، فلا تفكر أن تتكلم بموضوع غيبي أمام إنسان إيمانه بالله مهزوزاً، موضوع الجن، والملائكة، والحساب، والعذاب، والجنة، والنار، والحوض، والصراط، هذه كلها متعلقة بالغيبيات، أساس الإيمان بالغيبيات الخبر الصادق، فإذا آمنت بالله كاملاً، ومن أصدق من الله حديثاً، كل ما أخبرك الله به تصدقه.

فأتمنى ألا يخلط المسلم شيئاً بشيء، فالإيمان بالمحسوسات أساسها الحواس الخمسة، الإيمان بالمعقولات أساسها العقل، الإيمان بالغيبيات أساسها الخبر الصادق.

الدين الإسلامي دين الفطرة :



فالمنهج: إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدّعياً فالدليل، تريد أن تنتقل ليكن النقل صحيحاً، وإلا لولا الدليل لقال من شاء ما شاء، بدون دليل.. أنا أقول لك أن كل الحمراء، والبخصة، والحميدية، والصالحية ملكي، ولكن من دون دليل، هذه سهلة.. لولا الدليل لقال من شاء ما شاء. نحن ديننا دين دليل، ودين تعليل، ودين علم، ودين منهجية، وديننا دين معقول، ودين الفطرة، ودين الإنسانية.

نحن ديننا دين الفطرة، كيف فطرنا؟ الإنسان يحب العدل أمرك بالعدل، يحب الرحمة أمرك بالرحمة، تحب أولادك أمرك برعايتهم، تحب أن يكون لك زوجة أمرك بالزواج، كل أوامر الدين تتوافق مع الفطرة، وكل إنسان يخالف منهج الله عز وجل يختل توازنه الداخلي.

فيا أيها الأخوة نحن في أمس الحاجة إلى منهج التلقي، وغداً إن شاء الله أحدثكم عن البدع وكيف تسربت إلى العالم الإسلامي، وأحذركم من هذه البدع، وأن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢٠) : البدع والسنة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٨-٠٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدين الإسلامي دين الله عز وجل و هو دين توقيفي :

أيها الأخوة، هذا الدين دين الله عز وجل، هو دين توقيفي، ومعنى توقيفي أن الله عز وجل حدد مبادئه وعباداته بشكل مطلق، لا يمكن أن نضيف عليه، ولا أن نحذف منه، فلذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

((... وَكُلُّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وَكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وَكُلُّ ضلالةٍ في النارِ (...))

[مسلم والنسائي واللفظ له عن جابر]

إنك إن أضفت إليه اتهمته بالنقص، وإن حذفت منه اتهمته بالزيادة..

البدعة في اللغة و البدعة في الدين :

طبعاً هناك متشجعون، وهناك معتدلون، فعلينا أن نفرق بين البدعة في اللغة، وبين البدعة في الدين، البدعة في اللغة مطلوبة، البدعة في اللغة كل شيء جديد ابتدع لم يكن من قبل، فلو كبرنا الصوت في المسجد، هذا لم يكن على عهد رسول الله، هل هو حرام؟ لا.. لو بردنا هذا الجو الحار بأجهزة حديثة، هل يُعد هذا بدعة؟ لا.. لو أنشأنا جمعيات سكنية تحل مشكلة الشباب، هل يُعد هذا بدعة؟ لا.. صلاح الدنيا مطلوب، ودعاء النبي عليه الصلاة والسلام: اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا. أي إذا وفرنا عملاً للشباب، إذا زوجناهم، إذا حللنا مشكلة المياه، حفرنا الآبار، طورنا الزراعة، هذا كله مما يحض عليه الدين، هذا من صلاح الدنيا، فهذا ليس بدعة ضالة، هذا بدعة في اللغة، شيء جديد لم يكن من قبل، لكن وفق مقاصد الإسلام العليا، وفق مبادئه السامية، وفق روحه العامة، هذا الكلام يؤيده قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((... مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ

أُجُورِهِمْ شَيْءٌ...))

[مسلم عن المنذر بن جابر عن أبيه]

إذا ألغينا الهدايا في عقود القران وجعلنا مكانها كتباً نافعة، هذه لم تكن من قبل، إذا زوجنا الشباب بهذه الهدايا الباهظة، إذا اعتدنا عن قبول الورود وقد يكون ثمنها في بعض العقود مليون ليرة، وزوجنا بها عشرين شاباً، هذا عمل طيب، فكل شيء جديد يتوافق مع مقاصد الدين، ومع أهدافه

الكبرى، ومع مصالح المسلمين هذا مقبول، هذا ليس بدعة ضالة، هذه بدعة اللغة، بالمعنى اللغوي شيء لم يكن من قبل ولكنه يتوافق مع مبادئ الدين الأساسية، ومع مقاصده العليا، ومع روحه العامة.

لكن البدعة في الدين أن تضيف في العقيدة شيئاً ما ورد عن رسول الله، ولا في القرآن الكريم، ولا عن أصحاب رسول الله، ولا عن التابعين، ولا عن تابعي التابعين، هذه العصور الثلاث التي شهد النبي لها بالخيرية.



البدعة الإضافة في العقيدة أو الإنقاص من الدين

أن نفهم القرآن فهماً ما فهمه الصحابة إطلاقاً، وهم الذين كانوا مع النبي، والذين هم على علم عال، فنحن لا نضيف على عقائد الدين شيئاً، ولا نحذف منها شيئاً، لا نستطيع أن تلغي شيئاً، إذا ألغيت في الدين شيئاً اتهمت الله بأنه زاد، وإن أضفت شيئاً اتهمته بالنقص، وربنا عز وجل يقول:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[سورة المائدة: ٣]

إذا كان هناك جمعية خيرية لجمع التبرعات، وإنفاقها على المحتاجين، هذا عمل طيب، لم يكن على عهد النبي، بلدنا طيب والحمد لله، يوجد مئات الجمعيات الخيرية، تجمع أموال الزكاة وتدفعها إلى الفقراء والمساكين والمحتاجين، هذا العمل لم يكن من قبل.

إذا البدعة في اللغة مقبولة، أي شيء استحدث لصالح أمر المسلمين في دينهم مقبول، ما دام متوافقاً مع مقاصد الشريعة العامة، ومع أهداف الدين الكبرى، ومع روح الإسلام.

أما حينما أحدث عبادة لم تكن، حينما أحدث أوراداً لم تكن، حينما أحدث سلوكاً لم يكن، فهذه البدعة التي نهى عنها النبي وقال:

((... وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ...))

[مسلم والنسائي واللفظ له عن جابر]

الأشياء المستحدثة يجب أن تُقاس بمنهج الله عز وجل :

أيها الأخوة، لكن الأشياء المستحدثة يجب أن تُقاس بمنهج الله عز وجل، فإن وافقته، ووافقت أهدافه الكبرى قبلها، أما إذا عارضته، وعارضت روح الدين الإسلامي نرفضها، فهناك عادات وتقاليد كثيرة جداً جاءتنا مع الغرب، وتتصادم مع النصوص الدينية إذاً نرفضها. لذلك البدعة الحسنة أو البدعة في اللغة، هذه متوقفة على مطابقتها لمنهج الله، فإن وافقته قبلها، وإن صادمته نرفضها، وإن كان نوع من استعمالها يوافق ونوع من استعمالها يصادم، نوقفها على طريقة استعمالها. فأنت عندك مسجلة، تسمع بها دروس العلم والقرآن الكريم مقبولة، إنسان يهوى الغناء اشترى مسجلة ليستمع بها إلى الغناء، مرفوضة.



فكل بدعة لم تكن من قبل يجب أن نعرضها على منهج الله فإن وافقته قبلناها، وإن خالفته رفضناها، وإن كان استعمالها واسعاً يمكن أن تكون أداة خير، أو أداة شر، نقول: هذه حكمها موقوف على طريقة استعمالها، وهذا هو المنهج الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام وهذا ما هم عليه المسلمون في شتى بقاعهم وأقطارهم، ومللهم ونحلهم.

لذلك من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

الآن ببعض البلاد يوجد شيء اسمه عرس جماعي، يزوجون خمسين شاباً بعرس واحد، فكم وفروا؟ المكان واحد، فصار هذا حل لمشكلة.

الإنسان إذا أراد أن يقدم هدية، يقدمها هدية لتزويج شاب. فكل شيء فيه مصالح المسلمين مقبول، لا يوجد عندنا تشنج، ليس عندنا جمود لدرجة أي شيء لم يكن على عهد النبي فهو مرفوض.. لا. الاختلاط مرفوض، أية بدعة يجب أن تقيّم بمنهج الله، فإن خالفت نرفضها، وإن وافقت قبلها. العبرة أن تشرب الماء من ينابيعه، العبرة أن يستمر الإسلام كما بدأ، لا أن تشوه معالمه، ولا أن تُحى صورته، ولا أن تهدم أركانه، العبرة أن يبدأ هذا الدين وأن يستمر كما بدأ، عندئذ نكون قد حققنا هدفاً كبيراً في أن يكون هذا المنهج منهجاً لسعادتنا في الدنيا والآخرة.

أيها الأخوة الكرام، يجب أن نعتقد أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، قال تعالى:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

[سورة النجم: ٣-٤]

لكن معظم كلام الناس عن هوى، يتكلم كلاماً لمصلحته، أضرب مثلاً مضحكاً، مرة أردت أن أشتري ستاراً لغرفة الضيوف، دُللت على محل في أحد أسواق دمشق، فقيل هذا جيد عنده بضاعة جيدة، فجننته، قلت له عندي جدار في غرفة الضيوف عرضه ثلاثة أمتار فكم أحتاج إلى قماش؟ أعطاني قاعدة ذهبية، فقال: يا أستاذ، الستار حتى يكون جميلاً جداً يجب أن يكون طوله ضعف عرض الحائط، زائد متر، فيكون بشكل جميل جداً. اخترت ثوباً، قلت من هذا الثوب أريد ستاراً، كال الثوب فوجده أقل بمترين، الجدار يحتاج إلى سبعة أمتار، والثوب خمسة أمتار. فقال: يا أستاذ هذا المطرز على الفرد أجمل، هو أراد أن يبيع هذا الثوب، فبعد دقيقة غير القاعدة لمصلحة بيع الثوب. ففس على هذا الإنسان، أحياناً يتكلم على كيفه، يتكلم لمصلحته، يمدح، يذم، هذا ينطق عن الهوى، هواه أن يبيع هذا الثوب، فقبل دقيقة أعطاني قاعدة ودافع عنها بشدة، وبيّن صحتها، بعد دقيقة غير القاعدة، وقال: المطرز على الفرد أجمل، و إن كان خمسة أمتار لا مانع.

أما يجب أن نعتقد أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى لذلك قال سيدنا سعد بن أبي وقاص: "ثلاثة أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، ما صليت صلاة فشُغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها، ولا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى".

والذي جاء به النبي معصوم عن أن يخطئ بأفعاله، وأقواله، وإقراره.

هذا الاعتقاد هو الذي يجعلك تقبل على تطبيق سنته.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الاسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢١): أربع قواعد قرآنية لخلاص المؤمنين مما هم عليه من غي وضعف واتباع للشهوات

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٠٥-٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

تطابق أفعال الله سبحانه مع أقواله شهادة لنا أن قرآنه هو كلامه :

أيها الأخوة المؤمنون، في القرآن الكريم آية ينبغي أن نقف عندها ملياً فالله جل جلاله يقول:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٨]

فشهادة الله لعباده كيف تكون؟ إنسان يشهد لإنسان، ينطق بلسانه، يقول: أنا أشهد أنك دفعت لفلان مئة ألف، ويأتي القاضي ويسأله ويجيب، كيف نفسر قوله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٨]

شهادة الله لعباده دقيقة جداً، هناك كلام وهناك أفعال، إذا تطابقت أفعاله مع أقواله شهادة لنا أن قرآنه هو كلامه، مثل: حينما يقول الله عز وجل:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل: ٩٧]

المؤمن الذي آمن بالإيمان الحق واستقام على أمر الله وعمل صالحاً، حينما يعيش حياة طيبة، حينما يحيا حياة طيبة، الحياة الطيبة شهادة الله له ولمن حوله أن هذا القرآن كلامه هو.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾

[سورة طه: ١٢٤]

المعيشة الضنك التي يحيها المعرض شهادة الله له ولمن حوله، أن هذا القرآن كلامه، يشهد الله لعباده أن هذا القرآن كلامه حينما يحقق الوعد والوعيد بأفعاله، فإذا جاءت أفعاله مطابقة لأقواله فهذه المطابقة هي شهادة الله لعباده أن هذا القرآن كلامه. طلاب صف دخلوا إلى الصف فإذا على السبورة مكتوب الأحد الساعة الأولى مذاكرة رياضيات، التوقيع المدرس، يا ترى لعل طالب كتب هذه العبارة ليبريك الطلاب، أم لعلها من خط المدرس؟ يوم الأحد الساعة الأولى إذا دخل المدرس وقال: افتحوا أوراق الامتحان، واكتبوا الأسئلة معنى هذه العبارة بخط المدرس ويعلمه! إذا نحن هنا أمام

تطابق الأفعال مع الأقوال، وهذا دليل أن هذا القرآن الذي بين أيدينا كلام الله، سقت هذه كمقدمة لموضوع خطير جداً.

آيات قرآنية تؤكد نصر الله تعالى للمؤمنين من عباده :

نحن الآن مع القرآن الكريم:

﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

[سورة الصافات: ١٧٣]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[سورة الحج: ٣٨]

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

[سورة النساء: ١٤١]

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٣٩]

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾

[سورة الحج: ٤٠]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

[سورة النور: ٥٥]

الواقع الإسلامي لا يؤيد هذه الآيات

أنا أسمعكم آيات كثيرة كلها فيها وعود للمؤمنين، ألم يخطر في بالكم أن الواقع الإسلامي لا يؤيد هذه الآيات؟ إذا قال الله عز وجل:

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

[سورة النساء: ١٤١]

أعدائنا لهم علينا ألف سبيل وسبيل! وهؤلاء الملايين المملينة، المليار ومئتي مليون أو ثلاثمائة مليون ليست كلمتهم هي العليا، وليس أمرهم بيدهم، ولأعدائهم عليهم ألف سبيل وسبيل، هذا الواقع! وإذا قال الله عز وجل:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة النور: ٥٥]

حينما كنا في القرون السابقة أسسنا دولة رائعة في الأندلس، الآن أقيم معرض في الأندلس، وقد ذكر في هذا المعرض أن المسلمين وصلوا إلى هذه البلاد، وأنشؤوا المدن وأقاموا حضارة رائعة،

يوجد وعود إلهية، أنا والله أرى أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده للمؤمنين، لكن هناك مفارقة كبيرة، تجد في القرآن آيات تعد المؤمنين بالنصر والغلبة والتفوق والعزة، تجد واقع المسلمين خلاف ذلك! الإنسان يتمزق، يشعر بشرخ في شخصيته، دائماً الواقع عكس الوعد الإلهي، وشيء واقع.

عندنا أربع قواعد للخلاص :

أين الاستخلاف؟ والله لا استخلاف!

﴿وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾

[سورة النور : ٥٥]

أين التمكين؟ والله لا تمكين!

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

[سورة النور : ٥٥]

أين التطمين؟ لا تطمين، لا استخلاف، ولا تطمين، ولا تمكين، ولا نصر، ولا كلمة عليا، وللكافرين علينا ألف سبيل وسبيل، هذه مقدمة ثانية، ما العمل؟

أنا أريد فهم واقعي لهذه الآيات، الواقع عكس هذه الوعود، هل يعقل أن يخلف الله وعده؟ لا أبداً مستحيل وألف ألف مستحيل، لو حللنا أنا أردت من هذا التحليل أن أضع لكم أربع قواعد للخلاص؛ إما خلاص فردي، أو خلاص جماعي، الله عز وجل أجل وأكرم من أن يأخذ المطيع بالعاصي، إذا أمكنك أن تصلح الناس جميعاً فأنت بطل، وإن لم يمكنك أن تصلحهم ماذا تفعل؟ أصلح نفسك، أقم الإسلام في بيتك وفي عملك، الجأ إلى كهفك، مسجدك، وإلى بيتك، لأنه ظهر الفساد في البر والبحر، أينما توجهت تجد الفساد عريضاً، في الطريق، حتى في المعابد يوجد فساد لا يعلمه إلا الله، حتى في الصحف والمجلات، حتى في الشاشة، أينما توجهت تجد دعوة إلى المعصية وإغراء لها! أنا ماذا أفعل؟ أنا لا أستطيع أن أهدي الناس جميعاً، حينما لا أجد أن هناك ثمرة يانعة أجدها من دعوتي إلى الله لا أقل من أن أنتقت إلى نفسي وأن أصلحها، وأصلح بيتي وعملي.

١ . أول بند أن ندع كل شهوة محرمة وأن نحكم اتصالنا بالله :

أول بند:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾

[سورة مريم : ٥٩]

في علم الأصول المفهوم المعاكس، المعنى المعاكس المعنى المخالف إذا كان سبب تخلفنا وقرنا وضعفنا وذلنا نتج من اتباع شهوة محرمة، ومن عدم إحكام الصلاة، فالحل يكون بالعكس: أن ندع كل شهوة محرمة وأن نحكم اتصالنا بالله هذا أول بند، مادام الله عز وجل يقول:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾

[سورة مريم: ٥٩]

لو أننا لم نضع الصلاة ولم نتبع الشهوات لا بد أن نتحقق فينا وعود الله عز وجل، وقد أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها، لكن إضاعة الصلاة تعني تفرغها من مضمونها، لذلك:

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هِبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ أَخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[سنن ابن ماجه عن ثوبان]

إذاً: تضييع الصلاة لا يعني تركها، بل أن تؤدي أداءً شكلياً، ألا تسبقها استقامة، ألا يسبقها خوف من الله، ألا يسبقها إحسان إلى الخلق، فهم المسلمون الدين فهماً خاطئاً: أنه عبادات شعائرية، وهذا الفهم الخاطئ سبب هلاكهم، تجد معظم المسلمين تعامله، تعاشره، تدخل بيته، تحتك معه، لا ترى الإسلام مطب في حياته، لكنه يصلي، كيف فصل بشكل عجيب هذه الصلوات وتلك الشعائر عن الحياة اليومية!!؟

سبب هلاك الإنسان أن ينعم بشيء منعه الله عنه :

يا أيها الأخوة الأكارم: قلت مرة في خطبة قبل أسبوعين: ما لم نؤمن بالله حق الإيمان، وما لم نحكم شريعته في كل مناح حياتنا، ما لم نفعل ذلك لن نقطف ثمار ديننا، أول بند:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾

[سورة مريم: ٥٩]

أول بند: ألا أتبع شهوة لا ترضي الله، أنا مقيد بمنهج الله، أنا آكل الأكل مباح، وأتزوج وأعمل وأنام وأستريح وأنتعم بما سمح الله لي، أما أن أفكر أن أنتعم بشيء منعه الله عني وحرمه علي فهذا سبب هلاك الإنسان.

﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾

[سورة مريم: ٥٩]

إن أردنا ألا نلقى الغي ينبغي ألا نتبع الشهوات وأن نحكم اتصالنا بالله عز وجل.

يجب أن نهض ونفكر كيف نصبح عند الله مرضيين :

يا أيها الأخوة، ليس فيكم واحد إلا ويعرف مقامه عند الله، هل هو في طاعة أم في معصية؟ في سبق أم في تقصير؟ في إخلاص أم في زيغ؟

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾

[سورة القيامة: ١٤-١٥]

يجب أن تشعر أنه ليس بينك وبين الله حجاب، يجب أن تشعر أنك عند الله في مركز قوي، في مقعد صدق عند ملك مقدر، هذا شيء مصيري وحياتي، فيجب أن نهض و نفكر كيف نكون عند الله مرضيين؟ بطاعتنا، بكسبنا لأموالنا، بإنفاق الأموال، ببيوتنا، بعلاقاتنا بأهلنا وبالمؤمنين، بأعمالنا الطيبة، حينما تفكر في تحسين واقعك السلبي والإيجابي اعمل عملاً صالحاً في رفع مستوى علمك في الله عز وجل، ورفع مستوى صلاتك، حينما تفعل هذا، حينما تبتعد عن كل شهوة محرمة، وحينما تحكم اتصالك بالله عز وجل هذا هو الحل الأول، لأنه مناقض لسبب الدمار الأول.

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾

[سورة مريم: ٥٩]

لأنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، هذه واحدة، أول بند.

حقيقة الدين عند الله أن تسلم وجهك لله :

البند الثاني:

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾

[سورة النور: ٥٥]

دينهم الذي ارتضاه لهم، والذي وعدهم بتمكينه مقيد بأنه ارتضاه الله لهم، الآن: فإن لم يمكنهم معنى ذلك أن دينهم لم يرتضيه الله لهم، يوجد دين أساسه المظاهر، دين أساسه الطرب، دين أساسه اللواتم، دين أساسه النزاهات، دين أساسه الألقاب العلمية العالية، يوجد مظاهر دينية صارخة لكنها شيء، والدين شيء آخر. مثلاً: يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

[سورة آل عمران: ١٩]

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

[سورة آل عمران: ٨٥]

لو تعمقت في فهم هذه الآية أي حقيقة الدين عند الله أن تسلم وجهك لله، والشيء الذي يلفت النظر: أن كل الأنبياء قاطبة من دون استثناء وصفوا بأنهم مسلمون، افتح القرآن سيدنا موسى، سيدنا عيسى، سيدنا إبراهيم، نبي هو مسلم، الإسلام الانصياع لمنهج الله، الانقياد لله، الإنسان حينما ينقاد لهوى نفسه وينقاد لشهوته، حينما يتعصب لقومه حينما يقف جنب عائلته، حينما يؤثر هواه على طاعة ربه هذا لا يستحق أن يكون دينه ديناً ارتضاه الله له! اقرؤوا تاريخ الصحابة سيدنا ابن رواحة أرسله النبي لتقييم تمر خبير تنفيذاً لاتفاق بين النبي وبين يهود خيبر، اليهود أغروه بحلي نسائهم فلعله يخفض تقييم التمر فقال هذا الصحابي الجليل: جئتم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم عندي أبغض إلي من القردة والخنازير ومع ذلك لن أحيف عليكم، فقال اليهود: بهذا قامت السماوات والأرض، وبهذا غلبتمونا، إن لم تكن عادلاً بين بنتك وصهرك، أو بين شركائك، أو بين أهلك، بين من كلفك أن تحكم بينهم بالعدل، العدل من سمات المؤمن.

حينما نحكم شرع الله في حياتنا كلها يمكن أن ننال عطف الله وتأييده ونصره

أيها الأخوة، مرة ثانية حينما نحكم شرع الله في حياتنا كلها يمكن أن ننال عطف الله عز وجل وتأييده ونصره، فالآية الثانية:

﴿ لِيُمْكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

[سورة النور: ٥٥]

ابحث دينك دين مظاهر، قد تجد إنساناً يوم الجمعة يتزين بزى إسلامي ويتعطر وفي جيبه السواك ومعه السبحة وينطلق إلى المسجد، مظهر رائع، لكن ماذا فعل في سهرة الخميس ماذا كان يفعل؟ ماذا كان يتابع؟ ماذا فعل حينما زار أقاربه؟ هل كان هناك اختلاط؟ ماذا فعل حينما دعا أصدقائه؟ كيف يكسب ماله؟ كيف يبيع الحاجة؟ أيقسم أيماناً كاذبة؟ هنا المشكلة، البند الأول: أن تدع كل شهوة لا ترضي الله، وأن تحكم اتصالك بالله، البند الثاني: أن تفحص دينك هل هو دين طاعة ودين انسياق وانقياد لله أم أنه دين مظاهر، في مظاهر دينية لا تعد ولا تحصى وكلها تأخذ بالألباب، ألبسة فخمة جداً وألوان باهرة وأبنية شاهقة وأعمدة وما إلى ذلك، وكتب مذهبة، هذه المظاهر عند الله لا تقدم ولا تؤخر، الله عز وجل لا ينظر إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]

أنا دين، لا شك أنت دين، أنت من رواد المساجد ومحسوب على المسلمين، يا ترى دينك دين مظاهر أم دين حقائق؟ دين علم أم دين تقليد؟ دين عبادة أم دين إخلاص للعبادة؟ والحديث في الدين، صار عندنا مصطلح جديد، أنا أعجب، اسمه إسلام الصالونات! مادامت النظم الوضعية كلها قد انهارت وأصبحت في الوحل لم يبقى إلا الدين، فكل الناس يتحدثون بالدين، يتصدر المجلس ويقول: أنا برأيي الإسلام مرن، الإسلام دين لا جمود فيه هذا تزلت، يريد أن يبيح لنفسه كل الشهوات باسم عدم التزلت، ودين مرن، فكل إنسان يتصدر ويتحدث عن الإسلام، والإسلام منه بريء.

٢ . البند الثاني أن تفحص دينك هل هو دين طاعة وانقياد لله أم أنه دين مظاهر :

سمعت عن محامي أقام ثمانى دعاوى كيدية كلها باطلة، فلما قدم له كأس شاي قال: أنا صائم اليوم! لأن اليوم اثنين، تجد مظاهر وأعمال من أجل أن تستقطب مشاعر الناس لكنك لست في المستوى الحقيقي، هذا البند الثاني، وهو أن تبحث عن دينك هل هو دين يرتضيه الله أم لا؟ العالم كله أديان، هل يوجد إنسان ما عنده دين؟ حتى الذي يعبد من دون الله أوثنائاً هذا اسمه دين، عنده شعور بالخوف، الدين تلبية حاجة طبيعية في الإنسان، الإنسان خلق هلوعاً وضعيفاً وعجولاً، كتب عليه الفناء والموت، فأنت تلاحظ الإنسان حينما يقترب من الستين أو من الخامسة والخمسين يفكر بالدين، كل الناس حتى الذي كان ملحداً، حتى الذي كان إباحياً، حينما يدنو من حافة القبر يفكر لعله يصلي في آخر وقته، لعله يفعل شيئاً، معنى هذا الدين حاجة طبيعية، وكل إنسان عنده دين بمفهومه، يوجد تسعمئة مليون بالهند بين بوذييين وبين هندوس وبين سيخ وكلها أديان وثنية، وبالعالم الغربي أديان عبارة عن مظاهر، وقد يسأل أحدكم هذا السؤال: ما سر كثرة هؤلاء الأتباع لدين وضعي لا أصل له؟ دين كله طقوس لا تكاليف فيه، فيه إعلان ولاء فقط، والولاء سهل، أنت أعلن ولائك لإنسان قوي يحبك وتأخذ ميزات كثيرة وأنت تؤذي الناس جميعاً، إلا أن الولاء لله وحده يقتضي أن تحسن إلى عباده كلهم، عظمة الإيمان لن يقبلك الله إلا إذا كنت مستقيماً محسناً، يا رسول الله مثل بهم كما مثلوا بعمك حمزة، قال: لا أمثل بهم فيمثل الله بي وكنت نبياً.

عندما فتح الفرنجة القدس كم مسلم دُبحوا؟ سبعون ألف مسلم دُبحوا في يومين! عندما فتح سيدنا صلاح الدين القدس ماذا فعل؟ سمح لكل ساكني القدس من غير المسلمين أن يخرجوا ويحملوا على دوابهم كل حاجاتهم، وأن يبيعوا حاجاتهم لمن يشاؤون، والمسلمون اشتروا منهم بعض الحاجات بأثمانها ولم يظلموهم، بل إن هذا القائد الفاتح سيدنا صلاح الدين جاءته امرأة فقدت ابنها فوقف ولم يجلس حتى أعادوا لها ابنها، هذا الدين الذي ينصره الله عز وجل، لكن معقول أن تكون بمكان تسمع شتائم الدين مثل التسبيح لأتفه سبب يسبب الدين، كيف سينصرنا الله؟ أنا أقول لكم: يوجد

مشكلة كبيرة جداً، إما أن تحل جماعياً وإما أن تحل فردياً، هناك تخلُّ من الله عنا، أنا لا أعتقد أنه مرَّ على هذه الأمة وضع أصعب من هذا الوضع يوجد ضعف وتخاذل وتفرقة، شرذمة كلها بسبب بعدنا عن الله عز وجل، أقول لكم هذه الحقيقة.

كل العداوات والبغضاء بين المسلمين بسبب تقصيرهم في طاعة الله عز وجل

قال تعالى:

﴿ فَتَسُوْا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوْا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة المائدة: ١٤]

كل العداوات والبغضاء بين المسلمين بسبب تقصيرهم في طاعة الله عز وجل، هذا البند الثاني؛ والذي هو اسأل نفسك بصراحة . أقول لكم دائماً: الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح . دينك يرتضيه الله حتى يمكنك ويعلي قدرك ويرفع اسمك.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

[سورة الانشراح: ٤]

لكن دينك الذي تظن أنه صحيح قد لا يرتضيه الله عز وجل، بعض الأمثلة: ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام! كم إنسان اغتصب محلاً تجارياً أو شركة أو بيتاً؟ كم إنسان يغش المسلمين ويكذب؟ كذب وغش واغتصاب والمحاكم مليئة بالخصومات بين المسلمين، والله مرة قال لي إنسان يعمل في منصب حساس: في درجي ثمانون إخبارية، قال: الأب على ابنه والأخ على أخيه والشريك على شريكه! هؤلاء كلهم مسلمون، كل إخبار يقتضي دمار المخبر عنه! من المخبر؟ أخ أو زوجة أو ابن أو أب! من أقرب الأتساب، هؤلاء مسلمون؟ متى ترى أن الله يرحمنا ويعلي قدرنا وينصرنا على أعدائنا وينصرنا نصراً عزيزاً؟

على الإنسان أن يكون في عقيدته وفي عباداته وسلوكه على ما كان عليه النبي وأصحابه:

اتفقنا؛ أول بند: أن ندع كل شهوة لا ترضي الله، البند الثاني: أن نحكم اتصالنا بالله، البند الثالث: أن نتفحص ديننا، هل ديننا يرتضيه الله لنا؟ هل نحن على ما كان عليه النبي وأصحابه؟ ((والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتين و سبعين في النار، قيل يا رسول الله من هم؟ قال: هم الجماعة))

[أحمد عن عوف بن مالك قال فيه البخاري رحمه الله: رجاله موثقون]

هل أنت في عقيدتك، في عبادتك وسلوكك على ما كان عليه النبي وأصحابه؟ والله أقيم احتفال عيد مولد في مسبح مختلط! مسبح تسبح المرأة إلى جانب الرجل بثياب فاضحة! صاحب هذا

المسيح أراد أن يقيم مولد نبوي في هذا المسيح، ودعا أناساً تكلموا عن رسول الله في هذا المسيح، وأثنى على صاحب الدعوة، من أين يكسب ماله؟ من هذا الاختلاط، اختلاط فاضح، فحينما نقول: شيء جيد وطيب والناس كلها خير وبركة، هذه كلها سذاجة، إنسان رزقه كله حرام، إنسان يعتدي على الأنام، إنسان يفعل المنكرات، كيف تعتبره أخاك وقريباً منك؟

البند الأول: ترك كل شهوة محرمة وإحكام الاتصال بالله، البند الثاني: تفحص الدين.

٣ . البند الثالث أن نصبر عن الشهوة الحرام وعلى طاعة الله وعلى قضائه وقدره:

البند الثالث: قال:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا
وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٦-٤٧]

﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٠]

إذا كان خالقنا يطمئننا لمجرد أن نتقي الله وأن نصبر هذا المكر الذي تزول منه الجبال ينتهي، المسلم الآن يشعر قريباً من اليأس، لا أمل، ضعاف، هناك أسلحة فتاكة، وهناك أقمار صناعية، وقنابل نووية، هناك إحكام في الإصابات على الكمبيوتر، هناك طائرات، هناك حاملات طائرات، هذه كلها قوى الكفر، قوية جداً وبطاشة، رأيتم في حرب البلقان ماذا فعلوا؟ لم يتركوا شيئاً أبداً، دمروا كل شيء فيها، والبلقان كما يقولون: رسالة القوي إلى أوروبا، وفي حروب تمت في الشرق الأوسط رسالة القوي إلى العالم الثالث، لكن ما خطر في بالنا مرة كيف نعتصم بالله؟ معقول نعتصم بالله عز وجل ثم لا نرى آياته الوهاجة، فالثالثة:

﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٠]

أنا علي أن أصبر، وعلي أن أتقي الله أي أن أطيعه، وأن أصبر عن الشهوة الحرام، وعلى طاعة الله، وعلى قضاء الله وقدره، هذا هو البند الثالث.

البند الرابع هذا موضوع يسمونه ساخناً، المشكلة الآن مهما كان الموضوع الديني مغريباً لكن يوجد حولنا موضوعات ساخنة ترى نفسك مشدوداً إليها، فلا بد من أن يرى المؤمن ما حكم الشرع فيما يجري، ما حكم الشرع فيما نحاط به؟ البند الرابع أيها الأخوة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد: ١١]

آية عملاقة، آية فيها الخلاص، غير ليغير، كن جريئاً، اذهب إلى بيتك، تفحص بيتك هل فيه معصية؟ تفحص عملك هل فيه مال حرام؟ في مال اكتسبته بالكذب والمبالغة، بالاحتيال، بإخفاء المعلومات؟ بضاعة بعثها بصفات ليست فيها؟ بضاعة بعثها ونسبتها لبلد مصنّع وهذا النسب غير صحيح، أنا أرى لا يوجد إنسان يصاب بمشكلة إلا ويجب أن يفكر من أين جاءتني هذه المشكلة؟ من خلل، الله عز وجل مستحيل وألف ألف مستحيل أن يسوق مصيبة بلا سبب.

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

[سورة الشورى: ٣٠]

كلام خالق الكون، البند الرابع: غير ليغير، والله أخ من أخواننا والله أنا أحبه، بعمله التجاري عمل مخالفات فتراجعت تجارته، تراجعت تراجعت لدرجة كاد أن يعلن إفلاسه، فزارني، سألته عن وضعه في العمل فبين لي، فقلت له: ما الشيء الذي فعلته مخالفاً للشرع دعه فوراً، وكلمة دعه تكلفه مبالغ كبيرة، رجل انصاع لأمر الله، ترك هذا الشيء وعاد لما كان عليه قبل أن تدل قدمه، والله غير معاملته، يجب أن تشعر بشكل صارخ أن الله غير، إذا غيرت أنت الله يغير، لمجرد أن تتعقد توبة بينك وبين الله تجد أن الأمور كلها تغيرت، في بيتك وعملك وصحتك وعلاقاتك ونجاحك، الله عز وجل ينتظرك، ورد في بعض الآثار: يا داود لو يعلم المعرضون انتظاري لهم وشوقي لترك معاصيهم لتقطعت أوصالهم من حبي، ولما تواتوا شوقاً إلي، هذه إرادتي في المعرضين فكيف بالمقبلين!! أنت كطالب علم من حين لآخر خصص في برنامج يومي وقتاً للصلاة، ووقتاً للذكر، عندك نقطة ضعيفة هذه تتوب منها، هذه غيرها، عندك تقصير لمجلس العلم، خصص برنامجاً لمجلس العلم، احضر أكبر عدد من هذه المجالس، حتى الله عز وجل يجده غيرت هو يغير، فنحن في زمن الفتن، وفي زمن الشبهات والشهوات، وفي زمن القهر، المسلمون في العالم يحاربون في أي مكان، ولا يوجد خبر سار متعلق بالمسلمين، إحباطات متتالية، يكاد هذا الإحباط ينقلب إلى يأس، يجب أن نتحرك، نبدأ مع الله عز وجل، ومهما ابتغيها حلاً أرضياً، لا يوجد حل أبداً بقناعتني، ما من يوم إلا

والذي بعده أشر حتى تقوم الساعة، أما في حل سماوي؛ أن أغير كل منهجي وكل سلوكي وأن أغير كل علاقاتي، حتى يسمح الله عز وجل أن ينصرنني على الطرف الآخر.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢٢): زكاة الفطر .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-١٢-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الغلو في الدين :

أيها الأخوة الكرام، أنا في حيرة من الموضوع الذي ينبغي أن يعالج في هذا الدرس لكنه بدا لي أن مشكلة المسلمين في التطرف وفي الغلو في الدين، وقد قال الله عز وجل:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

[سورة المائدة: ٧٧]

الغلو أنواع متنوعة، وقد ألفت في هذا الموضوع كتب ومجلدات، ولو أردنا أن نخوض في هذا الموضوع لاحتجنا إلى سنوات ولكن سأعالج من موضوعات الغلو موضوعاً واحداً محدداً ولعلي أتابع هذه الموضوعات في دروس قادمة.

الغلو؛ أن تأخذ قضية فرعية في الدين وأن تكبرها وأن تجعل منها أصلاً من أصول الدين، ثم أن تقيم الناس جميعاً في ضوء هذه النظرة التي تحملها أنت، من أولى سلبيات هذا الموقف شق صفوف المسلمين، وفتنة جمعهم، وتشتيت شملهم، وإقامة موضوعات جزئية على أنها موضوعات كبيرة خلافة وعندئذ لعل الآية الكريمة تنطبق أحياناً على هذه الحالة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٩]

في الإسلام عقائد كبيرة، حقائق خطيرة، وفي الإسلام فروع صغيرة، مثلاً صائم رمضان ينبغي أن يؤدي زكاة الفطر، هناك من يؤديها طعاماً، وهناك من يؤديها مالاً لو أخذنا هذا الموضوع الفرعي في الفقه وجعلناه موضوع هذا الدرس لرأينا كيف أنه يمكن أن تؤدي طعاماً وقد يكون الأولى في موطن، ويمكن أن تؤدي مالاً وقد يكون أولى في موطن، على كل كمقدمة دقيقة جداً لهذا الموضوع مسألة فروع الشريعة ليست من مسائل الاعتقاد، ولا من قطيعات الدين، ولا من أصول الدين، إنما هي من مسائل الفروع، ومسائل الفروع أمرها قريب ويسير، فالخلاف في مسائل الفروع ليس فيه هدى وضلال، لا يمكن أن تتهم إنساناً اختلف معك في قضية فرعية في الدين أن تتهمه بأنه ضال، هذا انحراف خطير، مسائل الفروع ليس فيها هدى وضلال، وليس فيها إيمان وكفر، بل يصعب أن

يكون في مسائل الفروع خطأً وصواباً، إنما يكون فيها راجح ومرجوح، وقوي وأقوى، يقول بعض العارفين بالله:

وكلهم من رسول الله ملتصقاً غرقاً من البحر أو رشفاً من الدير

* * *

النصوص القطعية الدلالة والنصوص الظنية الدلالة :

كتعليق على هذه الفكرة في الدين نصوص قطعية الدلالة هذه تغطي ثوابت الإنسان، الإنسان فيه ثوابت مغطاة بنصوص قطعية الدلالة فالأشياء التي تتوقف عليها سعادتك فيها نصوص قطعية الدلالة لا تحتاج لا إلى فقيه ولا إلى مجتهد ولا إلى مفسر ولا إلى عالم.

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾

[سورة النساء: ١٠٣]

إن الله لا يحب الكاذبين، لا يحب الخائنين، فيا أيها الأخوة الكرام:

وكلهم من رسول الله ملتصقاً غرقاً من البحر أو رشفاً من الدير

* * *

أي أن المسائل الأساسية في حياة المسلمين لا تحتاج إلى اجتهاد، مغطاة بنصوص قطعية الدلالة، لكن إن وجدت نصاً في القرآن الكريم ظني الدلالة، بالمناسبة لعل أحدكم إذا كان حديث عهد بدروس العلم لم يفهم معنى قطعي الدلالة أو ظني الدلالة، إن قلت لواحد من الناس: أعطي فلاناً ألفاً وخمسة دراهم هذا النص قطعي الدلالة، هل يحتاج إلى تفسير؟ هل يحتاج إلى مجتهد؟ هل يختلف في معناه؟ مستحيل، أما إذا قلت: أعطه ألف دراهم ونصفه، يا ترى ألفاً وخمسة، أم ألف ونصف هناك هاء، علام تعود؟ أتعود على الألف، وهو الأبعد، أما تعود على الدرهم وهو الأقرب؟ ألف ونصف درهم، أعطي فلان ألف دراهم ونصفه، الهاء تعود على الدرهم ألف ونصف، تعود على الألف، ألف وخمسة، هذا النص اسمه نص ظني الدلالة، فإن وجدنا في القرآن الكريم نصوص ظنية الدلالة معنى ذلك أن هذه النصوص الظنية الدلالة تغطي كل تطورات الإنسان وكل المتغيرات فيه، تغطي تطور الحياة من بيئة إلى بيئة، من ريف إلى مدينة، من شدة إلى رخاء، من كذا إلى كذا، وأما النص القطعي الدلالة فيغطي ثوابت الإنسان.

لا يمكن أن ننسى مقاصد الشريعة وأن نكون حرفيين :

ثم يعلق أحد العلماء الأجلاء على هذا الموضوع فيقول: لهؤلاء أدلة ولهؤلاء أدلة أخرى، وهؤلاء ينظرون إلى معنى وهؤلاء ينظرون إلى معنى آخر، أوضح مثلاً: أنه قبل ألف عام لو أعطاك إنسان درهماً أو ديناراً ووكلك أن تتفقه صدقة عنه لا يجوز أن تبدله هكذا الحكم الشرعي، أما لو أعطاك الآن إنسان خمسمئة ليرة وكلفك أن تتفقه وهي قطعة واحدة لك أن تستعملها في شأنك الخاص، وأن تتفق بدل منها خمسمئة ليرة على أساس خمس قطع، كل واحد مئة ليرة، هذه التي أخذتها من يد المتصدق قطعة واحدة، استخدمتها أنت وأنفقت مكانها خمس قطع من فئة المئة ليرة، الآن الشيء حلال أم حرام؟ بحسب الحكم الشرعي حرام، لماذا؟ ما علة هذا الحكم؟ لأن الدينار قديماً له وزن خاص كل دينار له وزن، أنت حينما تبدل دينار بدينار لعل الذي أنفقته أنت أقل وزناً من الأول، أما الآن هل هناك فرق بين الخمسمئة ليرة من فئة الخمسمئة أم خمسمئة ليرة من فئة المئة؟ المبلغ واحد، إذاً هذه قضية فرعية، لا يمكن أن تكون محل خلاف، ولا محل خصومة، ولا محل تعصب، ولا محل تطرف، ولا محل اتهام، هذه كلها من فروع الدين، لذلك أناس نظروا إلى الشيء من زاوية وأناس من زاوية ثانية، هناك من نظر إلى لفظ الحديث، وهناك من انتبه إلى مقاصد الشريعة، مثلاً: حينما أمر الحاج أن يذبح الهدي ما مقصود الشريعة من هذا؟ أن يصل هذا اللحم إلى جوف الفقير، هل تصدقون أنه مر على الأمة الإسلامية أعوام تلو أعوام كان يذبح في منى ما يقارب مليون رأس غنم تذبح وتلقى في الطريق، مليون رأس غنم يذبح ليكون جيفاً، أقسم لي أحد الأخوة الكرام مقيم في حي قريب من منى، قال لي: والله أربعة أشهر ورائحة المدينة لا تحتل من رائحة هذه الذبائح التي تفسخت بفعل الحر الشديد، هل من مقاصد الشريعة أن تهدر هذه اللحوم وهي مادة أساسية جداً هكذا تهدر لتكون جيفاً تلوث الجو؟ ألم يقل أحد كبار العلماء . والشريعة عدل كلها، وحكمة كلها، ومصالحة كلها، ورحمة كلها . ألم يقل هذا العالم الجليل . فكل قضية خرجت من الرحمة إلى القسوة ومن الحكمة إلى خلافها ومن المصلحة إلى المفسدة ومن العدل إلى الجور فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل . إذاً لا يمكن أن ننسى مقاصد الشريعة، لا يمكن، لا يمكن أن نكون حرفيين، لا أقول نصيين، حرفيين، الدين كله وحي، والدين في الأصل نص من السماء، وديننا كله كتاب وسنة ونصوص، لكن ينبغي ألا نكون حرفيين.

ديننا دين الفطرة لأن الأوامر فيه تعرفها الفطر السليمة والنواهي تنكرها الفطر السليمة:

من أغرب ما قرأت في كتب الفقه أن الخاطب يجوز له أن يرى مخطوبته، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((انظر إليها))

[الترمذي عن المغيرة بن شعبه]

فقال بعضهم: المطلق على إطلاقه، وما دام النبي أمر الخاطب أن ينظر إلى مخطوبته لم يقيد هذه النظرة بلباس معين، إذاً له أن يراها كما خلقها الله، بربكم هل تجدون في المليار والمئتي مسلم في الأرض من يقبل أن يظهر ابنته أمام خطيبها كما خلقها الله، أقول هذا الإنسان حرفي ضيق الأفق، محدود التفكير، في عرف، في ذوق، لماذا سمى الله المنكر منكراً؟ ما معنى منكر؟ أي أن الفطر تنكره في أصل تكوينها، لم سمى المعروف معروفاً؟ المعروف تعرفه النفوس السليمة، تعرفه بدهاة من دون أن يردها شيء، النفوس السليمة الطاهرة تعرف المعروف بالبدية، والنفوس السليمة تنكر المنكر بالبدية، لذلك من أروع ما في هذا الدين هو دين الفطرة، أن الأوامر فيه تعرفها الفطر السليمة، وأن النواهي تنكرها الفطر السليمة، تنكر فعل النواهي أقصد، لذلك الله عز وجل حينما قال في كتابه العزيز:

﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

[سورة الرعد: ٣٦]

معنى ذلك أن هذه النصوص التي جاءت من السماء يفرح بها الصحابي الجليل لأنها تناسب فطرته، وأنا حينما أقول أن حقيقة الحق ما جاء به النقل الصحيح هذا هو الحق وقطعاً ينبغي أن يطابق العقل الصريح، وطبعاً يقتضي أن يوافق الفطرة السليمة، وطبعاً ينبغي أن يوافق الواقع الموضوعي، هذا هو الحق، هو الأصل، الحق ما جاء به الوحي من كتاب وسنة، ولكن هذا الوحي هو كلام الله، من خلق العقل؟ الله جل جلاله، إذاً الذي أنزل هذا الوحي هو الذي خلق العقل فلا بد من تطابق العقل مع الوحيين، من جبل النفوس جبلة معينة ففطرها فطرة معينة؟ الله جل جلاله، إذاً لا بد من أن يوافق الوحي الفطرة السليمة، هذا الواقع من خلقه؟ وهذا الكون من خلقه؟ قوانينه من خلقها؟ الله جل جلاله، إذاً ينبغي أن يطابق هذا الواقع وحي السماء، صار الحق دائري، لا بد من أن يمر فيها أربعة خطوط، خط العقل الصريح، وخط النقل الصحيح، وخط الفطرة السليمة، وخط الواقع الموضوعي، هكذا أنا لا أرى أن الخطر على الدين يأتي من أعدائه، يأتي من أديائه، يأتي ممن يشتغلون بشؤون الدين، ممن ابتعد عن حقيقته.

كل أمر ونهي على الإطلاق محكوم بخمسة مقاصد :

لذلك لا ينبغي أبداً أن تقفل مقاصد الشريعة بل إن كل أمر ونهي على الإطلاق محكوم بخمسة مقاصد، المقصد الأول الحفاظ على الدين، والمقصد الثاني الحفاظ على الحياة، والمقصد الثالث الحفاظ على العرض، والمقصد الرابع الحفاظ على العقل، والمقصد الخامس الحفاظ على المال، ولو

درست كل أحكام الشريعة من أولها إلى آخرها لا تجد هذه الأحكام إلا تدور حول هذه المقاصد الخمسة، فلا يمكن أن نفعل أحد هذه المقاصد، أنا حينما قرأت في بعض الصحف خيراً مزعجاً جداً مفاده أنه تم إعدام عشرين مليون رأس غنم في استراليا، أعدموها بالرصاص، وحفرت لها حفر عظيمة ودفنت فيها، للحفاظ على أسعار اللحوم، أم تموت من الجوع، شعوب تموت من الجوع، وهؤلاء هناك يعدمون عشرين مليون رأس غنم للحفاظ على أسعار الغنم المرتفعة في العالم.

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْزَى ﴾

[سورة العلق: ٦-٧]

حتى في بعض البلاد الغربية يتلفون ما يساوي أهرامات مصر من الزبدة ومشتقات الحليب للحفاظ على أسعارها المرتفعة، في بعض البلاد يتلفون محاصيل الحمضيات، فإذا تسلسل إلى هذه المحاصيل فقراء ليأكلوا منها سممت في العام القادم، فلذلك الشريعة مصلحة كلها، والشريعة رحمة كلها، والشريعة حكمة كلها، وأية قضية خرجت من المصلحة إلى المفسدة، من العدل إلى الجور، من الحكمة إلى خلافها، من الرحمة إلى القسوة، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

لا ينبغي أن يكون الاختلاف في الفرعيات سبباً للفرقة والتباغض :

لكن أيها الأخوة، ترون أن الطرف الآخر يستهدف كل المسلمين بصرف النظر عن هوياتهم، وعن انتماءاتهم، وعن مذاهبهم، أن نكون مع بعضنا بعضاً، وأن نتعاون فيما اتفقنا، وأن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا، أو أن ينصح بعضنا بعضاً فيما اختلفنا، هذا أصبح واجب ديني الآن، فلا ينبغي أن ندع لهذه الفرعيات في الدين أن تمزق وحدتنا، ولا أن تشق صفوفنا، ولا أن تجعلنا نترشق التهم، ولا أن يكون بأسنا بيننا، هذا يتناقض مع مقاصد الشريعة، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: ٤٦]

إذاً لا ينبغي أن يكون هذا الاختلاف في الفرعيات سبباً للفرقة والتباغض، ولا سبباً لنيل بعض المسلمين من بعض، ولا سبباً لسبب بعضهم بعضاً، ولا سبباً في وقوع بعضهم في أعراض بعض، هنا المشكلة.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات: ١٠]

حتى لو كان بينهم خلاف، الخلاف في قضية لا يفسد الود بين المؤمنين المؤمنين من صفاتهم أنهم بعضهم أولياء بعض، يتراحمون، يتناصحون، يتعاونون، ولأن الإنسان مخير، ولأن رؤيته

متعددة، فقد يختلف اثنان ومقصدهما واحد، ألم يختلف الصحابة فيما بينهم؟ وكلهم يجتهد أنه يرضي الله بهذا الاختلاف، المشكلة أن هذه الأشياء الفرعية حينما نختلف فيها، ويتحزب بعضنا لجهة والبعض الآخر لجهة، ثم ينشأ هذا الخصام بين جهتين، ثم يكون لكل جهة أتباع، ومع الأتباع أبواق، ومع الأبواق أظافر، كل جهة لها أتباع ولها أبواق ولها أظافر وتتشب المعارك الداخلية ويكون بأس المسلمين فيما بينهم وهذه هي الطامة الكبرى، والطرف الآخر يدفع على هذا الاختلاف روحه من أجل ذلك، بالإضافة ذلك أنك حينما تبقى محدود في قضية فرعية وتجعلها قضية كبيرة وتتهم من خالفك في الرأي أنه منحرف العقيدة أو بأنه ضال، أنا أعني ما أقول، أو بأنه مبتدع، أو بأنه بعيد عن الإخلاص، حينما نتهم بعضنا بعضاً حول قضايا فرعية نكون قد حققنا الهدف الأول للشيطان.

((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ))

[رواه مسلم عن جابر]

حينما نتهم بعضنا بعضاً حول قضايا فرعية نكون قد حققنا الهدف الأول للشيطان :

كما هو معلوم لديكم أن الشيطان يأتي الإنسان ليوسوس له أن يكفر بالله، فإن رآه على إيمان وسوس له بالشرك، فإن رآه على توحيد وسوس له بالبدع، فإن رآه على سنة وسوس له بالكبائر، فإن رآه على طاعة وسوس له بالصغائر، فإن رآه على ورع - ماذا بقي؟ - وسوس له بالتحريش بين المؤمنين، فإن رآه واعياً - بقي مع الشيطان ورقة رابحة - المباحات، يتوسع في المباحات حتى تشغله عن العمل في سبيل الله.

أيها الأخوة الكرام، الطامة الكبرى أن تتحول هذه الفروع إلى تراشق تهم وإلى تكفير وإلى اتهام بالشرك وإلى اتهام بالبدع، وهذه هي الطامة الكبرى، بل إن بعض هؤلاء المتحزبين لزيد أو عبيد يحلون الولاء والبراء حول هذه الفرعيات، فمن أقر هذه الفرعيات هو صاحب الولاء للدين، ومن لم يقر بهذه الفرعيات كان الدين منه براء، وهذه هي الطامة الكبرى، لذلك العهد الأول من عهود أصحاب رسول الله كان عهداً ذهبياً متألماً، فيه تعاون، فيه حب، ولا شيء يسعد الطرف الآخر - أعني به عدو الدين - لا شيء يسعد الطرف الآخر كهذه الخلافات حول أمور جزئية في الدين. أحد علماء مصر توفي رحمه الله كان في العمرة يبدو أنه أكرم هناك إكراماً منقطع النظير، له مكانة هناك، فنظم قصيدة يثني على من أكرمه، في بلده الأصلي في مصر الطرف المعادي للدين عد هذه القصيدة نفاقاً، فكال له الصاع أو صومعة كثيرة إن صح هذا الجمع، قال: أول مرة في مصر يقف جميع علماء مصر يدافعون عن هذا العالم مجتمعين، لأنه قضية الدين مستهدف، أخوانا الآن الدين مستهدف، أي فئة، أي مذهب، الدين مستهدف فينبغي أن نكون واعين وعباً

شديداً، ينبغي ألا نسمح للطرف الآخر أن ينال منا، نحن في قارب واحد الآن، نحن في قارب واحد وما من مثل رائع مثله النبي عليه الصلاة والسلام كهذا الحديث الذي وصف فيه حال المؤمنين كأنهم في سفينة واقتسموا أماكنهم فيها، فمن أصابه أسفلها أراد أن يأتي بالماء من أعلاها، فكر أن يخرق مكاناً في أسفلها ليأخذ الماء منه لأجل ألا يزجج الذي في أعلاها، فقال النبي الكريم: إن أخذوا على يديه نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا، كلمة نحن في قارب واحد كلمة دقيقة جداً، الآن مصالح المسلمين واحدة، طبعاً حينما يكون أخوك في معظم شؤونه على الحق قد يكون في هامش ضيق تختلف معه فيه.

أقوال العلماء في إخراج قيمة زكاة الفطر :

أنا كنت أمثل هذا المثل وإن كان هذا المثل قد لا يأتي في الصوت هكذا، أي في خمس نقاط أربع نقاط في اتفاق بين اثنين، وفي نقطة خامسة لا يتفق معه فيها الطرف الآخر، وفي نقطة في الطرف الآخر لا يتفق معه الطرف الأول، ممكن، أن نختلف في موضوع فرعي هذا ينبغي ألا يفسد الود بيننا، هذا الكلام أيها الأخوة أقوله من أعماقي والله، أقوله ونحن في أصعب ظرف يمر به المسلمون، أقوله لئلا يكون بأسنا بيننا، أقوله لئلا تشغل أنفسنا بتراشق التهم، هذا يضعف هممتنا وعزيمتنا جميعاً.

مثلاً لو عدنا إلى أصل الدرس إخراج قيمة زكاة الفطر، أي أنت ينبغي أن تعطي زكاة الفطر صاع أو نصف صاع من تمر أو بر كما ورد في كتب الفقه أم خمسين ليرة، هنا الخلاف الذي أريد أن أؤكد مرة ثانية أن هذا الموضوع ليس من مسائل الاعتقاد، ولا من قطعيات الدين، ولا من أصول الدين، هذا الموضوع من فروع الدين، ومسائل الفروع الخلاف فيها ليس فيه هدى وضلال، وليس فيه إيمان وكفر، بل يصعب أن يكون فيه خطأ وصواب إنما فيه راجح ومرجح، وقوي وأقوى، فقط أمور الفقه أمور اجتهادية، نعم.

جمهور العلماء يرون أن إخراج القيمة في صدقة الفطر لا يجزئ المزكي، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: طعمة للمسكين، أي الأولى أن نخرج طعاماً كصدقة فطر لهذا المسكين، وهذا مذهب الأئمة مالك والشافعي وأحمد، ولما سئل الإمام أحمد عن إخراج المال: أخاف ألا يجزئه، أما الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يرى إخراج المال فقال: إتباع السنة أولى، الإمام أحمد قال: إتباع السنة أولى هذا كلام صح، ابن حزم لا يجيز إخراج غير هذه الأنصاف الأربعة، ابن حزم كان أشد من بعضهم، حينما قال النبي: الزكاة في القمح والشعير والتمر والزبيب، نعم، أبو حنيفة رحمه الله تعالى ذهب إلى جواز إخراج القيمة في صدقة الفطر، إذاً نحن أمام موضوع ماذا نسميه؟ موضوع خلافي؛ علماء أجلاء يرون إعطاء زكاة الفطر طعام، وعلماء آخرون يرون إعطاء زكاة الفطر مال، لعل الأولين معهم الحجة الأقوى، لكن أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى سبق إلى هذا

الاجتهاد قبل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، قال بعض المؤرخين: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقرأ لعدي بالبصرة وعدي هو والي البصرة: يؤخذ من أهل الديوان من أعطياتهم كل إنسان نصف درهم أي عن صدقة الفطر، ليس هذا رأياً شخصياً لعمر بن عبد العزيز لكنه اجتهاد ملزم لرعيته جعله أمراً، إنما جعله أمراً عاماً، وأمر واليه أن يأخذ من أهل هذا البلد نصف درهم عن صدقة الفطر.

عن الحسن البصري قال: لا بأس أن تعطى الدراهم في صدقة الفطر، أنا أضعكم أمام أقوال العلماء المختلفة فيما بينها، وسوف أبين لكم تحليل هذه الأقوال، وقال بعض العلماء: أدركت الناس وهم يعطون في صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام، وهذا مذهب الثوري وعطاء، فإن عطاء كان يعطي في صدقة الفطر الورق أي الفضة، وهؤلاء هم سادة التابعين، إذاً في تابعين أجلاء، في علماء كبار أجازوا إنفاق صدقة الفطر مالياً، وفي علماء أجلاء أيضاً ومعهم وجهة نظر ومعهم أدلتهم أجازوا إعطاء صدقة الفطر طعاماً.

تحليل العلماء في إخراج قيمة زكاة الفطر طعاماً أم مالياً :

الآن لو حللنا ما الذي حمل بعض الفقهاء على أن يقول اجعلوا صدقة الفطر طعاماً وما الذي جعل بعض الفقهاء على أن يقول اجعلوا صدقة الفطر مالياً، قال: إن كثيراً من الفقهاء يرون أن تخرج زكاة الفطر من قوت البلد غير المنصوص عنه في الحديث، أي هذا البلد يأكل الرز، لنا أخوان أفارقة جزاهم الله خيراً طعامهم الأول هو الرز، إن لم يأكلوا الرز كأنهم لم يأكلوا شيئاً، فالحديث قمح لم يذكر الرز في الحديث، لكن الحديث قال: طعمة، معناها طعام أهل البلد، قال: فإذا تغير القوت جاز أن يخرج من القوت الموجود كالأرز أو القمح أو أي قوت ينتشر في بلد من البلدان، وإذا جاز إخراجها من قوت البلد حتى ولو لم يكن منصوصاً عليه ولا وارد في السنة فمن باب أولى أن تخرج من الدراهم لأنها قد تكون أفضل من القوت لكثير من الناس، وهذا منهم من فهم هذا الفهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال بعضهم: إن كان هذا الفقير سيبيع هذا القوت بثمن بخس لأنه محتاج إلى شيء آخر، إلى أن يشتري لأولاده كسوة فالأولى أن تعطيه مالياً، أما إن أعطيته مالياً ليشتري به قوتاً الأولى أن تعطيه قوتاً، مثلاً أنت حينما تعطي قوتاً وتشتري بسعر الجملة رأسمالك قليل، أقل من سعر المفرق، فأنت حينما تشعر أن هذا الفقير سيأخذ هذه الزكاة ليشتري بها قوتاً الأولى أن تعطيه قوتاً، أما إن رأيت أن هذا الفقير سوف يبيع هذا القوت ليشتري به ثياباً فالأولى أن تعطيه ثياباً، أو أن تعطيه مالياً إذا قضية مصلحة، العبرة في ذلك مصلحة الفقير، كيف لا والزكاة في الأصل نصابها نصابان نصاب ذهب ونصاب فضة، نصاب الذهب الآن تقريباً أربعون ألف، ونصاب الفضة سبعة آلاف، وقد أجمع العلماء على أن الترجيح بين النصابين ينبغي أن يكون لصالح الفقراء، معك أربعين ألفاً وآخر معه سبعة آلاف، الذي يملك سبعة آلاف لو قال: أنا نصابي

نصاب الذهب ما معي أربعين ألفاً، نقول له: صح، لكن لمصلحة الفقراء ينبغي أن تتخذ نصاب الفضة نصاب لك، لمصلحة الفقراء ينبغي أن تخرج على السبعة آلاف زكاة هذا المال، إذاً في هذه الأمور المصلحية، في هذه الأمور الفرعية، في هذه الأمور الاجتهادية، ينبغي أن نرجح مصلحة على مصلحة، عندنا معطي وعندنا آخذ، مصلحة المعطي أن يتخذ نصاب الذهب، ومصلحة الآخذ أن يتخذ نصاب الفضة، فالأولى أن يتخذ نصاب الفضة نصاباً كي تنفق على كل سبعة آلاف نملكها زكاة هذا المال.

زكاة الفطر ليست أمراً تعبدياً محضاً إنما هي أمر مصلحي واضح :

هناك نقطة مهمة جداً، هذا الفقير جاءه تمر، تمر، تمر، هو يريد في العيد كيلوان من التمر، صار عنده مئة كيلو تمر، لكنه بحاجة إلى كثير من الأشياء، فإذا كان سيبيع هذا القوت بثمن بخس نعطيه مالاً، أما إذا كان سيشتري بهذا المال قوتاً نعطيه قوتاً، هذا الرأي في هذا الموضوع. الوجه الثاني في هذا الموضوع: أن هذا الأمر ليس تعبدياً محضاً لا يجوز الخروج إلى غيره، إنما هو أمر مصلحي واضح، أي أن المقصود من صدقة الفطر منفعة المسلمين ومنفعة الآخذ والبالذ أيضاً، ولا شك أن مصلحة الآخذ أولاً، وأن إخراج القيمة خصوصاً إذا طابت بها نفس المعطي ونفس الآخذ وأنه أحب إليهما معاً، يحقق مقصد الشريعة في التوسعة على الناس بما فيه تحقيق مصالحهم وليس في هذا ما يعارض نصاً ظاهراً.

أيها الأخوة الكرام، أنا ما أردت أن أعالج هذا الموضوع وقد مضى رمضان لكن أردت أن تتخذ منه منطلقاً كي أوضح لكم أن في الدين أصولاً، في هذه الأصول كفر وإيمان، هدى وضلال، توحيد وشرك، استقامة وانحراف، وفي الدين فروع، أحكام جزئية، الاختلاف في الفروع ليس فيه هدى وضلال، وليس فيه إيمان وكفر، وليس فيه إتباع وابتداع، بل ليس في الفروع صواب ولا خطأ، في الفروع رأي راجح ورأي مرجوح، رأي قوي ورأي أقوى، هذا يجمعنا ويوحدنا، وتصح المقولة الرائعة نتعاون فيما اتفقنا ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا، وأنا أرى أن الإنسان إذا كان إخلاصه عالياً وحمله لهم المسلمين حقيقياً، هذا القضايا الفرعية لا يسمح لها أن تعيق العلاقة بينه وبين أخيه، اختلاف الفروع لا يسمح لها أبداً أن تصرفه عن أخيه، أو أن تنشأ بين الأخويين ضغينة أو بغضاً أو مشادة أو تهجماً أو سباباً أو قطيعة أو تحزباً أو تكتلاً، هذا كله لا يرضي الله عز وجل لأن الله جل جلاله يقول:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: ١٠]

قصة لعلها طرفة، رجل لا يصلي دعاه أحد الصالحين إلى الصلاة، قال: والله أنا لا أصلي لأنني لا أستطيع أن أصلي الفجر في وقته، لذلك أنا أدع الصلاة كلها، هذا الداعية من، قال له: صل الأربعة أوقات . قصد هذا الداعية أنه إذا صلى هذه الأوقات الأربعة حملته هذه الصلوات إلى صلاة الفجر . يبدو أن هذا الإنسان عد أن هذه فتوى وأشاعها بين الناس، فأقام المسلمون على هذا الذي أفتى له النكير، وأقاموا الدنيا عليه ولم يفعدوها، كيف تفتي بأربع صلوات؟ فقال لهم: أنا أقنعتهم بأربع صلوات، أقنعوه بالخامسة أنتم.

في تشدد أحياناً، يقول لك شخص: في الفاتحة إن لم تتقن أربع عشرة شدة فصلاتك باطلة، لا، هذا تطرف، وهذا غلو في الدين، والنبي ذكر الذي ينتفع في القرآن أي لا يتقن تجويده ولاسيما الأخوة طلاب العلم الأجانب من بلاد أخرى لا يتقنون الألفاظ العربية لأن المدرج الصوتي العربي أوسع مدرج في اللغات على الإطلاق، يسموها لغة الضاد، الضاد تنفرد بها لغتنا العربية، سمعت البارحة أن لغتنا دقيقة جداً، قال له: في كلمة بحنن وفي كلمة بجنن، الفرق نقطة، أي كلمة بتجن وتطلق زوجتك، بتجن وتفك الشركة، بتجن وتترك البلد، كلمة، وكلمة أخرى تحننك إلى بلدك وإلى زوجك وإلى أولادك وإلى شريكك، فكلمة بتجنن وكلمة بحنن، الفرق نقطة واحدة، فاللغة دقيقة جداً. مرة إنسان ضعيف باللغة أراد أن يتفصح قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

* * *

هو في جنهم إلى أبد الآبدين، الفرق حركة واحدة، هو البيت كما يلي:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

* * *

هذا صحابي جليل قالها قبل أن يموت، صلى ركعتين وواجه الموت بجرأة ما بعدها جرأة، قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

* * *

جاء إنسان متفصح قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

* * *

أيها الأخوة الكرام، نحن بحاجة إلى التعاون، والتحابب، والتناصر، وأن نكون صفاً واحداً، الآن ترون ما الذي خذل المسلمين في شرق آسيا؟ خيانات، أكثر القصد كان يأتي بإخباريات أرضية من

مسلمين ولهم لحي طويلة، يوجهون الطائرات، كي يقصفوا المئات بل الألوف ألم تسمعوا بذلك؟
خيانات، فنحن لا ينقصنا خلافات في الدين، ينقصنا حب في الدين ينقصنا إخلاص في الدين.

طرفه، أحد علماء الشام الكرام قال لي: كنت في الحج، قال: أنا شافعي أي لمس المرأة يفسد وضوئي، وأنا في الطواف، والطواف فيه ازدحام شديد جداً والخروج من الطواف إلى الوضوء يحتاج إلى ساعة ونصف تقريباً، قال لي أنا شافعي المذهب، لمستني امرأة خطأ فأنقلبت إلى حنفي كي لا أتوضأ، فجاء إفريقي وداس على قدمي فسال الدم وانقلبت إلى مالكي، قال لي: دخلت شافعي وأصبحت حنفياً وخرجت مالكيّاً، فأنا أقول: في الشدة لك أن تقلد وفي الرخاء لك أن تتخذ الأحوط، على كل الاختلاف اختلاف غنى وتنوع، والاختلاف في فروع الدين لا في أصوله، أصول الدين مغطاة بنصوص قطعية الدلالة، لا يختلف فيها اثنان ولا عالمان ولا مذهبان ولا اجتهادان ولا فقيهان، بينما فروع الدين فيها توسعة لأن فيها نصوص ظنية الدلالة، وكأن الله حينما أراد أن يكون نصه ظني الدلالة كي يسع هذا النص كل الحالات المتغيرة في المجتمعات الإسلامية في المستقبل.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢٣): وضع المعاق بين المسلمين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٣-٠٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحد أمراض القلب خطأ في التصور :

أيها الأخوة الكرام، تمنى علي أخ امتحنه الله بمصيبة أن أتحدث في درس من دروس الأحد عن وضع المعاق بين المسلمين، هذا موضوع دقيق جداً، أقول لكم بادئ ذي بدء القلب يمرض، أحد أمراض القلب خطأ في التصور، أن تعتقد شيئاً خلاف الواقع، أو أن تعتقد شيئاً لا يؤيده الحق، أبدأ هذه الفكرة بقوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

[سورة الفجر : ١٥]

جاء الجواب مع الردع:

﴿ كَلَّا ﴾

[سورة الفجر : ١٥]

الله عز وجل ما أقر مقولته هذه قوله،
الغني أحياناً يتوهم أن الله يحبه، والدليل
أنه أعطاه مالاً، هل غاب عن ذهن هذا
الغني أن الله أعطى قارون المال
ومفاتيح خزائن قارون لا يستطيع حملها



احد امراض القلب الخطأ في التصور

سبعة رجال، وبالمقابل أعطى سيدنا عثمان المال الوفير، أعطى سيدنا عبد الرحمن بن عوف المال الوفير، هل المال إكرام؟ لا، هو إكرام إذا أنفق في طاعة الله، إذاً هو نعمة موقوفة على طريقة استعمالها:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

[سورة الفجر : ١٥]

ليس المال أو الغنى مقياساً لمحبة الله إطلاقاً :

لذلك العوام لهم كلمات مضحكة، يقول لك أحدهم: إذا الله أحب عبده أراه ملكه، أي إذا ركب هذه الطائرات، وسافر إلى منتجعات سياحية، وغاص في المعاصي إلى قمة رأسه، معنى ذلك أن الله يحبه، كلام مضحك، سيد الخلق وحبیب الحق حدوده دمشق مكة والمدينة فقط، هذه المقاصف الحديثة ما رآها النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق وحبیب الحق.

أول نقطة: خطأ في التصور، أن تتصور أن الله إذا أعطى الدنيا إلى فلان فهو يحبه، هو قد يحبه، لكن لا لأنه أعطاه الدنيا، ما دامت الدنيا تعطى لمن يحب، ولمن لا يحب، إذاً ليست مقياساً للمحبة، ما دام المال أعطي لسيدنا ابن عوف، وسيدنا عثمان، وأعطي لقارون، إذاً ليس المال مقياساً لمحبة الله إطلاقاً، ومادام النبي كان فقيراً، وقد يكون الكافر فقيراً إذاً، والفقير ليس مقياساً، لكن الإنسان بشكل سطحي يظن إذا كان غنياً أن الله يحبه، وإذا كان فقيراً أن الله لا يحبه:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

[سورة الفجر : ١٥]

مقولته هو، توهمه:

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

[سورة الفجر : ١٥]

فيقول توهماً أو خطأ.

الحظوظ ليست نعمة ولا نقمة إنما هي حظوظ موقوفة على طريقة التعامل معها :

رد الله عز وجل:

﴿ كَلَّا ﴾

[سورة الفجر : ١٥]



ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرمان دواء، هذا الكلام هل المال نعمة؟ لا، نقمة؟ لا، ما هو إذاً؟ حظ موقوفة صفته على طريقة إنفاقه، هل الزوجة الكاملة نعمة أم نقمة؟

لا نعمة ولا نقمة، حظ موقوف على طريقة تعامل الزوجة معك، إن قضى حاجته منها ولم يعبأ بدينها، وإن شغلته عن طاعة الله، وإن حملته على معصية الله، وإن دفعته إلى كسب المال الحرام

كي يرضيها فهي نعمة، وإن كانت طيبة تسره إن نظر إليها، وتحفظه إن غاب عنها، وتطيعه إن أمرها، ولم تحمله فوق طاقته، ولم تكلفه ما لا يستطيع، ولم تدعه إلى معصية إرضاء لنزواتها فهي نعمة، تابع هذا الكلام، الذكاء إن استخدمته في الإيقاع بين الناس، وفي ابتزاز أموال الناس، وفي إيهامهم فهو نعمة، وإن استخدمت الذكاء في تعريف الناس بريهم فهو نعمة، وسامة المنظر الوسيم إن استخدم وسامته ليكون عنصر خير في المجتمع فهو نعمة، وإن استخدم وسامته ليغري الفتيات فهو نعمة، كل الحدود التي يمكن أن يمنحها الله للإنسان نعمة إذا وظفت في طاعة الله، ونعمة إذا وظفت في معصية الله، أوضح مثل المال: دعينا إلى افتتاح مسجد في يعفور قبل سنوات، الذي بنى المسجد متألق، بيت بناه الله، دعا علماء دمشق، وأقيم حفلاً، وألقيت كلمات، وصافحنا واحداً واحداً، وشعرت به ممتلئاً، نفسه تنمو بهذا العمل، خرجت من المسجد على الضفة الثانية ملهى فيه كل الموبقات هذا أنفق عليه مال، وهذا أنفق عليه مال، فلذلك يجب أن نعتقد بادئ ذي بدء أن الحظوظ ليست نعمة ولا نعمة إنما هي حظوظ موقوفة على طريقة التعامل معها، إن وظفتها في طاعة الله فهي نعم، وإن وظفتها في معصية الله فهي نقم، نعود إلى الآية:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

[سورة الفجر: ١٥-١٦]

الحظوظ التي في الدنيا وزعت توزيع ابتلاء وستوزع في الآخرة توزيع جزاء :

الرد الإلهي:

﴿ كَلَّا ﴾

[سورة الفجر: ١٥]

ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرمانني دواء، هذا الكلام من عنده مشكلة صحية، مشكلة اجتماعية، مشكلة مالية، مشكلة أسرية، مشكلة نفسية، هذه المشكلة ليست نعمة من الله، وليست إهانة من الله، إنما هي ابتلاء، إنما هي تقريب، دواء، تقريب من الله عز وجل، فأكبر مرض من أمراض القلب أن يخطئ التوهم، أن يخطئ التصور، أن يعتقد اعتقاداً غير صحيح.

فإذا إنسان ابتلاه الله عز وجل بشيء،
ابتلاه بنقص في حواسه الخمس، أو
بنقص في صحته، أو نقص في ماله،
أو نقص في زواجه فرضاً، أو عنده
مشكلة في عمله، في بيته، في أسرته،
في أولاده، في صحته، في دخله، هذا
ليس إهانة للإنسان وليس نقمة عليه إنما
هو دواء، إنما هو تقريب، لذلك نحن في



دار ابتلاء لا يوجد وصف لهذه الدنيا أبلغ من أنها دار ابتلاء، دار امتحان.

دققوا أيها الأخوة، الحظوظ التي في الدنيا وزعت توزيع ابتلاء، وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، وزعت توزيع بلاء وسوف توزع توزيع جزاء، كلام دقيق جداً، أنت في الدنيا وكنت في جامعة ما هي المقررات؟ ما هي مواد الامتحان؟ أنا أقول لك ما هي مواد الامتحان في الدنيا للمؤمنين؟ كل شيء من حظوظ الدنيا مالك منه شيء، فهذا الحظ مادة امتحانك مع الله، وكل حظ من حظوظ الدنيا منعت منه مادة ثانية، أنت ممتحن فيما أعطيت وأنت ممتحن فيما أخذ منك، ممتحن فيما نلت من الله وممتحن فيما زوي عنك منه.

من هنا كان دعاء النبي عليه الصلاة والسلام، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ:

((اللَّهُمَّ ارزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ اللَّهُمَّ وَمَا رَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيمَا تُحِبُّ))

[الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري]

الله تعالى عندما يأخذ من العبد بعض الصحة يعوض عليه قرباً وتجلياً وتوفيقاً :

الإنسان له طموح بشيء لم ينله لا يحترق قلبه كل حياته، يقول لك: والله هذه الزوجة لم أتفوق بها، يوجد شخص يندب حظه في الحياة لعل الله يعرف أن مقاومتك هشة، لو جاءتك زوجة كما تتمنى، وكما تريد في القمة لعبدتها من دون الله، ولأطعتها ونسيت أمر الله، ولأكلت المال الحرام إرضاء لها، فاجعل قول الإمام الغزالي شعاراً لك: ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، ليس في الإمكان أبدع مما كان، ما أنت فيه هو قمة الكمال بالنسبة إليك.



اسمحو لي بمثل من عالم السيارات: السيارة الشاحنة نقص مكان الركاب كمال فيها لأن مهمتها شحن البضاعة، فيها غرفة صغيرة تتسع للسائق ومعاونه، الأكبر مساحة للبضاعة، فنقص مكان الركاب كمال فيها، أما مركبة نقل الركاب أكبر مساحة للركاب وأقل مساحة للحاجات، كمال فيها نقص مكان حقايب السفر، في مركبة الركاب كمال

فيها، يوجد سيارة ثلاثة سيارات السباق أكبر مساحة للمحرك، ثلثي المساحة للمحرك، ومكان للسائق فقط، وهو بمستوى الأرض أي بمستوى العجلة هذا كمال فيها، أحياناً يكون النقص هو الكمال، أحياناً نقص المال هو الكمال، أحياناً نقص الصحة هو الكمال، يا داود مرضت فلم تعدي، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده.

سبحان الله يأخذ الله من العبد بعض الصحة ويعوض عليه قريباً وتجلياً وتوفيقاً وأمنياً وراحةً وتألقاً. منطلق الدرس قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا﴾

[سورة الفجر: ١٦-١٧]

الحظوظ في الدنيا موزعة توزيع ابتلاء وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء.

تفضيل الله عز وجل بعض خلقه على بعضهم الآخر وهذا ليس مقياساً في الدنيا :

كنت أذكر قصةً تناسب هذا المقام، مرة دخلت إلى بيت في أفخم أحياء دمشق صاحب البيت قال لي: مساحة البيت أربعمئة متر، قلت له: هنيئاً لك ما شاء الله، هذا البلاط جئت به من إيطاليا، شيء جميل، قال لي: هذه اللوحة، هذه القطعة من الأثاث أمضى وقتاً طويلاً في الحديث عن مستوى الأثاث، وعن مساحة البيت، وعن موقع البيت، وعن



انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ

ثمن البيت، أردت أن أنفع نفسي وأنفعه بشيء ذكرت له بيتاً في أفقر أحياء دمشق، وتحت الأرض، وشمالي، وغير مكسو، وفيه رطوبة، ومن دون أبواب، الله ألهمني صورة قاتمة جداً لبيت غير معقول لا يسكن فيه، قلت له: هل توازن بين هذين البيتين؟ قال: لا يوجد نسبة، عرضت عليه موازنة أخرى بين أعلى طبيب جراح وبين ممرض، مهمته تنظيف من عندهم سلس في البراز والبول، مسافة كبيرة جداً، بين أستاذ في الجامعة يحمل دكتوراه وأستاذ ذو كرسي وبين معلم في قرية يحمل طعامه وشرابه هو المدير والمعلم والآذن، فرق كبير جداً، بين رئيس غرفة تجارة وبين بائع صحون بأسواق دمشق كلما شاهد شرطياً يهرب منه، تاجر بتاجر، أستاذ جامعة بمعلم، رئيس أركان بمكتب مكيف وسيارات بجندي غر بخط المواجهة الأول، اثنين في الجيش مسافة كبيرة جداً، وازنت بين عمليين في الجيش، عمليين في التجارة، عمليين في التعليم، عمليين في الصحة، بيئين ثم ذكرت له قوله تعالى:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

[سورة الإسراء: ٢١]

حدثني أخ مهندس قال لي: يوجد حنفية في بيت ثمنها يساوي ثمن بيت، ثمن حنفية في بيت يساوي ثمن بيت، يوجد بيوت؛ أنا زرت قصر دولما بهجت في استنبول قاعة استقبال السلاطين مساحتها ألفين متر مربع، فيها ذهب خمسة طن، هذا بيت أيضاً، وترى في البادية خيمة هذا بيت أيضاً لا يوجد به شيء أبداً، الآية:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾

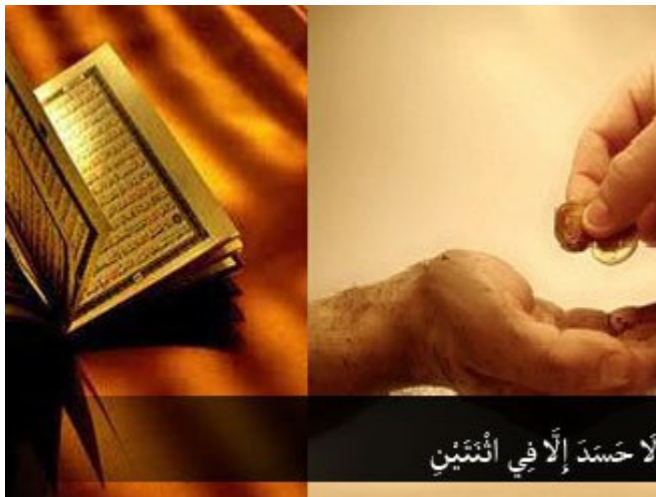
[سورة الإسراء: ٢١]

مراتب الدنيا مؤقتة وقد لا تعني شيئاً لكن مراتب الآخرة أبدية وتعني كل شيء :

لكن مراتب الدنيا مؤقتة مربوطة بنبض القلب توقف انتهى، مربوطة بقطر الشريان التاجي انسداد انتهى، مربوطة بسيولة الدم تجمد انتهى، مربوطة بنمو الخلايا نمت نمواً عشوائياً انتهى الإنسان، مراتب الدنيا مؤقتة وأقول كلمة لعلها قاسية ولا تعني شيئاً عند الله بل قد تعني العكس، بل حرف تقليل قد تعني العكس، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]



مراتب الدنيا مؤقتة وقد لا تعني شيئاً وقد تعني العكس ويوجد معها كآبة دائماً لكن مراتب الآخرة أبدية وتعني كل شيء،

كتاب موضوعات مختلفة - لفضيلة الدكتور م

لَا حَسَدَ إِلَّا فِي النَّمْتَيْنِ

وتعني أن صاحبها في أعلى مقام عند الله، لذلك المفروض أن نسعى إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، لذلك الحظوظ في الدنيا موزعة توزيع ابتلاء، وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، أضرب مثلاً: عاش رجلان عمراً واحداً، ستين بستين، إذا إنسان دخله أربعة آلاف، وعنده ثمانية أولاد، وبيته بالأجرة، كيف يعيش هذا؟ والآخر يملك ثلاثة وثمانين مليار دولار، عمره أربعون سنة، وعاش ستين سنة فرضاً، والاثنتان ماتوا، لو أن الفقير فرضاً نجح في مرض الفقر، ولو أن الغني رسب في امتحان الغنى انقلبت الآية، هذا في جنة إلى أبد الأبدين، وهذا في النار إلى أبد الأبدين معنى هذا الحظوظ وزعت في الدنيا توزيع ابتلاء.

أخوانا الكرام، ملاحظة دقيقة جداً، إن ذكرت الأغنياء والله الذي لا إله إلا هو لا أقصد إلا الأغنياء الشاردين عن الله، الأغنياء العصاة لله، لكن والله إن رأيت غنياً مؤمناً، والله تشتهي الغنى منه من سخائه، من بذل ماله، من تواضعه، من حل مشكلات المسلمين، والغنى قوة كبيرة في الحياة، العلم قوة، والغنى قوة، والمنصب قوة، والمؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْفُرْقَانَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يَنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ))

[متفق عليه عن سالم عن أبيه]

الغنى والعالم من أركان الدنيا :

والله مرة حضرت حفل ختام مسابقة قرآن كريم، وألقيت كلمة والله أبكت الجميع، المتكلم قال: أشكر هؤلاء الطلاب الصغار الذين أقبلوا على حفظ القرآن الكريم فهم رياحين الجنة وقال: أشكر هؤلاء المعلمين الذين جهدوا في تعليمهم وبيان أحكام القرآن لهم، وأشكر هؤلاء العلماء المحكمين الذين امتحنوهم، وأشكر هؤلاء الأغنياء الذين تبرعوا لكل حافظ لكتاب الله بعمرة وعشرة آلاف ليرة، وقال: المال شقيق الروح.

فيمكن أن ترقى إلى الله بعلمك، ويمكن أن ترقى بمالك، ويمكن أن ترقى بجاهك، بمنصبك، إذا أحققت الحق وأبطلت الباطل، فأنا حين أذكر الأغنياء والله لا أقصد إلا الغني الفاسق، الغني الجاهل، الغني المتعطر، الغني المتكبر إن أنفق ماله أنفق كبيراً وزهواً، وإن منعه منعه بخلاً ونقتيراً، فأنا حينما أذكر الأغنياء لا أقصد إلا من كان شارداً، من كان تائهاً، من كان لله عاصياً، أما المؤمن والله تشتهي الغنى منه لتواضعه، ومن سخائه، ومن رأفته بالناس، وتشتهي الفقر من الفقير لعزة نفسه، وتجمله، وإبائه أن يأخذ من غني، وتشتهي من كان في أعلى مستوى ثقافي لأن

ثقافته في خدمة الحق، وتنتهي من كان تحصيله محدوداً لكنه طيب القلب، فكلمة مؤمن لا يضاف عليها ولا كلمة أما إذا قلنا غني فينصرف الذهن إلى غني فاسق، إلى غني عاص لله عز وجل، لكن ليس الغني الشاكر كما قال النبي عليه الصلاة والسلام بأقل أجراً من الفقير الصابر، له أجر كبير، ماذا أفعل يقول سيدنا بن عوف: إذا كنت أعطي مئة في الصباح فيؤتيني الله ألفاً في المساء، الغني من أركان الدنيا والعالم من أركان الدنيا.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه: قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستتف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه استتف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه غيره.

رجل أقول لكم ملحد، ملحد ويدعو إلى الإلحاد، أصاب ابنته مرض عضال، طرق جميع الأبواب لم يجبه أحد إلا رجلاً من أصدقائه، قال له: اذهب إلى المسجد الفلاني، كان في المسجد إمام وخطيب، أظنه صالحاً، ولا أزكي على الله أحداً، لم يقل لهذا الخطيب: إن هذا الإنسان ملحد، بل إنه إنسان ابنته مريضة يحتاج إلى مساعدة، الأمر كان قديماً غير منضبط، ففي خطبة قال هذا الخطيب: يا أخوان، لكم أخ ابنته مريضة يجب أن نجمع له بعض المال، جمع لهذا الإنسان مبلغاً من المال، وأخذ ابنته، وعالجها في بلد غربي، وشفاها الله عز وجل، بعد أن عاد من هذا البلد الغربي لزم المسجد، وصار مؤمناً.

فإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه غيره، إذا ضيع العالم علمه استتف الجاهل أن يتعلم، إذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه غيره.

أمراض أخرى للقلب :

أيها الأخوة، أكبر مرض يصيب القلب الخطأ في التصور، تصور إذا الله أعطاني الدنيا معنى هذا أن الله يحبني، يحبني إذا كنت مطيعاً له فقط والدنيا مادامت تعطى ولا تعطى، تعطى للمؤمن وقد لا تعطى له، وتعطى للكافر وقد لا تعطى له، إذا ليست مقياساً، هذا خطأ في التصور، أن أتصور إذا أقبلت الدنيا فهذا دليل محبة الله، وإن أدبرت فهذا دليل أن الله قد أهانني، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا ﴾

[سورة الفجر: ١٥-١٧]

فهذا مرض من أمراض القلب أن تخطئ التصور، يوجد مرض ثاني أن تخطئ السلوك أن تحدثك نفسك بمعصية أن تمارس شهوة لا ترضي الله هذا مرض ثان، المرض الثالث من أمراض القلب أن يقهر عدو مسلماً، فالمسلم لخطأ في تصوره يظن أن الله تخلى عنه ولا يحبه، لا، الله عز وجل قال:

﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١٤]

بالنصر، معنى كان عنده شعور أن الله تخلى عنه هذا مرض، ولما قال عليه الصلاة والسلام: إنما شفاء العين السؤال، معنى هذا إذا في نقطة غامضة في ذهنك هذا مرض في القلب، وأختم هذا الدرس بأن الله عز وجل حينما قال:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]

القلب السليم هو القلب الذي سلم من شهوة تغضبه، وسلم من تصديق خبر يتناقض مع وحي الله، وسلم من عبادة غير الله، وسلم من تحكيم غير شرع الله.

الانتصار الحقيقي أن تكون ثابتاً على المبدأ :

هذا الكلام نحتاجه الآن، ليس الانتصار أن تكتسح أرضاً، ولا أن تقهر شعباً، ولا أن تبتز مالا، ولا أن تقعد على منابع النفط، وليس الانتصار أن تذلل الآخرين هذا الانتصار بمقياس الأرضي، ولكن الانتصار الحقيقي أن تكون ثابتاً على المبدأ كأصحاب الأخدود، أن تموت مؤمناً، أن تموت موحداً، أن تموت طائعا لله عز وجل.



هذه المفهومات خطيرة جداً في حياتنا إن استوعبناها ارتفعت معنوياتنا، وشعرنا أننا عند الله بمكان، والنبي عليه الصلاة والسلام ذاق الفقر هل عندكم شيء، بركم هل في بيوتات المسلمين اليوم بيت ما فيه شيء يؤكل إطلاقاً؟ مستحيل، قال: أعندكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فإني صائم، وأذاقه الله الغنى، قال له أحدهم: لمن هذا الوادي؟ وادي من غنم، قال له: هو لك، قال: أتهزأ بي؟ قال: لا والله هو لك، قال: أشهد أنك رسول الله.

أذاقه الله النصر، فدخل مكة مطأطئ الرأس، كادت ذؤابة عامته تلامس عنق بعيره تواضعاً لله عز وجل. وأذاقه القهر في الطائف قال: ربي إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبة حتى ترضى. وأذاقه أن تنتهم زوجته بالزنا هذه قليلة؟ يتحملها أحدكم هذه؟ حديث الإفك. أذاقه موت الولد قال:

((إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

أذاقه الهجرة، أنت في بلدك لك مكانة كبيرة، كل شيء يأتيك إلى البيت في الهاتف، لو ذهبت إلى بلد بعيد، لا يعرفك أحد، ما الهجرة؟ اقتلاع الجذور، أذاقه الهجرة. أذاقه أن تطلق ابنته، طلقت ابنته، ومات ابنه، وترك منزله وقال: أوذيت في الله وما أوذى أحد مثلي، وخفت وما خاف أحد مثلي، ومضى علي ثلاثون لم يدخل جوفي إلا ما يواريه إبط بلال.

لك أسوة حسنة في هذا النبي الكريم، نحن في أمس الحاجة إلى هذه الدروس، قال تعالى:

﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٣٩]

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٤٦]

أرجو الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢٤): آداب التعامل مع المعاق .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٣-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية الأدب في الإسلام :

أيها الأخوة الكرام، كما تعلمون الإسلام في مجمله عقائد وعبادات ومعاملات وآداب، فالآداب ربع الدين، قضية تتعلق بالعقيدة، قضية الصلوات مع العبادات، قضية الدين والوكالة والحوالة والطلاق والخلع مع المعاملات، قضية احترام الآخرين التواضع لهم خدمتهم متعلقة بالآداب، بل إن الذي لفت نظر أصحاب رسول الله في رسول الله هذا الأدب الجم، هذا التواضع، حتى أنه سئل: ما هذا الأدب يا رسول الله؟ قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

وإن لم يكن أدب المؤمن صارخاً يلفت النظر ففي إيمانه شك، لا يمكن لمؤمن أن يكون وقحاً، ولا أن يكون بذيئاً، ولا أن يكون فاحشاً، ولا أن يكون مستعلياً، ولا متكبراً، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

كنت أضرب هذا المثل كثيراً؛ إنسان فقير جاءه ضيوف كثر، لا يوجد عنده إلا كيلو لبن، أضاف إلى هذا اللبن أربعة أحجام، فجعله عيراناً، وقدمه لضيوفه أربع أحجامه، وبقي اللبن لبناً وسائغاً للشاربين، وقدم ضيافةً، أما لو وضع في هذا اللبن قطرةً من النفط أفسده، ولا بد من أن يستغني عنه، كذلك الكبر يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

في الدرس السابق تحدثت عن المعاقين بشكل أو بآخر، من كان حظه في الدنيا قليلاً، حظه من الصحة قليلاً، فقد بصره، أو فقد حركته، وبيئت أن الحظوظ في الدنيا توزع توزيع ابتلاء، لأنها سوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، فالعبرة لا للدنيا بل للآخرة، وبيئت أيضاً أنه من سوء الفهم، ومن سوء التصور أن تعتقد أن الله إذا حرمك شيئاً فأنت عنده مهان، لا والله، وأنه إذا أعطاك شيئاً فأنت عنده مكرم، لا والله، ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرمانني دواء، فالمؤمن بالحقيقة حينما ينطلق من تصور صحيح يتصرف تصرفاً صحيحاً، وأنا أؤكد لكم والله ما من سلوك منحرف إلا بسبب تصور منحرف، قد يبدو لكم هذا الموضوع ثانوياً، أو يعني فئة قليلة، لا والله، لو أن طفلاً صغيراً قصير القامة أو يوجد عنده عيب خلقي، والمعلم سخر من هذا العيب أمام زملائه، أقسم لكم بالله إن هذا المعلم في حق هذا الطالب مجرم، المعلم المؤمن يتجاهل هذا العيب تجاهلاً كاملاً، ويعامله كرفاقه تماماً، ويسأله، ويهتم له، ويثني على تفوقه، وكأن هذه العاهة ليست موجودة، هذا هو المؤمن، هذا هو الذي اصطبغ قلبه بكمال الله، لذلك كم من معلم أو معلمة، أو صاحب متجر، أو

رئيس دائرة فرضاً غضب من أحد موظفيه، أو من أحد معه في العمل فوصمه أو غيره بعيب خلقي، وكان قصةً ذكرتها قبل عدة أسابيع هي الآن مناسبة جداً.

إكرام كل من عرف الله وكل من استقام على أمره بغض النظر عن شكله واجب علينا:

إنسان دميم جداً، وقد ذكرت لكم أن بعض التابعين كان قصير القامة، أسمر اللون، أحنف الرجل، ضيق المنكبين، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، إذا غضِبَ غَضِبَ لغضبه مئة ألف سيف، لا يسألونه فيم غضب؟ فإنسان جاء النبي عليه الصلاة والسلام قال: يا رسول ماذا علي أن أعمل؟ ذكره بأركان الإسلام؛ تشهد أنه لا إله إلا الله، وأني رسول الله ونقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت إلى آخره، فقال: يا رسول الله لو أنني فعلت هذا ما لي عند الله؟ قال له: أنت رفيقي في الجنة، انظر إلى هذا التواضع بالمقياس الجمالي صفر، وما لم نحكم قيم القرآن في حياتنا نسقط من عين الله جميعاً، فقال له: أنت معي في الجنة، فقال: يا رسول الله ما بال هؤلاء الذين حولك لا يزوجوني؟ عرضت هذه القصة على أخ كريم متبحر في السيرة قال لي: هذا الرجل أكتع اليد، أعور العين، هكذا قال لي، فقال النبي: اذهب إلى بيت فلان، وقل لهم: إن رسول الله زوجني ابنتكم، ما هذا المجتمع؟ طرق الباب فتح الأب لقيه على هذه الحالة، ما صدقه، طرده سمعت ابنته فقالت: يا أبت ألا تخشى أن يسبقك الوحي إلى رسول الله فينبئه بما صنعت، إن رفضت من أجلي فأنا راضية به، انتهى الأمر. والله التقيت بإنسان زارني من بيروت، جاء إلى المسجد حدثني قال لي: تزوجت امرأة مؤمنةً كفيفة البصر، وهو شاب، والله كما يقولون كالوردة تماماً، هذا عمل عظيم أخلصت إليه إخلاصاً لا يصدق، المعاق يجب أن يعامل معاملة خاصة، سأتي على التفاصيل ينبغي أن تحترمه، هل تصدق إنك إن لم تسلم على كفيف البصر فقد خنته هو لا يراك، ورد في بعض الأحاديث أن ترك السلام على الضيرير خيانة، قد تجد إنساناً له لون معين، له طول معين، فيه عيوب بخلقه كثيرة جداً، أنت كمؤمن لا يمكن أن تتعامل معه إلا وفق مقياس العلم والعمل فقط، وفق علمه بالله وعمله الصالح فقط، وما لم نكرم كل من عرف الله، وكل من استقام على أمره فلا يقيم الله لنا يوم القيامة وزناً، مقاييسنا أرضية.

قصة تبين روعة المجتمع الإسلامي في عهد النبي الكريم :

عندما قالت له ابنته هذا الكلام خاف، وأسرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلغه الأمر، النبي عاتبه قال له: والله يا رسول الله ظننته كاذباً، وأشهد أنني زوجته ابنتي، وأبلغ النبي ما قالت له ابنته: إن كنت رفضته من أجلي فأنا راضية به، أي أنا أحترم رغبة رسول الله، هذا مجتمع المؤمنين، فقال له النبي: قل لابنتك: بارك الله لها في عمرها وفي مالها، جيء بالشاب عمك وافق، ماذا عندك يا

بني؟ قال: ما معي شيء، على باب الله، فأمر ثلاثة من أصحابه أن يحملوا عنه المهر، أحدهم سيدنا علي، وسيدنا سعد، وسيدنا عبد الرحمن، أعطاه كل واحد مئتي درهم ليشتري به حاجات العرس، العرس في نفس اليوم ليس عندنا سنتين تطلع روحه حتى يأتي العرس، في نفس اليوم، وإذا بمنادي الجهاد ينادي أن يا خيل الله اركبي، هذا الإنسان الذي ما كان يحلم بحياته أن يتزوج لولا تدخل النبي، ما كان يحلم بحياته أن يتزوج إلا بتدخل النبي، أثر الجهاد في سبيل الله فانضم إلى ركب المجاهدين، واستشهد، من شدة تأثر النبي كفته بيده، ودفنه بيده، وصلى عليه، اسمه سعد، وقال: هو رفيقي في الجنة، وأرجو الله أن يعوضه خيراً من زوجته.

هذه القصة انتهت، ما هذا المجتمع؟ فتاة تضع حظها من الشباب تحت قدمها أمام رغبة رسول الله، وشاب حلمه الأكبر أن يتزوج، أن يتزوج أبة امرأة، وكانت امرأته جميلة جداً، هذه المفارقة فأثر الجهاد، وأب سارع إلى إرضاء النبي، لو كان شبابنا وشاباتنا وأولياء الأمور بهذا المستوى ينبغي أن نملي إرادتنا على طغاة الأرض، مرة وزيرة زارت بلدنا الطيب، واستقبلها الوزير المماثل لها، ومعه كبار موظفي الوزارة، ويوجد رجل من كبار الموظفين متفوق جداً في اختصاصه لكنه ملتزم، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((إني لا أصافح النساء))

[السيوطي عن أميمة بنت رقيقة]

ولم يصافحها، فغضبت غضباً لا حدود له، فالوزير انزعج منه قال له: كانت تأكلك لو صافحتها؟ هكذا أخرجتنا، فمنعه أن يأتي على طعام الغداء، كان ثمة حفل تكريم، هي سألت عنه: أين فلان؟ هناك موظف عندك لم يصافحني، أريد أن أراه، اطلبوه، فاضطر أن يدعى ثانية إلى الحفل، فسألته: لم لم تصافحني؟ فقال: أنا مسلم، وأنا ملتزم، ومن تعليمات ديننا العظيم أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يكن يصافح النساء، أو لم يكن يصافح امرأة أجنبية، وأنت بالنسبة إلي امرأة أجنبية، فقالت للوزير: لو أن المسلمين أمثال هؤلاء لكننا تحت حكمكم، أنا قست على ذلك لو أن شبابنا وشاباتنا وأولياء أمورنا بهذا المستوى من الالتزام والحب لأملينا إرادتنا على أعدائنا.

أول موقف من مواقف المؤمن في التعامل مع المعاق أن يكون شاكرًا لله :

إذاً رأيت إلى هذا الأدب الجم مع المعاق، هذا الدميم معاق، الكفيف معاق، الأعرج معاق، أنا فيما أتصور لا يمكن أن يحس المعاق في مجتمع المسلمين أنه معاق هكذا والله إيماني، لا يمكن أن يحس المعاق بين المؤمنين أنه معاق، لأنهم يعاملونه كإنسان، يعاملونه كإنسان ذي كرامة في أعلى مستوى، أنا أعطيك مثلاً من واقع المسلمين، أيام يكون في طفل جميل الصورة حركاته لطيفة جداً، وكلامه عذب، وطفل سبحان الله ظلّه ثقيل، وحركاته غير مقبولة، الأب المؤمن يعامل الاثنين

معاملةً متساوية تماماً من حيث الاهتمام، من حيث تقبيله من حيث أن يضعه في حضنه من حيث الإصغاء له أبداً.

أذكر في السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يضع الحسن على ركبته، وكان جميل الصورة، وكان شبيه رسول الله، ويضع ابن سيدنا زيد؛ أسامة بن زيد حب رسول الله، وكان أسود اللون أفتس الأنف على ركبته اليسرى، وكان يضمهما، ويشمهما، وقد سمي الصحابة أسامة بن زيد حب رسول الله، ما نظر النبي لا إلى اللون، عيونه كبار، الحمار عيونه كبار أيضاً، ما نظر النبي لا إلى عينيه ولا إلى لونه، نظر إلى إنسانيته.

أحد علماء الشام توفي رحمه الله جاءه تلميذ قال له: أريد أن أتزوج، قال له: يا بني اخطب، قال له: اخطب لي أنت، قال له: يا بني هذا ليس عملي، فقال له: اخطب لي، قال له: ماذا تريدها؟ قال له: أريدها بيضاء، وعيونها كبار، قال له: حسناً، أعطني كيلوين قضامة، وأدخله على زريبة فيها حمامة بيضاء.

يجب أن يكون مقياسنا في التعامل مقياساً إسلامياً، طفل أجمل من طفل، الوظيفة، يوجد موظف معاق يجب أن تعامله كأنه تام.

مواقف للمؤمن في التعامل مع المعاق :

١ . أول موقف أن يكون المؤمن شاكراً لله فيما بينه وبين الله :

فأول موقف من مواقف المؤمن في التعامل مع المعاق أن يكون شاكراً لله فيما بينه وبين الله، لأن سيدنا زكريا:

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾

[سورة مريم: ٣]

دون أن تتحرك شفتاك، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه، هناك أناس فقدوا أحد أطرافهم، يوجد أناس عندهم عاهات صعبة جداً، وتراه صابراً راضياً عن الله عز وجل، فإذا أنت ذكرت بعاهته، أو ابتعدت عنه لعاهته سقطت من عين الله، فالمعاق يجب أن يعامل أرقى معاملة المعاق، يجب أن ينسى في مجتمع المؤمنين أنه معاق.

أبو سفيان يقف في باب عمر فلا يؤذن له، سيد قريش، وبلال وصهيب يدخلون بلا استئذان، فلما دخل عليه أبو سفيان عاتبه قال له: أبو سفيان يقف ببابك وبلال وصهيب يدخلان بلا استئذان، فقال له عمر: أنت مثلهما؟ حينما كان يعذبان في سبيل الله أين كنت أنت؟ كنت مع المعدبين.

لذلك أخوانا الكرام، لا أتصور معلم مدرسة، والله الذي لا إله إلا هو قد يقول معلم لطالب: أنت غبي، فتنشأ عنده عقدة ترافقه حتى الموت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

السيدة عائشة وصفت السيدة صفية رضوان الله عليهما بأنها قصيرة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((يَا عَائِشَةَ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُرِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمُرِجَتْهُ))

[رواه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها]

فأول أدب من آداب التعامل مع المعاق أن تشكر الله عز وجل دون أن تسمعه كلمة بينك وبين الله، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

٢ . الشيء الثاني أن تهتم به الاهتمام المعتدل:

الشيء الثاني أن تهتم به الاهتمام المعتدل، الاهتمام الطبيعي، هناك اهتمام يلفت النظر غير معقول، شدة الاهتمام تذكره بعاهته، وهناك إهمال يلفت النظر، ينبغي أن تهتم به كما كان صحيحاً، ينبغي أن تصغي إلى سؤاله أساساً، ما رأيت عالماً عند الله مقرباً إلا يهتم بأي سؤال، هناك جباية العلماء إذا السؤال غير جيد يسمع تهكم، يتهمك تهكم يحطم السائل، أنا أذكر هذا في التعليم، أحياناً طالب ضعيف في مادة، ضعيف جداً، يقول له: اجلس أنت لا تفهم، حطمته، هذا كيف علاجه؟ تعطيه سؤال سهل جداً فأجاب تقول له: بارك الله بك جيد هذا ستين، سبعين، أنت أنعشته لما جئت له بسؤال سهل فأجاب عليه وأثنت عليه أعطيته مكانة، الإنسان يعيش بكرامته، هذا الذي يدير صف أو يدير مجموعة إذا عامل المتخلفين أو المعاقين معاملة خاصة فيها ازدراء أو فيها إهمال، أنا لا أبالغ، ولم أكن متجنباً عليهم حينما أقول: هذا العمل يشبه الجريمة، لأنه يحطم نفسية إنسان إلى أمد طويل، وأكثر عقد الطلاب أحياناً من مدرسيهم في التعليم الابتدائي والإعدادي، مدرس قاسي جاهل أي مرتزق، أنا لا أرى في التعليم إلا أن تكون صاحب رسالة، ما من حرفة أشرف في الأرض من التعليم لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((وإنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((إنما بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ))

[أخرجه مالك عن بلاغ مالك]

تعريف جامع مانع: إنما بعثت معلماً إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وقال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ))

[الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ]

فالمعلم ينبغي أن يتواضع لمن يعلم، ينبغي أن يصغي لسؤاله، مثلاً سيدنا حنظلة جالس في الطريق يبكي مر به سيدنا الصديق قال له: مالك يا حنظلة؟ قال له: نافق حنظلة. كم إنسان يشكو لك همه، يشكو لك ابنه، الحمد لله عندي ولد ملائكة. هذا سوء أدب، شكا لك زوجته، عندي زوجة صديقة، لا، يجب أن تخفف عليه مصابه، قال له سيدنا الصديق: أنا كذلك يا أخي أنا مثلك انطلق بنا إلى رسول الله. ما هذا الأدب؟ ما جعله يستوحش جعله يستأنس، أنا كذلك يا أخي، النبي الكريم قال: أما أنتم يا أخي فساعة وساعة أما نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا، لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة، ولزارتكم في بيوتكم:

((والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة))

[مسلم عن حنظلة بن الربيع]

علينا أن نحترم المعاق كإنسان وكمؤمن :

أول بند أن تحمد الله فيما بينك وبينه على أن عافاك مما ابتلى به كثيراً من خلقه، أنا أنصح أخواننا من حين إلى آخر أن يطلع على مستوى حياة من هو أقل منه بكثير، كنت مرة في تركيا أخ كريم أحبه زرتة فإذا أهل زوجته من كبار الأغنياء قلت له: أين عمك؟ قال: في منتجع على البحر الأسود، هو تزوج ابنته، وهذه البنت همها الأول أن يكون زوجها طالب علم شرعي، فقبلته على فقره، قلت: والله هذه بطلة، هذه امرأة كبيرة عند الله عز وجل، كبيرة جداً آثرت أن يكون زوجها طالب علم شرعي، مع أنه كان بإمكانها أن تقترن بأغنى شباب تركيا، لكن آثرت العلم الشرعي، ورضيت بحياة متقشفة خشنة، لأن زوجها مؤمن، فالمرأة تشبه الرجل تماماً، هناك امرأة تريد أن ترضي الله عز وجل، فتضع حظها من الشباب تحت قدمها في سبيل مرضاة الله عز وجل. الحمد لله على أن عافاني مما ابتلى كثيراً من خلقه دون أن تسمعه.

العنصر الثاني أن تهتم به، عدم الاهتمام سلوك تعاتب عليه، أحياناً إنسان يجلس بجلسة عينه على واحد فقط يكون فتح ويهمل الباقيين، من آداب المحدثين الإنسان ينقل بصره بين كل أخوانه بين كل مستمعيه هذا التنقل يشد اهتمام الناس إليه.

أنا لي مقالة: كيف تؤثر بالآخرين؟ يوجد قواعد علمية إذا حدثت الناس كيف توزع نظرك على كل وجوههم، وكيف تهتم بهم، وكيف يكون الوقت معقولاً، قواعد علمية رائعة جداً في فن التأثير

بالآخرين.

شيء آخر هو أن تحترمه كإنسان وكمؤمن، والاحترام المتبادل علامة إيمانك، النبي عليه الصلاة والسلام سأله يمكن أحد أقل أصحابه شأنًا اسمه ذو اليمين صلى النبي ركعتين صلاة الظهر قال له: يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال له: كل هذا لم يكن باهتمام بالغ، قال له: بعضه قد كان.

هؤلاء العظماء أيها الأخوة أحد جوانب عظمتهم أنك إن رأيتهم هبتهم وإن عاملتهم أحببتهم، إن رأيتهم من بعيد هبتهم، لهم هيبة كبيرة، إذا احتككت بهم، إذا عاملتهم أحببتهم، متواضعون. من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام، ويجب أن يقلده كل إنسان أنه ما من إنسان التقى به إلا ظن أنه أقرب الناس إليه، ما من واحد من أصحابه التقى بالنبي عليه الصلاة والسلام إلا ظن أنه أقرب الناس إليه، معنى ذلك كان يوزع اهتمامه على كل أصحابه، يوزع ابتسامته على كل أصحابه، يوزع بشر وجهه على كل أصحابه، يوزع عطفه على كل أصحابه، يوزع رعايته على كل أصحابه، فلذلك الدعوة إلى الله تحتاج إلى حكمة بالغة وكل واحد منكم داعية إلى الله.

الإنسان ممتحن فيما أوتي وممتحن فيما زوي عنه :

الاحترام ينبغي أن يكون سلوكاً واضحاً في التعامل مع المعاقين، ولحكمة أرادها الله هذا الذي تراه معاقاً يعوض الله عليه في أشياء أخرى، فتجد ذاكرته قوية جداً، والله عندي كان طالب كفيف البصر في الصف العاشر، التقيت به بعد سنوات عدة في الجامعة حينما تحولت في القاعة، سلم علي باسمي مباشرة، عندي كان طالب كفيف بكلية التربية في امتحان عملي يلقي هذا الطالب درساً على طلابه كتدريب وامتحان، أنا حضرت درسه والله يتجول بين الطلاب إذا وصل إلى الحائط قبل خمسة سنتمترات يرجع، أنا اندهشت كأن معه رادار، الشيء الثاني فلان تكلم يشير إلى الطالب، وكأنه يراهم واحداً واحداً، فهذا الذي فقد بصره الله عز وجل كرمًا منه ورحمة يعوضه بقدرات فائقة جداً في جهة أخرى، فكل إنسان الله سلب منه شيئاً عوضه أشياء كثيرة، والله التقيت بكفيف قبل أسابيع ورجل صالح يخطب في جامع بحمص، وصار هناك ود بيننا، وذكر لي قلت له: والله في هذه الأيام العصبية في أيام الفتن والنساء الكاسيات والعاريات، والله لعل بعدك عن هذه المناظر من نعم الله الكبرى، العين الآن مشكلة كبيرة، منفذ للمعصية، الله عافاه من كل معاصي العين لكن أسألوا الله العافية، لا أحد يطلب من الله أن يفقد بصره حتى لا يرى النساء، لا، هذا خطأ، قال له صلى الله عليه وسلم بأدب لا يعلوه أدب: اللهم إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى لكن عافيتك أوسع لي.

أنت حينما تؤمن أن الدنيا مؤقتة والآخرة أبدية، هذا حُرْمِ نعمة البصر في الدنيا فقط وقد تكون بصيرته في أعلى مستوى، ثمة خطباء بمصر تركوا أثراً في العالم كله في القارات كلها، وهو كفيف

البصر، الله عز وجل إذا سلب شيء، أنا الذي أقوله دائماً إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبي، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي.

إذا كان رجلان عاشا ستين عاماً بالتساوي واحد حاد البصر، والآخر كفيف البصر، الحاد البصر رسب في نعمة البصر فملاً عينيه من الحرام، وكفيف البصر نجح في هذا الامتحان فرضي عن الله وصبر، وماتا، واحد في الجنة إلى أبد الأبد والآخر في النار إلى أبد الأبد، فأيهما أنجح عند الله؟ من امتحن فصبر، أنت ممتحن فيما أعطاك الله ممتحن فيما زوى عنك، خذها قاعدة الذي آتاك الله إياه أنت ممتحن به، والذي حرملك منه أنت ممتحن به، ممتحن فيما أوتيت، وممتحن فيما زوى عنك.

اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب.

من الأدب أن تحسن الظن بأخيك المعاق

الشيء الثاني الأدب الأخير أن تحسن الظن بأخيك، يوجد أناس كلامهم غليظ كلامهم قاس، ويوجد أمثال الله وكيلكم ما أنزل الله بها من سلطان، أمثال شيطانية فيها تجبر، أنت ابتعد عن هذه الأمثال التي يتناقفها العوام، ولو عرفوا معناها لعوتبوا عتاباً شديداً، هناك إنسان فجّ أرعن يقول لك: إذا ما فعل شيء الله لا يبتليه، لعل هذا ترقية عند الله، صحابة كرام فقدوا أبصارهم يعني لحكمة أرادها الله ما من مشكلة خطيرة في مجتمعنا إلا وابتلى الله بها نبينا، سيدنا لوط زوجته كافرة فإذا رجل زوجته غير جيدة، سيدنا نوح ابنه كافر، سيدنا إبراهيم أبوه، سيدنا زكريا لا ينجب، السيدة عائشة اتهمت في عفتها، النبي الكريم مات ابنه إبراهيم قال:

((إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

أي تقريباً الفقير، النبي ذاق الفقر، هل عندكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فإني صائم، الغني، النبي ذاق الغنى، لمن هذا الوادي؟ قال: هو لك، قال: أشهد أنك رسول الله، النبي ذاق القهر في الطائف، ذاق النصر في فتح مكة، ذاق موت الولد، ذاق تطليق البنت، طلقت ابنته وهو سيد الخلق، ثم ذاق زوجات متعبات، كان من الممكن أن تكون زوجاته دمي كلهن، أي شكل رائع مستسلمات وإن نظارها عليه، أي يوجد مشاكل داخلية في البيت، يوجد مشكلات، لو لم يوجد عنده مشكلة أسرية النبي لم يكن قدوة لنا، عنده مشكلة في البيت، جاءها صحن من الطعام اللذيذ من السيدة صفية، السيدة عائشة أصابتها الغيرة فرمته أرضاً، وكسرتة، فقال النبي: غضبت أمكم، غضبت أمكم، أي

بالتعبير المعاصر احتواها، استوعبها، كان من الممكن أن يعمل شيئاً لم يفعله أحد، قال: غضبت أمكم، غضبت أمكم، فذاق النبي غيرة النساء، وذاق مشكلات أسرية، وذاق موت الولد، وذاق الهجرة، وذاق الفقر، وذاق القهر، وذاق النصر، وذاق الغنى، أي كل شيء ذاقه، لذلك قال الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٢١]

أخ يسأل سؤالاً فقهياً: إذا كنت في مسجد، وأذن مؤذن هل لي أن أخرج إلى مسجد آخر؟ الحقيقة الخروج من المسجد بعد الأذان فيه مخالفة شرعية، العلماء استثنوا إمام مسجد آخر، أذن هو يحضر درس علم فرضاً، ينتهي عند العشاء، وهو إمام بجامع آخر في العشاء هذا إنسان معذور ينبغي أن يذكر بأنه معذور، أما أن يخرج من دون سبب ليس مقبولاً.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢٥): حرمة الاحتفال بأعياد غير المسلمين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٣-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

في أي موضوع الآراء الشخصية لا قيمة لها إطلاقاً القيمة الحقيقية للحكم الشرعي:

أيها الأخوة المؤمنون، أحاول دائماً بفضل الله عز وجل أن أجعل من درس الأحد هذا معالجةً لمعاناة يعانيتها المسلمون، والذي يلفت النظر كثرة الأعياد التي يحتفل بها المسلمون، والقضية ليست بسيطةً كما تتوهمون ولكنها قضية انتماء أو عدم انتماء، وقضية ولاء وبراء. فأنا حينما أقيم شعائر الله عز وجل، لكن مضمون



لا يجوز الاحتفال بأعياد غير المسلمين

حياتي والمناسبات التي احتفل بها، وأنماط السلوك اليومي، وطريقة الاحتفالات بالأفراح، وطريقة الأحران، وكل علاقات المسلمين مستوردة من الطرف الآخر، هذا يضعف انتماء المسلم لدينه، ويقوي انتماءه لغير دينه، يضعف اعتزاز المسلم بدينه وكأنه يؤمن بدين ويوالي جهة أخرى. لذلك أردت في هذا الدرس أن أبين حكم الشرع، ليس أحد من المسلمين مهما كبر شأنه مؤهلاً أن نأخذ منه، لكننا نأخذ من الكتاب والسنة، ففي أي موضوع الآراء الشخصية لا قيمة لها إطلاقاً، القيمة الحقيقية للحكم الشرعي، فأنت كائن لك إله عظيم، لهذا الإله العظيم تعليمات الصانع، افعل ولا تفعل، فما علي إلا أن أتبع تعليمات الصانع، لقد أجمع العلماء على أن مشاركة الكفار أو مشاركة الطرف الآخر . كلمة الطرف الآخر واضحة عندكم، لا أريد أن أقول عبارات تخدش أحداً، الطرف الآخر. أجمع العلماء على أن مشاركة الطرف الآخر في أعيادهم هي مشاركة لهم في شعيرة من شعائرهم، وهو إقرار عليها، وهذا قد يؤدي إلى ميل القلب إليهم، إلى موالاتهم، إلى أن تهواهم فمن هوي الكفرة حشر معهم ولا ينفعه عمله شيئاً، والآية الدقيقة الدقيقة الواضحة الواضحة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ ﴾

[سورة الممتحنة: ١]

ذلك أن عيد الأمة من أخص خصوصياتها، يدخل في صميم معتقداتها، وفي صميم ثقافتها، وفي صميم أنماط حياتها، فإذا شاركت أمة ليست مسلمةً في أعيادها، وفي أفراسها، وفي أتراسها، وفي عاداتها، وفي تقاليدها، وفي أنماط سلوكها، أنت اتجهت إليها، وواليتها، وأحببتها، وأنت لا تشعر.

هناك أمور حيادية ما تطرق لها النبي الكريم لأنها لا تقربنا من الله ولا تبعدنا عنه :



انت حر فيما لم يتطرق اليه الشرع

كما قلت قبل قليل: الأعياد من أخص خصائص الأمة، ومن أخص ما تتميز به ومن أظهر ما لها من شعائر هو في أعيادها، ومعلوم عندكم جميعاً أن النبي عليه الصلاة والسلام ما من شيء يقربنا من الله إلا أمرنا به، وما من شيء يبعدنا عن الله إلا نهانا عنه، هذه مهمته الأولى، هناك أشياء لا تقرب ولا تبعد حيادية النبي عليه الصلاة والسلام ما تطرق لها، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

لو أنك ارتديت ثوباً ذا لون داكن، أو ثوباً ذا لون فاتح أنتم أعلم بأذواقكم، في بلاد حارة اللون الفاتح يعكس أشعة الشمس، وفي البلاد الباردة اللون الداكن يمتص حرارة الشمس، والناس مختلفون في أذواقهم وفي طعامهم وفي أنماط بيوتهم، وفي أنواع أثاثهم هذه كلها حيادية لا تقدم ولا تؤخر، فكل شيء سكت عنه النبي عليه الصلاة والسلام حيادي، ليس له أثر سلبي ولا إيجابي، سكت عن هذه الأشياء رحمة بنا، تجلس على الأرض أثناء الطعام، على طاولة مرتفعة قليلاً، على طاولة عالية، أنت حر، هذا تابع للعادات والتقاليد ولأنماط السلوك ولمستوى الدخل، إلى ما هناك، لكن ما من شيء يقربنا من الله إلا أمرنا به وما من شيء يبعدنا عنه إلا نهانا النبي عليه الصلاة والسلام عنه، فإذا كان هناك حكمة بالغة من الذي أمرنا به، وإذا كان هناك حكمة بالغة من الذي نهينا عنه فإن هناك حكمة بالغة بالغة من الذي سكت عنه النبي عليه الصلاة والسلام.

أمرنا بأشياء ونهانا عن أشياء، الذي أمرنا به يقربنا وينجينا ويسعدنا، والذي نهانا عنه يبعدنا ويشقينا ويهلكنا، والذي سكت عنه حيادي لا علاقة له لا بتقربنا ولا بإبعادنا، فكل شيء خطر في بالك أن النبي عليه الصلاة والسلام ما تكلم به لم يحجم عن التكلم به نسياناً معاذ الله إنه لا ينطق عن الهوى، ولا يؤخر البيان عن وقته، إن الوحي يسدده.

لذلك الأعياد التي يحتفل بها الطرف الآخر ليس مسموحاً لنا أن نشارك فيها، وقد يبدو الأمر بسيطاً، لكنك إذا شاركت فيها انتميت إليهم، وواليتهم، وقد تعجب بهم، قد ينتهي بك الأمر إلى أن تكون على عقيدتهم وعلى توجههم.

بعض الآيات القرآنية المتعلقة بعلاقتنا مع الطرف الآخر :

أيها الأخوة، لو دخلنا في الأدلة حول هذا الحكم الشرعي لوجدنا الشيء الكثير، لكن بالمناسبة، وإنصافاً للحقيقة أتلو عليكم الآيات المتعلقة بعلاقتك مع الطرف الآخر:

﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾

[سورة التوبة: 7]

آية ثانية:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾

[سورة الممتحنة: 8]

آية ثالثة:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

[سورة المائدة: 2]

من هم القوم الذين تبغضونهم حكماً؟ الطرف الآخر لا تحملنكم كراهيتهم على ألا تعدلوا معهم، الأمر الإلهي اعدلوا هو أقرب للتقوى، بل إن المظلوم تستجاب دعوته ولو لم يكن أهلاً لهذه الاستجابة، تستجاب دعوته ولو لم يكن مطبقاً لشروط الإجابة، تستجاب دعوته لا لأهليته ولكن لعدل الله.

((اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))

[متفق عليه عن ابن عباس]

اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً. الشيء الآخر تستجاب دعوة المضطر، ولو لم يكن مؤهلاً للإجابة لا بحكم أهليته، ولكن لرحمة الله، تستجاب دعوة المظلوم بعدل الله ولو كان كافراً، وتستجاب دعوة المضطر برحمة الله ولو لم يكن مؤهلاً لهذه الإجابة.

إذاً يمكن أن تسلم عليهم، ويمكن أن تزورهم في بيوتهم، ويمكن أن تهنئهم بمولود لهم، كلامي دقيق، ويمكن أن تقدم لهم الهدايا، ويمكن أن تتصح لهم إذا عاملتهم، هذا كله من واجب المسلمين لكن ليس لك أن تقرهم على عقيدة يعتقدونها تخالف كتابنا وسنة نبينا، وليس لك أن تقرهم على احتفال بكرس عقيدة لا توافق كتابنا ولا سنة



نبينا.

الموقف المتعنت المتشج الضيق المتعصب هذا مرفوض في الإسلام، النبي عليه الصلاة والسلام وقف لجانزة صاحبها من أهل الكتاب وقف لها، فقالوا: أنقف لها؟ قال: أليس إنساناً؟ بلا تشنج وبلا تعصب وبلا ضيق أفق، لك أن تهنئهم بمولود، لك أن تزوره، لك أن تقدم له هدية، لك أن تعاونه، لك أن تتصح إذا بعته أو اشتريت منه، لك أن تدخل إلى بيته، ويمكن أن تدخل إلى معبده هذا مسموح لك، بل واجب عليك، بل مأمور به، لكن ليس لك أن تتمثل أنماط حياتهم.

أنا مضطر أن أذكر هذه القصة لعلي ذكرتها قبل يومين، دولة عظمى الدولة القطب سأسميها التي مكنت من العالم كله، عينت سفيراً لها في بلاد في أوروبا الشرقية في رومانيا، ومن تقاليد تعيين السفير أن يقام له احتفال توديعي في وزارة الخارجية، وينبغي أن يحضر وزير الخارجية هذا الحفل، وينبغي أن يأتي السفير مع زوجته لتشهد أحد أيامه العظيمة، هكذا تقاليدهم، والأمر بسيط جداً، أين زوجته؟ ليس معه زوجة، ولكن معه شريك جنسي، وهو الآن في بوخارست، دولة عظمى تعين سفيراً يصطحب معه شريكه الجنسي، قضية لا شيء عليها، ولا غبار حولها أبداً، ملكة لولا حادث سير لكانت ملكة في بريطانيا، في مؤتمر صحفي عقده، وبث على عشر محطات فضائية، وشاهده ثمانون مليون إنسان، وقالت ببساطة وبراءة الأطفال في عينيها: إنها زنت سبع مرات، مرة مع فلان الفلاني في الإسطنبول، ومرة مع فلان الفلاني، شيء طبيعي جداً، وزير الصحة البريطاني الحالي يقول: أنا شاذ جنسياً، ما مهمة وزير الصحة؟ مكافحة أخطر مرض وهو مرض الإيدز، ما أسباب مرض الإيدز الأولى؟ الشذوذ، وزير إيطالي قال: أنا شاذ جنسياً، الشواذ هناك في أمريكا، وفي أوروبا يرتقون إلى أعلى المناصب، قد تجد حاكم ولاية فهل يمكن أن تتوافق طبيعتنا مع طبيعتهم؟ مستحيل، شاب أحب فتاة استأذن والده في الزواج منها، هناك قال له: لا يا بني، إنها أختك، وأمك لا تدري، أحب فتاة أخرى استأذن والده لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري، أحب فتاة ثالثة، استأذن

والده، لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري فضجر، فحدث أمه قالت: يا بني خذ من تشاء، فأنت لست ابنه، وهو لا يدري.

من الخطورة بمكان أن يكون ولاؤك وانتماؤك لغير المسلمين :



من الخطورة أن يكون ولاؤك لغير المسلمين

هل يمكن أن نتوافق مع هؤلاء؟ هل يمكن أن يأتي خبير وقيم احتفالاً بمناسبة أن زوجته ولدت له مولوداً، وهو غائب عنها سنتين؟ أي احتفال هذا؟ وأي مولود هذا؟

فلا يمكن إذا أقيمت معه علاقة حميمة لا يمكن أن توافقه، ولا أن ترضى بأفعاله، فلذلك من الخطورة بمكان أن يكون ولاؤك لغير المسلمين، وأن يكون

انتماؤك لغيرهم، وأن يكون هواك مع غيرهم، وأن يكون توجهك إلى غيرهم، وأن يكون تعظيمك لغيرهم، يجب أن توالي المسلمين ولو كانوا فقراء، ولو كانوا ضعفاء، ويجب أن تتبرأ من الطرف الآخر، ولو كانوا أغنياء، ولو كانوا أقوياء.

الأدلة أنا أقول بدءاً من كلمة: باي، ما هذه الكلمة؟ سمعت طرفة ولكنها واقعة، محطة فضائية أجرت ندوةً حول معركة الخندق، والذي أدار الندوة مذيعاً متقلته، لما انتهت الندوة قالت المذيعه بالحرف الواحد: ميرسي الله الذي نصر محمد والكروب تبعه بمعركة الخندق، بالضبط محمد وليس مُحَمَّد، والكروب أي صحابته في معركة الخندق، يوجد بعد كبير جداً، فبدءاً من كلمة باي، هذه ليست إسلامية، قل: السلام عليكم، ليكن سلامك إسلامياً، ليكن بيتك إسلامياً، أن تقيم لأولادك عيد ميلاد هذا ليس من أنماط السلوك عند المسلمين، احتفل بعيد مولد النبي عليه الصلاة والسلام، وإذا قلت لي، بدعة أو سنة، دعك من هذا، الله عز وجل يقول:

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

[سورة هود: ١٢٠]

ما دام الحديث عن عيد المولد ونحن على مشارف ذكر مولد النبي عليه الصلاة والسلام، أبين لكم الموقف الوسطي بين المتشددين الذين يحرمون أشد التحريم، ويستنكرون أشد الإنكار أن يحتفل بعيد المولد، وبين الذين يقيمون كل المنكرات في احتفال عيد المولد.

إذا جمعت الناس وألقيت عليهم كلمةً في شمائل النبي فهذا جزء من الدعوة إلى الله :

مرة صلى في هذا المسجد أخ من بلد إسلامي، والله لفت نظري بوجهه المنير، وإقباله على الدروس، حضر الخطبة، ثم وجدته في درس الجمعة، ثم وجدته في درس الفجر، ثم في درس الأحد، لفت نظري إقباله على حضور هذه الدروس، يسكن في مكان قريب، دعوته إلى البيت فلبى الدعوة، رجل ورع وصالح ولا أزكي على الله أحداً، أنا عندي عقد قران احتفال، وحان وقته، واستحييت أن أعتذر عن متابعة اللقاء، قلت: أدعوه معي، عرضت عليه أن يذهب معي، يا لطيف استنكر أشد الإنكار، قال لي: أعوذ بالله لا أذهب، قلت: لماذا؟ قال: كله منكرات، أين المنكر اذهب معي، الصلاة في نهاية هذا الشارع منشد، موضوع النشيد أسماء الله الحسنى، شيء رائع جداً، وألقيت كلمة، وقدمت لنا ضيافة، أقسم بالله يكاد يصعق أنه هكذا أين المعصية؟ قال لي: أنا تصورت أنه يوجد راقصات، تصور بعقد القران يوجد راقصات ومغنيين ومغنيات ومطربين ومطربات، الأحياء منهم والأموات، معاذ الله، قلت له: أعوذ بالله، قال تعالى:

﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

[سورة هود: ١٢٠]

إذا كان قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سيد الخلق وحبیب الحق يزداد ثبوتاً بسماع قصة نبي دونه، فلأن يستمع مؤمن في آخر الزمان مقصر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، إلى شمائل النبي، إلى أخلاق النبي، إلى منهج النبي، ويتأثر من باب أولى، إذا جمعت الناس، وألقيت عليهم كلمةً في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم هذا جزء من الدعوة إلى الله، الدليل قوله تعالى:

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾

[سورة المؤمنون: ٦٩]

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ فِرْدَاقٍ وَفِرْدَاقٌ ثَمَّتْ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾

[سورة سبأ: ٤٦]

الأعياد دقيقة جداً في التعبير عن خصوصيات الأمة وعقائدها وقيمها واتجاهاتها :

إن جمعت الناس وذكرتهم بشمائل النبي،
ويمنهج النبي، وبأخلاق النبي،
وأطعمتهم الطعام، وقد قال عليه الصلاة
والسلام:



لا مانع من الاحتفال بعيد المولد النبوي

((... طَيِّبُ الْكَلَامِ وَيَذُلُّ السَّلَامَ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ...))

[أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ]

ماذا فعلت؟ أين المعصية؟ أين المخالفة؟ أين البدعة؟ ولكن إذا قلت: الاحتفال بعيد المولد عبادة فهي بدعة، الاحتفال بعيد المولد جزءاً من الدعوة إلى الله هكذا بالضبط، ويمكن أن تحتفل بعيد المولد في أي يوم من العام فقط على مدار العام، وأن تذكر الناس بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، ويشمائل النبي، وسيرة النبي، وفضائل النبي، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم، وأن تطعمهم بعض الطعام، إذا أدخلت هذا تحت نشاط المسلم في الدعوة إلى الله لا شيء عليك إطلاقاً، أما إذا قلت إنه عبادة فلا ليس عبادة، هذا ضمن نشاط المسلم العام.

إذاً الأعياد دقيقة جداً في التعبير عن خصوصيات الأمة، وفي التعبير عن عقائدها، وفي التعبير عن قيمها، وفي التعبير عن اتجاهاتها أكبر دليل على ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ﴾

[سورة الممتحنة: ١]

آية ثانية:

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾

[سورة النساء: ١٠١]

آية ثالثة:

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

[سورة الأعراف: ١٤٢]

المؤمن يكرم والدته كل يوم وليس بحاجة إلى يوم عيد الأم :

يمكن في احتفال أن تكون امرأة كأنها في يوم عرسها بين الرجال؟ مستحيل، عندهم اختلاط، عندهم شرب خمر، عندهم أشياء منكرة كثيرة، يقول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

[سورة الأعراف: ١٤٢]

وفي آيات أخرى:

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة المائدة: ٥١]

أنا طبعاً ذكرت هذا لأن الاحتفال أحياناً بأعياد كأعياد الحب، متى ظهر هذا العيد فجأة؟ متى أصبحت الدنيا كلها حمراء؟ ما أصل هذه القصة؟ نحن لسنا بحاجة إلى هذا العيد إطلاقاً، طبعاً بعد أيام هناك عيد الأم، والله أيها الأخوة، والله ولا أبالغ إن المسلم عنده في السنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً عيد أم، لا ينقصه يوم، إذا كان مؤمناً صادقاً، هل يستطيع ألاّ يكرم والدته كل يوم؟ كل يوم، وفي أولاد صباحاً ومساءً يزورها ويحترمها ويلبي رغبتها ويقبل يدها هكذا.

كنت في بلد غربي امرأة تسكن إلى جوار من كنت في ضيافته، امرأة عمرها في الخامسة والستين، إن لم تقم وتستقل سيارة ساعة ونصف صباحاً إلى مقر عملها وساعة ونصف مساءً، وأن تعمل في قطع تذاكر مكان للألعاب ثمان ساعات تموت من الجوع، وعندها أربعة أولاد في البلدة نفسها، أين أمهاتنا نحن؟ معززة مكرمة، حاجاتها عندها، تقبل يدها صباحاً ومساءً، فنحن عندنا ثلاثمائة وخمسة وستون يوم عيد أم، من شدة عقوق الوالدين أحدثوا هذا العيد، نحن لسنا بحاجة إلى هذا العيد.

مواقف تبين الفرق الكبير بين حياة الإنسان في الغرب وحياته في بلادنا الإسلامية :



حدثني أخ ذهب إلى ألمانيا ما وجد فندقاً في معرض مشهور، فاضطر أن يسكن في بيت عند امرأة، أقسم لي بالله أنه في كل حياته وعمره يزيد عن ستين سنة ما وقعت عينه على حديقة في بيت أجمل من حديقة هذا البيت الذي سكنه في ألمانيا، السبب أن الأم تجهد طوال العام في تزيين البيت، وإعداد الحلويات، وأطيب الطعام كي تقنع أولادها أن

يزوروا في العام مرة واحدة، قال لي: يوم كنت عندها اعتذروا عن الحضور بكت بكاءً كادت أن تموت، هذه الحديقة من أجل أن تغريهم بالزيارة، أين نحن؟ كل يوم عشاءً، ما رأيته يا بني، البارحة كنت عندك، لا، يجب أن تأتي كل يوم من ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، بخل أولادها أن يزوروا مرة واحدة، قال لي: والله ذهبت إلى السوق، وأتيتها بهدايا فزاد بكاءها.

عندنا قانون لا يعين الإنسان بوظيفة على أساس دكتوراه في سوريا إلا إذا كان يحمل شهادة ثانوية من سوريا، هذا القرار أبعد عنا أناساً خبراء كثيرين ذهبوا إلى بلاد الغرب قبل الشهادة الثانوية، مادام

لا يحمل شهادة ثانوية مهما تكن شهادته عالية المستوى لا يعين، انتبهوا وأحدثوا شهادة اسمها ما يعادل الثانوية وأربع مواد؛ لغة عربية، تاريخ، جغرافيا، ومادة أخرى، فأنا كنت مكلفاً بتصحيح أوراق اللغة العربية على أربع سنوات، طرق بابي إنسان، الآن دققوا قال لي: أنا طبيب معي شهادة من كامبريدج، ولي عيادة، ودخلي فلكي، هكذا قال لي: سيارتي جاكوار، لكن أردت أن أعود إلى بلدي، فأرجو أن تساعدني في موضوع الامتحان الذي قدمته البارحة، قلت له: والله أنا لا أرسب أحداً، من قناعتي أنه ينبغي أن نسترجع أبناءنا المتفوقين، ما سبق أن رسبت طالباً، وهو فحص شكلي، ولكن قل لي: لماذا أردت أن تعود إلى بلدك؟ قال لي: أنا أسكن في بناء مؤلف من أربع طوابق في الطابق الرابع، وفي أيام الشتاء القارس في لندن، لندن باردة جداً في الشتاء، رجل يسكن في الطابق الأخير اكتشفنا قبل حين أنه ميت من ستة أشهر، وبسبب إحكام البيت، والبرد الشديد تأخرت رائحته التي لا تحتمل إلى هذا الوقت، اقتحموا عليه بيته وجدوه ميتاً، له أربعة أولاد في لندن، ما خطر لواحد منهم أن يزوره في هذه الأشهر الستة مرة واحدة، قال لي: رأيت مصيري هناك. أنت في الشام أولادك لك، ابنك، الأب محترم، الأم محترمة، وقف إنسان على نهر السين شارداً، لي صديق ذهب بمهمة إلى فرنسا قال لي: أنا أنتزه وجدت شاباً في أول حياته شارداً، أحب أن يتدرب باللغة عن طريقه سأله بالفرنسي: أراك مهموماً، قال له: بَمَ تفكر؟ قال له: في قتل والدي، قال له: لماذا؟ قال له: أحب فتاةً رائعة الجمال أخذها مني، وأصبحت عشيقته. نحن عندنا هكذا في الشام؟ ما عندنا، عندنا في الشام الأب همه الأول تزويج أولاده، ويمكن أن يبيع بيته ضمن المدينة ويشترى به أربعة بيوت خارج المدينة، ويسكن معهم خارج المدينة، هذا من وفائه لأولاده، من الصعب أن يكون هناك تمازج بين الطرف الأول وبين الطرف الآخر، أنا هذه قناعتي، لكن يكفي أن تعظمهم.

صور من الواقع تؤكد استحالة الانسجام مع الطرف الآخر :

أذكر هذا كثيراً أجمل مدينة في أمريكا بغرب أمريكا اسمها سان فرانسيسكو، بأي مكان الفيلا الكاملة بثلاثمئة ألف دولار، ثمنها تقسيطاً، في المدينة ثمن البيت خمسة ملايين، بيت مئة متر خمس ملايين من أجمل مدن العالم، خمسة وسبعين من سكانها شاذون جنسياً جنس مثلي، امرأة مع امرأة، ورجل مع رجل، كثير صعب التمازج،



يستحيل الانسجام مع عشوائية مفاهيم الطرف الآخر

فذلك أن تحتفل كاحتفالاتهم، وأن تعظمهم، وأن ترى أنهم أذكاء جداً، وأنهم متفوقون، وأنهم أصحاب حضارات، والله نحن أصحاب حضارات والله لا أبالغ، نحن حينما فتحنا القدس ما قتل إنسان واحد من الفرنجة، بل إن امرأة ضاع ابنها وقف سيدنا صلاح الدين إلى أن عاد ابنها، أما هم عندما فتحو القدس ذبحوا سبعين ألف إنسان في يوم واحد، اسمعوا الأخبار يوجد ألف إنسان ميت في هذين اليومين في القصف، ولا علاقة لهم بأي موضوع، أرقام المقتولين بالقصف بعشرات الألوف. موت كعقاص الغنم، لا يدري القاتل لم يقتل، ولا المقتول فيما قتل، يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير.

ماذا قال خطيب في ألمانيا قبل شهر؟ أول دولة أباحت الشذوذ بريطانيا، تبعها هولندا، ثم تبعها ألمانيا قبل عدة أشهر، فالشاذ إنسان محترم جداً، معه بطاقة، وله زوج شريك، وهذا الشريك مسجل في القيود، شيء طبيعي جداً، خطيب ندد بالشذوذ من على منبر رسول الله، النتيجة سحبت منه الجنسية الألمانية، وأجبر أن يدفع خمسة عشر ألف مارك هناك، أنا أنقل لكم صوراً من أجل أن تعتقد أنه مستحيل أن تنسجم معهم.
هذه بعض الأدلة القرآنية:

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٤٢]

نحن ماذا نعمل في أعيادنا؟ نهني بعضنا، ونطيع ربنا، ونكبر ربنا، هم ماذا يفعلون؟ يطفئون الأنوار في الساعة الثانية عشرة، وماذا مع إطفاء الأنوار؟ الله أعلم، في أعيادهم، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))

[أبو داود عَنْ ابْنِ عُمَرَ]

تخلى الله عن المؤمنين لأسباب وجيهة جداً :

والله دخلت إلى بيت صاحبه مسلم، عنده بار في البيت وهو لا يشرب الخمر تقليداً لهم، والله في بعض البلاد الإسلامية لا يحلو لهم إلا شرب عصير التفاح بقارورة تشبه قوارير الخمر، تماماً إذا ما أتيح له يشرب الخمر يشرب شيئاً مثل الخمر، عصير التفاح يوضع في عبوات تشبه زجاجات الخمر تماماً في شكلها، وفي لونها، أليس هذا اعتزازاً بهم؟ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الَّتَبِعَنَ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ قَالَ فَمَنْ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

معقول مصمم أزياء يهودي في فرنسا يصمم أزياء تكشف عن كل مفاتن المرأة، والمسلمون يرضون عن زوجاتهم، وعن بناتهم أن يرتدوا هذه الأزياء، وهذا هو الإسلام؟ انظر ماذا في الطرقات!!؟

((الْتَتَبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ))

[متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه]

أي الموضة، بنطال كاحت، يصنع القماش، ويصبغ القماش، ثم يكحت القماش، مرة يكون كاحت الجينز، إذا ليس كاحتاً مكان بياضه زائد، ومكان غامق يكون الإنسان متخلفاً. مرة له خيوط من تحت وإلا يكون متخلفاً، يجب أن يكون البطن ظاهراً، نساء البطن ظاهر هكذا الأزياء الحديثة، هذا دليل رقي.

أنا أقول لكم: إذا عجبتم من أن الله تخلى عن المؤمنين هناك أسباب وجيهة جداً، تخلى الله بها عنهم.

((الْتَتَبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ))

[متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه]

علينا أن نشكر الله على أننا نعبده ولا نعبد سواه :

حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبرٍ ودرعاً بدرعٍ فقيل يا رسول الله كفارس والروم فقال ومن الناس إلا أولئك))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

يوجد أدلة تفصيلية قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

[سورة الفرقان: ٧٢]



اشكروا الله على نعمة الاسلام

نقل بعض العلماء والمفسرين: إن معنى لا يشهدون الزور أي لا يشهدون أعياد الكفار الطرف الآخر، مثلاً بالهند يموت الرجل ويحرق ينبغي أن تحرق امرأته معه، ما بها شيء، عندنا في الدين

كتاب موضوعات مختلفة - لفضيلة الدكتور م

العظيم ترثه، ولها أن تتزوج من بعده، ولها ميراثها منه، ولها شأنها أما هناك ينبغي أن تحرق مع زوجها.

ينبغي أن يوضع روث البقر في غرف الضيوف، لأن هذا ما يخرج من الإله، يعبدون البقر من دون الله فإذا دخلت بقرة إلى محل فاكهة صاحب هذا المحل عنده عيد، مهما أكلت من أعلى أنواع الفاكهة هو في سرور ما بعده سرور، لأن الإله دخل إلى دكانه، وأكل من بضاعته.

والله أيها الأخوة، اشكروا الله على أنكم تعبدون الله، والله أطلعني أخ أعطاني مجلة وهي عندي عن أناس يعبدون الجرذان في الهند، الجرذان ومعبد فخم جداً، وفيه مئات الجرذان، كنت مرة في لوس أنجلوس أحد الأخوة الكرام والآن هو في الشام قال لي: لا بد أن آخذك إلى أحد معابدهم بعيد عن المدينة سبعين ميلاً، وصلت إلى هناك بناء تكلفته ستة ملايين دولار أي ما يعادل ثلاثمئة مليون ليرة، شيء لا يوصف، وسط غابة على مدخل المعبد وجدت كسرة جوز هند، لماذا هذه؟ قال: الآلهة يحبون جوز الهند، دخلنا إلى المعبد وجدنا صنماً من البرونز صدره ألماس برلنت، هذا أعلى شيء، مقدر صدره حوالي مليون دولار ألماس، ثلاثة أصنام، دخل رجلاً تبدو عليه ملامح الثقافة العالية انبطح أمام هذا الصنم ساجداً، وأنا مندهش لما أرى، ثم رأيت، وسألت: هذا جوز الهند من يأكله؟ قال: الآلهة يأكلونه في الليل، في الليل يأكلونه وليس في النهار، يأكلوه الكهنة، طبعاً خرافات بخرافات، ومتقفون، ويحملون الدكتوراه أحياناً.

أي نذر في معصية باطل :

إذا كانت عقيدة شخص صحيحة فليشكر الله عز وجل، والله يوجد بلد الذي قيل أنها أول بلد في العالم بالصناعة وهي اليابان، يعبدون ذكر الرجل، أحد أخوتنا الأكارم أقام هناك سنوات طويلة، واستطاع أن يدخل إلى معابدهم، يعبدون ذكر الرجل، أين نحن؟ نعبد الله، معنا دين عظيم، معنا وحي السماء، معنا منهج صحيح متكامل:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

[سورة الفرقان: ٧٢]

أي لا يشهدون أعياد الطرف الآخر. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

((كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا وَقَدْ أَبْدَلَكُمْ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى))

[أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ:

((نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ كَانَ فِيهَا وَشَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وِفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ))

[أبو داود عن ثابت بن الضحَّاك]

نذر وهو مسلم أن يذبح ناقة في مكان، سأل النبي: في هذا المكان أيعبد غير الله؟ قال: لا، فيه عيد للطرف الآخر؟ قال: لا، قال: أوف نذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية، فإذا شخص نذر ألا يصلي ماذا يفعل؟ لا يصلي، يجب أن يصلي، أي نذر في معصية باطل، يقول الله عز وجل:

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

[سورة المائدة: ٤٨]

وروى البيهقي بإسناد صحيح في باب كراهية الدخول على المشركين يوم عيدهم والتشبه بهم يوم نيروزهم ومهرجانهم عن عطاء بن دينار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تعلموا رطانة الأعاجم.

كلمة BYE هذه من رطانتهم، يوجد كلمات كثيرة الطبقة الراقية يستخدمونها، OK، قال له: يا بني تكلم بالعربي؟ قال له: OK، شخص سأل شيخاً قال له يا سيدي: هل حرام تعلم اللغة الإنكليزية؟ قال له: NO.

علينا أن نعتز بديننا وبأعيادنا ونبتعد عن كل ما يضعف انتماءنا لهذا الدين :

محور هذا الدرس أنه قد أجمع جميع فقهاء المسلمين على تحريم التشبه بالكفار، وحضور أعيادهم، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، من ذبح بطيخة في يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيراً، هذه بعض الأقوال.

أيها الأخوة، ما كنت في حاجة إلى مثل هذا الموضوع لولا أنني شاهدت المسلمين ومعهم الكتاب والسنة، ومعهم وحي السماء، ومعهم منهج نبيهم، ومعهم بطولات لا يعلمها إلا الله، لأن إقبالهم على

الاحتفال بأعياد الطرف الآخر، ولو كانت بدعية عندهم، عيد الحب بدعي عندهم، والله يوجد قصص سمعتها عن هذا العيد لست متأكداً منها، لذلك لا أرويها لكن أنا في البحث عنها، غير معقول، لو قرأنا السنة والسيرة لوجدنا فيها ما يغني، ما يملأ كل مشاعرنا، وكل قلوبنا، وكل أفكارنا بقيم ومبادئ وآراء رائعة جداً.

أيها الأخوة الكرام، كل شيء يبعثك عن أن تكون في صميم الدين خطير في حياتك، وكل شيء يقربك من أن تكون في صميم هذا الدين نافع لك في حياتك، فأنت حينما تتوهم أن الدين خمسة بنود؛ صوم وصلاة وحج وزكاة وشهادتان أنت لا تفقه شيئاً، الدين أنا لا أبالغ خمسمئة ألف بند، فلك عيد، ولك قيم، ولك منهج، ولك دستور، ولك شرعة، ولك منهاج، ولك نظام، ولك شريعة، ولك حل لكل مشكلة يعانيتها الناس، فلماذا نزهد في هذا الدين العظيم، وتتعلق بما يفعله الآخرون؟ مثلاً بالأعراس لا بد من أن يجلس العريس إلى جنب العروس أمام جمع غفير من النساء الكاسيات العاريات، من قال هذا؟ التقاليد التي تصادم منهج الإسلام تترك بالقدم، أن نصور هؤلاء النساء وهن كاسيات عاريات، ولهم أزواج، وأن يهدى الشريط من بيت إلى بيت، وأن يسأل من هذه؟ والله هذه جميلة جداً؟ هذه ابنة فلان، هذه زوجة فلان، هذا هو الدين، حدثني أخ يبدو ضعيفاً في بيته، ويوجد عرس لابنته، ويجب أن يصور تصويراً، بذل المستحيل، لم يستطع فجاؤ للمصورة قال لها: كم تريد؟ قال له: ألفين، قال لها: هذه أربعة آلاف ولكن من دون فيلم، فرح الجماعة، التصوير قائم على قدم وساق، ثم اكتشف أنه لا يوجد فيلم في الآلة، كل شيء فيه مخالفة للدين ينبغي أن نبتعد عنه، وبقوة لا بضعف، لا برجاء، لا بليوننة، المؤمن وقاف عند كتاب الله:

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾

[سورة مريم: ١٢]

أما حينما نتساهل، بالأعراس يوجد تساهل، بعقود القران يوجد تساهل، أي نسأل الله العافية، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الدرس عوناً لنا على أن نعتز بديننا، وبأعيادنا، وبتقاليدنا، وبأعرافنا، وبمنهجنا في الحياة، وأن نبتعد عن كل ما يضعف انتماءنا لهذا الدين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه و سلم.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الاسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢٦): المحكمات في الدين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٦-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الباطل متعدد والحق واحد :

أيها الأخوة المؤمنون، موضوع هذا الدرس مشكلة يعاني منها المسلمون؛ اضطراب المعايير، المسلم خالي من الحق يتلقى مقولات في الدين، هذه المقولات مصادرها متباينة مختلفة وقد تبدو متناقضة، ففي حيرة كبيرة، ملخص هذه الحيرة أن:

كلاً يدعي وصلاً بليلى و ليلى لا تفر لهم بذاك

* * *

ما الحل؟ أي موضوع الباطل متعدد والحق واحد، الحق لا يتعدد، الباطل متعدده لانهائي بدليل أن الله عز وجل حينما قال:



﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾
[سورة الأنعام: ١٥٣]



بدليل قوله تعالى:

﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٧]

الظلمات جمع والنور مفرد، يوجد دليل رياضي بين نقطتين لا يمر إلا خط مستقيم واحد، و لو حاولنا أن نمرر مستقيماً آخر لانطبق عليه، لكن بين نقطتين يمر مليون مليون خط منحني منكمس، لذلك أيها الأخوة محاولة استيعاب الباطل مستحيلة، هكذا قرأت أنه يوجد لعبة في الكمبيوتر خمسة وأربعون ألف نوع، لو أن الطالب أمضى بكل نوع ربع ساعة يحتاج إلى عمر نوح، معنى ذلك أن

الباطل لا يستوعب، وأي محاولة لاستيعاب الباطل محاولة مستحيلة، البديل استوعب الحق، البديل واضح جداً، والبديل سهل جداً، والبديل قصير جداً.

الثواب والمتغيرات :

أنت حينما تمسك بالميزان حلت مشكلاتك، الميزان لو وجد عندك ألف عبوة، وعلى كل عبوة وزن مكتوب، وأنت تشك بصحة الوزن، إذا لم يوجد عندك ميزان فأنت في متاهة، فإذا تملك الميزان القضية حلت، تكشف الخطأ من الصواب، تكشف الصدق من الكذب، تكذب الأصالة من الزيف،



فالمشكلة أن العلم لم يطلب من منابعه ولم يطلب وفق أصوله وما أكثر المقولات التي تقال في شأن الدين، والشيء الذي يؤسف له أنه ما من اختصاص إلا وله أربابه، أنت لا تجرؤ على أن تدلي برأي في الطب، الناس فوراً يسكتونك، هل أنت متخصص؟ ولا تجرؤ على أن تدلي برأي في قضية القوانين، هل أنت حقوقي؟ ولا تجرؤ

على أن تدلي برأي في البناء، هل أنت مهندس؟ كل اختصاص له حرمة إلا الدين كلاً مشاع، متعلم غير متعلم، متقف غير متقف، أمة متبحر منحرف مبطل مزور متهم، كل إنسان يدلي برأي في الدين، وفي رجال الدين، أي اختصاص علمي له قداسته ولا يستطيع أحد أن يجري مداخلة إلا في الدين كل يظن نفسه قطباً في فهم الدين وقطباً في تفسير الدين، هذه مشكلة، فنحن أمام مشكلة هي مقولات في الدين من كثرتها وتنوعها وتضادها وتناقضها فصار المسلم في متاهة، أنا أعبر عن حال عامة الناس ولست أعبر عن حال طلاب العلم الذين يلتزمون في مسجد ولهم منهج ولهم عقيدة واضحة ولهم أساليب واضحة.

لذلك محور هذا الدرس ما الذي يجمعنا كأمة مسلمة؟ يجمعنا محكمات، في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب هي تجمعنا، كأن الإنسان في ثوابت وفي متغيرات، الثوابت مغطاة بالمحكمات



والمتغيرات مغطاة بالمتشابهات، أي يوجد آية قطعية الدلالة ويوجد آية ظنية الدلالة، ظنية الدلالة تغطي المتغيرات في حياة الإنسان، وقطعية الدلالة تغطي الثابت في حياة الإنسان، فحينما تبيع الأمور أي مثلاً هناك قاعدة يرويها العوام آلاف المرات كل يوم يقول لك: الضرورات تبيح المحظورات، أي ضيق مهما بدا طفيفاً من أجل هذا الضيق الطفيف يبيح لنفسه المحرمات، يقول لك: أنا مضطر، فهم منهجي لهذه القاعدة غير موجود، فهم شرعي لهذه القاعدة غير موجود، مقولة أخرى: الدين مصلحة، هذا المقياس مائع، فمن أجل هذا المقياس تباح كل المحرمات، أنا أعطيك نبض الشارع المسلم، هكذا المسلمين، هذه الأحياء السكنية، هذه البيوت هؤلاء كلهم مسلمون، طبعاً قلة قليلة ترتاد بيوت الله عز وجل وقلة قليلة تطلب العلم الشرعي من يبايعه، ومن مظانه، وقد قال سيدنا عمر: ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.

المحکمات ينبغي أن تكون ثابتة وواضحة وتأخذ صفة المرجعية :

يا أيها الأخوة الكرام، لا بد من محكمات، ما صفات المحكمات؟ الحقيقة يجمعنا المحكمات وتفرقنا المتشابهات، قال: المحكمات يجب أن تكون ثابتة لا تتغير، لا بتغير الزمان ولا بتغير المكان ولا باختلاف البيئة ولا بتنوع المعطيات، المحكمات يجب أن تكون ثابتة، لا تتغير ولا تتبدل، ولا تعدل ولا تطور، ولا تلغى ولا يزداد عليها، هذه المحكمات، لا يوجد قاعدة محكمة منسوخة إطلاقاً، لكن يوجد حكم شرعي منسوخ لحكمة بالغة بالغة أراد الله عز وجل أن يشرع تحريم الخمر بالتدرج فقال:

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾

[سورة النساء: ٤٣]



المحکمات واضحة وضوح الشمس لا تتغير

لكن هذه الآية نسخت، لا يمكن أن تنسخ قاعدة محكمة إطلاقاً، الصفة الثانية للمحكمات أنها واضحة لا لبس فيها، واضحة وضوح الشمس، ينبغي أن تكون ثابتة وينبغي أن تكون واضحة، لا غموض ولا خفاء ولا اضطراب ولا اختلاف في فهمها، الصفة الثالثة هذه المحكمات لها صفة مرجعية أي آلاف

القضايا الجزئية ترجع إليها، مثلاً قاعدة لا ضرر ولا ضرار هذه قاعدة، هذه محكمة، آلاف الأحكام

الشرعية تتبع منها وتفسر بها، فالمحكمات ينبغي أن تكون ثابتة، والمحكمات ينبغي أن تكون واضحة، والمحكمات ينبغي أن تأخذ صفة المرجعية.

أيها الأخوة، أمثلة: مثلاً فردية عبادة الله، هناك من يعبد هواه، هناك من يعبد شهوته من دون الله، أن تعبد الله هذه الصفة الأولى في المسلم، عبادة الله آية محكمة ثابتة واضحة مرجعية، قلت لكم من قبل: الإنسان مخير في أن يدخل في هذا الدين أو لا يدخل، أما إذا دخل صار ملزماً بمنهج الله عز وجل، أنت مخير في الدخول أو عدم الدخول، أما إذا دخلت لست مخيراً، لو أن السلك العسكري تطوع فقط أنت مخير تطوع أو لا، أما إذا تطوعت يوجد نظام عسكري، يوجد دوام، يوجد واجبات، ويوجد عقوبات، ويوجد سجن، ويوجد مضاعفة خدمة، ويوجد أشياء كثيرة.

محكمات الدين من أعظم ما فيها أنها تحافظ على الدين وعلى الدنيا :

مثلاً وجوب عبادة الله عز وجل تحريم الكفر والشرك والنفاق، تحريم الظلم في التعامل، تحريم الربا في التعامل المالي، تحريم الفواحش في التعامل مع المرأة، أركان الإيمان هذه مسلمت ثوابت محكمات، أركان الإيمان كل هذا، الحقيقة أيها الأخوة محكمات الدين من أعظم ما فيها أنها تحافظ على شيتين تحافظ على الدين وتحافظ على الدنيا، والدعاء الشريف، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي))

[مسلم عن أبي هريرة]

أنت بحاجة إلى صلاح الدين فهو عصمة أمرك، وصلاح الدنيا فهو أساس معاشك، وصلاح الآخرة التي إليها مردك، فالمحكمات تضمن حفظ الدين، وتضمن حفظ الدنيا، لأن الدنيا فيها الحياة والعرض والعقل والمال، وكل أحكام الدين متوجهة إلى المحافظة على الدين والحياة والعرض والعقل والمال،



هذه الضرورات الخمس، هذه التي قال عنها بعض العلماء الأكارم: الشريعة مصلحة كلها، حكمة

كلها، عدل كلها، رحمة كلها، وأية قضية خرجت من الرحمة إلى خلافها، ومن الحكمة إلى خلافها، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن العدل إلى الجور فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.



أيها الأخوة الكرام، لا بد من أن أدخل في تفاصيل الموضوع، أضرب لكم بعض الآيات المحكّمات اللواتي هن أم الكتاب.

أخوانا الكرام، المحكّمات تجمعنا، والأحاديث الصحيحة تجمعنا، والمتشابهات تفرقنا، والأحاديث الضعيفة والموضوعة تفرقنا، لأنه ما من فرقة

ضالة إلا اعتمدت على نصوص غير صحيحة، وما من فرقة ضالة إلا ألهمت الأشخاص، وأنا أقول لكم: كلما عظم الشخص صغر المبدأ، وكلما عظم المبدأ صغر الشخص:

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥]

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾

[سورة الحاقة: ٤٤-٤٧]

لا أمثل بهم فيمثل الله بي ولو كنت نبياً، يقول لخدمه وقد تأخر طويلاً: لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك.

كلما عظم المبدأ صغر الشخص وكلما صغر المبدأ عظم الشخص :

النظام والمبدأ فوق الأشخاص، ولو كان الشخص سيد الأنبياء، فكلما عظم المبدأ صغر الشخص، وكلما صغر المبدأ عظم الشخص، فالفرق الضالة تؤله علماءها، وتعتمد النصوص الضعيفة



الديانات الوضعية بلا منهج فقط، ولاء لشخص وتأليه

والموضوعة، وتخفف التكاليف، لا يوجد تكاليف، أنت قد تعجب دين وضعي يقول لك: تسعمئة مليون أتباعه، خمسمئة مليون، أربعمئة مليون، ديانات وضعية، بعضها يعبد البقر، وبعضها يعبد الحجر، وبعضها يعبد الشمس والقمر، وبعضها يعبد سوءة الإنسان، هذه الديانات ليس لها مناهج فقط إعلان ولاء، أي إذا أنت لك أب، ولست مكلف بشيء من قبله إلا أن تضع صورته بجيبك، كلما التقيت بإنسان تراه صورته، هذا والدي، إذا لا يوجد اتباع الولا سهل جداً، إعلان الولا سهل جداً، وما أكثر الكذب بإعلان الولا، أما الدين الإلهي دين الله دين اتباع، دين منهج، دين يقيد، لماذا



الفرنجة عندما فتحوا القدس ذبحوا سبعين ألفاً؟ هذه الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن، يوجد نظام، يوجد قيد، يقال: إن سمرقند فتحت، بعد أن فتحت وتسلمها المسلمون، وحكموها لمدة طويلة أهل سمرقند علموا مؤخراً أن فتحها لم يكن شرعياً، فتوجه وقد سراً إلى دمشق، وكان عمر بن عبد العزيز وقتها خليفة المسلمين، أن هذه المدينة لم يعرض

عليها الإسلام، ولم تخير بدفع الجزية، بل حوربت مباشرة وفتحت، والله التاريخ يروي شيئاً لا يصدق قال: قصاصة صغيرة كتب عليها عمر بن عبد العزيز إلى قائد الحملة في سمرقند: اخرج من سمرقند، واسلك في فتحها الطريق الشرعي، إذا الآن بعثنا قصاصة إلى شارون هل يخرج من فلسطين؟ أصبحت أسمع بالشرعية الدولية مليون مرة، أي شرعية دولية، وأي خرق قوانين؟ قصاصة صغيرة، هم لم يصدقوا فلما دفعوها إلى حاكم سمرقند قبلها، وأعطى أمراً بانسحاب الجنود، النظام فوق الجميع، الحق فوق الجميع، فعظمة الدين أنه يوجد منهج، أي سيد الخلق إلى يمينه غلام صغير، وجاءت الضيافة، أي فرضاً على يساره سيدنا الصديق قال له: يا غلام أتأذن لي أن أعطي أبا بكر؟ قال له: لا والله لا آذن لك، فالنبي حسب التعليمات قدم له لأنه على اليمين.

الدين الأرضي ليس فيه منهج ولكن فيه ولاء كاذباً أما دين الله ففيه اتباع :

شيء عجيب خليفة المسلمين، أي:

﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾

[سورة التوبة: ٤٠]

عين قائد جيش شاب يمكن الآن بالحادي عشر لو كان بعصرنا سبعة عشر عاماً، قائد جيش المسلمين من جنوده عمر بن الخطاب وعثمان وعلي، سيدنا عمر أراد أن يستبقه سيدنا الصديق، فجاء واستأذن أسامة ما هذا النظام التسلسلي؟ قال له: يا أسامة أتأذن لي بعمر؟ الدين الأرضي لا يوجد منهج ولكن يوجد ولاء كاذب، ففضية سهلة جداً أما دين الله فيه اتباع، لا يمكن أن ترقى إلى أن تكون مؤمناً إلا إذا وقفت عند الحلال والحرام، إلا إذا كنت وقافاً عند أمر الله عز وجل، لذلك قالوا: ليس الولي الذي يمشي على وجه الماء ولا الذي يطير في الهواء، ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام، أن يراك حيث أمرك، وأن يفتدك حيث نهاك، فنحن نبحث في المحكمات، في الأسس، في المبادئ التي تجمع الأمة، قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

يوجد مشكلة؛ نصوص الدين لكثرة تداولها والاستماع إليها وقراءتها واستخدامها في الخطب والدروس، ولضعف إيمان المؤمنين وانصرافهم عن الدين فرغت من مضمونها، فقد يعبد الإنسان شهوته دون أن يشعر، وقد يعبد مصلحته، وقد يعبد المال.

الآيات المحكمات ينبغي أن تجدد بمعنى أن يعاد لها مضمونها:

ذكرت في خطبة الجمعة والله أيها الأخوة تلك الآية تقصم الظهر:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ ﴾

[سورة التوبة: ٢٤]

أي إذا آثرت بيتاً ليس من حقك أن تبقى فيه لكن القانون معك على أن تؤدي هذا البيت لصاحبه فالطريق إلى الله ليس سالكاً:

﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ٢٤]

فلذلك الآيات المحكمات ينبغي أن تجدد بمعنى أن يعاد لها مضمونها:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

و الله أيها الأخوة المؤمن الصادق إن لم يستو عنده التبر بالتراب ليس مؤمناً، التبر أي الذهب، أي قاضٍ شرعي معاشه أربعة آلاف لا يوجد عنده منزل ولا سيارة، وليس متزوجاً، توفي شخص وترك مئة مليون، والوفاة غير صحيحة، مسمّم، جاء القاضي الشرعي مثلاً هذه عشرة ملايين، واكتب وفاة طبيعية مثلاً، المؤمن إذا أعطوه ألف مليون يبقى على أربعة آلاف في الشهر، ولا يقبل مئة مليون يكتب خلاف الواقع، والله أنا عندي أخ من أخوانا في الجامع أعتز به اعتزازاً بلا حدود، هذا الأخ يوجد ببلد عربي، والده هياً له عملاً صناعياً صغيراً، ركب مركبته يبدو أن حادثاً وقع، الحادث بسيط، ولكن يبدو أنه يوجد في المركبة شخص سنة تسعون فما فوق، صار معه صدمة فمات فوراً، اتصل بمدير أعماله قال له: هكذا صار معي، قال له: ارتح، واحضر بعد ساعة إلى المخفر الفلاني، بعد ساعة جاء كل شيء جاهز، كل شيء منته، مكتوب الضبط فقط قف، لا يوجد عليك شيء، لأن الذي صدمه مكتوب في الضبط: إن المصدوم صدمه، بالعكس، فقال له: ولكن الواقع غير هذا، قال له: وقع، قال له: لا أوقع، الواقع غير هذا، أنا صدمته، قال له: عجيب أنا أبحث عن خلاصك، وتبحث أنت عن أن تقع، قال له: لا أوقع يوجد آخرة، يوجد إله، لم يوقع، وكتب الواقع، ودفع الدية، والدية كبيرة، وعين أولاد المتوفى في المعمل، أي أصبح أمام الله بريئاً، هذا طبعاً قتل خطأ، إذا لم يوجد عندنا مواطن كهذا والله لا يوجد أمل.

لن نغلب أعداءنا إلا بالحق :

اليهود لما جاءهم عبد الله بن رواحة ليقمّ تمرهم أغروه بحلي نساءهم كرشوة فقال: جئتكم من عند أحب الخلق إلي من عند محمد بن عبد الله ولأنتم عندي أبغض من القردة والخنازير ومع ذلك لن أحييف عليكم، لن أظلمكم، فقال اليهود: بهذا قامت السماوات والأرض وبهذا غلبتمونا، ولن نغلبهم إلا بالحق:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

كم مسلم يعبد شهوته؟ وكم مسلم يعبد
مصلحته؟ وكم مسلم يحلف أيماناً كاذبة
ليبيع سلعة كاسدة؟ وكم مسلم يدلي
بشهادة زور؟ قال لنا شخص يوجد عنده



كم من مسلم يشهد شهادة زور ليأخذ ما ليس له؟

مخالفة تموينية قال له القاضي: انتِ بشاهد على أن البضاعة مسعرة، فإذا جاء بالشاهدين انتهت قضيته، استأجر شاهداً، طلب منه خمسة آلاف، دخل وجد مصحفاً، ويوجد يمين، قال له: أريد عشرة، لماذا: لأنه يوجد يمين، كم مسلم يدلي بشهادة زور؟ وكم مسلم يأخذ ما ليس له؟ وكم مسلم يحلف أيماناً مغلظة؟ وكم مسلم يعتدي ولو بنظره على أعراض الآخرين؟ وكم من مسلم يأخذ من التركة ما يحلو له ويستضعف أخوته الصغار؟ وكم من مسلم يحرم البنات ويعطي البنين!!
أيها الأخوة:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

هذا أصل، هذه آية محكمة.

الشرك الخفي :

أولاً أيها الأخوة: المحكمات يوجد آية:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

هذه الآية فيها أصول الدين تقريباً:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

عدم الشرك:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ

﴿ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف: ١٠٦]

أي شرك هذا؟ الشرك الخفي.

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]



كم من أب اشتكى على ابنه من أجل النفقة؟

هل تصدقون أن في قصر العدل عشرات القضايا التي تشتكي فيها الأم على ابنها من أجل النفقة:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

يجب أن يتعلم الابن لغة إنكليزية، صح، أما إن أرسله وحده إلى بلاد الكفر وعاد زانياً ليست هناك مشكلة، لكن المشكلة أن يجهل هذه اللغة، لم يهتم الأب بدين ابنه، يهتم فقط بكفائه وحرافته ودخله.

المجتمع الكافر يتحرك بشهوته وفق كل المستويات :

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

الإملاق هو الفقر، أي بربكم طفلة عمرها سنتين ثلاثة في أجمل وقت، كالوردة، زهرة، تجد قلبك معلقاً بها، كان الجاهلي يأخذها إلى مكان بعيد يحفر لها حفرة في الرمل، يضعها في الرمل، ويهيل الرمل عليها وتقول: أبي أبي، قلوب كالصخر، النبي بكى من سماع قصة وأد فتاة، إذاً الموازنة بسيطة: هذا الذي يسمح لابنته أن ترتدي ما تشاء، وأن تظهر الثياب كل مفاتها، وأن تخطر في الطريق يراها عشرات بل مئات من الشباب الجائعين المحرومين الذين بينهم وبين الزواج عشرين سنة قادمة، هذه الفتاة بهذا التهنك والتقلت ماذا تفعل؟ إلى النار، بربكم الذي يسمح لها أن تؤذي الشباب هكذا أليس لو وأدها قبل أن تكبر كان خيراً لها، لو وأدها قبل أن تكبر إلى الجنة أما الآن إلى النار، ولن تدخل النار حتى تدخله النار معها، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

يوجد شهوات ولكن لها قرارات نظيفة، فالمجتمع الكافر يتحرك بشهوته وفق كل المستويات، والحقيقة الآن الفواحش في العالم الغربي بلغت درجة أن سفير



الفواحش في العالم الغربي بلغت درجة كبيرة

أمريكا ببوخارست شاذ، فلما تسلم أوراق الاعتماد من وزير الخارجية قبل شهرين أو ثلاثة كان معه زوجته، أي زوجه، عفواً كان شريكه الجنسي معه، احتفال رسمي، أنا قرأت هذا الخبر مع صورة

بموقع معلوماتي، سفير أمريكا في بوخارست في رومانيا، فالتقليد هناك أن يقام حفل وداع لهذا السفير، يتسلم فيه السفير أوراق اعتماده من وزير الخارجية، والعادة مع كل سفير زوجته، هذا عنده شريك جنسي، واقف إلى جانبه شريك جنسي، قضية بسيطة جداً، سبحان الله قبل يومين قاضي في أمريكا قال: النشيد الوطني غير دستوري، يوجد مخالفة للدستور، نشيدهم الوطني الذي يقرؤه الطلاب جميعاً في كل أنحاء الولايات لماذا غير دستوري؟ لأنه يوجد فيه كلمة الله، أريبت إلى هذا الكفر، الذي منحهم الحياة، منحهم الخيرات، منحهم القوة، قال: لأن النشيد فيه كلمة الله، هذه كلمة لا ينبغي أن تكون في بلد علماني.

الآية التالية جامعة مانعة للثوابت في الدين :

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

الكبائر الظاهرة والكبائر الباطنة:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١-١٥٣]

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٣]

هذه الآية جامعة مانعة للثوابت في الدين.

شرح مفصل للآية السابقة :

أعيد الآية السابقة عليكم مشروحة؛ أولاً: وجوب عبادة الله وتحريم الشرك به. ثانياً: وجوب بر الوالدين والإحسان إليهم. ثالثاً: وجوب حفظ النفس وتحريم القتل بغير حق:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

ويظل المسلم بغير ما لم يسفك دماً. تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، المعاصي الكبيرة الظاهرة والكبائر الباطنة. حفظ المال وأداء الحقوق فيه للمحتاجين، وعدم العدوان على أموال

اليتامى. وجوب الوفاء بالعهد والميثاق سواء أكان عهداً مع الله تعالى أو عهداً مع خلقه. وجوب العدل وهذا من أعظم الأصول في الأقوال والأعمال، ووجوب الوزن بالقسط:

﴿ وَأَقِيمُوا الزُّنْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾

[سورة الرحمن: ٩]

وتحريم الكبر وتحريم الأخلاق المذمومة كلها بعامه. وجوب اتباع صراط الله المستقيم وتجنب السبل المضلة. ترك الإنسان ما ليس له به علم:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

[سورة الإسراء: ٣٦]

الشبهات والشهوات حجاب بيننا وبين الله :

نحن إذا عدنا إلى أصول الدين، وإلى الآيات المحكمات، واتفقنا عليها توحدنا، وكانت مقياساً ومرجعاً لنا، أما ألا أطلب العلم الشرعي وألا أبحث في أصول الدين وأكون نهية لمقولات متعددة كثيرة متناقضة متضاربة، وأنا في متاهة هذا ما يؤلم المسلمون اليوم، أي لا يوجد عنده استعداد أن يلتزم مجلس علم في تسلسل في التدريس، لكنه مستعد أن يسمع مئات المقولات المتناقضة شيء صحيح، شيء غير صحيح، شيء يفتقر إلى دليل، شيء لا يفتقر إلى دليل، هذا يجعل المسلم في متاهة، والشهوات مستعرة كما ترون، وصار هناك تناقضات في المقولات مع إثارة للفتن، فحال المسلم مقطوع عن الله بالمعاصي، ويوجد عنده شبهات لا يعلمها إلا الله، أي عنده شبهات في دماغه وشهوات في نفسه، فالشبهات والشهوات حجاب بينك وبين الله، الشبهات تعالج باليقينيات، والشهوات تعالج بالتوبة إلى الله، وما من تفسير أروع لقوله تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]

من أن القلب السليم هو القلب الذي سلم من شهوة لا ترضي الله، وسلم من قبول خبر يتناقض مع وحي الله، وسلم من تحكيم غير شرع الله، وسلم من عبادة غير الله.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٢٧) : التوحيد (أمثلة عملية وقصص واقعية).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٠٦-١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كيف يكون التوحيد:

أيها الإخوة الكرام، أردت أن يكون هذا الدرس في موضوع من أخطر موضوعات الدين ألا وهو التوحيد، فالدين هو التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

١ . المشركون وحوّدوا توحيد الربوبية:

أما أن تؤمن أن الله خالق السماوات والأرض فقد قال هذه الكلمة المشركون، قال تعالى:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾

(سورة الزمر)

٢ . بهذا يكون التوحيد:

فأن تؤمن أن الله عز وجل خلق الأكوان، هذا يؤمن به المشركون، ولكن أن تؤمن . الآن دقق . أن الله في السماء إله وفي الأرض إله، قال تعالى:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

(سورة هود)

أن تؤمن أنه:

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦)

(سورة الكهف)

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الشورى)

أن تؤمن أنه:

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ ﴾

(سورة فاطر)

هذا هو الإيمان، ألا ترى مع الله أحداً، أن ترى أن يد الله تعمل وحدها، أن ترى أن الله وحده هو الرافع الخافض، والمعز المذل، والمعطي المانع المقرب، الله وحده يفعل ما يشاء، ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن.

ومضات مشرقة من توحيد الصحابة:

الآن أريد أن أعطيكم ومضات من توحيد الصحابة.

١ . مع كعب بن مالك:

سيدنا كعب حينما تخلف عن رسول الله في تبوك لم يكن له عذر، وقد قال: << أوتيت جدلاً >>، يعني أوتيت قوة إقناع، فلما عاد النبي عليه الصلاة والسلام، وعكف راجعاً إلى المدينة قال: حضرتي حزني، ماذا أقول له؟ فلما وصل إلى المدينة استقبل المنافقين، واستمع إلى أعدائهم، وقبلها، منهم ثمانون منافقاً، فلما جاء دور سيدنا كعب قال في نفسه: << والله لقد أوتيت جدلاً، وإنني بجدلي أخرج من سخطه . أقدم له عذراً محبوباً . ولكنني خشيت أنني إذا خرجت من سخطه بجدلي ليوشكن الله أن يسخطه علي >>، علاقته مع من؟ مع الله، بإمكانه أن يقنع رسول الله، ولكن رأى أن الأمر بيد الله، فلو أقنع النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يكن الله راضياً عنه ليوشكن الله أن يسخطه علي، قال: << فأجمعت أن أصدقته، فلما وصلت إليه قلت: والله يا رسول الله ما كنت في يوم أقوى ولا أنشط من يوم تخلفت عنك، لا عذر لي، فقال عليه الصلاة والسلام كلمة رائعة:

((أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ))

[متفق عليه]

استمع إلى ثمانين منافقاً، وكلهم قدموا أعدارا مقبولة، ووكّلهم إلى إيمانهم، فلما تكلم هذا الصحابي الجليل الحقيقة بلا مواربة، وبلا كذب، قال عليه الصلاة والسلام:

((أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ))

أرأيت إلى هذه اللقطة، أوتي قوة إقناع بإمكانه أن يخرج من سخطه، لكنه أدرك أن الأمر بيد الله، فهو إن خرج من سخطه ليوشكن الله أن يسخطه عليه، قال: فأجمعت صدقه، هذه واحدة.

٢ . مع امرأة أنصارية:

لللغة الثانية أن النبي عليه الصلاة والسلام خطب امرأة فاعتذرت أن تكون زوجة له، فكان الكلام لا يصدق، امرأة أتيج لها أن تكون السيدة الأولى في مجتمع المسلمين، زوجة خير الأنبياء والمرسلين، وتعتذر !!! طبعاً موقف غريب وعجيب، فسألها، قالت: يا رسول الله، لي خمسة أولاد، أخاف إن قمت بحقهم أن أقصر في حقك، فإله لا يعذرنى، وأخاف إن قمت بحقك أن أقصر بحقهن، هذا التوحيد، هذا هو التوحيد.

٣ . مع أم المؤمنين عائشة:

حينما نزلت براءة السيدة عائشة من حديث الإفك، طبعاً تأخر الوحي أربعين يوماً، ولو كان الوحي شيئاً بملك النبي كما يتوهم أعداء الإسلام لقال آية بعد ساعة وبرأها، الوحي كيان مستقل عن النبي عليه الصلاة والسلام، لا يملك قلبه ولا دفعه، فلما نزل في الوحي ببراءة هذه السيدة المصون رضي الله عنها قال أبوها الصديق: قومي إلى رسول الله فاشكره، قالت: لا والله، لا أقوم إلا الله، على مسمع النبي عليه الصلاة والسلام، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال: عرفت الحق لأهله، هذا هو الصحيح، أرأيت إلى التوحيد؟

٤ . مع أبي بكر صديق هذه الأمة:

هل تصدق أن في حياة المسلمين الأولى إنسانين أحبا بعضيهما حباً يفوق حد الخيال كحب الصديق لرسول الله، ولما توفي النبي عليه الصلاة والسلام ماذا قال الصديق؟ دقق:

((أَمَا بَعْدُ ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . بِلَا أَلْقَابٍ ، وَهُوَ قَدْ ذَابَ قَلْبُهُ أَلْمَا . فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ))

[متفق عليه عن عائشة]

أرأيت إلى التوحيد؟

٥ . مع سيف الله المسلول خالد:

سيدنا خالد وهو في أوج انتصاراته عزله عمر، وأرجعه جندياً، تصور إنساناً لواء تسحب منه القيادة، ويبقى جندياً في الفرقة، ماذا يفعل؟ يحدث انقلاباً، جاء إلى سيدنا عمر فقال له: >> يا أمير

المؤمنين، لم عزلتني؟ قال: والله إني لأحبك، قال: لم عزلتني؟ قال: والله إني لأحبك، قال: لم عزلتني؟ قال: والله إني لأحبك، يريد جواباً، فقال له سيدنا عمر: والله يا ابن الوليد ما عزلتك إلا مخافة أن يفتتن الناس بك لكثرة ما أبليت في سبيل الله <<، خاف هذا الخليفة العملاق أن يتوهم الناس أن الذي ينتصر هو خالد، لكن الذي ينصر هو رب خالد، فعزل خالد، وبقي النصر مستمراً من أجل التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

٥ . مع الفاروق عمر:

القصة الأولى:

أيها الإخوة الكرام، سيدنا عمر وهو يخطب قطع الخطبة، وقال: << يا ابن الخطاب، كنت راعياً ترعى الإبل على قراريط لأهل مكة >>، وتابع الخطبة، ليس هناك علاقة أبداً.

أحيانا بعض المحطات الإذاعية تقطع البث، ويستبدلونها بدعاية ليس لها علاقة بالمضمون إطلاقاً، ثم يعود المضمون، ما فهم الصحابة ذلك، فلما انتهت خطبته سأله، فقال: << جاءتني نفسي فحدثتني أنه ليس بينك وبين الله أحد، فأردت أن أعرفها قدرها، >>، كنت راعياً أرعى الإبل على قراريط لأهل مكة

لذلك أيها الإخوة، الدين الحقيقي توحيد، الدين الحقيقي ألا ترى مع الله أحداً، وألا ترى نفسك أيضاً، وألا ترى عملك، إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك، لذلك في أي عمل تقدم عليه ينبغي أن تقول: اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك، يا ذا القوة المتين، تبرأت من حولي وقوتي وعلمي، والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك، يا ذا القوة المتين، هذا هو التوحيد، ألا ترى مع الله أحداً، ألا تحابي أحداً، لذلك قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾

(سورة الأحزاب)

هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله أليسوا أمناء؟ نعم، أليسوا صادقين؟ أليسوا ورعين؟ أليسوا مصلين؟ أليسوا صائمين؟ لماذا أغفل الله كل صفاتهم، واكتفى بصفة واحدة؟ قال علماء البلاغة: لأن هذه الصفة مترابطة مع الموصوف ترابطاً وجودياً، فإذا ألغيت الصفة ألغيت الموصوف، كيف؟ تقول: طائرة كبيرة، والباخرة كبيرة، طائرة غالية الثمن، واليخت غالي الثمن، طائرة جميلة، واليخت جميل، أما الطائرة فتطير، هذه صفة خاصة بالطائرة، فلو ألغيت الطيران الطائرة ألغيت الطائرة، لذلك

هؤلاء الدعاة إذا وَّحدوا، ولم يروا مع الله أحداً، ولم ينافقوا، ولم ينطقوا بكلام ليسوا قانعين به، ولم يسكتوا عن حق خوفاً من قوي، ولم ينطقوا بباطل إرضاء لقوي، هؤلاء هم الدعاة، فإن لم يكونوا كذلك سقطت دعوتهم، وانتهوا، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾

(سورة الأحزاب)

بعد هذه الصفة لا داعي للحديث عن صدقهم وأمانتهم، وصلاتهم وصيامهم، القرآن جامع مانع، فيه إيجاز، لذلك أيها الإخوة صدقوني، ولا أبالغ: إن لم تكن موحداً فلا جدوى من إيمانك إطلاقاً، إن لم تر أن يد الله تعمل وحدها، وأن الله بيده كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه فلست موحداً.

جاء خطيب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له:

((ما شاء الله وثنت، قال: بنس الخطيب جعلتني لله نداً، ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن))

[ورد في الأثر]

هذا هو التوحيد.

القصة الثانية:

أيها الإخوة، جاء رسول والي عمر بن الخطاب على أنريجان، وصل المدينة في ساعة متأخرة من الليل، كره أن يطرق باب أمير المؤمنين، فتوجه إلى المسجد، سمع رجلاً يبكي، ويقول: يا رب، هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي، أم رددتها فأعزبها؟ استغرب، طبعاً هذا الكلام له قصة، سيدنا عمر كان يسير في أزقة المدينة، ومعه عبد الرحمن بن عوف، رأى قافلة في ظاهر المدينة، فقال لعبد الرحمن بن عوف: تعال نحرس هذه القافلة، سيدنا عمر سمع طفلاً يبكي، توجه إلى أمه، وقال: أرضعيه، فأرضعته، وتابع البكاء، فقال: أرضعيه، فأرضعته، فتابع البكاء، فغضب، وقال: أرضعيه، قالت له: وما شأنك بنا؟ طبعاً لا تعرفه، إنني أفطمه، قال: ولم؟ قال: لأن عمر لا يعطي العطاء، التعويض العائلي، إلا بعد الفطام، تروي الرواية أن عمر ضرب جبهته، وقال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟ لأنه أصر العطاء إلى الفطام، ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟ فذهب إلى المسجد، وبكى بكاءً شديداً، وقال: يا رب، هل قبلت توبتي فأهنئها، أم رددتها فأعزبها؟ هذا السفير الرسول من أنريجان ما عرف هذا الإنسان، قال له: من أنت يرحمك الله؟

قال: أنا عمر، هو خجل أن يطرق باب أمير المؤمنين ليلاً، فذهب إلى المسجد فرآه يبكي في المسجد، قال: يا أمير المؤمنين، ألا تنام الليل؟

والله هناك قصة مع نفسي، هذه القصة صدقوني أحجمت عن روايتها عشر سنوات لأنني وجدتها غير واقعية، أنا قرأت القصة على الشكل التالي، قال: إني إن نمت ليلي أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي، أحجمت عن روايتها عشر سنوات، إلى أن عثرت على رواية لها فيها كلمة زائدة قال: إني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي، صار كلاماً منطقياً، إنسان ما ينام! هذا مستحيل.

النتيجة قال له: << أحب أن تأكل معنا، أم أن تأكل مع فقراء المسلمين، يعيش عند كسرى، طعام الملك شيء نفيس جداً، قال: بل عندك، فلما دخل إلى بيته، قال: يا أم المؤمنين ما عندك من طعام؟ قالت: والله ما عندنا إلا ملح وخبز، بينما فقراء المسلمين يأكلون اللحم، قال: هاته لنا، فجاءته بالملح والخبز، أكل فشيح، وشرب فارتوى، فقال: الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وسقانا فأروانا >>، خليفة المسلمين.

مرة ترك أكل اللحم في سنين المجاعة، فقرقر بطنه، فخاطبه، وقال: << قرقر أيها البطن، أو لا تقرقر، فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبابة المسلمين >>.

وضعوا له سنام الناقة أمامه ليأكله، فبكى، وقال: << بئس الخليفة أنا إذا أكلت أطيبها، وأكل الناس كراديسها >>.

فالنتيجة سيدنا عمر لما ضرب جبهته، وقال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟! ذهب إلى المسجد، وأعطى أمراً أن يكون العطاء بعد الولادة لا بعد الفطام.

والله، الذي لا أصدقه كيف تأمر هذه الدول الكبيرة بقتل الشعوب، لأنه آخر العطاء من الولادة إلى الفطام، قال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين!؟

هذا هو التوحيد، لذلك سيدنا الصديق أوصى أن يكون الخليفة بعده عمر، فجاء وفد إليه، وخوفه من الله، كيف تولّى علينا عمر، وشديد مخيف؟ فغضب، وقال: أتخوفوني بالله، لو أن الله سألني لم وليت عليهم عمر؟ أقول: يا رب، وليت عليهم أرحمهم، هذا علمي به، فإذا بدل وغير فلا علم لي بالغيب، فلما خطب سيدنا عمر قال: << كنت خادم رسول الله وسيفه المسلول وجلواذه، وتوفي عنه

وهو عني راض، وأنا بهذا أسعد، والحمد لله رب العالمين، ثم جاء أبو بكر، فكنت خادمه وسيفه المسلول وجلاوذه، فكان يغمدي إذا شاء، وتوفي عني، وهو عني راض، الحمد لله على هذا كثيراً، وأنا به أسعد، قال: ثم آلت الأمور إلي، اعلموا أيها الناس، أن تلك الشدة قد أضعفت، وإنما تكون على أهل البغي والكفر، أما أهل التقوى والصلاح فأنا ألين لهم من أنفسهم، وسأضع رأسي على الأرض ليطئوه بأقدامهم، أيها الناس، خصال خمس خذوني بها، أي حاسبوني عليها، لكم علي لا أخذ من أموالكم شيئاً إلا بحقه، وألا أنفقه إلا بحقه، ولكم علي ألا أجركم بالبعوث، يعني أرسلك إلى الجهاد فوق أربعة أشهر، لك أولاد، ولك زوجة، وإذا غبتم في البعث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا، ولكم علي أن أزيد عطاياكم إن شاء الله تعالى <<.

القصة الثالثة:

هذا التوحيد، يرى الله عز وجل سيحاسبه، لذلك جاءت رسالة من والٍ يقول: << يا أمير المؤمنين، إن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم، ولست أقدر على استخراجهم منهم، إلا أن أسهم بالعذاب، فإن أذنت لي فعلت، اسمع جواب عمر، قال: ويحك، أتستأذني في تعذيب بشر، وهل أنا حصن لك من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله؟ أقم عليهم البينة، معك مستمسكات، معك أدلة، معك وثائق، فإن قامت فخذهم بالبينة، فإن لم تقم فادعهم إلى الإقرار، فإن أقروا كان بها، وإن لم يقرروا فادعهم إلى حلف اليمين، فإن حلفوا فأطلق سراحهم، وإيم الله، لأن يلقوا الله بخيانتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم <<، هذا هو التوحيد.

رأى والياً فقال له: << ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال له: أقطع يده، قال للوالي: إذاً، إن جاني من رعيته من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عنهم خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر له حرفتهم، فإن وفرنا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملاً التمسست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية <<.

هذا التوحيد.

أيها الإخوة الكرام، المسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى التوحيد، في أمس الحاجة إلى أن يؤمنوا أن الأمر بيد الله، لا بيد أعدائهم، وأن الله لا يتخلى عنهم، وأن مصيبة المصائب أن يشعروا باليأس والإحباط، ومصيبة المصائب ألا يتقوا بوعده الله، قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي ﴾

(سورة النور)

ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ:

الآن الآية الكريمة اتلي تقصم الظهر، قال تعالى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

(سورة يوسف)

الشركة بين الجلي والخفي :

لذلك قسم العلماء الشرك إلى شرك جلي، وشرك خفي، الشرك الجلي أن تقول: بوذا إله، وفي شرق آسيا مئات الأديان كلها أديان وثنية تعبد الحجر أو تعبد الشمس والقمر أو تعبد الجردان أو تعبد... الحديث طويل، لذلك الشرك الجلي لا يوجد في العالم الإسلامي، والحمد لله، فعن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ: يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا، وَلَا وَتْنَا، وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَشَهْوَةً خَفِيَّةً))

[ابن ماجه]

لذلك للإمام علي رضي الله عنه قول رائع قال: >> الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء <<.

وأدناه أن تحب على جور، وأن تغضب على عدل، واحد تنتفع منه فتغاضيت عن معاصيه، ولم تتصحه خوفاً من أن تتقطع عطاياه إليك، هذا شرك خفي، أو أنه إذا وجه لك أحد نصيحة لا تحتمل، ترفض هذه النصيحة، وهذا شرك أيضاً، لذلك:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

(سورة يوسف)

أيها الإخوة، إن أردت أن تضغط الدين كله بكلمات، بل إن أردت أن تضغط رسالات الأنبياء جميعاً بكلمات فاسمع قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾

(سورة الأنبياء)

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾

هذا التوحيد،

﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾

الطاعة، لذلك قالوا: نهاية العلم التوحيد، ونهاية العلم التقوى.

التوحيد أن تتجه إلى الله وحده:

أيها الأخوة، التوحيد كأنك دخلت إلى دائرة فيها أربعة طوابق، في كل طابق مئة موظف، وعلى رأسهم جميعاً مدير عام، قال لك أحدهم: قضيتك لا يستطع واحد من كل هؤلاء الموظفين أن يمنحك الموافقة إلا المدير العام، فهل يعقل أن تبذل ماء وجهك لغير المدير العام؟ تكون أحمق. الآن حينما تؤمن أن الأمر بيد الله، أمرك الخاص بيد الله، صحتك بيد الله، وزوجتك بيد الله، وأولادك بيد الله، وجيرانك وأصدقائك وأقربائك، ومن فوقك في الدائرة، ومن هو أقوى منك، ومن هو أضعف منك، ومن كان على شاكلتك بيد الله، حينما تؤمن أن الأمر كله بيد الله لا تتجه إلا إلى الله، من أين تأتي الشجاعة؟ من التوحيد، من أين تأتي العزة؟ من التوحيد، من أين يأتي البُعد عن النفاق؟ من التوحيد، وما من إنسان يسقط في النفاق أو في الكذب أو في الدجل إلا بسبب ضعف توحيده، لأنه رأى أن هذا الإنسان بإمكانه أن يعطيه، أو أن يمنعه، لذلك حينما تؤمن أن رزقك بيد الله، أن حياتك بيد الله، وأن الله قطع أيدي الناس عن الرزق وعن الحياة، وأن كلمة الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً، كنت شجاعاً، لأنك كنت موحداً، التوحيد من لوازمه العز، التوحيد من لوازمه الجرأة.

قصص وعبرة:

١. الحسن البصري مع الحجاج:

سيدنا الحسن البصري من كبار التابعين، وهو عالم جليل، والعلم أمانة، ومن أمانة العلم التبيين، وكان في عهد الحجاج، والحجاج مخيف، أدى أمانة العلم، وبلغ الحجاج ما قاله الحسن البصري

فيه، فغضب وزمجر، وهدد وتوعد، وقال لجلسائه: يا جبناء، والله لأوريئكم من دمه، بكل بساطة أمر بقتله، وجاء بالسياف، ومد النطع، وهو قماش يمنع تلوث الأثاث بدم المقتول.

كنا مرة ببلد إسلامي، وزرنا جامعتها، حدثنا رئيس الجامعة عن قصة تأثرت لها كثيراً، قصة لشابين، شاب من عامة الناس، وشاب أمير، تسابقا، فهذا الشاب الذي من عامة الناس سبق الأمير، الأمير سحب سلاحاً، وأطلق عليه النار، وأرداه قتيلاً، لأنه سبقه، ولي القتل طالب بالقصاص، دفعت له مبالغ، وصل الرقم إلى خمسمئة مليون، فهناك تقطع رأس القاتل بطريقة عجيبية، فهو يرتدي (جلابية)، ويقصون من الخلف سبعة حتى تبقى رقبة الإنسان من الخلف بلا قماش من أجل قطع الرأس بضربة واحدة، وقصت رقبة الثوب، وتلي الحكم بالقتل تحقيقاً لأمر الله عز وجل، ورفع السيف سيفه ليضرب، فقال: عفوت عنه، ولا أريد شيئاً، عفا عنه، وتنازل عن المبلغ بأكمله، خمسمئة مليون، قال: لأعلم من حضر أن هذا الذي قتل يقام عليه الحد كأبي إنسان، وهذه قصة مؤثرة جداً.

أيها الإخوة، فالحجاج قال: يا جبناء، والله لأوريئكم من دمه، بكل بساطة أمر بقتله، وجاء بالسياف، دخل الحسن البصري إلى مجلس الحجاج، رأى السيف واقفاً، وقد مدّ النطع، فهم كل شيء، جيء به ليقتل، فحرك شفتيه، وتمتم بكلمات، فإذا بالحجاج يقف له، ويقول: أهلاً بأبي سعيد، أنت سيد العلماء، وما زال يقربه، ويقربه حتى أجلسه على سريرته، وسأله، واستفتاه، وضيّفه، وعطّره، وودّعه، صُنع السيف والحاجب الذي جاء به، فلما خرج الحسن البصري تبعه الحاجب، قال له: يا أبا سعيد، لقد جيء بك لغير ما فعل بك، فماذا قلت لربك؟ قال: قلت له: "يا ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي في وحشتي، اجعل نقمته علي برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم".

٢ . سعيد بن جبير مع الحجاج:

سعيد بن جبير أراد الحجاج أن يقتله، قال: سأقتلك، قال: والله لو علمت أن أمري بيدك ما عبدت غيرك، لكنني اعبد الله.

ما من إنسان أقوى من الموحد، ومن في إنسان أعزّ من الموحد، ولا إنسان أجرأ من الموحد، لا يرى مع الله أحداً، يرى الله ولا يرى معه أحداً، لذلك كان في بمصر ملك اسمه أيوب، كان إذا مشى موكبه قبل الأمراء والكبراء الأرض أمامه خضوعاً له، وهناك حديث عنه طويل، عن جبروته، وقوته، كان إذا تكلم أحد في مجلسه قتله، يجب أن تسكت، تجيب إذا سألتك، كان إذا أدخل أحداً

السجن، وسأل عنه أحد قتله، هناك قصص عن جبروته وقهره، وظلمه بشكل لا يصدق، وكان في عهده عالم جليل اسمه العز بن عبد السلام، في يوم عيد الأضحى، وهو في موكبه الكبير على فرسه المطهَّم، وحوله الكبراء والأمراء، والأمراء يقبلون الأرض أمامه، صاح به بأعلى صوته، يا أيوب، هكذا، ماذا تقول لربك يوم القيامة، وقد ملكك مصر، لم لم تُزل المنكرات؟ صعق الملك، قال له: أي منكر؟ قال: هناك حانة تبيع الخمر، قال: لا أعلم، قال: أنا قد أعلمتك، قال: لعلها من عهد والدي، قال: إذا ينطبق عليك قوله تعالى:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾

قال: سأزيلها فوراً، يقول الظاهر بيبرس: والله ما استقر ملكي حتى مات العز بن عبد السلام. الإنسان الصادق أمة.

٣ . الشيخ بدر الدين الحسني مع السلطان العثماني:

يروى أن الشيخ بدر الدين الحسني من كبار علماء الشام، أرسل له السلطان العثماني الصدر الأعظم أكبر شخصية، رئيس وزارة، والعثمانيون يحكمون ثلث العالم، شمال إفريقيا بكامله، الشام، العراق، فلسطين، الحجاز، فدخل عليه في الشام، فقال له: السلطان يدعوك لزيارة استنبول، فكان يقول كلمة . رحمه الله . لا أرغب، من شدة هيئته إذا قال: لا أرغب، انتهى الأمر، لا يجرؤ أحد أن يعيد عليه الخبر، فودعه، وعاد إلى استنبول، في الطريق إلى بيروت بارجة، من بيروت إلى استنبول، وطبعاً وقت طويل ليس مثل الآن في ساعتين، وصل بالبارجة إلى إنطاكية، تألم ألماً شديداً، أنه أنا صدر أعظم، رئيس وزارة، آتي أتجشم الصعاب، أركب باخرة من استنبول على بيروت إلى الشام، وأطلب من العالم أن يأتي معي فيرفض، والله لآخذنه بالقوة، ورجع من إنطاكية لبيروت، يحتاج ثلاثة أيام، وسائل قديمة بطيئة جداً، ومن بيروت إلى الشام، ودخل على الشيخ، وكان يصلي، فلما سلم من صلاته نظر إليه، قال: رجعت، اضطرب، قال: سيدي نسيت أن أقبل يدك. سأل رجل الحسن البصري: بم نلت هذا المقام؟ هذا التوحيد، قال: " باستغنائني عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي ".

الآن من يعمل في الدعوة استغنى عنه الأمير، فهو في حاجة إلى شيء من عنده، فسقط العلم كله.

والله هناك قصة قصيرة جداً لو أروبيها مليون مرة لا أشبع، أن والي البصرة كان عنده الإمام الجليل الحسن البصري، وقد جاءه لتوه توجيه، وأمر من يزيد الخليفة، وفيه ظلم شديد، هذا التوجيه لو نفذه لأغضب الله عز وجل، ولو لم ينفذه لأغضب الخليفة، وربما عزله، فوقع في حيرة من أمره، وعنده الإمام الجليل الحسن البصري، قال له: " ماذا أفعل يا إمام ؟ قال له: " إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله "

أحياناً يكون الإنسان في مقتبل حياته، ومعه ورم خبيث، كنت مرة عند طبيب قلب، جاءه هاتف، قال: والله لا أمل، قال له: أي مكان في العالم، وأي مبلغ، قال: والله لا أمل، فإذا انتقم الله عز وجل من إنسان بمرض عضال فقد انتهت حياته، وانتهى ماله، وانتهت قوته.

والله أعرف إنساناً صديق صديقي، وصل إلى منصب عالٍ جداً في الصناعة، يحمل دكتوراه من فرنسا، وزوجته فرنسية، وهو في الأساس غني، وساكن في أرقى أحياء دمشق، وسيارات، وبيت في المصيف، فقد بصره، جاملوه شهراً، بعثوا البريد مع موظف، هذه المعاملة هكذا، بعد شهر أقالوه، فزاره صديقي، قال: والله يا فلان، أتمنى أن أجلس على الرصيف أتكفف الناس، وليس عليّ إلا هذا المعطف، وأن يرد الله لي بصري.

قال له: " إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله، هذا توحيد، لا يوجد إلا الله فقط، لا تخش أحداً، الله يحميك من كل البشر، لكن أقوى البشر لا يحميك من الله، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

هل من المعقول أن يأتي ملك الغساسنة يعلن إسلامه، ويرحب به عمر، ويطوف حول الكعبة، فيأتي بدوي يدوس طرف رداءه، فينخلع رداؤه من كتفه، يلتفت نحو البدوي فيضربه ضربة تهشم أنفه، شكاه لعمر، استدعاه، ملك وشخص بالتعبير المعاصر من دهماء الناس، من سوقتهم، من الطبقة الدنيا، من الطبقة المسحوقة، شاعر معاصر صاغ الحوار شعراً، قال له سيدنا عمر:

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال له جبلة:

لست ممن ينكر شيئاً أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي

قال له عمر:

أرضي الفتى لأبد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه

أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفاك

هو يخاطب ملكاً: أو يهشمن الآن أنفك.

قال:

كيف ذاك يا أمير المؤمنين هو سوقة وأنا عرش وتاج

كيف ترضى أن يخزّ النجم أرضاً؟

قال له:

نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديداً

وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا

قال:

كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزّ

أنا مرتدّ إذا أكرهتني

قال:

عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى وأعز الناس بالعبد بالصلعوك تساوى

وهرب بالليل، وشرب الخمر، وله قصيدة قبل أن تأتيه المنية يعلن عن ندمه الشديد، لأنه لم ينصح

لكلام عمر.

لا إله إلا الله، هذا هو الإيمان، هو الرافع، هو الخافض، هو المعطي، هو المانع، هو المعز، هو

المذل، هو الميسر، هو المعسر، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً.

التوحيد عند حلول المكروه:

أيها الإخوة: كلام كثير متعلق بالتوحيد، كلام نظري، ومواقف عملية، ففي اللحظة التي لا ترى مع

الله أحداً يذهب عنك اليأس، يذهب عنك الإحباط، يذهب عند الخنوع، تذهب عنك السوداوية، يذهب

عنك كل ألم نفسي، الله موجود، وكل شيء بيده، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكُرْبِ:

((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ))

[متفق عليه]

لذلك الصحابة الكرام، وهم نخبة الخلق، ومعهم سيد الخلق في حنين قالوا: لن نغلب من قلة، فلم ينتصروا، قال الله عز وجل:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ
مُدْبِرِينَ (٢٥) ﴾

(سورة التوبة)

في بدر وحدوا فانتمصروا، في حنين أشركوا فلم ينتصروا، هذا درس نحتاجه كل يوم.

تقول: الله، يتولاك الله، تقول: أنا، يتخلى عنك، بدراستك، بتجارتك، بزواجك.

حدثنا أحد علماء دمشق له شيخ وقور، ألقى خطبة كبيرة جداً مؤثرة جداً، هو نازل شعر أن هذه هي الخطبة، قرأ الفاتحة فأخطأ فيها، إياك، قال:

رقصت الفضيلة تيتها بفضلها فانكشفت عورتها

إياك أن تمنّ على الله:

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾

(سورة الحجرات)

الإنسان بين التولي والتخلي:

أنا أعتقد أنه لا يوجد شخص من الإخوة الحاضرين إلا وعنده قصتان ثلاثا حدثت له، عندما وحد الله أكرمه، ولما علّق آماله بإنسان الله خذله، أنا لا أصدق واحد من الحاضرين ما عنده مع الله تجربة، أنا أسمىها أيام الله، وضع ثقته بإنسان فتخلى عنه، وضع ثقته بالله فتولاه، أنت بين التولي والتخلي، بين أن يتولاك الله، وأن يتخلى عنك.

أبو جعفر المنصور من كبار الحكام العباسيين، اسمه السفاح التقى بأبي حنيفة قال: " يا أبا حنيفة، لو تغشيتنا، قال: ولم أتغشاكم، وليس لي عنكم شيء أخافكم عليه، وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء؟ قال له: إنك إن أكرمتني فتننتي، وإن أزريت بي فتننتي أيضاً".

أيها الإخوة، ذكر نفسك بأيام الله، يوم أكرمك الله لأنك وحدته، ويوم وضعت أملك بإنسان فخذلك هذا الإنسان، لأنك وقعت في شرك خفي.

مرة ثانية: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، أَمَا إِنِّي لَسُنْتُ أَقُولُ: يَغْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا، وَلَا وَثْنَا، وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَشَهْوَةً خَفِيَّةً))

[ابن ماجه]

كل الذنوب قابلة للمغفرة إلا الشرك:

بالمناسبة، إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك.

كنت أضرب مثلاً برجل له مال يقبضه في مدينة حلب، مليون ليرة، وأحب أن يصعد القطار، قطع بطاقة درجة أولى، جلس بعربة من الدرجة الثالثة، هذا خطأ كبير، لكن القطار ينطلق إلى حلب وسيصل، هناك خطأ ثان، جلس بمقعد بعكس اتجاه القطار، فأصيب بالدوار، هذا خطأ ثالث، لكن القطار في طريقه إلى حلب، ما من مشكلة، جلس بعربة فيها شبان سيئو الخلق، أزجوه في الطريق، لكن القطار ينطلق إلى حلب، وسيأخذ المبلغ، هناك خطأ رابع، كان يتلوى من الجوع، ولا يعرف أن في القطار عربة فيها مطعم، هذا خطأ آخر، ولكن القطار سيصل إلى حلب هذا الموحد، المشرك ركب قطار مدينة درعا، ما ارتكب ولا خطأ، ولكن لا شيء أمامه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾

(سورة النساء)

مع التوحيد كل الذنوب تغفر، لكن مع الشرك لا شيء يغفر، لأنك اتجهت إلى لا شيء، اتجهت إلى مخلوق، والمخلوق أضعف منك، قال تعالى:

﴿ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا

يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾

(سورة فاطر)

أما سيدنا يونس، وهو في بطن الحوت فقال تعالى عنه:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾

(سورة الأنبياء)

والله الأمل بالمئة صفر، هو في بطن الحوت، في ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، فنادى في الظلمات، جمع، هذا التوحيد، ألا ترى مع الله أحدا، هو الرافع، هو الخافض، هو المعز، هو المذل، هو المعطي، هو المانع، هو الذي يكرم، ومن يهن الله فلا مكرم له، إن وحدت يخدمك عدوك، وإن أشركت يتناول عليك ابنك، لا إله إلا الله، التوحيد يحملك على الاستقامة، وعدم التوحيد يدفعك إلى المعصية إرضاءً للقوي، التوحيد محصلة الإيمان، إيمانك، وتفكرك، واتصالك، واستقامتك، وتضحيتك، وبذلك تنتهي بك إلى التوحيد، والتوحيد سعادة، مع التوحيد لا مرض نفسي، علاقتك مع الله، قال الله عز وجل: " إذا أردتم رحمتي فارحموا عبادي "، علاقتك مع الله، عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[مسلم]

أي عمل صالح من دون استثناء هو قرض حسن لله، قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾

(سورة الحديد)

الله عز وجل يقول: أقرضني يا عبدي، والله لو أطعمت هرة، والله لو أنقذت نملة في أثناء الوضوء بالمغسلة، أو قفت الماء حتى خرجت، بإمكانك أن تغرقها، والله لو أنقذتها كان هذا عملا صالحا. مرة أخ من لبنان صديق توفي . رحمه الله . رجع بسيارته القهقري، فضرب سيارة عمومية فكسر الضوء الأحمر، والصاج تخرب، وأنا توقعت أن هذا السائق ينزل ويفتح، نزل السائق، ونظر إليه، وهو رجل منعم، قال له: مسامح، فهذا الصديق نزلت دمعة على خده، أنا ما فهمتها، لو أنه فقير وقر خمسة آلاف فقير لكن ليس فقيرا، هناك موضوع ثانٍ، لما هطلت هذه الدمعة على خدك قال: أنا قبل سنتين كانت أسرة سورية راكبة سيارة، كل النساء محجبات في بيروت، فضربوا سيارتي، فما أحببت أن أنزع لهم النزهة، فقال لهم: أنا مسامح، ما ضاعت، بكى، قال: أنا ما أحببت وهم جاءوا من الشام محجبات، وفي بيروت وسياقته ضعيفة، فضرب له سيارته، فبعد سنتين رد الله له الجميل،

فعامِلوا الله، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، التوحيد هو الدين، التوحيد هو الذي يرفع رأسك هو الذي يرفع معنوياتك، هو الذي يدفعك إلى أن تكون جريئاً، التوحيد هو الذي يبعد عنك كل مرض نفسي، علاقتك مع الله،

((مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ))

[ابن ماجه عن ابن مسعود]

لذلك:

﴿ قُلِ اللَّهُ تُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

والله يا أيها الإخوة الكرام، الناس في حالة إحباط شديد، في حالة يأس، لأنهم رأوا أن أمرهم بأيدي أعدائهم، وأعداؤهم يكيلون لهم، والله هذه المعلومات تصيبك بجلطة، أن الأمر بيد أعدائنا، فهم يخططون مرة بحصار، مرة بقصف، مرة باحتلال، أسعار العملة بيدهم، والبترول بيدهم، والحصار الاقتصادي بيدهم، الناس يعيشون حالة يأس وإحباط وقلق، لكن كن مع الله ولا تبال.

كن مع الله تر الله معك واترك الكل و حاذر طمعك
وإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك
أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإننا منحنا بالرضا من أحبنا

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

- الدرس ٠١ - أصول الدين ١
- الدرس ٠٢ - الغلو في الدين ١٧
- الدرس ٠٣ - الإحسان ٣٥
- الدرس ٠٤ - الإيمان ٥٠
- الدرس ٠٥ - الإسلام ٦٥
- الدرس ٠٦ - البدعة في الدين ٨١
- الدرس ٠٧ - آيات تتعلق بالعقيدة - معاني تعدية الأفعال في القرآن ٩٩
- الدرس ٠٨ - معاني الفعل في القرآن الكريم ١١٦
- الدرس ٠٩ - الكرامات ١٣٣
- الدرس ١٠ - النصف من شعبان - المولد ١٤٩
- الدرس ١١ - الجن والسحر والحسد ١٦٠
- الدرس ١٢ - مفهوم الزمن والموت ١٧٥
- الدرس ١٣ - قصة إيمان (جيفري لنك ١) ١٨٧
- الدرس ١٤ - قصة إيمان (جيفري لنك ٢) ١٩٨
- الدرس ١٥ - قصة إيمان (جيفري لنك ٣) . القرآن الكريم ٢٠٩
- الدرس ١٦ - قصة إيمان (جيفري لنك ٤) . فصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ٢٢١
- الدرس ١٧ - أصول الدين (دور العقل في فهم الدين وعدم خروجه من دائرته) ٢٣٠
- الدرس ١٨ - أسئلة وأجوبة في العقيدة - من هو ولي الله (..... ٢٤٦

٢٥٣	الدرس ١٩ - التجديد في الإسلام بشكل موسع (الدين توقيفي)
٢٥٧	الدرس ٢٠ - البدع والسنة
٢٦١	الدرس ٢١ - أربع قواعد قرآنية لخلاص المؤمنين مما هم عليه من غي وضعف
٢٧٢	الدرس ٢٢ - زكاة الفطر
٢٨٣	الدرس ٢٣ - وضع المعاق بين المسلمين
٢٩٣	الدرس ٢٤ - آداب التعامل مع المعاق
٣٠٢	الدرس ٢٥ - حرمة الاحتفال بأعياد غير المسلمين
٣١٦	الدرس ٢٦ - المحكمات في الدين
٣٢٨	الدرس ٢٧ - التوحيد (أمثلة عملية وقصص واقعية)
٣٤٥	الفهرس